THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

النكت والعيون

أبوالحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي
الشهير بالماوردي

فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آَسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ (93)
وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (94) ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ
السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آَبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (95)

قوله عز وجل : { وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالبَأْسآءِ وَالضَّرَّآءِ } فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أن البأساء : القحط ، والضراء : الأمراض والشدائد ، قاله الحسن .

والثاني : أن البأساء الجوع ، والضراء : الفقر ، قاله ابن عباس .

والثالث : أن البأساء : البلاء ، والضراء الزمانة .

والرابع : أن البأساء : ما نالهم من الشدة في أنفسهم .

والضراء : ما نالهم في أموالهم ، حكاه علي بن عيسى .

ويحتمل قولاً خامساً : أن البأساء الحروب .

{ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ } فيه وجهان :

أحدهما : يتوبون .

الثاني : يدعون ، قاله ابن عباس .

قوله عز وجل : { ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ } فيه وجهان :

أحدهما : مكان الشدة الرخاء ، قاله ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، ومجاهد .

والثاني : مكان الخير والشر .

{ حَتَّى عَفَواْ } فيه أربعة أقاويل :

أحدها : حتى كثروا ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، والسدي ، قال لبيد :

وَأَنَاسٌ بَعْدَ قَتْلٍ قَدْ عَفَواْ ... وَكَثِيرٌ زَالَ عَنْهُمْ فَانْتَقَلْ

والثاني : حتى أعرضوا ، قاله ابن بحر .

والثالث : حتى سُرّوا ، قاله قتادة .

والرابع : حتى سمنوا ، قاله الحسن ، ومنه قول بشر بن أبي حازم :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فَلَمَّا أَنْ عَفَا وَأَصَابَ مَالاً ... تَسَمَّنَ مَعْرِضاً فِيهِ ازْوِرَارُ

{ وَّقَالُوْا قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ والسَّرَّآءُ } أي الشدة والرخاء يعنون ليس البأساء والضراء عقوبة على تكذيبك وإنما هي عادة الله في خلقه أن بعد كل خصب جدباً وبعد كل جدب خصباً .

(1/2)

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (96) أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (97) أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (98) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (99)

قوله عز وجلَّ : { . . . لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم } فيه وجهان : أحدهما : لرزقنا ، قاله السدي .

والثاني : لوسعنا .

{ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ } : (بركات السماء : القطر . وبركات الأرض . النبات والثمار ويحتمل أن تكون بركات السماء قبول الدعاء . وبركات الأرض : تسهيل الحاجات .

(2/2)

أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (100)

وفي قوله تعالى : { فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ } أي لا يقبلون ، كما قال في الصلاة ، سمع الله لمن حمده ، أي قبل الله ممن حمده ، وقال الشاعر :

دَعَوْتُ اللَّهَ حَتَّى خِفْتُ أَلاَّ ... يَكُونَ اللَّهُ يَسْمَعُ مَا أَقُولُ

أي يقبل .

(3/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (101) وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ (102)

قوله عز وجل : { وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ } في قوله : { مِنْ عَهْدٍ } قولان :

أحدهما : أن العهد الطاعة ، يريد : ما وجدنا لأكثرهم من طاعة لأنبيائهم ، لأنه قال بعده { وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ } وتكون { مِنْ } في هذا الموضع على هذا التأويل زائدة .

والثاني : أنه محمول على ظاهر العهد أي من وفاء بعهده .

وفي المراد بالعهد هنا ثلاثة أقاويل . أحدها : الميثاق الذي أخذه الله عليهم في ظهر آدم قاله أبو جعفر الطبري .

والثاني : ما جعله الله في عقولهم من وجوب شكر النعمة ، وأن الله هو المنعم ، قاله علي بن عيسى .

والثالث : أنه ما عهد إليهم مع الأنبياء أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، قاله الحسن { وإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُم لَفَاسِقِينَ } في قوله { لَفَاسِقِينَ } وجهان :

أحدهما : خارجين عن طاعته .

والثاني : خائنين في عهده ، وهذا يدل على أن العصاة أكثر من المطيعين .

(4/2)

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (103) وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (104) حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (105) قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (106) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (107) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (108)

قوله عز وجل : { حَقِيقٌ عَلَى أَن لاَ أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ } في { حَقِيقٌ } وجهان :

أحدهما : حريص ، قاله أبو عبيدة .

والثاني : واجب ، مأخوذ من وجوب الحق .

وفي قوله : { إِلاَّ الْحَقَّ } وجهان :

أحدهما : إلا الصدق .

والثاني : إلا ما فرضه الله عليّ من الرسالة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

(5/2)

قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (109) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (110) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (111) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (112) وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (113) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (114)

قوله عز وجل : { قَالُواْ أَرْجِه وَأَخَاهُ } فيه قولان :

أحدهما : معناه أَخِّرْهُ ، قاله ابن عباس والحسن .

والثاني : أحبسه ، قاله قتادة والكلبي .

{ وَأَرْسِلْ فِي المَدَائِنِ حَاشِرِينَ } قال ابن عباس : هم أصحاب الشُرَط وهو قول الجماعة أرسلهم في حشر السحرة وكانوا اثنين وسبعين رجلاً .

(6/2)

قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (115) قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (116) وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (117) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (118) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ (119) وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (120) قَالُوا آَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (121) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (122)

قوله عز وجل : { وَأَوْحِينَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ } قال ابن عباس : العصا أول آيات موسى وكانت من آس الجنة ، طولها عشرة أذرع بطول موسى ، قصد باب فرعون فألقى عليه الفزع ، فشاب فخضب بالسواد استحياء من قومه ، فكان فرعون أول من خضب بسواد .

{ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ } معنى تلقف هو سرعة التناول إلا أن المراد هنا سرعة ابتلاعه بالفم . قال أبو حاتم : وهي في بعض القراءات تلقم بالميم والتشديد ، قال الشاعر :

أَنْتَ عَصَا مُوسَى الَّتِي لَمْ تَزَلْ ... تَلْقَمُ مَا يَأْفِكُهُ السَّاحِرُ

وفي قوله : { مَا يأْفِكُونَ } وجهان :

أحدهما : معناه يقلبون ، ومنه المؤتفكات أي المنقلبات ، قاله ابن عيسى .

والثاني : معناه يكذبون لأن الإفك هو الكذب ، قاله مجاهد .

فإن قيل : فلم أمر موسى السحرة أن يلقو وذلك منهم كفر ولا يجوز أن يأمر به نبي؟

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قيل عن ذلك جوابان .

أحدهما : أن مضمون أمره إن كنتم محقين فألقوا .

والثاني : القول على ما يصح ويجوز لا على ما يفسد ويستحيل .

قوله : { فَوَقَعَ الْحَقُّ } أي ظهر الحق ، قاله الحسن ، ومجاهد ، وفي الحق الذي ظهر فيه قولان :

أحدهما : ظهرت عصا موسى على حبال السحرة .

والثاني : ظهرت نبوة موسى على ربوبية فرعون .

قوله عز وجل : { وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ } في سجودهم قولان :

أحدهما : أنهم سجدوا لموسى تسليماً له وإيماناً به .

والثاني : أنهم سجدوا لله إقراراً بربوبيته ، لأنهم { قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ } .

وفي سجودهم قولان :

أحدهما : أن الله ألهمهم ذلك لطفاً بهم .

والثاني : أن موسى وهارون سجدا شكراً لله عند ظهور الحق على الباطل فاقتدوا بهما في السجود لله طاعة .

(7/2)

قَالَ فِرْعَوْنُ آَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آَذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (123) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (124) قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (125) وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آَمَنَّا بِآَيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (126) وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآَلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (127) قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (128) قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (129)

قوله عز وجل : { وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ . . . } الآية : { الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ } فيهم ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه أشرافهم .

والثاني : رؤساؤهم .

والثالث : أنهم الرهط والنفر الذين آمنوا معهم .

والفرق بين الرهط والنفر من وجهين :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدهما : كثرة الرهط وقلة النفر .

والثاني : قوة الرهط وضعف النفر ، وفي تسميتهم بالملأ وجهان :

أحدهما : أنهم مليئون بما يراد منهم .

والثاني : لأنهم تملأ النفوس هيبتهم .

وفيه وجه ثالث : لأنهم يملأون صدور المجالس .

فإن قيل : فما وجه إقدامهم على الإنكار على فرعون مع عبادتهم له؟ قيل : لأنهم رأوا منه خلاف عادته وعادة الملوك في السطوة بمن أظهر العناد وخالف ، وكان ذلك من لطف الله بموسى .

وفي قوله : { لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ } وجهان :

أحدهما : ليفسدوا فيها بعبادة غيرك والدعاء إلى خلاف دينك .

والثاني : ليفسدوا فيها بالغلبة عليها وأخذ قومه منها .

ثم قالوا : { وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ } فإن قيل : فما وجه قولهم ذلك له وهم قد صدقوه على قوله : { أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى } [النازعات : 24] . قيل الجواب عن ذلك من ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه كان يعبد الأصنام وكان قومه يعبدونه ، قاله الحسن .

والثاني : أنه كان يعبد ما يستحسن من البقر ولذلك أخرج السامري عجلاً جسداً له خوار وقال هذا إلهكم وإله موسى ، وكان معبوداً في قومه ، قاله السدي .

والثالث : أنها كنت أصناماً يعبدها قومه تقرباً إليه ، قاله الزجاج .

وقرأ ابن عباس { وَيَذَرَكَ وَإِلاَهَتَكَ } أي وعبادتك .

قال الحسن : وكان فرعون يَعبُد ويُعبَد . وعلى هذه القراءة يسقط السؤال . وذكر ابن قتيبة في هذه القراءة تأويلاً ثانياً؛ أن الإلاهة الشمس ، والعرب تسمي الشمس الإلاهة واستشهد بقول الأعشى :

وَلَمْ أَذْكُرِ الرُّعْبَ حَتَّى انْتَقَلْتُ ... قُبَيْلَ الإِلاَهَةِ مِنْهَا قريباً

يعني الشمس ، فيكون تأويل الآية : ويذرك والشمس حتى تعبد فعلى هذا يكون السؤال متوجهاً عنه ما تقدم .

{ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ } وإنما عدل عن قتل موسى إلى قتل الأبناء لأنه علم أنه لا يقدر عل قتل موسى إما لقوته وإما تصوره أنه مصروف عن قتله ، فعدل إلى قتل الأبناء ليستأصل قوم موسى من بني إسرائيل فيضعف عن فرعون { وَنَسْتَحِيي نِسَاءَهُمْ } فيه قولان :

أحدهما : أن نفتش أرحامهن فننظر ما فيهن من الولد ، مأخوذ من الحياء وهو اسم من أسماء الفرج ، حكاه ابن بحر .

والثاني : الأظهر أن معناه : نستبقيهن أحياء لضعفهن عن المنازعة وعجزهن عن المحاربة .

قوله عز وجل : { قَالَ مُوسَى لِقَومِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُواْ } يحتمل وجهين :

أحدهما : أنه أمرهم بذلك تسلية لهم من وعيد فرعون كما يقول من نالته شدة : استعنت بالله .

والثاني : أنه موعد منه بأن الله سيعينهم على فرعون إن استعانوا به .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ثم قال : { وَاصْبِرُواْ } يحتمل وجهين :

أحدهما : واصبروا على ما أنتم فيه من الشدة طمعاً في ثواب الله .

والثاني : أنه أمرهم بالصبر انتظاراً لنصر الله .

{ إِنَّ الأَرْضِ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ } فيه وجهان :

أحدهما : أنه قال ذلك تسلية لقومه في أن الدنيا لا تبقي على أحد فتبقي على فرعون لأنها تنتقل من قوم إلى قوم .

والثاني : أنه أشعرهم بذلك أن الله يورثهم أرض فرعون .

{ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ } يحتمل وجهين :

أحدهما : يريد في الآخرة بالثواب .

والثاني : في الدنيا بالنصر .

قوله عز وجل : { قالُواْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا } فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أن الأذى من قبل ومن بعد أخذ الجزية . قاله الحسن .

والثاني : أن الأذى من قبل : تسخيرهم بني إسرائيل في أعمالهم لنصف النهار وإرسالهم في بقيته ليكسبوا لأنفسهم . والأذى من بعد : تسخيرهم في جميع النهار بلا طعام ولا شراب ، قاله جويبر .

والثالث : أن الأذى الذي كان من قبل : الاستعباد وقتل الأبناء ، والذي كان من بَعد : الوعيد بتجديد ذلك عليهم ، حكاه ابن عيسى .

والرابع : أن الأذى الذي كان من قبل أنهم كانوا يضربون اللبن ويعطيهم التبن ، والأذى من بعد أن صاروا يضربون اللبن ويجعل عليهم التبن ، قاله الكلبي ، وفي قولهم : { مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا } قولان :

أحدهما : من قبل أن تأتينا بالرسالة ومن بعد ما جئتنا بها ، قاله ابن عباس .

والثاني : من قبل أن تأتينا بعهد الله إليك أنه يخلصنا ومن بعد ما جئتنا به . وفي هذا القول منهم وجهان :

أحدهما : أنه شكوى ما أصابهم من فرعون واستعانة بموسى .

والثاني : أنهم قالوه استبطاء لوعد موسى ، حكاه ابن عيسى .

{ قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ } { عَسَى } في اللغة طمع وإشفاق . قال الحسن عسى من الله واجبة ، وقال الزجاج : { عَسَى } من الله يقين .

{ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ } في قوله : { فَينظُرَ } وجهان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدهما : فيرى .

والثاني : فيعلم وفي قول موسى ذلك لقومة أمران :

أحدهما : الوعد بالنصر والاستخلاف في الأرض .

والثاني : التحذير من الفساد فيها لأن الله تعالى ينظر كيف يعملون .

(9/2)

وَلَقَدْ أَخَذْنَا آَلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (130) فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (131)

قوله عز وجل : { وَلَقَدْ أَخَذْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ } فيه قولان :

أحدهما : يعني بالجوع ، قاله مجاهد ، وقتادة .

والثاني : أن معنى السنين الجدوب ، قاله الحسن .

والعرب تقول : أخذتهم السنة إذا قحطوا وأجدبوا .

وقال الفراء : المراد بالسنين الجدب والقحط عاماً بعد عام .

قوله عز وجل : { فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَعَهُ } في الحسنة والسيئة هنا وجهان :

أحدهما : أن الحسنة الخصب ، السيئة القحط .

والثاني : أن الحسنة الأمن ، والسيئة ، الخوف .

{ قَالُواْ لَنَا هَذِهِ } أي كانت حالنا في أوطاننا وقبل اتباعنا لك ، جهلاً منهم بأن الله تعالى هو المولى لها .

{ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ } أي يتشاءمون بموسى ويقولون هذا من اتباعنا إياك وطاعتنا لك ، على ما كانت العرب تزجر الطير فتتشاءم بالبارح وهو الذي يأتي من جهة الشمال ، وتتبرك بالسانح وهو الذي يأتي من جهة اليمين ، ثم قال رداً لقولهم .

{ أَلآ إِنَّمَا طَآئِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ } أي طائر البركة وطائر الشؤم .

(10/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (132) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (133) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (134) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (135)

قوله عز وجل : { فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ . . . } أما الطوفان ففيه ستة أقاويل :

أحدها : أنه الغرق بالماء الزائد ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنه الطاعون ، قاله مجاهد .

والثالث : أنه الموت ، قاله عطاء . وروت عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الطُّوفَانُ الْمَوْتُ » .

والرابع : أنه أمر من الله طاف بهم ، وهو مروي أيضاً عن ابن عباس .

والخامس : أنه كثرة المطر والريح ، واستدل قائل ذلك بقول الحسن بن عرفطة :

غَيَّرَ الْجِدَّةَ مِنْ عِرْفَانِهِ ... خُرُقُ الرِّيحِ وَطُوفَانُ الْمَطَرِ

والسادس : أنه عذاب من السماء ، واستدل قائل ذلك بقول أبي النجم :

وَمَرَّ طُوفَانٌ فِبتُّ شَهْراً ... فَرْداً شَآبِيبَ وَشَهْراً مدراً

{ وَالْقُمَّلَ } فيه خمسة أقاويل :

أحدها : أنه الدَبَى وهو صغار الجراد لا أجنحة له .

والثاني : أنه السوس الذي في الحنطة قاله ابن عباس .

والثالث : البراغيث ، قاله ابن زيد .

والرابع : القردان ، قاله أبو عبيدة .

والخامس : هو دواب سود صغار ، قاله الحسن ، وسعيد بن جبير ، وشاهده قول الأعشى .

قَوْماً تُعَالِجُ قُمَّلاً أَبْنَاؤهُمْ ... وَسَلاَسِلاً أُجُداً وَبَاباً مُؤْصَداً

وواحد القمل قملة .

وأما الضفادع فواحدها ضفدع وهو مشهور . وقيل إنه كان يوجد في فراشهم وآنيتهم ، ويدخل في ثيابهم فيشتد أذاه لهم .

وأما الدم ففيه قولان :

أحدهما : أن ماء شربهم كان يصير دماً عبيطاً ، فكان إذا غرف القبطي من الماء صار دماً وإذا غرف الإسرائيلي كان ماء .

والثاني : أنه رعاف كان يصيبهم ، قاله زيد بن أسلم .

{ ءَاياتٍ مُّفَصَّلاَتٍ } فيها قولان :

أحدهما : مبينات لنبوة موسى .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والثاني : مفصل بعضها عن بعض لأن هذه الآيات لم تجتمع في وقت واحد بل كانت تأتي شهراً بعد شهر فيكون في تفرقتها مع الإنذار إعذار ، وكان بين كل آيتين شهر .

{ فَاسْتَكْبَرُواْ } فيه وجهان :

أحدهما : عن الانزجار بالآيات .

والثاني : عن الإيمان بموسى .

{ وَكَانُواْ قَوماً مُجْرِمِينَ } فيه وجهان :

أحدهما : كافرين .

والثاني : متعدّين .

قوله عز وجل : { وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيهِمُ الرِّجْزُ } – فيه قولان :

أحدهما : أنه العذاب ، قاله الحسن ، ومجاهد ، وقتادة ، وابن زيد .

والثاني : هو الطاعون أصابهم فمات به من القبط سبعون ألف إنسان ، قاله سعيد بن جبير .

{ قَالُواْ يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : بما تقدم إليك به أن تدعوه به فيجيبك كما أجابك في آياتك .

والثاني : ما هداك به أن تفعله في قومك ، قاله السدي .

والثالث : أن ذلك منهم على معنى القسم كأنهم أقسموا عليه بما عهد عنده أن يدعو لهم .

{ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ } هذا قول قوم فرعون ، ويحتمل وجهين :

أحدهما : لنصدقنك يا موسى أنك نبي .

والثاني : لنؤمنن بك يا الله أنك إله واحد .

(11/2)

فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (136) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (137)

قوله عز وجل : { وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ } يحتمل وجهين :

أحدهما : يستقلون .

والثاني : يستذلون وهم بنو إسرائيل .

{ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : يريد الشرق والغرب ، قاله ابن عيسى .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والثاني : أرض الشام ومصر ، قاله الحسن .

والثالث : أرض الشام وحدها شرقها وغربها ، قاله قتادة .

{ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا } فيه قولان :

أحدهما : بالخصب .

والثاني : بكثرة الأنهار والأشجار والثمار .

{ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ بِمَا صَبَرُواْ } فيها قولان :

أحدهما : أن تمام كلمة الحسنى ما وعدهم من هلاك عدوهم واستخلافهم في الأرض بقوله : { عَسَى رَبُّكُم أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُم وَيَسْتَخْلِفَكُم } وسماها الحسنى لأنه وعد بما يحبون .

والثاني : هو قوله تعالى : { وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِنَ لَهُم فِي الأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ } [القصص : 5 ، 6] .

وفي قوله : { بِمَا صَبَرُواْ } وجهان :

أحدهما : بما صبروا على أذى فرعون .

والثاني : بما صبروا على طاعة الله .

(12/2)

وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (138) إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (139)

قوله عز وجل : { إِنَّ هَؤُلآَءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ } في { متبر } ثلاثة أوجه :

أحدها : باطل ، قاله الكلبي .

والثاني : ضلال ، حكاه أبو اليسع .

والثالث : مهلك ، ومنه التبر ، الذهب . وفي تسميته بذلك قولان :

أحدهما : لأن موسى يهلكه .

والثاني : لكسره ، وكل إناء مكسور متبّر قاله الزجاج . وقال الضحاك هي كلمة نبطية لما ذكرنا .

(13/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (140) وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (141)

قوله عز وجل : { وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ ءَآلِ فِرْعَوْنَ } قال هذا يذكر بالنعمة .

{ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذَابِ } أي أشد العذاب .

{ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ } أي يقتلون أبناءكم صغاراً ويستحيون نساءكم للاسترقاق والاستخدام كباراً .

{ وَفِي ذَلِكُم بَلاَءٌ مِن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن ما فعله فرعون بكم من قتل الأبناء واسترقاق النساء بلاء عليكم عظيم ، قاله الكلبي .

والثاني : أنه ابتلاء لكم واختبار عظيم ، قاله الأخفش .

والثالث : أن في خلاصكم من ذلك بلاء عظيم ، أي نعمة عظيمة ، قاله ابن قتيبة .

(14/2)

وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (142)

قوله عز وجل : { وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ } فيها قولان :

أحدهما : أن الثلاثين ليلة شهرٌ أمر بصيامه ، والعشر بعدها أجل لمناجاة ربه .

والثاني : أن الأربعين كلها أجل لمناجاة ربه ، أجل في الأول ثلاثين ليلة ثم زيدت عشراً بعدها . وقد قيل إنه ذو القعدة وعشر من ذي الحجة ، حكي ذلك عن مجاهد ، وابن جريج ، ومسروق .

{ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً } يعني أن اجتماع الأجلين تمام أربعين ليلة ، ليدل بذلك على أن العشر هي ليال وليست ساعات .

فإن قيل : فمعلوم أن العشر مع الثلاثين مستكملة أربعين ، فما معنى قوله : { فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيلَةً } .

فعن ذلك ثلاثة أجوبة :

أحدها : أنه تأكيد في الذرك فلم يمتنع .

والثاني : كان وعده إلى الجبل الذي كلمه فيه .

والثالث : لينفي تمام الثلاثين بالعشر أن يكون من جملة الثلاثين لأن تمام الشيء بعض منه .

فإن قيل : فلم زاد في أجل وعده بعد الثلاثين عشراً جعلها أجلاً ثانياً فأخر بها موعده؟

قيل عن ذلك جوابان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدهما : أن قومه تأخروا عنه في الأجل الأول فزاده الله لتأخرهم عنه أجلاً ثانياً ليحضروا .

والثاني : لأن قومه عبدوا العجل بعده فزاده الله أجلاً ثانياً عقوبة لهم .

ويحتمل جواباً ثالثاً : أن الله فعل ذلك به اختباراً لقومه ليتميز به المؤمن من المنافق ويعرف به المتيقن من المرتاب .

والفرق بين الميقات والوقت وإن كانا من جنس واحد أن الميقات ما قدر لعمل ، والوقت قد لا يتقدر لعمل .

(15/2)

وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (143)

قوله عز وجل : { . . . قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ } الآية ، في سؤال موسى ذلك لربه ثلاثة أقاويل : أحدها : ليرد عليه من جواب الله ما يحتج به على قومه حين قالوا : { لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً } [البقرة : 55] مع علم موسى بأنه لا يجوز أن يراه في الدنيا .

والثاني : أنه كان يعلم ذلك باستدلال فأجب أن يعلمه ضرورة .

والثالث : أنه جوّز ذلك وظنه وأن رؤيته في الدنيا ممكنة ، قاله الحسن ، والربيع ، والسدي .

فأجابه الله بأن { قَالَ لَن تَرَانِي } .

ثم أظهر في الجواب ما يعلم به استحالة مسألته فقال : { وَلَكِنِ انظُرْ إِلىَ الجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي } لأن الجبل إذا لم يستقر لرؤيته فالإنسان بذلك أولى .

{ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلجَبَلِ } معنى تجلى ظهر مأخوذ من جلاء العروس إذا ظهرت ، ومن جلاء المرآة إذا أضاءت .

وفي تجليه أربعة أقاويل :

أحدها : أنه ظهر بآياته التي أحدثها في الجبل لحاضري الجبل .

والثاني : أنه أظهر للجبل من ملكوته ما تدكدك به ، لأن الدنيا لا تقوم لما يبرز من ملكوت السماء .

والثالث : أنه أبرز قدر الخنصر من العرش .

والرابع : ظهر أمره للجبل .

{ جَعَلَهُ دَكّاً } فيه أربعة أقاويل :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
أحدها : يعني مستوياً بالأرض ، مأخوذ من قولهم ناقة دكاء إذا لم يكن لها سنام ، قاله ابن قتيبة وابن عيسى .
والثاني : أنه ساخ في الأرض ، قاله الحسن وسفيان .
والثالث : أنه صار تراباً ، قاله ابن عباس .
والرابع : أنه صار قطعاً .
قال مقاتل : وكان أعظم جبل بمدين تقطع ست قطع تفرقت في الأرض ، صار منها بمكة ثلاثة أجبل : ثبير وغار ثور وحراء . وبالمدينة ثلاثة أجبل : رضوى وأحد وورقان . والله أعلم .
{ وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً } فيه قولان :
أحدهما : ميتاً ، قاله قتادة .
والثاني : مغشياً عليه ، قاله ابن عباس ، والحسن ، ابن زيد .
قال ابن عباس : أخذته الغشية الخميس من يوم عرفة وأفاق عشية الجمعة وفيه نزلت عليه التوراة وهو يوم النحر العاشر من ذي الحجة ، وفيها عشر آيات أنزلها الله في القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم في ثماني عشرة من سورة بني إسرائيل .
{ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ } فيه ثلاثة أقاويل :
أحدها : أنه تاب من الإقدام على المسألة قبل الإذن فيها .
والثاني : أنه تاب من اعتقاده جواز رؤيته في الدنيا .
والثالث : أنه قال ذلك على جهة التسبيح وعادة المؤمنين عند ظهور الآيات . الدالة على عظيم قدرته .
{ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ } فيه قولان :
أحدهما : أول المؤمنين بأنه لا يراك شيء من خلقك ، قاله ابن عباس ، والحسن :
والثاني : وأنا أول المؤمنين من قومي باستعظام سؤال الرؤية .

(16/2)

قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آَتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (144) وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ (145)

قوله عز وجل : { وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ . . . } الآية في { وَكَتَبْنَا لَهُ } قولان :
أحدهما : فرضنا ، كقوله تعالى : { كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ } [البقرة : 183] أي فرض .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفيّة الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والثاني : أنه كتابة خط بالقلم في ألواح أنزلها الله عليه .

واختلفوا في الألواح من أي شيء كانت على أربعة أقاويل :

أحدها : أنها كانت من زمرد أخضر ، قاله مجاهد .

والثاني : أنها كانت من ياقوت ، قاله ابن جبير .

والثالث : أنها كانت من زبرجد ، قاله أبو العالية .

والرابع : قاله الحسن كانت الألواح من خشب ، واللوح مأخوذ من أن المعاني تلوح بالكتابة فيه .

وفي قوله : { مِن كُلِّ شَيْءٍ } قولان :

أحدهما : من كل شيء يحتاج إليه في دينه من الحلال والحرام والمباح والمحظور والواجب وغير الواجب .

والثاني : كتب له التوراة فيها من كل شيء من الحكم والعبر .

وفي قوله : { مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً . . . } تأويلان :

أحدهما : أن الموعظة النواهي ، والتفصيل : الأوامر ، وهو معنى قول الكلبي .

والثاني : الموعظة : الزواجر ، والتفصيل : الأحكام ، وهو معنى قول مقاتل .

قال : وكانت سبعة ألواح .

{ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ } فيه أربعة أقاويل :

أحدها : بجد واجتهاد قاله السدي .

والثاني : بطاعة ، قاله الربيع بن أنس .

والثالث : بصحة عزيمة ، قاله علي بن عيسى .

والرابع : بشكر ، قاله جويبر .

{ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا } لم يقل ذلك لأن فيها غير حسن ، وفيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن أحسنها : المفروضات ، وغير الأحسن : المباحات .

والثاني : أنه الناسخ دون المنسوخ .

والثالث : أن فعل ما أمر به أحسن من ترك ما نهي عنه لأن العمل أثقل من الترك وإن كان طاعة .

{ سَأُرِيكُمْ دَارَ الفَاسِقِينَ } فيها أربعة أقاويل :

أحدها : هي جهنم ، قاله الحسن ، ومجاهد .

والثاني : هي منازل من هلك بالتكذيب من عاد وثمود والقرون الخالية ، لتعتبروا بها وبما صاروا إليه من النكال ، قاله قتادة .

والثالث : أنها منازل سكان الشام الجبابرة والعمالقة .

والرابع : أنها دار فرعون وهي مصر .

وقرأ قسامة بن زهير { سَأُوْرِثُكُمْ } .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

(17/2)

سَأَصْرِفُ عَنْ آَيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آَيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (146) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآَخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (147)

قوله عز وجل : { سَأَصْرِفُ عَنْ ءاياتي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : سأمنعهم من فهم القرآن ، قاله سفيان بن عيينة .

والثاني : سأجعل جزاءهم على كفرهم ضلالهم عن الاهتداء بما جاء به من الحق .

والثالث : سأصرفهم عن دفع الانتقام عنهم .

وفي { يَتَكَبَّرُونَ } وجهان :

أحدهما : يحقرون الناس ويرون أن لهم عليهم فضلاً .

والثاني : يتكبرون عن الإيمان واتباع الرسول .

{ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لاَ يُؤْمِنُوا بها وإن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً } فيه وجهان :

أحدهما : أن الرشد الإيمان ، والغي : الكفر .

والثاني : أن الرشد الهداية . والغي : الضلال .

{ ذَلَكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنَها غَافِلِينَ } فيه وجهان :

أحدهما : غافلين عن الإيمان .

والثاني : غافلين عن الجزاء .

(18/2)

وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (148) وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (149) وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (150) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (151)

قوله عز وجل { وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً } في الأسف خمسة أقاويل :

أحدها : أنه المتأسف على فوت ما سلف قاله علي بن عيسى .

والثاني : أنه الحزين ، قاله ابن عباس .

والثالث : هو الشديد الغضب ، قاله الأخفش .

والرابع : المغتاظ ، قاله السدي .

والخامس : النادم ، قاله ابن قتيبة .

وفي غضبه وأسفه قولان :

أحدهما : غضبان من قومه على عبادة العجل؟ أسفاً على ما فاته من مناجاة ربه .

والثاني : غضبان على نفسه في ترك قومه حتى ضلوا ، أسفاً على ما رأى في قومه من ارتكاب المعاصي .

وقال بعض المتصوفة إن غضبه للرجوع عن مناجاة الحق إلى مخاطبة الخلق .

{ قَالَ بِئْسَ مَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي } يعني بعباة العجل .

{ أَعَجِلْتُم أَمْرَ رَبِّكُمْ } فيه قولان :

أحدهما : يعني وعد ربكم الذي وعدني به من الأربعين ليلة ، وذلك أنه قَدَّروا أنه قد مات لمَّا لم يأت على رأس الثلاثين ليلة ، قاله الحسن ، والسدي .

والثاني : وعد ربكم بالثواب على عبادته حتى عدلتم إلى عبادة غيره ، قاله بعض المتأخرين . والفرق بين العجلة والسرعة أن العجلة : التقدم بالشيء قبل وقته ، والسرعة : عمله في أقل أوقاته .

{ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ } وفي سبب إلقائها قولان :

أحدهما : غضباً حين رأى عبادة العجل ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنه ألقاها لما رأى فيها فضائل غير قومه من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أنهم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله ، قال : رب فاجعلهم أمتي قال : تلك أمة أحمد ، فاشتد عليه فألقاها ، قاله قتادة .

وكانت التوراة سبعة أسباع فلما ألقى موسى الألواح فتكسرت رفع منها ستة أسباعها وكان فيما رفع تفصيل كل شيء الذي قال الله { وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ من كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ } وبقي الهدى والرحمة في السبع الباقي ، وهو الذي قاله الله : { أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفي نُسْخَتِهَا هُدىً وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ } .

وقال ابن عباس : ألقى موسى الألواح فتكسرت ورفعت إلا سدُسها .

{ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ } فيه قولان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
أحدهما : أنه أخذ بأذنه .

والثاني : أخذ بجملة رأسه .

فإن قيل : فلم قصده بمثل هذا الهوان ولا ذنب له؟

فعن ذلك جوابان .

أحدهما : أن هذا الفعل مما قد يتغير حكمه بالعادة فيجوز أن يكون في ذلك الزمان بخلاف ما هو عليه الآن من الهوان .

والثاني : أن ذلك منه كقبض الرجل منا الآن على لحيته وعضه على شفته { قَالَ ابْنَ أُمَّ } فيه وجهان :

أحدهما : أنه قال ذلك لأنه كان أخاه لأمه ، قاله الحسن .

والثاني : أنه قال ذلك على عادة العرب استعطافاً بالرحم ، كما قال الشاعر :

يَا ابْنَ أُمِّي وَيَا شقيقَ نَفْسِي ... أَنْتَ خَلَّيْتَنِي لأَمْرٍ شَدِيدٍ

{ فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ } يعني من خالفه في عبادة العجل لأنهم قد صاروا لمخالفتهم له أعداء .

{ وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } أي لا تغضب عليّ كغضبك عليهم ولست منهم فأدركته الرقة : { قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لَي ولأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } .

(19/2)

إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ (152) وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (153) وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (154)

قوله عز وجل : { وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِهَا وَءَامَنُواْ } أما التوبة من السيئات فهي الندم على ما سلف والعزم على ألاّ يفعل مثلها . فإن قيل فالتوبة إيمان فما معنى قوله : { ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِهَا وَءَامَنُواْ } فالجواب عن ذلك من ثلاثة أوجه :

أحدها : يعني أنهم تابوا من المعصية واستأنفوا عمل الإيمان بعد التوبة .

والثاني : يعني أنهم تابوا بعد المعصية وآمنوا بتلك التوبة .

والثالث : وآمنوا بأن الله قابل التوبة .

(20/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (155)

قوله عز وجل : { وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا } وفي الكلام محذوف وتقديره : واختار موسى من قومه سبعين رجلاً .

وفي قوله : { لِّمِيقَاتِنَا } قولان :

أحدهما : أنه الميقات المذكور في سؤال الرؤية .

والثاني أنه ميقات غير الأول وهو ميقات التوبة من عبادة العجل .

{ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمْ الرَّجْفَةُ } وفيها ثلاثة أوجه :

أحدها : أنها الزلزلة ، قاله الكلبي .

والثاني : أنه الموت . قال مجاهد : ماتوا ثم أحياهم .

والثالث : أنها نار أحرقتهم فظن موسى أنهم قد هلكوا ولم يهلكوا ، قاله الفراء .

{ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ } وفي سبب أخذها لهم قولان :

أحدهما : لأنهم سألوا الرؤية ، قاله ابن إسحاق .

والثاني : لأنهم لم ينهوا عن عبادة العجل قاله ابن عباس .

{ . . . أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّآ } فيه قولان :

أحدهما : أنه سؤال استفهام خوفاً من أن يكون الله قد عمهم بانتقامه كما قال تعالى : { وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْكُمْ خَاصَّةً } [الأنفال : 25] .

والثاني : أنه سؤال نفي ، وتقديره : إنك ل تعذب إلاَّ مذنباً فكيف تهلكنا بما فعل السفهاء منا .

فحكى أن الله أمات بالرجفة السبعين الذين اختارهم موسى من قومه ، لا موت فناء ولكن موت ابتلاء ليثبت به من أطاع وينتقم به ممن عصى وأخذت موسى غشية ثم أفاق موسى وأحيا الله الموتى ، فقال :

{ إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ } فيه وجهان :

أحدهما : أن المراد بالفتنة العذاب ، قاله قتادة .

والثاني : أن المراد بها الابتلاء والاختبار .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (156)

قوله عز وجل : { وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدَّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الأَخِرَةِ } في الحسنة هنا ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها النعمة سميت حسنة لحسن موقعها في النفوس .

والثاني : أنها الثناء الصالح .

والثالث : أنها مستحقات الطاعة .

{ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : معناه تبنا إليك ، قاله ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، وقتادة ، وإبراهيم .

والثاني : رجعنا بالتوبة إليك ، لأنه من هاد يهود إذا رجع ، قاله علي بن عيسى .

والثالث : يعني تقربنا بالتوبة إليك من قولهم : ما له عند فلان هوادة ، أي ليس له عنده سبب يقربه منه ، قاله ابن بحر .

{ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَآءُ } وفيه قولان :

أحدهما : من أشاء من خلقي كما أصيب به قومك .

الثاني : من أشاء في التعجيل والتأخير .

{ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ } فيها ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن مخرجها عام ومعناها خاص ، تأويل ذلك : ورحمتي وسعت المؤمنين بي من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى { فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ } الآية قاله ابن عباس .

والثاني : أنها على العموم في الدنيا والخصوص في الآخرة ، وتأويل ذلك : ورحمتي وسعت في الدنيا البر والفاجر ، وفي الآخرة هي للذين اتقوا خاصة ، قاله الحسن ، وقتادة .

والثالث : أنها التوبة ، وهي على العموم ، قاله ابن زيد .

{ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ } فيه قولان :

أحدهما : يتقون الشرك ، قاله ابن عباس .

والثاني : يتقون المعاصي ، قاله قتادة .

{ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ } فيها قولان :

أحدهما : أنها زكاة أموالهم لأنها من أشق فرائضهم ، وهذا قول الجمهور . والثاني : معناه أي يطيعون الله ورسوله ، قاله ابن عباس والحسن ، وذهبا إلى أنه العمل بما يزكي النفس ويطهرها من صالحات الأعمال .

فأما المكنّى عنه بالهاء التي في قوله : { فَسَأَكْتُبُهَا } فقد قيل إن موسى لما انطلق بوفد بني إسرائيل كلّمه الله وقال : إني قد بسطت لهم الأرض طهوراً ومساجد يصلون فيها حيث أدركتهم الصلاة إلا عند مرحاض أو قبر أو حمّام ، وجعلت السكينة في قلوبهم ، وجعلتهم يقرؤون التوراة عن ظهر

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ألسنهم ، قال فذكر موسى ذلك لبني إسرائيل ، فقالوا لا نستطيع حمل السكينة في قلوبنا فاجعلها لنا في تابوت ، ولا نقرأ التوراة إلا نظراً ، ولا نصلي إلا في السكينة ، فقال الله تعالى { فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ } يعني ما مضى من السكينة والصلاة والقراءة ، ثم بيَّن من هم فقال :

(22/2)

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (157)

{ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ } يعني محمداً صلى الله عليه وسلم وفي تسميته بالأمي ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه لا يكتب .

الثاني : لأنه من أم القرى وهي مكة .

الثالث : لأن من العرب أمة أمية .

{ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ } لأن في التوراة في السفر الخامس : إني سأقيم لهم نبياً من إخوتهم مثلك ، واجعل كلامي في فيه فيقول لهم كل ما أوصيته به . وفيها : وأما ابن الأمة فقد باركت عليه جداً جداً وسأدخره لأمة عظيمة .

وفي الإنجيل بشارة بالفارقليط في مواضع : يعطيكم فارقليط آخر يكون معكم الدهر كله .

وفيها قول المسيح للحواريين : أنا أذهب وسيأتيكم الفارقليط روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه ، إنه نذيركم يجمع بين الحق ويخبركم بالأمور المزمعة ويمدحني ويشهد لي . فهذا تفسير { يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ } .

ثم قال : { يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ } . وهو الحق .

{ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ } وهو الباطل وإنما سمي الحق معروفاً لأنه معروف الصحة في العقول ، وسمي الباطل منكراً لأنه منكر الصحة في العقول .

ثم قال : { وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ } يعني ما كانت الجاهلية تحرمه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام .

{ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ } يعني ما كانوا يستحلونه من لحم الخنزير والدماء .

{ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ } فيه تأويلان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدهما : أنه عهدهم الذي كان الله تعالى أخذه على بني إسرائيل .

والثاني : أنه التشديد على بني إسرائيل الذي كان في دينهم من تحريم السبت وتحريم الشحوم والعروق وغير ذلك من الأمور الشاقة ، قاله قتادة .

{ والأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيهِمْ } فيها تأويلان :

أحدهما : أنه الميثاق الذي أخذه عليهم فيما حرمه عليهم ، قاله ابن أبي طلحة .

والثاني : يعني ما بيّنه الله تعالى في قوله : { غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ } [المائدة : 64] .

{ فَالَّذِينَ أَمَنُوا بِهِ وعَزَّرُوهُ . . . } فيه وجهان :

أحدهما : يعني عظموه ، قاله علي بن عيسى .

والثاني : منعوه من أعدائه ، قاله أبو جعفر الطبري . ومنه تعزير الجاني لأنه يمنعه من العود إلى مثله .

{ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ } يعني القرآن ، آمنوا به من بعده فروى قتادة أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : « أَيُّ الخَلْقِ أَعْجَبُ إِلَيكُم إِيماناً؟ » قالوا : الملائكة فقال نبي اللَّه (ص) : « المَلاَئِكَةُ عِندَ رَبِّهِم فَمَا لَهُم لاَ يُؤْمِنُونَ . » فقالوا : النبيون ، فقال : « يُوحَى إِلَيهِم فَمَا لَهُم لاَ يُؤْمِنُونَ » قالوا : نحن يا نبي الله . فقال « أَنَا فِيكُم فَمَا لَكُم لاَ تُؤْمِنونَ ، » فقالوا : يا نبي الله فمن هم؟ قال : « هُم قَومٌ يَكُونُونَ بَعْدَكُم يَجِدُونَ كِتاباً فِي وَرَقٍ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ » فهو معنى قوله : { وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ } .

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (158) وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (159)

قوله عز وجل : { وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ } فإن قيل فهذا يدل على أن في اليهود من هم على حق .

الجواب عند ذلك من ثلاثة أوجه :

أحدها : أنهم الذين تمسكوا بالحق في وقت ضلالتهم بقتل أنبيائهم ، ولا يدل هذا على استدامة حاله على الأبد .

والثاني : أنهم قوم وراء الصين لم تبلغهم دعوة الإسلام ، قاله ابن عباس ، والسدي .

والثالث : أنهم من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وابن صوريا وغيرهما ، قاله الكلبي .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

(24/2)

وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (160) وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (161) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ (162)

قوله عز وجل : { وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ } اختلف في المأخوذ منه تسمية القرية على وجهين :

أحدهما : لأن الماء يقرى إليها أي يجمع ، من قولهم قرى الماء في حوضه إذا جمعه .

والثاني : لأن الناس يجتمعون إليها كما يجتمع الماء في الحوض .

واختلف في هذه القرية على قولين :

أحدهما : أنها بيت المقدس ، قاله قتادة .

والثاني : هي أرض الشام ، قاله الحسن .

فإنه قيل : فكيف سمى المأوى مسكناً والإنسان في مسكنه متحرك؟ قيل لأنه يترك فيه التصرف فصار في أكثر أحواله ساكناً وإن كان في بعضها متحركاً .

(25/2)

وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (163)

قوله عز وجل : { وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ } فيها خمسة أقاويل :

أحدها : أنها أيلة ، قاله ابن عباس ، وعكرمة ، والسدي .

والثاني : أنها بساحل مدين ، قاله قتادة .

والثالث : أنها مدين قرية بين أيلة والطور ، حكاه أبو جعفر الطبري .

والرابع : أنها قرية يقال لها مقتا بين مدين وعينونا ، قاله ابن زيد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والخامس : ما قاله ابن شهاب أن القرية التي كانت حاضرة البحر طبرية ، والقرية التي قال فيها { وَاضْرِبْ لَهَم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ } [يس : 13] . أنطاكية .

وسؤالهم عن هذه القرية إنما هو سؤال توبيخ على ما كان منهم فيها من سالف الخطيئة وقبيح المعصية .

{ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ } هو تعديهم فيه بفعل ما نهوا عنه .

{ إِذْ تَأْتِيهِم حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِم شُرَّعاً } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن معنى { شُرَّعاً } أي طافية على الماء ظاهرة ، قاله ابن عباس ، ومنه شوارع البلد لظهورها .

والثاني : أنها تأتيهم من كل مكان ، قاله عطية العوفي .

والثالث : أنها شرّع على أبوابهم كأنها الكباش البيض رافعة رؤوسها حكاه بعض المتأخرين فتعدَّوا فأخذوها في السبت ، قاله الحسن .

(26/2)

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (164) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (165) فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (166)

قوله عز وجل : { فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُوا بِهِ } نسوا يعني تركوا ، والذي ذكروا به أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر .

{ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَونَ عَنِ السُّوءِ } وهم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

{ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ } وهم الذين تركوا المعروف وفعلوا المنكر .

{ بِعَذَابٍ بَئِيَسٍ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : شديد ، قاله مجاهد .

والثاني : رديء ، قاله الأخفش .

الثالث : أنه العذاب المقترن بالفقر وهو البؤس .

وأما الفرقة الثالثة التي لم تنه ولم تفعل ففيها قولان :

أحدهما : أنها نُجِّيَتْ مع الذين نهوا .

والثاني : ما قاله ابن عباس : لا أدري ما فعل بها .

(27/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (167)

قوله عز وجل : { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ } فيه قولان :

أحدهما : أنه تفعَّل من الإذن ومعناه أعلم ، قاله الحسن ، ومنه قول الأعشى :

أَذَّنَ الْقَوْمُ جِيرَتِي بِخُلُوفِ ... صَرَمُوا حَبْلَ آلِفٍ مَأْلُوفِ

والثاني : معناه نادى وأقسم ، قاله الزجاج .

{ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ } يعني على اليهود .

{ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ } والمبعوثون هم العرب ، وسوء العذاب هو الذلة وأخذ الجزية ، قاله ابن عباس ، والحسن ، وسعيد بن جبير ، وقتادة .

ويقال إن أول من وضع الخراج وجباه من الأنبياء موسى ، فجبى الخراج سبع سنين وقيل ثلاث عشرة ثم أمسك إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال سعيد بن المسيب : استحب أن أبعث في الجزية الأنباط . ولا أعلم لاستحبابه ذلك وجهاً إلا أن يكون لأنهم من قوم بختنصر فهم أشد انتقاماً ، أو لأنها قد كانت تؤخذ منهم على استيفائها لأجل المقابلة أحرص .

(28/2)

وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (168) فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (169) وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ (170)

قوله عز وجل : { وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَماً . . . } أي فرقناهم فيها فرقاً . وفي تفريقهم فيها ثلاثة أوجه :

أحدها : زيادة في الانتقام منهم .

والثاني : ليذهب تعاونهم .

والثالث : ليتميز الصالح من المفسر لقوله تعالى : { مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دَونَ ذَلِكَ } ثم قال : {

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : بالثواب والعقاب .

والثاني : بالنعم والنقم . والثالث : بالخصب والجدب .

قوله عز وجل : { فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ } معناه فخلفهم خلف ، والخلف بتسكين اللام مستعمل في الذم . وبفتح اللام مستعمل في الحمد . وقال أبو عبيدة . معناها [واحد] مثل الأثر والإثر ، والأول أظهر وهو في قول الشعراء أشهر ، قال بعضهم :

خلفت خلفاً ليت بهم ... كان ، لا بِكَ التلف

وفي الخلف وجهان :

أحدهما : القرن ، قاله الفراء .

والثاني : أنه جمع خالف .

{ وَرِثُواْ الْكِتَابَ } يعني انتقل إليهم انتقال الميراث من سلف إلى خلف وفيهم قولان :

أحدهما : أنهم من خلف اليهود من أبنائهم . والكتاب الذي ورثوه التوراة لانتقالها لهم .

والثاني : أنهم النصارى : لأنهم خلف من اليهود . والكتاب الذي ورثوه : الإنجيل لحصوله معهم ، قاله مجاهد .

{ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى } يعني الرشوة على الحكم في قول الجميع وسماه عرضاً لقلة بقائه .

وفي وصفه بالأدنى وجهان :

أحدهما : لأخذه في الدنيا الدانية .

والثاني : لأنه من المحرمات الدنية .

{ وَيَقُولُونَ : سَيُغْفَرُ لَنَا } يحتمل وجهين :

أحدهما : أنه مغفور ، لا نؤاخذ به .

والثاني : أنه ذنب لكن الله قد يغفره لنا تأميلاً منهم لرحمته .

{ وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ } فيه وجهان :

أحدهما : أنهم أهل إصرار على الذنوب ، قاله مجاهد وقتادة والسدي .

والثاني : أنهم لا يشبعهم شيء ، فهم لا يأخذونه لحاجة ، قاله الحسن .

{ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ } يحتمل وجهين :

أحدهما : ألا يقولوا على الله إلا الحق في تحريم الحكم بالرشا .

والثاني : في جميع الطاعات والمعاصي والأوامر والنواهي .

{ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ } فيه تأويلان :

أحدهما : تركوا ما فيه أن يعملوا به حتى صار دارساً .

والثاني : أنهم قد تلوه ودرسوه فهم لا يجهلون ما فيه ويقومون على مخالفته مع العلم به .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (171)

قوله عز وجل : { وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ . . . } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : زعزعناه ، قاله ابن قتيبة ، ومنه قول العجاج :

قد جرّبوا أخلاقنا الجلائلا . . . ... ونتقوا أحلامنا الأثاقلا

والثاني : بمعنى جذبناه ، والنتق : الجذب ومنه قيل للمرأة الولود ناتق ، قال النابغة :

لم يحرموا حسن الغذاء وأمهم ... طفحت عليك بناتقٍ مذكار .

واختلف في سبب تسميتها ناتقاً ، فقيل لأن : خروج أولادها بمنزلة الجذب . وقيل : لأنها تجذب ماء الفحل تؤديه ولداً .

والثالث : معناه ورفعناه عليهم من أصله .

قال الفراء : رفع الجبل على عسكرهم فرسخاً في فرسخ .

قال مجاهد : وسبب رفع الجبل عليهم أنهم أبوا أن يقبلوا فرائض التوراة لما فيها من المشقة ، فوعظهم موسى فلم يقبلوا ، فرفع الجبل فوقهم وقيل لهم : إن أخذتموه بجد واجتهاد وإلا ألقي عليكم .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة : فأخذوه بقوة ثم نكثوا بعد .

واختلف في سبب رفع الجبل عليهم هل كان انتقاماً منهم أو إنعاماً عليهم؟ على قولين :

أحدهما : أنه كان انتقاماً بالخوف الذي دخل عليهم .

والثاني : كان إنعاماً لإقلاعهم به عن المعصية .

{ . . . وَظَنُّواْ أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ } فيه قولان :

أحدهما : أنه غلب في نفوسهم انه واقع بهم على حقيقة الظن .

والثاني : أنهم تيقنوه لما عاينوا من ارتفاعه عليهم ، قاله الحسن .

{ خُذُواْ مَا ءَاتَيْنَاكُمْ } يعني التوارة .

{ بِقُوَّةٍ } يحتمل وجهين :

أحدهما : بجد واجتهاد .

والثاني : بنية صادقة وطاعة خالصة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (172) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آَبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (173) وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآَيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (174)

قوله عز وجل : { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ } أُختلف في الذين أخرجهم وأخذ ذلك عليهم على قولين :

أحدهما : أنه أخرج الأرواح قبل خلق الأجساد وجعل فيها من المعرفة ما علمت به من خاطبها .

واختلف من قال بهذا هل كان ذلك قبل نزوله إلى الأرض على قولين :

أحدهما : أنه كان في الجنة قبل هبوطه إلى الأرض .

والثاني : أنه فعل ذلك بعد هبوطه إليها .

والقول الثاني : في الأصل أنه خلق الأرواح والأجساد معاً وذلك في الأرض عند جميع من قال بهذا التأويل .

فعلى هذا فيه قولان :

أحدهما : أنه أخرجهم كالذر وألهمهم هذا فقالوه ، قال الكلبي ومقاتل : وذلك أن الله مسح ظهر آدم بين مكة والطائف فخرج من صفحة ظهره اليمنى ذرية كالذر بيض ، فهم أصحاب الميمنة . وخرج من صفحة ظهره اليسرى ذرية كالذر سود ، فهم أصحاب المشأمة ، فلما شهدوا على أنفسهم جميعاً من آمن منهم ومن كفر أعادهم .

والثاني : أنه أخرج الذرية قرناً بعد قرن وعصراً بعد عصر .

وفي { وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أنفُسِهِم أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ } قولان :

أحدهما : هو أنه دلهم على أنفسهم بما شهدوه من قدرته ، قاله بعض المتكلمين .

والثاني : هو إشهادهم على أنفسهم بما اعترفوا من ربوبيته ووحدانيته . وفيه على التأويل قولان :

أحدهما : أنه قال ذلك للآباء من بني آدم حين أخرج من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ليعلمهم أنه خلق ذرياتهم بعد أن لم يكونوا كان هو الخالق لهم لأنهم كانوا ذرية مثلهم لمن تقدمهم كما صار هؤلاء ذرية لهم فاعترفوا بذلك حين ظهرت لهم الحجة ، قاله ابن بحر .

والقول الثاني : أنه قال ذلك للذرية حين أخذهم من ظهور آبائهم ، وهذا قول الأكثرين فعلى هذا فيه قولان :

أحدهما : أنه قال لهم : { أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ } على لسان الأنبياء بعد أن كملت عقولهم .

والثاني : أنه جعل لهم عقولاً علموا بها ذلك فشهدوا به على أنفسهم . وفي أصل الذرية قولان :

أحدهما : لأنهم يخرجون من الأصلاب كالذر .

والثاني : أنه مأخوذ من ذَرَأَ الله الخلق إذا أحدثهم وأظهرهم .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آَتَيْنَاهُ آَيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (176) سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ (177)

قوله عز وجل : { وَاتْلُ عَلَيْهِم نَبَأَ ٱلَّذِيّ ءاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فانسَلَخَ مِنْهَا } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه بلعام بن عوراء ، واختلفوا فيه فقيل كان من اليمن ، وقيل كان من الكنعانيين ، وقيل من بني صال بن لوط ، قاله ابن عباس ، وابن مسعود .

والثاني : أنه أمية بن أبي الصلت الثقفي ، قاله عبد الله بن عمرو .

والثالث : أنه من أسلم من اليهود والنصارى ونافق ، قاله عكرمة .

وفي الآيات التي أوتيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه اسم الله الأعظم الذي تجاب به الدعوات ، قاله السدي وابن زيد .

والثاني : أنها كتاب من كتب الله . قاله ابن عباس .

والثالث : أنه أوتي النبوة فرشاه قومه على أن يسكت ففعل وتركهم على ما هم عليه ، قاله مجاهد ، وهو غير صحيح لأن الله لا يصطفي لنبوته إلا من يعلم أن لا يخرج عن طاعته إلى معصيته .

وفي قوله : { فَانسَلَخَ مِنهَا } وجهان :

أحدهما : فانسلخ من العلم بها لأنه سيسلب ما أوتي منها بالمعصية . والثاني : أنه انسلخ منها أي من الطاعة بالمعصية مع بقاء علمه بالآيات حتى حكي أن بلعام رُيثي على أن يدعو على قوم موسى بالهلاك فسها فدعا على قومه فهلكوا .

{ فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن الشيطان صيره لنفسه تابعاً بإجابته له حين أغواه .

والثاني : أن الشيطان متبع من الإنس على ضلالته من الكفر .

والثالث : أن الشيطان لحقه فأغواه ، يقال اتبعت القوم إذا لحقتهم ، وتبعتهم إذا سرت خلفهم ، قاله ابن قتيبة .

{ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ } فيه وجهان :

أحدهما : من الهالكين .

الثاني : من الضالين .

قوله عز وجل : { وَلَو شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا } فيه وجهان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدهما : يعني لأمتناه فلم يكفر .

والثاني : لحلنا بينه وبين الكفر فيصير إلى المنزلة المرفوعة معصوماً ، قاله مجاهد .

{ وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ } أي ركن إليها . وفي ركونه إليها وجهان :

أحدهما : أنه ركن إلى أهلها في استنزالهم له ومخادعتهم إياه .

والثاني : أنه ركن إلى شهوات الأرض فشغلته عن طاعة الله ، وقد بين ذلك قوله تعالى { وَاتَّبَعَ هَوَاهُ } .

ثم ضرب مثله بالكلب { . . . إن تَحْمِْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث } وفي تشبيهه بالكلب اللاهث وجهان :

أحدهما : لدناءته ومهانته .

الثاني : لأن لهث الكلب ليس بنافع له .

(32/2)

مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (178) وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (179)

قوله عز وجل : { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ } ، { ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ } أي خلقنا ممن يصير إلى جهنم بكفره ومعصيته .

و { كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنس } فيه قولان :

أحدهما : أراد أولاد الزنى لأنهم من النطف الخبيثة مخلوقين ، فهم أكثر الناس إسراعاً إلى الكفر والمعصية فيصيرون جامعين بين [سوء] المعتقد وخبث المولد .

والقول الثاني : أنه على العموم في أولاد الزنى والرِشدة فيمن ولد من نكاح أو سفاح لأنهم مؤاخذون على أفعالهم لا على مواليدهم التي خبثت بأفعال غيرهم .

{ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا } الحق .

{ وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا } الرشد .

{ وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا } الوعظ ، فصاروا بترك استعمالها بمثابة من عَدِمها ، قال مسكين الدرامي :

أعمى إذا ما جارتي خرجت ... حتى يُواري جارتي الجدر

وأصم عما كان بينهما ... سمعي وما في سمعي الوقر

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

(33/2)

وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (180)

قوله عز وجل : { وَلِلَّهِ الأَسْمآءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا } قال ابن عباس : كل أسمائه حسنى وفي المراد بالحسنى ها هنا وجهان :

أحدهما : ما مالت إليه القلوب من ذكره بالعفو والرحمة دون السخط والنقمة .

والثاني : أسماؤه التي يستحقها لنفسه ولفعله ومنها صفات هي طريقة المعرفة به ، وهي تسعة : القديم الأول قبل كل شيء . والباقي بعد فناء كل شيء . والقادر الذي لا يعجزه شيء والعالم الذي لا يخفى عليه شيء . والحي الذي لا يموت . والواحد الذي ليس كمثله شيء والسميع البصير الذي لا يعزب عنه شيء والغني بنفسه عن كل شيء .

وفي دعائه بها وجهان :

أحدهما : نداؤه بها عند الرغبة إليه في الدعاء والطلب .

والثاني : تعظيمه بها تعبداً له بذكرها .

{ وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : معناه يكذبون ، قاله ابن عباس .

والثاني : يشركون ، قاله قتادة .

والثالث : يحوّرون ، قاله الأخفش .

وفي إلحادهم فيها قولان :

أحدهما : اشتقاقهم آلهتهم من أسماء الله ، كما سموا بعضها باللات اشتقاقاً من الله ، وبعضها بالعزى اشتقاقاً من العزيز ، قاله ابن عباس ، ومجاهد .

والثاني : تسميتهم الأوثان آلهة والله عز وجل أبا المسيح وعزير .

(34/2)

وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (181)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قوله عز وجل : { وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ } فيهم قولان :

أحدهما : العلماء .

والثاني : أنهم هذه الأمة . روى ذلك قتادة ، وابن جريج عن النبي صلى الله عليه وسلم .

(35/2)

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (182) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (183)

قوله تعالى : { وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِأَيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ } والاستدراج أن تنطوي على حالة منزلة بعد منزلة .

وفي اشتقاقه قولان :

أحدهما : أنه مشتق من الدرج لانطوائه على شيء بعد شيء .

والثاني : أنه مشتق من الدرجة لانحطاطه من منزلة بعد منزلة .

وفي المشار إليه باستدراجهم قولان :

أحدهما : استدراجهم إلى الهلكة .

والثاني : الكفر .

وقوله : { مِنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ } يحتمل وجهين :

أحدهما : لا يعلمون بالاستدراج .

والثاني : لا يعلمون بالهلكة .

(36/2)

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (184) أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (185) مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (186)

قوله عز وجل : { مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ } فيه قولان :

أحدهما : معنى يضله يحكم بضلالته في الدين .

والثاني : يضله عن طريق الجنة إلى النار .

{ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } والطغيان إفراط العدوان .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وفي { يَعْمَهُونَ } وجهان :

أحدهما : يتحيرون ، والعمه في القلب كالعمى في العين .

والثاني : يترددون ، قاله قطرب واستشهد بقول الشاعر :

متى يعمه إلى عثمان يعمه ... إلى ضخم السرادق والقطار .

(37/2)

يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (187)

قوله عز وجل : { يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ } فيه قولان :

أحدهما : أن السائل عنها اليهود ، قاله ابن عباس .

والثاني : أن السائل عنها قريش ، قاله الحسن ، وقتادة .

{ أَيَّانَ مُرْسَاهَا } أما { أَيَّانَ } فمعنى متى ، ومنه قول الراجز :

أيان تقضي حاجتي أيانا ... أما ترى لنجحها أوانا

وأما { مُرْسَاهَا } ففيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : قيامها ، قالها السدي .

والثاني : منتهاها ، قاله ابن عباس .

والثالث : ظهورها ، قاله الأخفش .

{ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ } لا يعلم وقتها إلا هو ، نفياً أن يعلمها غير الله { ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : كبر على أهل السموات والأرض مجيء الساعة ، قاله الحسن .

والثاني : ثقل عليهم قيام الساعة ، قاله السدي .

والثالث : معناه عظم وصفها على أهل السموات والأرض ، قاله ابن جريج .

{ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً } يعني على غفلة لأنه لا يعلمها غير الله ، ولم ترد الأخبار عنها من جهة الله فصار مجيئها بغتة وذلك أشد لها كما قال الشاعر :

وأنكأ شيء حين يفجؤك البغتُ ... { يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا } فيه تأويلان :

أحدهما : معناه عالِمٌ بها ، قاله مجاهد ، والضحاك ، وابن زيد ، ومعمر .

This file was downloaded from QuranicThought.com

والثاني : معنى الكلام يسألونك عنها كأن حفي بهم ، على التقديم والتأخير ، أي كأنك بينك وبينهم مودة توجب برهم ، من قوله : { إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً } [مريم : 46] قاله ابن عباس .

(38/2)

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (188)

قوله عز وجل : { قُل لآَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً } أي لا أملك القدرة عليهما من غير مانع ولا صاد .

{ إِلاَّ مَا شَآءَ اللَّهُ } أن يملكني إياه فأملكه بمشيئته .

{ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : لاستكثرت من العمل الصالح ، قاله الحسن ، وابن جريج .

والثاني : لأعددت من السنة المخصبة للسنة المجدبة ، قاله الفراء .

والثالث : وهو شاذ : لاشتريت في الرخص وبعْت في الغلاء .

{ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدهما : ما بي جنون كما زعم المشركون ، قاله الحسن .

والثاني : ما مسني الفقر لاستكثاري من الخير .

والثالث : ما دخلت على شبهة .

(39/2)

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (189) فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (190)

{ فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا } وذلك أن إبليس قال لحواء سَمِّيه : عبد الحارث ، يعني نفسه لأنه اسمه في السماء كان « الحارث » فسمته عبد الله فمات ، ثم حملت ولداً ثانياً فقال لها ذلك فلم تقبل ، فمات ، ثم حملت ثالثاً فقال لها ولآدم ، أتظنان الله تارك عبده عندكما؟ لا والله ليذهبن به كما ذهب بالآخرين فسمياه بذلك فعاش ، فهذا معنى قوله : { جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ءَاتَاهُمَا } أي في الاسم ، فروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : خدعهما مرتين خدعهما في الجنة وخدعهما في الأرض .

وقال الحسن وقتادة : إن المكنّى عنه بقوله : { جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا } ابن آدم وزوجته ، وليس براجع إلى آدم وحواء .

(40/2)

أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (191) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (192) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ (193) إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (194) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ (195) إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (196) وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (197) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (198)

قوله عز وجل : { أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا } يعني الأصنام ، يعني أرجل يمشون بها في مصالحكم .

{ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا } يعني في الدفع عنكم .

{ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا } يعني مضاركم من منافعكم .

{ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا } دعاءكم وتضرعكم .

فإن قيل فلم أنكر عبادة من لا رجل له ولا يد ولا عين؟

قيل عنه جوابان :

أحدهما : أن من عبد جسماً لا ينفع كان ألوم ممن عبد جسماً ينفع .

والثاني : أنه عرفهم أنهم مفضلون عليها ، فكيف يعبدون من هم أفضل منه .

(41/2)

خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (199) وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (200)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله عز وجل : { خُذِ الْعَفْوَ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : العفو من أخلاق الناس وأعمالهم ، قاله ابن الزبير ، والحسن ، ومجاهد .

الثاني : خذ العفو من أموال المسلمين ، وهذا قبل فرض الزكاة ثم نسخ بها ، قاله الضحاك والسدي وأحد قولي ابن عباس .

والثالث : خذ العفو من المشركين ، وهذا قبل فرض الجهاد ، قاله ابن زيد .

{ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ } فيه قولان :

أحدهما : معناه بالمعروف ، قاله عروة وقتادة .

والثاني : ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لجبريل حين نزلت عليه هذه الآية { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ } : « يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا » قال : لا أدري أسأل العالم ، قال « ثُمَّ عَادَ جِبْرِيلُ فَقَالَ » « يا محمد إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك ، وتعفو عمَّن ظلمك » قاله ابن زيد .

{ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ } فإن قيل فكيف أمر بالإعراض مع وجوب الإنكار عليهم؟

قيل : إنما أراد الإعراض عن السفهاء استهانة بهم . وهذا وإن كان خطاباً لنبيِّه عليه السلام فهو تأديب لجميع خلقه .

قوله عز وجل : { وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن النزغ الانزعاج .

والثاني : الغضب .

والثالث : الفتنة ، قاله مقاتل .

{ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } سميع بجهل من جهل ، عليم بما يزيل عنك النزغ .

(42/2)

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (201) وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ (202)

قوله عز وجل : { إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَآئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ } قرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة { طَآئِفٌ } ، وقرأ الباقون { طَيْفٌ } واختلف في هاتين القراءتين على قولين :

أحدهما : أن معناهما واحد وإن اختلف اللفظان ، فعلى هذا اختلف في تأويل ذلك على أربعة تأويلات :

أحدها : أن الطيف اللمم كالخيال يلم بالإنسان .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والثاني : أنه الوسوسة ، قاله أبو عمرو بن العلاء .

والثالث : أنه الغضب ، وهو قول مجاهد .

والرابع ، أنه الفزع ، قاله سعيد بن جبير .

والقول الثاني : أن معنى الطيف والطائف مختلفان ، فالطيف اللمم ، والطائف كل شيء طاف بالإنسان .

{ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُمْ مُّبْصِرُونَ } فيه وجهان :

أحدهما : علموا فإذا هم منتهون .

والثاني : اعتبروا فإذا هم مهتدون .

(43/2)

وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآَيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (203)

قوله عز وجل : { وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلاَ اجْتَبَيْتَهَا } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : معناه هلا أتيتنا بها من قبل نفسك ، وهذا قول مجاهد ، وقتادة .

والثاني : معناه هلا اخترتها لنفسك .

والثالث : معناه هلا تقبلتها من ربك ، قاله ابن عباس .

(44/2)

وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآَنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (204)

قوله عز وجل { وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْءَآنُ فِاسْتَمِعُوا لَهُ } أي لقراءته .

{ وَأَنصِتُواْ } أي لا تقابلوه بكلام ولا إعراض { لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } .

واختلفوا في موضع هذا الإنصات على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها نزلت في المأموم خلف الإمام ينصت ولا يقرأ ، قاله مجاهد .

والثاني : أنها نزلت في خطبة الجمعة ينصت الحاضر لاستماعها ولا يتكلم ، قالته عائشة ، وعطاء .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والثالث : ما قاله ابن مسعود : كنا يسلم بعضنا على بعض في الصلاة ، سلام على فلان ، سلام على فلان ، فجاء القرآن من { وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرءَانُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ } .

(45/2)

وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ (205) إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ (206)

قوله عز وجل : { وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ } وفي هذا الذكر ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه ذكر القرءاة في الصلاة خلف الإمام سراً في نفسه قاله قتادة .

والثاني : أنه ذكر بالقلب باستدامة الفكر حتى لا ينسى نعم الله الموجبة لطاعته .

والثالث : ذكره باللسان إما رغبة إليه في دعائه أو تعظيماً له بالآية . وفي المخاطب بهذا الذكر قولان :

أحدهما : أنه المستمع للقرآن إما في الصلاة أو الخطبة ، قاله ابن زيد .

والثاني : أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه عام في جميع المكلفين .

ثم قال : { تَضَرُّعاً وَخِيفَةً } أما التضرع فهو التواضع والخشوع ، وأما الخيفة فمعناه مخافة منه .

{ وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ } يعني أسرَّ القول إما بالقلب أو باللسان على ما تقدم من التأويلين .

ثم قال تعالى : { بِالْغُدُوِّ وَالأَصَالِ } فيه وجهان :

أحدهما : بالبكر والعشيات .

والثاني : أن الغدو آخر الفجر صلاة الصبح ، والآصال آخر العشي صلاة العصر ، قاله مجاهد ، ونحوه عن قتادة .

{ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ } يحتمل وجهين :

أحدهما : عن الذكر .

والثاني : عن طاعته في كل أوامره ونواهيه ، قاله الجمهور .

{ وَيُسَبِّحُونَهُ وَ◌َلَهُ يَسْجُدُونَ } وهذا أول سجدات التلاوة في القرآن .

وسبب نزولها ما قاله كفار مكة { وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً } [الفرقان : 60] .

فأنزل الله تعالى هذه الآية وأعلمهم أن الملائكة المقربين إذا كانوا على هذه الحال في الخضوع والرغبة فأنتم بذلك أولى والله أعلم بالصواب .

(46/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (1)

قوله عز وجل : { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأنفَالِ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ } وهذا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سأله أصحابه يوم بدر عن الأنفال .

وفي هذه الأنفال التي سألوه عنها خمسة أقاويل :

أحدها : أنها الغنائم ، وهذا قول ابن عباس ، وعكرمة ، وقتادة ، والضحاك ،

الثاني : أنها السرايا التي تتقدم الجيش ، وهذا قول الحسن .

الثالث : الأنفال ما ندّ من المشركين إلى المسلمين بغير قتال من دابة أو عبد ، وهذا أحد قولي ابن عباس .

الرابع : أن الأنفال الخمس من الفيء والغنائم التي جعلها الله تعالى لأهل الخمس ، وهذا قول مجاهد .

الخامس : أنها زيادات يزيدها الإمام بعض الجيش لما قد يراه من الصلاح .

والأنفال جمع نَفَل ، وفي النفل قولان :

أحدهما : أنه العطية ، ومنه قيل للرجل الكثير العطاء : نوفل ، قال الشاعر :

يأتي الظلامة منه النوفل الزُّفَرُ ... فالنوفل : الكثير العطاء . والزفر : الحمال للأنفال ، ومنه سمي الرجل زفر .

والقول الثاني : أن النفل الزيادة من الخير ومنه صلاة النافلة . قال لبيد بن ربيعة :

إن تقوى ربنا خير نفل ... وبإذن الله ريثي وعجل

واختلفوا في سبب نزول هذه الآية على أربعة أقاويل :

أحدها : ما رواه ابن عباس قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ كَذَا وَكَذَا فَلَهُ كَذَا وَكذَا » فسارع إليه الشبان وبقي الشيوخ تحت الرايات ، فلما فتح الله تعالى عليهم جاءوا يطلبون ما جعل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الشيوخ : لا تستأثروا علينا فإنا كنا ردءاً لكم ، فأنزل الله تعالى { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ } الآية .

الثاني : ما روى محمد بن عبيد بن سعد بن أبي وقاص قال : لما كان يوم بدر قُتل أخي عمير وقتلت سعيد بن العاص بن أمية وأخذت سيفه وكان يسمى ذا الكتيفة فجئت به النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : هبه لي يا رسول الله ، فقال : « اطْرَحْهُ فِي القَبَض » فطرحته ورجعت وبي من الغم ما لا يعلمه إلا الله تعالى من قتل أخي وأخذ سلبي ، قال : فما تجاوزت إلا قريباً حتى نزلت عليه سورة الأنفال فقال : « اذْهَبْ فَخُذْ سَيْفَكَ » .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثالث : أنها نزلت في المهاجرين والأنصار ممن شهد بدراً فاختلفوا وكانوا أثلاثاً فنزلت { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ } الآية . فملّكه الله رسوله فقسمه كما أراه الله ، قاله عكرمة والضحاك وابن جريج .

والرابع : أنهم لم يعلموا حكمها وشكّوا في إحلالها لهم مع تحريمها على من كان قبلهم فسألوا عنها ليعلموا حكمها من تحليل أو تحريم فأنزل الله تعالى هذه الآية .

ثم اختلف أهل العلم في نسخ هذه الآية على قولين :

أحدهما : أنها منسوخة بقوله تعالى : { وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمسَهُ وَلِلرَّسُولِ } [الانفال : 41] . الآية ، قاله عكرمة ، ومجاهد ، والسدي .

والقول الثاني : أنها ثابتة الحكم ومعنى ذلك؛ قل الأنفال لله ، وهي لا شك لله مع الدنيا بما فيها والآخرة ، والرسول يضعها في مواضعها التي أمره الله بوضعها فيها ، قاله ابن زيد .

{ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ } فيه وجهان :

أحدهما : أن يرد أهل القوة على أهل الضعف .

الثاني : أن يسلّموا لله وللرسول ليحكما في الغنيمة بما شاء الله .

(47/2)

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (4)

قوله عز وجل : { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ } فيه أحدهما : خافت .

الثاني : رَقّتْ .

{ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيهِمْ ءَايَاتُهُ } يعني آيات القرآن بما تضمنته من أمر ونهي . { زَادَتْهُمْ إِيمَاناً } فيه وجهان :

أحدهما : تصديقاً .

الثاني : خشية .

{ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } يحتمل وجهين :

أحدهما : فيما يخافونه من الشدة في الدنيا .

الثاني : فيما يرجونه من ثواب أعمالهم في الآخرة .

(48/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (5) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (6) وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (7) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (8)

قوله عز وجل : { كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ } فيه قولان :
أحدهما : كما أخرجك ربك من مكة إلى المدينة بالحق مع كراهه فريق من المؤمنين كذلك ينجز وعدك في نصرك على أعدائك بالحق .
والثاني : كما أخرجك ربك من بيتك مِن المدينة إلى بدر بالحق كذلك جعل لك غنيمة بدر بالحق .
وفي قوله : { بِالْحَقِّ } وجهان :
أحدهما : أنك خرجت ومعك الحق .
الثاني : أنه أخرجك بالحق الذي وجب عليك .
{ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ } فيه وجهان :
أحدهما : كارهون خروجك .
الثاني : كارهون صرف الغنيمة عنهم لأنهم لم يعلموا أن الله تعالى قد جعلها لرسوله دونهم .
قوله عز وجل : { يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ } يعني في القتال يوم بدر .
و { بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ } يحتمل وجهين :
أحدهما : بعد ما تبين لهم صوابه .
الثاني : بعد ما تبين لهم فرضه .
وفي المجادل له قولان :
أحدهما : أنهم المشركون ، قاله ابن زيد .
الثاني : أنهم طائفة من المؤمنين وهو قول ابن عباس ، وابن إسحاق ، لأنهم خرجوا لأخذ العير المقبلة من الشام مع أبي سفيان فلما فاتهم ذلك أمروا بالقتال فجادلوا طلباً للرخصة وقالوا ما تأهبنا في الخروج لقتال العدو ، فأنزل الله تعالى : { كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ } يعني كأنهم في قتال عدوهم يساقون إلى الموت ، رعباً وأسفاً لأنه أشد لحال من سيق إلى الموت أن يكون ناظراً له وعالماً به .
قوله عز وجل : { وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ } الآية . وسبب ذلك أن عير قريش لما أقبلت من الشام مع أبي سفيان همّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج لأخذها ، وسار فبلغ ذلك قريشاً فخرجت للمنع عنها ، فلما علم النبي صلى الله عليه وسلم بخروجها شاور أصحابه ،

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فقال سعد بن معاذ : يا رسول الله قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك إن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لنخوضنه معك ، فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد وقال : « سِيرُوا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ وَأَبْشِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الْطَّائِفَتَينِ وَاللَّهِ لَكَأَنِي أَنْظُرُ الآنَ إِلَى مَصَارِعِ الْقَومِ » فذلك معنى قوله { وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّآئِفَتَيْنِ } يعني العير التي مع أبي سفيان أو الظفر بقريش الخارجين للمنع منها .

{ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ } أي غير ذات الحرب وهي العير لأن نفوسهم في لقائها أسكن ، وهم إلى ما فيها من الأموال أحوج .

وفي الشوكة التي كُني بها عن الحرب وجهان :

أحدهما : أنها الشدة فكُني بها عن الحرب لما فيها من الشدة ، وهذا قول قطرب .

(49/2)

والثاني : أنها السلاح ، وكُني بها عن الحرب لما فيها من السلاح ، من قولهم رجل شاكٍ في السلاح ، قاله ابن قتيبة .

{ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ } فيه قولان :

أحدهما : إظهار الحق بإعزاز الدين في وقته على ما تقدم من وعده .

والثاني : أن الحق في أمره لكم أن تجاهدوا عدوكم .

وفي صفة ذلك وجهان لأصحاب الخواطر .

أحدهما : يحق الحق بالإقبال عليه ويبطل الباطل بالإعراض عنه .

الثاني : يحق الحق بالقبول ويبطل الباطل بالرد .

{ لِيُحِقَّ الْحَقَّ } معناه ليظهر الحق يعني الإسلام .

{ ويُبْطِلَ الْبَاطِلَ } أي يذهب بالباطل يعني الشرك .

قال الحسن . هذه الآية نزلت قبل قوله : { كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ } وهي في القراءة بعدها .

روى سماك عن عكرمة قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فقال له العباس وهو أسير في أيديهم : ليس لك ذلك ، فقال : « لم؟ » فقال : لأن الله تعالى وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك .

(50/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (9) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (10)

قوله عز وجل : { إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ } فيه وجهان :

أحدهما : تستنصرون .

الثاني : تستجيرون .

والفرق بين المستنصر والمستجير أن المستنصر : طالب الظفر ، والمستجير : طالب الخلاص .

والفرق بين المستغيث والمستعين أن المستغيث : المسلوب القدرة ، والمستعين الضعيف القدرة .

{ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ } أي فأعانكم .

والفرق بين الاستجابة والإجابة أن الإجابة ما لم يتقدمها امتناع . { أَنِّ۫ي مُمِدُّكُم بَأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : مع كل ملك ملك ، وهو قول ابن عباس فتكون الألف ألفين . قال الشاعر :

إذا الجوزاء أردفت الثريا ... ظننت بآل فاطمة الظنونا

الثاني : معناه متتابعين ، قاله السدي ، وقتادة .

الثالث : معنى مردفين أي ممدّين ، والإرداف إمداد المسلمين بهم ، قاله مجاهد .

{ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إلاَّ بُشْرَى } فيه وجهان :

أحدهما : أن البشرى هي في مددهم بألف من الملائكة بشروهم بالنصر فكانت هي البشرى التي ذكرها الله تعالى .

والثاني : البشرى النصرة التي عملها الله لهم .

{ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ } فيه وجهان :

أحدهما : بالبشرى .

والثاني : بالملائكة .

واختلفوا في قتال الملائكة معهم على قولين :

أحدهما : لم يقاتلوا وإنما نزلوا بالبشرى لتطمئن به قلوبهم ، وإلا فملك واحد يهلك جميع المشركين كما أهلك جبريل قوم لوط .

الثاني : أن الملائكة قاتلت مع النبي صلى الله عليه وسلم كما روى ابن مسعود أنه سأله أبو جهل : من أين كان يأتينا الضرب ولا نرى الشخص؟ قال : « مِن قِبَلِ الْمَلآئِكَةِ » فقال : هم غلبونا لا أنتم .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقوله : { وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ } لئلا يتوهم أن النصر من قبل الملائكة لا من قبل الله تعالى .

(51/2)

إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (11) إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (12) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (13) ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ (14)

قوله تعالى : { إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِّنْهُ } وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم وكثيراً من أصحابه غشيهم النعاس ببدر .

قال سهل بن عبد الله : النعاس يحل في الرأس مع حياة القلب ، والنوم يحل في القلب بعد نزول من الرأس ، فهوَّمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ناموا فبشر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصر فأخبر به أبا بكر .

وفي امتنان الله تعالى عليهم بالنوم في هذه الليلة وجهان :

أحدهما : قوّاهم بالاستراحة على القتال من الغد .

الثاني : أن أمَّنَهم بزوال الرعب من قلوبهم ، كما قال : الأمن منيم ، والخوف مسهر .

وقوله تعالى : { أَمَنَةً مِّنْهُ } يعني به الدعة وسكون النفس من الخوف وفيه وجهان :

أحدهما : أمنة من العدو .

الثاني : أمنة من الله سبحانه وتعالى .

{ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ } لأن الله تعالى أنزل عليهم ماء السماء معونة لهم بثلاثة أمور :

أحدها : الشرب وإن كانوا على ماء .

الثاني : وهو أخص أحواله بهم في ذلك المكان وهو أن الرمل تلبد بالماء حتى أمكن المسلمين القتال عليه .

والثالث : ما وصفه الله تعالى به من حال التطهير .

وفي تطهيرهم به وجهان :

أحدهما : من وساوس الشيطان التي ألقى بها في قلوبهم الرعب ، قاله زيد بن أسلم .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والثاني : من الأحداث والأنجاس التي نالتهم ، قاله الجمهور .

قال ابن عطاء : أنزل عليهم ماءً طهر به ظواهر أبدانهم ، وأنزل عليهم رحمة نقّى بها سرائر قلوبهم .

وإنما خصه الله تعالى بهذه الصفة لأمرين .

أحدهما : أنها أخص صفاته .

والثاني : أنها ألزم صفاته .

ثم قال : { وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشّيَطانِ } فيه قولان :

أحدهما : وسوسته أن المشركين قد غلبوهم على الماء ، قاله ابن عباس .

والثاني : كيده وهو قوله : ليس لكم بهؤلاء القوم طاقة ، قاله ابن زيد .

{ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ } يحتمل وجهين :

أحدهما : ثقة بالنصر .

والثاني : باستيلائهم على الماء .

{ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ } فيه قولان :

أحدهما : بالصبر الذي أفرغه الله تعالى حتى يثبتوا لعدوهم ، قاله أبو عبيدة .

والثاني : تلبيد الرمل بالمطر الذي لا يثبت عليه قدم ، وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك .

قوله عز وجل : { إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ } معناه معينكم ويحتمل أن يكون معناه إني معكم في نصرة الرسول ، فتكون الملائكة لتثبيت المؤمنين ، والله تعالى متولي النصر بما ألقاه من الرعب في قلوب المشركين .

{ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُواْ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : فثبوتهم بحضوركم معهم في الحرب .

والثاني : بقتالكم معهم يوم بدر ، قاله الحسن .

والثالث : بإخبارهم أنه لا بأس عليهم من عدوهم .

{ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ } يعني الخوف ، ويحتمل أحد وجهين :

(52/2)

إما أن يكون إلقاء الرعب بتخاذلهم ، وإما أن يكون بتكثير المسلمين في أعينهم .

وفي ذلك وجهان :

أحدهما : أنه قال ذلك للملائكة معونة لهم .

والثاني : أنه قال ذلك له ليثبتوا به الذين آمنوا . { فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ } فيه خمسة أقاويل :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدها : فاضربوا الأعناق ، وفوق صلة زائدة في الكلام ، قاله عطية والضحاك .

وقد روى المسعودي عن القاسم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لأُعَذِّبَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَإِنَّمَا بُعِثْتُ بِضَرْبِ الأَعْنَاقِ وَشَدِّ الْوَثَاقِ » . والثاني : معناه واضربوا الرؤوس فوق الأعناق ، قاله عكرمة .

والثالث : فاضربوا على الأعناق .

والرابع : فاضربوا على الأعناق .

والخامس : فاضربوا فوق جلدة الأعناق .

{ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ } يعني المفاصل من أطراف الأيدي والأرجل والبنان : أطراف الأصابع من اليدين والرجلين .

(53/2)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (15) وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (16)

قوله عز وجل : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً } والزحف : الدنو قليلاً قليلاً .

{ فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ } يعني بالهزيمة منهم والانصراف عنهم . وفيه قولان :

أحدهما : أن هذا على العموم في تحريم الهزيمة بعد لقاء العدو .

والثاني : مخصوص وهو أن الله تعالى أوجب في أول الإسلام على كل رجل من المسلمين أن يقف بإزاء عشرة من المشركين لا يحل له بعد اللقاء أن ينهزم عنهم وذلك بقوله : { إِن يَكُن مِّنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفروُاْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ } [الأنفال : 65] وفيه وجهان :

أحدهما : لا يعلمون ما فرضه الله تعالى عليه من الإسلام .

الثاني : لا يعلمون ما فرضه الله تعالى عليهم من القتال .

ثم نسخ ذلك عنهم بعد كثرتهم واشتداد شوكتهم فأوجب الله تعالى على كل رجل لاقى المشركين محارباً أن يقف بإزاء رجلين بعد أن كان عليه أن يقف بإزاء عشرة تخفيفاً ورخصة وذلك قوله تعالى : { الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وعَلِمَ أَنَّ فِيكُم ضَعْفاً } .

قرىء بضم الضاد وفتحها ، وفي اختلاف القراءتين وجهان :

أحدهما : أنهما لغتان ومعناهما واحد ، قاله الفراء .

والثاني : معناهما مختلف .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وفي اختلافهما وجهان :

أحدهما : أنها بالفتح : الضعف في الأموال ، وبالضم : الضعف في الأحوال .

الثاني : أنها بالفتح : الضعف في النيات ، وبالضم : الضعف في الأبدان . وقيل بعكس الوجهين في الوجهين .

ثم قال : { فَإِن يَكُن مِّنكم مَّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مَائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَينِ بِإِذنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ } فيه تأويلان :

أحدهما : مع الصابرين على القتال في معونتهم على أعدائهم .

الثاني : مع الصابرين على الطاعة في قبول عملهم وإجزال ثوابهم ، فصار حتماً على من لاقى عدوه من المشركين زحفاً أن لا ينهزم مع القوة على المصابرة حتى يقضي الله من أمره ما شاء فأما الهزيمة مع العجز عن المصابرة فإن قاتله أكثر من مثليه جاز أن يُولي عنهم منهزماً ، وإن قاتله مثلاه فمن دون حرم عليه أن يوليّ عنهم منهزماً على صفتين : إما أن يتحرف لقتال وهو أن يهرب ليطلب ، ويفر ليكر فإن الحرب كرٌ وفرٌ ، وهرب وطلب ، وإما أن يتحيز إلى فئة أخرى ليقاتل معها ، قربت الفئة أو بعدت ، وذلك ظاهر في قوله تعالى :

{ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يومَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ } أي صار بالمكان الذي يحق عليه غضب الله ، مأخوذ من المبوأ وهو المكان .

ومذهب الشافعي وأصحابه وموافقيه أن هذا على العموم ، محكوم به في كل مسلم لاقى عدواً ، وبه قال عبد الله بن عباس .

وحكي عن الحسن ، وقتادة ، والضحاك : أن ذلك خاص في أهل بدر ، وبه قال أبو حنيفة .

(54/2)

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (17) ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ (18)

قوله عز وجل : { فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ } يحتمل وجهين :

أحدهما : ولكن الله قتلهم بسوقهم إليكم حتى أمكنكم منهم .

والثاني : ولكن الله قتلهم بمعونته لكم حين ألقى في قلوبهم الرعب وفي قلوبكم النصر .

وفيه وجه ثالث قاله ابن بحر : ولكن الله قتلهم بالملائكة الذين أمدكم بهم .

وقيل لم تقتلوهم بقوتكم وسلاحكم ولكن الله قتلهم بخذلانهم وقبض أرماحهم .

{ وَمَا رَمَيْتَ إِذَ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى } فيه أربعة أقاويل :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدها : ما حكاه ابن عباس ، وعرة ، والسدي : أن النبي صلى الله عليه وسلم قبض يوم بدر قبضة من تراب رماهم بها وقال : « شَاهَتِ الْوُجُوهُ » أي قبحت ومنه قول الحطيئة :

أرى لي وجهاً شوه الله خلقه . . . فقُبح من وجهٍ وقبح حامله .

فألقى الله تعالى القبضة في أبصارهم حتى شغلتهم بأنفسهم وأظفر الله المسلمين بهم ، فهو معنى قوله تعالى : { وَمَا رَمَيْتَ إِذَ رَمَيْتَ وَلَكِنَ اللَّهَ رَمَى } . الثاني : معناه وما ظفرت إذ رميت ولكن الله أظفرك ، قاله أبو عبيدة .

الثالث : وما رميت قلوبهم بالرعب إذ رميت وجوههم بالتراب ولكن الله ملأ قلوبهم رعباً .

والقول الرابع : أنه أرد رمى أصحابه بالسهم فأصاب رميهم .

وقوله تعالى : { وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى } يعني بما أرسله من الريح المعينة لسهامهم حتى سددت وأصابت .

والمراد بالرمي الإصابة لأن معى الرمي محمول على الإصابة ، فإن لم يصب قيل رمى فأخطأ .

وإذا قيل مطلقاً :

قد رمى ، لم يعقل منه إلا الإصابة . ألا ترى إلى قول امرىء القيس :

فرماها في فرائصها . . . فاستغنى بذكر الرمي عن وصفه بالإصابة .

وقال ذو الرمة في الرأي :

رمى فأخطأ والأقدار غالبةٌ . . . فانصاع والويل هجيراه والحربُ

قوله عز وجل : { وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاَءً حَسَناً } قال أصحاب الخواطر : البلاء الحسن ما يورثك الرضا به والصبر عليه .

وقال المفسرون : البلاء الحسن ها هنا النعمة بالظفر والغنيمة .

(55/2)

إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (19)

قوله عز وجل : { إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ } في قولان :

أحدهما : إن تستنصروا الله ، فالفتح النصر ، فقد جاءكم فضل الله بنصرنا ، حكاه ابن الأنباري .

والثاني : معناه إن تستنصروا الله ، والفتح النصر ، فقد جاءكم نصر الله لنا عليكم ، وفي هذا الخطاب قولان .

أحدهما : أنه خطاب للمشركين لأنهم استنصروا يوم بدر بأن قالوا : اللهم أقطعنا للرحم وأظلمنا لصاحبه فانصره عليه ، فنصر الله تعالى نبيه والمسلمين عليهم .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ثم قال { وَإِن تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيرٌ لَّكُمْ } لأن الاستنصار كان عليهم لا لهم . { وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ } فيه وجهان :

أحدهما : وإن تعودوا إلى مثل هذا التكذيب نعد إلى مثل هذا التصديق .

والثاني : وإن تعودوا إلى مثل هذا الاستفتاح نعد إلى مثل هذا النصر .

والقول الثاني : أنه خطاب للمؤمنين نصرهم الله تعالى يوم بدر حين استنصروه { وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ } يعني عما فعلتموه في الأسرى والغنيمة .

{ وإن تَعودوا نعد } فيه وجهان :

أحدهما : وإن تعودوا إلى الطمع نعد إلى المؤاخذة .

الثاني : وإن تعودوا إلى مثل ما كان منكم في الأسرى والغنيمة نعد إلى الإنكار عليكم .

(56/2)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (20) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (21) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (22) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (23)

قوله عز وجل : { إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ } أما الدواب فاسم لكل ما دب على الأرض من حيوانها لدبيبه عليها مشياً ، وكان بالخيل أخص . والمراد بِشَرِّ الدواب الكفار لأنهم شر ما دبّ على الأرض من الحيوان .

ثم قال : { الصُّمُّ } لأنهم لا يسمعون الوعظ . { الْبُكْمُ } والأبكم هو المخلوق أخرس ، وإنما وصفهم بالبكم لأنهم لا يقرون بالله تعالى ولا بلوازم طاعته .

{ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ } يحتمل وجهين :

أحدهما : لا يعقلون عن الله تعالى أمره ونهيه .

والثاني : لا يعتبرون اعتبار العقلاء .

قال ابن عباس : نزلت هذه الآية في بني عبد الدار .

قوله عز وجل : { وَلَو عَلِمَ اللَّهُ فِيهِم خَيْراً } يحتمل وجهين :

أحدهما : اهتداء .

الثاني : إصغاء .

{ لأَسْمَعَهُمْ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدهما : لأسمعهم الحجج والمواعظ سماعَ تفهيم وتعليم ، قاله ابن جريج وابن زيد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثاني : لأسمعهم كلام الذين طلبوا إحياءهم من قصي بن كلاب وغيره يشهدون بنبوتك قاله بعض المتأخرين .

والثالث : لأسمعهم جواب كل ما يسألون عنه ، قاله الزجاج . { وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَهُم مُّعْرِضُونَ } يحتمل وجهين :

أحدهما : ولو أسمعهم الحجج والمواعظ لأعرضوا عن الإصغاء والتفهم .

والثاني : ولو أجابهم إلى ما اقترحوه لأعرضوا عن التصديق .

(57/2)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (24)

قوله عز وجل : { يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ } يعني أجيبوا الله والرسول قال كعب ابن سعد الغنوي .

وداع دعا يا من يجيب إلى الندى ... فلم يستجبه عند ذاك مجيب

وإجابة الله تعالى هي طاعة أمره ، وإنما خرجت عن هذا اللفظ لأنها في مقابلة الدعاء إليها فصارت إجابة لها .

{ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ } فيه سبعة أقاويل :

أحدها : إذا دعاكم إلى الإيمان ، قاله السدي .

والثاني : إذا دعاكم إلى الحق ، قاله مجاهد .

والثالث : إذا دعاكم إلى ما في القرآن ، قاله قتادة .

والرابع : إذا دعاكم إلى الحرب وجهاد العدو ، قاله ابن إسحاق .

والخامس : إذا دعاكم إلى ما فيه دوام حياتكم في الآخرة ، ذكره علي بن عيسى .

والسادس : إذا دعاكم إلى ما فيه إحياء أمركم في الدنيا ، قاله الفراء .

والسابع : أنه على عموم الدعاء فيما أمرهم به .

روى العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أُبيّ وهو قائم يصلي فصرخ به قال : « يَاأُبيّ » قال فعجل في صلاته ، ثم جاء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا مَنَعَكَ إِذْ دَعَوتُكَ أَنْ تُجِيبَنِي؟ » قال : يا رسول الله كنت أصلي ، فقال : « أَلَمْ تَجِدْ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ { اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ } » قال بلى يا رسول الله ، لا أعود .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
{ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ } فيه لأهل التأويل سبعة أقاويل :
أحدها : يحول بين الكافر والإيمان ، وبين المؤمن والكفر ، قاله ابن عباس ، وسعيد بن جبير والضحاك .
والثاني : يحول بين المرء وعقله فلا يدري ما يعمل ، قاله مجاهد .
والثالث : يحول بين المرء وقلبه أن يقدر على إيمان أو كفر إلا بإذنه ، قاله السدي .
والرابع : معناه أنه قريب من قلبه يحول بينه وبين أن يخفى عليه شيء من سره أو جهره فصار أقرب من حبل الوريد ، وهذا تحذير شديد ، قاله قتادة .
والخامس : معناه يفرق بين المرء وقلبه بالموت فلا يقدر على استدراك فائت . ذكره علي بن عيسى .
والسادس : يحول بين المرء وما يتمناه بقلبه من البقاء وطول العمر والظفر والنصر ، حكاه ابن الأنباري .
والسابع : يحول بين المرء وما يوقعه في قلبه من رعب خوف أو قوة وأمن ، فيأمن المؤمن من خوفه ، ويخاف الكافر عذابه .

(58/2)

وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (25)

قوله عز وجل : { وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً } فيها أربعة أقاويل :
أحدها : أنه المنكر ، أمر الله تعالى المؤمنين ألا يقروه بين أظهرهم فيعمهم العذاب قاله ابن عباس .
والثاني : أنها الفتنة بالأموال والأولاد كما قال تعالى { إِنَّمَآ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُم فِتْنَةٌ } [الأنفال : 28] قاله عبد الله بن مسعود .
والثالث : أن الفتنة ها هنا البلية التي يبلى الإنسان بها ، قاله الحسن .
والرابع : أنها نزلت في النكاح بغير وليّ ، قاله بشر بن الحارث .
ويحتمل خامساً : أنها إظهار البدع .
وفي قوله تعالى : { لاَ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُم خَاصَّةً } وجهان :
أحدهما : لا تصيبن الفتنة الذين ظلموا .
الثاني : لا يصيبن عقابُ الفتنة ، فتكون لأهل الجرائم عقوبة ، ولأهل الصلاح ابتلاء .
وفيه وجه ثالث : أنه دعاء للمؤمن أن لا تصيبه فتنة ، قاله الأخفش .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

(59/2)

وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآَوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (26)

قوله عز وجل : { وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُم قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ } يريد بذلك قلتهم إذ كانوا بمكة وذلتهم باستضعاف قريش لهم .

وفي هذا القول وجهان :

أحدهما : أن الله ذكّرهم بذلك نعمه عليهم .

والثاني : الإخبار بصدق وعده لهم .

{ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ } فيه قولان :

أحدهما : يعني بالناس كفار قريش ، قاله عكرمة وقتادة .

والثاني : فارس والروم ، قاله وهب بن منبه .

ثم بيّن ما أنعم به عليهم فقال { فَئَاوَاكُمْ } وفيه وجهان :

أحدهما : أي جعل لكم مأوى تسكنون فيه آمنين .

والثاني : فآواكم بالهجرة إلى المدينة ، قاله السدي .

{ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ } أي قواكم بنصره لكم على أعدائكم يوم بدر .

{ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ } يعني من الحلال ، وفيه قولان :

أحدهما : ما مكنكم فيه من الخيرات .

والثاني : ما أباحكم من الغنائم ، قاله السدي .

وقال الكلبي ومقاتل : نزلت هذه الآية في المهاجرين خاصة بعد بدر .

(60/2)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (27) وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (28)

قوله عز وجل : { يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَآمَنُواْ لاَ تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ } فيه قولان :

أحدهما : لا تخونوا الله سبحانه والرسول عليه السلام كما صنع المنافقون في خيانتهم ، قاله الحسن

This file was downloaded from QuranicThought.com

والسدي .

والثاني : لا تخونوا الله والرسول فيما جعله لعباده من أموالكم .

ويحتمل ثالثاً : أن خيانة الله بمعصية رسوله ، وخيانة الرسول ، بمعصية كلماته .

{ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : فيما أخذتموه من الغنيمة أن تحضروه إلى المغنم .

الثاني : فيما ائتمن الله العباد عليه من الفرائض والأحكام أن تؤدوها بحقها ولا تخونوها بتركها .

والثالث : أنه على العموم في كل أمانة أن تؤدى ولا تخان .

{ وَأَنتُم تَعْلَمُونَ } فيه قولان :

أحدهما : وأنتم تعلمون أنها أمانة من غير شبهة .

والثاني : وأنتم تعلمون ما في الخيانة من المأثم بخلاف من جهل .

قال الكلبي ومقاتل : نزلت هذه الآية في أبي لُبابَة بن عبد المنذر أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة لنزلوا على حكم سعد فاستشاروه وكان قد أحرز أولاده وأمواله عندهم فأشار عليهم أن لا يفعلوا وأومأ بيده إلى حلقة أنه الذبح فأنزل الله تعالى هذه الآية إلى قوله :

{ وَاعْلَمُواْ أَنَّمَآ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُم فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ } يحتمل وجهين :

أحدهما : أن ما عند الله تعالى من الأجر خير من الأموال والأولاد .

والثاني : أن ما عند الله تعالى من أجر الحسنة التي يجازي عليها بعشر أمثالها أكثر من عقوبة السيئة التي لا يجازي عليها إلا بمثلها .

(61/2)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (29)

قوله عز وجل { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِنَّ تَتَّقُواْ اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : معنى فرقاناً أي هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل ، قاله ابن زيد وابن إسحاق .

والثاني : يعني مخرجاً في الدنيا والآخرة ، قاله مجاهد .

والثالث : يعني نجاة ، قاله السدي .

والرابع : فتحاً ونصراً ، قاله الفراء .

ويحتمل خامساً : يفرق بينكم وبين الكافر في الآخرة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

(62/2)

وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (30)

قوله عز وجل { وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ } وذلك أن قريشاً تآمروا في دار الندوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمرو بن هشام : قيدوه واحبسوه في بيت نتربص به ريب المنون . وقال أبو البختري : أخرجوه عنكم على بعير مطرود تستريحوا منه ومن أذاه لكم . قال أبو جهل : ما هذا برأي ولكن اقتلوه وليجتمع عليه من كل قبيلة رجل فيضربوه بأسيافهم ضربة رجل واحد فترضى حينئذ بنو هاشم بالدية . فأوحى الله عز وجل بذلك إلى نبيه صلى الله عليه وسلم فخرج إلى الغار مع أبي بكر رضي الله عنه ثم هاجر منه إلى المدينة ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة .

فهذا بيان قوله تعالى : { وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ } وفيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : ليثبتوك في الوثاق ، قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة .

والثاني : ليثبتوك في الحبس ، قاله عطاء وعبد الله بن كثير والسدي .

والثالث : معنى يثبتوك أي يخرجوك ، كما يقال قد أثبته في الحرب إذا أخرجته ، قاله بعض المتأخرين .

{ أَوْ يُخْرِجُوكَ } فيه وجهان :

أحدهما : أو يخرجوك من مكة إلى طرف من أطراف الأرض كالنفي .

والثاني : أو يخرجوك على بعير مطرود حتى تهلك ، أو يأخذك بعض العرب فتقتلك فتريحهم منك ، قاله الفراء .

(63/2)

وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (31) وَإِذْ
قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (32)
وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (33)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله عز وجل { وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا } يحتمل وجهين :

أحدهما : قد سمعنا هذا منكم ولا نطيعكم .

والثاني : قد سمعنا قبل هذا مثله فماذا أغناكم .

{ لَوْ نَشَآءَ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا } يحتمل وجهين :

أحدهما : مثل هذا في النظم والبيان معارضة له في الإعجاز .

والثاني : مثل هذا في الاحتجاج معارضة له في الاستدعاء إلى الكفر .

{ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ } يعني أحاديث الأولين ويحتمل وجهين :

أحدهما : أنه قصص من مضى وأخبار من تقدم .

والثاني : أنه مأخوذ عمن تقدم وليس بوحي من الله تعالى .

وقيل إن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة ، وقد قتله النبي صلى الله عليه وسلم صبراً في جملة ثلاثة من قريش : عقبه بن أبي معيط ، والمطعم بن عدي ، والنضر بن الحارث وكان أسير المقداد ، فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل النضر قال المقداد : أسيري يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ أَعِنِ المِقْدَادَ » ، فقال : هذا أردت . وفيه أنزل الله تعالى الآية التي بعدها .

{ وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَآءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } وفي هذا القول وجهان :

أحدهما : أنهم قالوا ذلك عناداً للحق وبغضاً للرسول صلى الله عليه وسلم .

والثاني : أنهم قالوا ذلك اعتقاداً أنه ليس بحق . وفيهم نزل قوله تعالى { سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ } [المعارج : 1] وفيهم نزل قوله تعالى : { رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا } [ص : 16] . قال عطاء : لقد نزلت في النضر بضع عشرة آية من كتاب الله تعالى .

قوله عز وجل : { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمِ } يحتمل وجهين :

أحدهما : أنه قال ذلك إكراماً لنبيه وتعظيماً لقدره أن يعذب قوماً هو بينهم . تعظيماً لحرمته .

والثاني : إرساله فيهم رحمة لهم ونعمة عليهم فلم يجز أن يعذبهم وهو فيهم حتى يستحقوا سلب النعمة بإخراجه عنهم .

{ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ } فيه خمسة أقاويل :

أحدها : وما كان الله ليعذب مشركي أهل مكة وقد بقي فيهم من المسلمين قوم يستغفرون وهذا قول الضحاك وأبي مالك وعطية .

والثاني : لا يعذبهم في الدنيا وهم يستغفرون فيها فيقولون : غفرانك .

قال ابن عباس : كان المشركون بمكة يطوفون بالبيت ويقولون : لبيك لبيك لا شريك لك ، فيقول النبي صلى الله عليه وسلم : « قَدْ قَدْ » فيقولون : إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك ، ويقولون غفرانك ، فأنزل الله تعالى : { وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ } قاله أبو موسى ويزيد بن رومان

This file was downloaded from QuranicThought.com

ومحمد بن قيس .

والثالث : أن الاستغفار في هذا الموضع الإسلام ، ومعنى الكلام : وما كان الله معذبهم وهم يسلمون ، قاله عكرمة ومجاهد .

والرابع : وما كان الله معذب من قد سبق له من الله الدخول في الإسلام ، قاله ابن عباس .

والخامس : معناه أنهم لو استغفروا لم يعذبوا استدعاء لهم إلى الاستغفار ، قاله قتادة والسدي وابن زيد .

والسادس : وما كان الله معذبهم أي مهلكهم وقد علم أن لهم أولاد وذرية يؤمنون ويستغفرون .

(64/2)

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (34) وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (35)

قوله عز وجل { وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِنْدَ البَيتِ إِلاَّ مُكَآءً وَتَصْدِيَةً } في المكاء قولان :

أحدهما : أنه إدخال أصابعهم في أفواههم ، قاله مجاهد .

والثاني : هو أن يشبك بين أصابعه ويصفر في كفه بفيه فيكون المكاء هو الصفير ، ومنه قول عنترة :

وحليل غنيةٍ تركت مُجدّلا ... تمكو فريصته بشدق الأعلم

أي تصفر بالريح لما طعنته .

وأما التصدية ففيها خمسة أقاويل :

أحدهما : أنه التصفيق ، قاله ابن عباس وابن عمر والحسن ومجاهد وقتادة والسدي ومنه قول عمرو بن الإطنابة :

وظلواْ جميعاً لهم ضجة ... مكاء لدى البيت بالتصدية

والثاني : أنه الصد عن البيت الحرام ، قاله سعيد بن جبير وابن زيد .

والثالث : أن يتصدى بعضهم لبعض ليفعل مثل فعله ، ويصفر له إن غفل عنه ، قاله بعض المتأخرين .

الرابع : أنها تفعلة من صد يصد ، وهو الضجيج ، قاله أبو عبيدة . ومنه قوله تعالى : { إِذَا قَومُكَ مِنهُ يَصِدُّونَ } [الزخرف : 57] أي يضجون .

الخامس : أنه الصدى الذي يجيب الصائح فيرد عليه مثل قوله ، قاله ابن بحر .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
فإن قيل : فلم سمَّى الله تعالى ما كانوا يفعلونه عند البيت من المكاء والتصدية صلاة وليس منها؟
قيل عن ذلك جوابان :
أحدهما : أنهم كانوا يقيمون التصفيق والصفير مقام الدعاء والتسبيح فجعلوا ذلك صلاة وإن لم يكن في حكم الشرع صلاة .
والثاني : أنهم كانوا يعملون كعمل الصلاة .
{ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُم تَكْفُرُونَ } فيه قولان :
أحدهما : عذاب السيف يوم بدر ، قاله الحسن الضحاك وابن جريج وابن إسحاق .
والثاني : أنه يقال لهم في الآخرة { فَذُوقُواْ الْعَذَابَ } وفيه وجهان :
أحدهما : فالقوا .
الثاني : فجربوا .
وحكى مقاتل في نزول هذه الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى في المسجد الحرام قام من كفار بني عبد الدار بن قصي رجلان عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم يصفران كما يصفر المكاء والمكاء طائر ، ورجلان منهم عن يساره يصفقان بأيديهما ليخلطوا عليه صلاته وقراءته ، فنزلت هذه الآية فيهم .

(65/2)

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (36) لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (37)

قوله عز وجل { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ } فيه قولان :
أحدهما : أنها نفقة قريش في قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، قاله الضحاك . والثاني : أنه أبو سفيان استأجر معه يوم أُحد ألفين من الأحابيش ومنه كنانة ليقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سوى من انحاز إليه من العرب ، قاله سعيد ومجاهد والحكم بن عيينة ، وفي ذلك يقول كعب بن مالك :
وجئنا إلى موج من البحر وسطه ... أحابيش منهم حاسرٌ ومقنع
ثلاثة آلافٍ ونحن نَصِيَّة ... ثلاثُ مئينِ إن كثرنا فأربع
{ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيهِم حَسْرَةً } يحتمل وجهين :
أحدهما : يكون إنفاقها عليهم حسرة وأسفاً عليها .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
والثاني : تكون خيبتهم فيما أملوه من الظفر عليهم حسرة تحذرهم بعدها .
{ ثُمَّ يُغْلَبُونَ } وعد بالنصر فحقق وعده .
قوله عز وجل { لِيَمِيزَ اللَّهُ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ } فيه وجهان :
أحدهما : الحلال من الحرام .
الثاني : الخبيث ما لم تخرج منه حقوق الله تعالى ، والطيب : ما أخرجت منه حقوق الله تعالى .
يحتمل ثالثاً : أن الخبيث : ما أنفق في المعاصي ، والطيب : ما أنفق في الطاعات .
{ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ } أي يجمعه في الآخرة وإن تفرق في الدنيا { فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً } أي يجعل بعضه فوق بعض ، ومنه قوله تعالى : { ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً } [النور : 43] .
وفي قوله تعالى { فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ } وإن كانت الأموال لا تعذّب وجهان :
أحدهما : أن يجعلها عذاباً في النار يعذبون بها ، كما قال تعالى : { يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ } [التوبة : 35] الآية .
الثاني : أنه يجعل أموالهم معهم في جهنم لأنهم استطالوا بها وتقووا على معاصي الله فجعلها معهم في الذل والعذاب كما كانت لهم في الدنيا عزاً ونعيماً .

(66/2)

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ (38) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (39) وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (40)

قوله عز وجل { قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يَغْفِرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ } يحتمل وجيهن :
أحدهما : إن ينتهوا عن المحاربة إلى الموادعة يغفر لهم ما قد سلف من المؤاخذة والمعاقبة .
والثاني : إن ينتهوا عن الكفر بالإسلام يغفر لهم ما قد سلف من الآثام .
{ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ } تأويله على احتمال الوجهين الأولين :
فعلى الوجه الأول : تأويله : وإن يعودواْ إلى المحاربة فقد مضت سنة الأولين فيمن قتل يوم بدر وأسر ، قاله الحسن ومجاهد والسدي .
وعلى الوجه الثاني : فقد مضت سنة الأولين من الأمم السالفة فيما أخذهم الله به في الدنيا من عذاب الاستئصال .
قال ابن عباس : نزلت هذه الآية في أهل مكة بعد أن دخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح وقال لهم : « ما ظَنُّكُم بِي وَمَا الَّذِي تَرَونَ أَنِّي صَانِعُ بِكُم؟ » قالوا : ابن عم كريم فإن تعف

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فذاك الظن بك وإن تنتقم فقد أسأنا ، فقال صلى الله عليه وسلم : « أَقُولُ لَكُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لإِخْوَتِهِ : { لاَ تَثْرِيبَ عَلَيكُمُ اليَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } » [يوسف : 92] فأنزل الله تعالى هذه الآية .

(67/2)

وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (41)

قوله عز وجل : { وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ } ذكر الله تعالى الفيء في سورة الحشر والغنيمة في هذه السورة .

واختلفوا في الفيء والغنيمة على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن الغنيمة ما ظهر عليه من أموال المشركين والفيء ما ظهر عليه من الأرض ، قاله عطاء بن السائب .

والثاني : أن الغنيمة ما أخذ عنوة ، والفيء ما أخذ عن صلح ، قاله الشافعي وسفيان الثوري .

والثالث : أن الفيء والغنيمة سواء وهو كل مال أخذ من المشركين ، وآية الفيء التي هي في سور الحشر منسوخة بآية الغنيمة التي في سورة الأنفال ، قاله قتادة .

وقوله تعالى { مِّن شَيْءٍ } يريد جميع ما وقع عليه اسم شيء مباح حواه المسلمون من أموال المشركين .

{ فإن لِلَه خُمُسَهُ }

أحدهما : أنه استفتاح كلام ، فلله الدنيا والآخرة وما فيهما ، ومعنى الكلام فأن للرسول خمسه ، قاله الحسن وعطاء وقتادة وإبراهيم والشافعي ، وروى نهشل عن الضحاك عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث سرّية فغنموا خمّس الغنيمة فصرف ذلك الخمس في خمسة ثم قرأ { وَاعلَمُواْ أَنَّمَا مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ } وإنما قوله { فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسهُ } مفتاح كلام ، ولله ما في السموات وما في الأرض فجعل سهم الله وسهم الرسول واحد .

والثاني : أن سهم الله مستحق لبيته ، ومعناه فإن لبيت الله خمسه وللرسول وقد روى الربيع بن أنس عن أبي العالية الرياحي قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالغنيمة فيقسمها على خمسة تكون أربعة أخماس لمن شهدها ، ثم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه الذي قبض كفه فيجعله للكعبة وهو سهم الله ثم يقسم ما بقي على خمسة أسهم فيكون سهم للرسول ، وسهم لذي

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

القربى ، وسهم لليتامى ، وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل .

وقوله تعالى { وَلِلرَّسُولِ } فيه قولان :

أحدهما : أنه مفتاح كلام اقترن بذكر الله وليس للرسول من ذلك شيء كما لم يكن لله من ذلك شيء ، وأن الخمس مقسوم على أربعة أسهم ، وهذا قول ابن عباس من رواية علي بن أبي طلحة .

والثاني : أن ذلك للرسول وهو قول الجمهور .

واختلفوا في سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على خمسة أقاويل :

أحدها : أنه للخليفة بعده ، قاله قتادة .

والثاني : أنه لقرابة النبي صلى الله عليه وسلم إرثاً ، وهذا قول من جعل النبي موروثاً .

والثالث : أن سهم الرسول صلى الله عليه وسلم مردود على السهام الباقية ويقسم الخمس على أربعة .

والرابع : أنه مصروف في مصالح المسلمين العامة ، قاله الشافعي . والخامس : أن ذلك مصروف في الكراع والسلاح ، وروي أن ذلك فعل أبي بكر وعمر ، رواه النخعي .

(68/2)

أما قوله تعالى { وَلِذِي الْقُرْبَى } فاختلف فيه على ثلاثة أقاويل : أحدها : أنهم بنو هاشم ، قاله مجاهد .

والثاني : أنهم قريش كلها ، روى سعيد المقري قال : كتب نجدة إلى عبد الله بن عباس يسأله عن ذي القربى ، قال : فكتب إليه عبد الله بن عباس : كنا نقول إننا هم فأبى ذلك علينا قومنا وقالوا : قريش كلها ذوو قربى .

الثالث : أنهم بنو هاشم وبنو المطلب ، قاله الشافعي والطبري .

واختلفوا في سهمهم اليوم على أربعة أقاويل :

أحدها : أنه لهم أبداً كما كان لهم من قبل ، قاله الشافعي .

والثاني : أنه لقرابة الخليفة القائم بأمور الأمة .

والثالث : أنه إلى الإمام يضعه حيث شاء .

والرابع : أن سهمهم وسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مردود على باقي السهام وهي ثلاثة ، قاله أبو حنيفة .

وأما { وَالْيَتَامَى } فهم من اجتمعت فيهم أربعة شروط :

أحدها : موت الأب وإن كانت الأم باقية ، لأن يتم الآدميين بموت الآباء دون الأمهات ويتم البهائم بموت الأمهات دون الآباء . والثاني : الصغر ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاَ يُتْمَ

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بَعْدَ حُلُمٍ

» . والثالث : الإِسلام لأنه مال المسلمين .

والرابع : الحاجة لأنه معد للمصالح .

ثم فيهم قولان :

أحدهما : أنه لأيتام أهل الفيء خاصة .

والثاني : أنه لجميع الأيتام .

وأما { الْمَسَاكِينِ } فهم الذين لا يجدون ما يكفيهم .

وأما أبناء السبيل فهم المسافرون من ذوي الحاجات ، والإِسلام فيهم معتبر . وهل يختص بأله الفيء؟ على القولين . وقال مالك : الخمس موقوف على رأي الإمام فيمن يراه أحق به ، وإنما ذكرت هذه الأصناف لصدق حاجتها في وقتها .

قوله عز وجل { وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَومَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ } وهو يوم بدر فرق الله تعالى فيه بين الحق والباطل .

(69/2)

إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (42)

قوله عز وجل : { إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا } يعني شفير الوادي ببدر ، الأدنى إلى المدينة .

{ وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى } يعني شفير الوادي الأقصى إلى مكة .

وقال الأخفش : عدوه الوادي هو ملطاط شفيره الذي هو أعلى من أسفله ، وأسفل من أعلاه .

{ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ } يعني عير أبي سفيان أسفل الوادي ، قال الكلبي : على شاطىء البحر بثلاثة أميال .

{ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لاَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : ولو تواعدتم أن تتفقوا مجتمعين لاختلفتم في الميعاد ، بالتقديم والتأخير والزيادة والنقصان من غير قصد لذلك .

والثاني : ولو تواعدتم ثم بلغكم كثرة عدوكم مع قلة عددكم لتأخرتم فنقضتم الميعاد ، قاله ابن إِسحاق .

والثالث : ولو تواعدتم ثم بلغكم كثرة عدوكم من غير معونة الله لكم لأخلفتم بالقواطع والعوائق في

This file was downloaded from QuranicThought.com

الميعاد .

قوله عز وجل { . . . لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ } فيه وجهان :

أحدهما : ليقتل ببدر من قتل من مشركي قريش عن حجة ، وليبقى من بقي عن قدرة .

والثاني : ليكفر من قريش من كفر بعد الحجة ببيان ما وعدوا ، ويؤمن من آمن بعد العلم بصحة إيمانهم .

(70/2)

إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (43) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (44)

قوله عز وجل : { إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً } فيه وجهان :

أحدهما : أن الله أرى نبيه صلى الله عليه وسلم قلة المشركين عياناً ، وقوله { فِي مَنَامِكَ } يريد في عينيك التي هي محل النوم ، قاله الحسن .

والثاني : أنه ألقى عليه النوم وأراه قلتهم في نومه ، وهو الظاهر ، وعليه الجمهور .

وإنما أراه ذلك على خلاف ما هو به لطفاً أنعم به عليه وعلى أمته ، ليكون أثبت لقلوبهم وأقدم لهم على لقاء عدوهم ، ولولا ذلك لما جازت هذه الحالة من الله تعالى في نبيه صلى الله عليه وسلم .

{ وَلَوْ أَرَاكَهُمُ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ } فيه وجهان :

أحدهما : لاختلفتم في لقائهم أو الكف عنهم .

والثاني : لجبنتم عنهم وانهزمتم منهم .

{ . . . وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ } يحتمل وجهين :

أحدهما : سلّم من الفشل .

والثاني : لجبنتم عنهم وانهزمتم منهم ولكن الله سلم من العدو .

وفيه ثالث : ولكن الله سلم أمره فيهم حتى نفذ ما حكم فيهم به من هلاكهم .

(71/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (45) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (46)

قوله عز وجل { . . . وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ } والفشل هو التقاعد عن القتال جبناً .

{ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : يريد بالريح القوة ، وضرب الريح لها مثلاً .

والثاني : يريد بالريح الدولة . ومعناه فتذهب دولتكم ، قاله أبو عبيدة .

والثالث : يريد ريح النصر التي يرسلها الله عز وجل لنصر أوليائه وهلاك أعدائه قاله قتادة وابن زيد .

ويحتمل رابعاً ، أن الريح الهيبة ، وريح القوم هيبتهم التي تتقدمهم كتقدم الريح . ويكون معنى الكلام . فتذهب ريحكم وهيبتكم .

(72/2)

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (47) وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (48) إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (49)

{ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَراً وَرِئَآءَ النَّاسِ } هم قريش حين خرجوا في حماية العير فنجا بها أبو سفيان ، فقال لهم أبو جهل : لا نرجع حتى نرِد بدراً وننحر جزوراً ونشرب خمراً وتعزف علينا القيان ، فكان من أمر الله فيهم ما كان .

قوله عز وجل { وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطَانُ أَعْمَالَهُمْ } قال المفسرون : ظهر لهم في صورة سراقة بن جعشم من بني كنانة فزين للمشركين أعمالهم .

يحتمل وجهين :

أحدهما : زين لهم شركهم .

والثاني : زين لهم قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفيه وجه ثالث : أنه زين لهم قوتهم حتى اعتمدوها .

{ وَقَالَ : لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ } يعني أنكم الغالبون دون المؤمنين .

{ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ } يحتمل وجهين :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدهما : يعني أني معكم . وفي جواركم ينالني ما نالكم .

الثاني : مجير لكم وناصر . فيكون على الوجه الأول من الجوار ، وعلى الوجه الثاني من الإجارة .

{ فَلَمَّا تَرَآءَتِ الْفِئَتَانِ } يحتمل وجهين :

أحدهما : فئة المسلمين وفئة المشركين .

والثاني : المسلمون ومن أمدوا به من الملائكة . فكانوا فئتين .

{ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ } والنكوص أن يهرب ذليلاً خازياً ، قال الشاعر :

وما ينفعل المستأخرين نكوصهم ... ولا ضرّ أهل السابقات التقدم .

{ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ } يعني من الملائكة الذين أمد الله بهم رسوله والمؤمنين .

{ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ } وإنما ذكر خوفه من الله تعالى في هذا الموضع ولم يذكره في امتناعه من السجود لآدم لأنه قد كان سأل الإنظار إلى قيام الساعة فلما رأى نزول الملائكة ببدر تصور قيام الساعة فخاف فقال { إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ } .

قوله عز وجل { إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ } فيهم ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم قوم في قلوبهم شك كانوا تكلموا بالإسلام وهم بمكة ، قاله ابن عباس ومجاهد .

والثاني : أنهم المشركون ، قاله الحسن .

والثالث : أنهم قوم مرتابون لم يظهروا العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم بخلاف المنافقين .

والمرض في القلب كله هو الشك ، وهو مشهور في كلام العرب ، قال الشاعر :

ولا مرضاً أتقيه إني لصائن ... لعرضي ولي في الأليّة مفخر

وقوله تعالى { غَرَّ هَؤُلآءِ } يعني المسلمين .

{ دِينُهُمْ } يعني الإسلام ، لأن الله تعالى قلل المشركين في أعين المسلمين ليتقدموا عليهم ، وقلَّل المسلمين في أعين المشركين ليستهينوا بهم حتى أظفر بهم المسلمين فقتلوا من قتلوا وأسروا من أسروا .

(73/2)

وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (50) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (51)

قوله عز وجل { وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ } فيه قولان :

أحدهما : يتوفاهم ملك الموت عند قبض أرواحهم ، قاله مقاتل .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
والثاني : قتل الملائكة لهم حين قاتلوهم يوم بدر .
{ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدبَارَهُمْ } تأويله على القول الأول : يضربون وجوههم يوم القيامة إذا واجهوهم ، وأدبارهم إذا ساقوهم إلى النار .
وتأويله على القول الثاني يحتمل وجهين :
أحدهما : يضربون وجوههم ببدر لما قاتلوا ، وأدبارهم لما انهزموا .
والثاني : أنهم جاءوهم من أمامهم وورائهم ، فمن كان من أمامهم ضرب وجوههم ، ومن كان من ورائهم ضرب أدبارهم .

(74/2)

كَدَأْبِ آَلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآَيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (52) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (53) كَدَأْبِ آَلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآَيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آَلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ (54)

قوله عز وجل { ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ } يحتمل خمسة أوجه :
أحدها : لم يك مغيراً نعمة أنعمها عليهم بالنصر لهم على أعدائهم حتى يغيروا ما بأنفسهم من الثقة به والتوكل عليه .
والثاني : لم يك مغيراً نعمته عليهم في كف أعدائهم عنهم حتى يغيروا ما بأنفسهم من طاعته والكف عن معصيته .
والثالث : لم يك مغيراً نعمته عليهم في الغنى والسعة حتى يغيروا ما بأنفسهم . من تأدية حق الله تعالى منه .
والرابع : لم يك مغيراً نعمته في الثواب والجزاء حتى يغيروا ما بأنفسهم من الإيمان .
والخامس : لم يك مغيراً نعمته عليهم في الإرشاد حتى يغيروا ما بأنفسهم من الانقياد .

(75/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (55) الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (56) فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (57)

قوله عز وجل : { فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ } فيه وجهان :

أحدهما : تصادفهم .

والثاني : تظفر بهم .

{ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنذر بهم من خلفهم ، قال الشاعر من هذيل :

أطوّف في الأباطح كلَّ يوم ... مخافة أن يشرّد بي حكيم .

(76/2)

وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (58)

قوله عز وجل { وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً } يعني في نقض العهد .

{ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَآءٍ } أي فألق إليهم عهدهم حتى لا ينسبوك إلى الغدر . بهم . والنبذ هو الإلقاء . قال الشاعر :

فهن ينبذن من قول يصبن به ... مواقع الماء من ذي الغلة الصادي

وفي قوله تعالى { عَلَى سَوَآءٍ } خمسة أوجه :

أحدها : على مهل ، قال الوليد بن مسلم .

والثاني : على محاجزة مما يفعل بهم ، قاله ابن بحر .

والثالث : على سواء في العلم حتى لا يسبقوك إلى فعل ما يريدونه بك .

والرابع : على عدل من غير حيف ، واستشهد بقول الراجز :

فاضرب وجوه الغد والأعداء ... حتى يجيبوك إلى السواء

أي إلى العدل .

والخامس : على الوسط واستشهد قائله بقول حسان :

يا ويح أنصار النبي ورهطه ... بعد المغيب في سواء الملحد

وذكر مجاهد أنها نزلت في بني قريظة .

(77/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ (59) وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (60)

قوله عز وجل { وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ } فيه خمسة أقاويل :

أحدها : أن القوة ذكور الخيل ، ورباط الخيل إناثها ، وهذا قول عكرمة .

والثاني : القوة السلاح ، قاله الكلبي .

والثالث : القوة التصافي واتفاق الكلمة .

والرابع : القوة الثقة بالله تعالى والرغبة إليه .

والخامس : القوة الرمي . روى يزيد بن أبي حبيب عن أبي عليّ الهمزاني عن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر : « { وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قوة } أَلاَ إِنَّ القُوَةَ الرميُ » قالها ثلاثاً .

{ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ } على قول عكرمة إناثها خاصة ، وعلى قول الجمهور على العموم الذكور والإناث .

وقد روى عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ارتبطوا الخيل فَإِنَّ ظُهُورَهَا لَكُم عِزٌّ ، وَأَجْوَافَهَا لَكُم كَنزٌ » . { تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ } فيه وجهان :

أحدهما : عدو الله بالكفر وعدوكم بالمباينة .

والثاني : عدو الله هو عدوكم لأن عدو الله عدو لأوليائه . والإرهاب : التخويف .

{ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ } فيه خمسة أقاويل :

أحدها : هم بنو قريظة ، قاله مجاهد .

والثاني : أهل فارس والروم قاله السدي .

والثالث : المنافقون؛ قاله الحسن وابن زيد .

والرابع : الشياطين ، قاله معاذ بن جبل .

والخامس : كل من لا تعرفون عداوته ، قاله بعض المتأخرين .

(78/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (61) وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (62) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (63)

قوله عز وجل { وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : وإن مالوا إلى الموادعة فَمِلْ إليها .

والثاني : وإن توقفوا عن الحرب مسالمة لك فتوقف عنهم مسالمة لهم .

والثالث : وإن أظهروا الإسلام فاقبل منهم ظاهر إسلامهم وإن تخلف باطن اعتقادهم .

وفيه ثلاثة أقاويل : أحدها : أنها عامة في موادعة كل من سألها من المشركين ثم نسخت بقوله تعالى { فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُم } [التوبة : 5] قاله الحسن وقتادة وابن زيد .

والثاني : أنها في أهل الكتاب خاصة إذا بذلوا الجزية .

والثالث : أنها في قوم معينين سألوا الموادعة فأمر بإجابتهم .

(79/2)

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (64) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (65) الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (66)

قوله عز وجل { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } فيه وجهان :

أحدهما : حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين الله ، قاله الكلبي ومقاتل .

والثاني : حسبك الله أن تتوكل عليه والمؤمنون أن تقاتل بهم .

قال الكلبي : نزلت هذه الآية بالبيداء من غزوة بدر قبل القتال .

قوله عز وجل { يَآ أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرَّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً } يعين يقاتلوا ألفاً قال مجاهد : وهذا يوم بدر جعل على كل رجل من المسلمين قتال عشرة من المشركين فشق ذلك عليهم فنسخ بقوله تعالى : { الأَنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُم } .

وقال ابن بحر : معناه أن الله تعالى ينصر كل رجل من المسلمين على عشرة من المشركين ، وقد مضى تفسير هاتين الآيتين من قبل .

This file was downloaded from QuranicThought.com

مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (67) لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (68) فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (69)

قوله عز وجل { مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ } وهذا نزل في أسرى بدر حين استقر رأي النبي صلى الله عليه وسلم فيهم بعد مشاورة أصحابه على الفداء بالمال ، كل أسير بأربعة آلاف درهم ، فأنكر الله تعالى ذلك عليه وأنه ما كان له أن يفادي الأسرى .

{ حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ } فيه وجهان :

أحدهما هو الغلبة والاستيلاء ، قاله السدي .

والثاني : هو كثرة القتل ليُعزَّ به المسلمون ويذل به المشركين . قاله مجاهد .

{ يُرِيدُونَ عَرَضَ الْدُّنْيَا } يعني المال ، سماه عرضاً لقلة بقائه .

{ وَاللَّهُ يُرِيدُ الأَخِرَةَ } يعني العمل بما يوجب ثواب الآخرة .

{ لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } يعني ما أخذتموه من المال في فداء أسرى بدر .

وفي قوله { لَوْلا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ } أربعة أقاويل :

أحدها : لولا كتاب من الله سبق لأهل بدر أن يعذبهم لمسهم فيما أخذوه من فداء أسرى بدر عذاب عظيم ، قاله مجاهد وسعيد بن جبير .

والثاني : لولا كتاب من الله سبق في أنه سيحل لكم الغنائم لمسكم في تعجلها من أهل بدر عذاب عظيم ، قاله ابن عباس وأبو هريرة والحسن وعبيدة .

والثالث : لولا كتاب من الله سبق أن لا يؤاخذ أحداً بعمل أتاه على جهالة لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ، قاله ابن اسحاق .

والرابع : لولا كتاب من الله سبق وهو القرآن الذي آمنتم به المقتضي غفران الصغائر لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم شاور أبا بكر وعمر في أسرى بدر فقال أبو بكر : هم قومك وعشيرتك فاستبقهم لعل الله أن يهديهم ، وقال عمر : هم أعداء الله وأعداء رسوله كذبوك وأخرجوك فاضرب أعناقهم ، فمال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد انصرافه عنهم إلى قول أبي بكر وأخذ فدء الأسرى ليتقوى به المسلمون ، وقال : « أَنتُم عَالَةٌ بعيني المُهَاجِرينَ » فلما نزلت هذه الآية قال

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

النبي صلى الله عليه وسلم : « لَو عُذِّبْنَا فِي هَذَا الأَمْرِ يَا عُمَرُ لَمَا نَجَا غَيْرُكَ » ثم إن الله تعالى بيَّن تحليل الغنائم والفداء بقوله { فَكُلُوْا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّباً } .

(81/2)

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (70) وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (71)

قوله عز وجل { يَآ أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِّمَّآ أُخِذَ مِنْكُمْ } يحتمل وجهين :

أحدهما : أحل مما أخذ منكم .

الثاني : أكثر مما أخذ منكم .

قيل إن هذه الآية نزلت لما أسر العباس بن عبد المطلب مع أسرى بدر وأخذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فداء نفسه وابني أخويه عقيل ونوفل فقال : يا رسول الله كنت مسلماً وأخرجت مكرهاً ولقد تركتني فقيراً أتكفف الناس . قال : « فَأَيْنَ الأَمْوَالُ الَّتِي دَفَعْتَهَا إِلَى أُمِّ الْفَضْلِ عِنْدَ خُرُوجِكَ » فقال : إن الله لزيدنا ثقة بنبوتك . قال العباس . فصدق الله وعده فيما آتاني وإن لي لعشرين مملوكاً كل مملوك يضرب بعشرين ألفاً في التجارة فقد أعطاني الله عز وجل خيراً مما أخذ مني يوم بدر .

(82/2)

إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (72)

قوله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ } يعني بالله .

{ وَهَاجَرُواْ } يعني هاجروا وتركوا ديارهم في طاعة الله .

{ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِم وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ } والمجاهدة بالمال : النفقة ، والمجاهدة بالنفس القتال ، وهؤلاء هم المهاجرون مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة .

ثم قال { وَالَّذِينَ ءَاوَواْ وَنَصَرُواْ } يعني الأنصار الذين آووا المهاجرين في منازلهم ونصروا النبي

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

صلى الله عليه وسلم ونصروهم .

{ أَوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ } فيه تأويلان :

أحدهما : أولئك بعضهم أعوان بعض ، قاله الجمهور . والثاني : أولئك بعضهم أولى بميراث بعض . قال ابن عباس : جعل الله تعالى الميراث للمهاجرين والأنصار دون ذوي الأرحام .

ثم قال تعالى { وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَجِرُواْ مَا لَكُمْ مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىَ يُهَاجِرُواْ } يعني ما لكم من ميراثهم من شيء حتى يهاجروا فكانوا يعلمون ذلك حتى أنزل الله تعالى { وَأُولُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ } يعني في الميراث فنسخت التي قبلها وصار التوارث لذوي الأرحام ، قاله مجاهد وعكرمة والحسن والسدي .

(83/2)

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (73) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (74) وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (75)

قوله عز وجل { وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ } فيه وجهان :

أحدهما : بعضهم أنصار بعض ، قاله قتادة وابن إسحاق .

والثاني : بعضهم وارث بعض ، قاله ابن عباس وأبو مالك .

{ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ . . . } فيه تأويلان :

أحدهما : إلاَّ تناصروا أيها المؤمنون { تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ } يعني بغلبة الكفار .

{ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ } بضعف الإيمان ، قاله ابن اسحاق وابن جرير .

والثاني : إلاّ تتوارثوا بالإسلام والهجرة { تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ } باختلاف الكلمة . { وَفَسَادٌ كَبِيرٌ } بتقوية الخارج على الجماعة ، قاله ابن عباس وابن زيد والله أعلم . { وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (74) والَّذِينَ ءَامَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَبِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (75) }

(84/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (1) فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (2)

قوله عز وجل { بَرَآءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ } في ترك افتتاح هذه السورة ب { بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم } قولان :

أحدهما : أنها والأنفال كالسورة الواحدة في المقصود لأن الأولى في ذكر العهود ، والثانية في رفع العهود ، وهذا قول أُبي بن كعب قال ابن عباس : وكانتا تدعيان القرينتين ، ولذلك وضعتا في السبع الطول .

وحكاه عن عثمان بن عفان .

الثاني : أن { بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم } أمان ، وبراءة نزلت برفع الأمان ، وهذا قول ابن عباس ، ونزلت سنة تسع فأنفذها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليقرأها في الموسم بعد توجه أبي بكر رضي الله عنه إلى الحج ، وكان أبو بكر صاحب الموسم ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يُبِلِّغُ عَنِّي إلاَّ رَجُلٌ مِنِّي » حكى ذلك الحسن وقتادة ومجاهد . وحكى الكلبي أن الذي أنفذه رسول الله صلى لله عليه وسلم من سورة التوبة عشر آيات من أولها . حكى مقاتل أنها تسع آيات تقرأ في الموسم ، فقرأها علي رضي الله عنه في يوم النحر على جمرة العقبة .

وفي قوله تعالى { بَرَآءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ } وجهان :

أحدهما : أنها انقطاع العصمة منهما .

والثاني : أنها انقضاء عهدهما .

ثم قال تعالى { فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ } وهذا أمان . وفي قوله { فَسِيُحواْ فِي الأَرْضِ } وجهان :

أحدهما : انصرفوا فيها إلى معايشكم .

والثاني : سافروا فيها حيث أردتم .

وفي السياحة وجهان :

أحدهما : أنها السير على مهل .

والثاني : أنها البعد على وجل .

واختلفوا فيمن جعل له أمان هذه الأربعة الأشهر على أربعة أقاويل :

أحدها : أن الله تعالى جعلها أجلاً لمن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمنه أقل من أربعة أشهر ولمن كان أجل أمانه غير محدود ثم هو بعد الأربعة حرب ، فأما من لا أمان له فهو حرب ، قاله ابن إسحاق .

والثاني : أن الأربعة الأشهر أمان أصحاب العهد من كان عهده أكثر منها حط إليها ، ومن كان

This file was downloaded from QuranicThought.com

عهده أقل منها إليها ، ومن لم يكن له من رسول الله عهد جعل له أمان خمسين ليلة من يوم النحر إلى سلخ المحرم لقوله تعالى { فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ } قاله ابن عباس والضحاك وقتادة .

والثالث : أن الأربعة الأشهر عهد المشركين كافة ، المعاهد منهم وغير المعاهد ، قاله الزهري ومحمد بن كعب ومجاهد .

والرابع : أن الأربعة ألاشهر عهد وأمان لمن لم يكن له من رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ولا أمان ، أما أصحاب العهود فهم على عهودهم إلى انقضاء مددهم ، قاله الكلبي . واختلفوا في أول مَدَى الأربعة الأشهر على ثلاثة أقاويل :

(85/2)

أحدها : أن أولها يوم يوم الحج الأكبر وهو يوم النحر ، وآخرها انقضاء العاشر من شهر ربيع الآخر ، قاله محمد بن كعب ومجاهد والسدي .

والثاني : أنها شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، قاله الزهري .

والثالث : أن أولها يوم العشرين من ذي القعدة ، وآخرها يوم العشرين من شهر ربيع الأول ، لأن الحج في تلك السنة كان في ذلك اليوم ثم صار في السنة الثانية في العشر من ذي الحجة وفيها حجة الوداع ، لأجل ما كانوا عليه في الجاهلية من النسيء ، فأقره النبي صلى الله عليه وسلم فيه حتى نزل تحريم النسيء وقال : « إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ » { وَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ } أي لا تعجزونه هرباً ولا تفوتونه طلباً .

{ وَأَنَّ اللهَ مُخْزِي الكَافِرِينَ } يحتمل وجهين :

أحدهما : بالسيف لمن حارب والجزية لمن استأمن .

والثاني : في الآخرة بالنار .

(86/2)

وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (3)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله عز وجل { وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ } في الأذان ها هنا ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه القصص ، وهذا قول تفرد به سليمان بن موسى النشابي .

والثاني : أنه النداء بالأمر الذي يسمع بالأذن ، حكاه علي بن عيسى .

الثالث : أنه الإعلام ، وهذا قول الكافة .

وفي { يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ } ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه يوم عرفة ، قاله عمر بن الخطاب وابن المسيب وعطاء . وروى ابن جريج عن محمد بن قيس بن مخرمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوم عرفة وقال : « هَذَا يَوْمُ الْحَجِّ الأَكْبَرِ » والثاني : أنه يوم النحر ، قاله عبد الله بن أبي أوفى والمغيرة بن شعبه وسعيد بن جبير والشعبي والنخعي .

وروي مرة عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : خطبنا رسول الله صلى عليه وسلم على ناقته الحمراء وقال « أَتَدْرُونَ أَيَّ يَوْمٍ هَذَا؟ يَوْمُ النَّحْرِ وَهَذَا يَوْمُ الحَجِّ الأَكْبَرِ » . والثالث : أنها أيام الحج كلها ، فعبر عن الأيام باليوم ، قاله مجاهد وسفيان ، قال سفيان : كما يقال يوم الجمل ويوم صفين ، أي أيامه كلها .

أحدها : أنه سمي بذلك لأنه كان في سنة اجتمع فيها حج المسلمين والمشركين ، ووافق أيضاً عيد اليهود والنصارى ، قاله الحسن .

والثاني : أن الحج الأكبر القِران ، والأصغر الإفراد ، قاله مجاهد .

والثالث : أن الحج الأكبر هو الحج ، والأصغر هو العمرة ، قاله عطاء والشعبي .

(87/2)

إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (4) فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (5)

قوله عز وجل { فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ } الآية . في الأشهر الحرم قولان :

أحدهما : أنها رجب وذو العقدة وذو الحجة والمحرم ، ثلاثة سرد وواحد فرد ، وهذا رأي الجمهور .

والثاني : أنها الأربعة الأشهر التي جعلها الله تعالى أن يسيحوا فيها آمنين وهي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع عشر من شهر ربيع الآخر ، قاله الحسن .

{ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ } فيه قولان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدهما : في حل أو حرم .

والثاني : في الأشهر الحرم وفي غيرها . والقتل وإن كان بلفظ الأمر فهو على وجه التخيير لوروده بعد حظر اعتباراً بالأصلح .

{ وَخُذُوهُم } فيه وجهان :

أحدهما : على التقديم والتأخير ، وتقديره فخذوا المشركين حيث وجدتموهم واقتلوهم .

والثاني : أنه على سياقه من غير تقديم ولا تأخير ، وتقديره : فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم .

{ وَاحْصُرُوهُم } على وجه التخيير في اعتبار الأصلح من الأمرين .

وفي قوله { وَاحْصُرُوهُم } وجهان :

أحدهما : أنه استرقاقهم .

والثاني : أنه الفداء بمال أو شراء .

{ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ } فيه وجهان :

أحدهما : أن يطلبوا في كل مكان فيكون القتل إذا وجدوا ، والطلب إذا بعدوا .

والثاني : أن يفعل بهم كل ما أرصده الله تعالى لهم فيما حكم به تعالى عليهم من قتل أو استرقاق أو مفاداة أو منٍّ ليعتبر فيها فعل الأَصلح منها .

ثم قال تعالى { فَإِن تَابُواْ } أي أسلموا ، لأن التوبة من الكفر تكون بالإسلام .

{ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ } فيه وجهان :

أحدهما : أي اعترفوا بإقامتها ، وهو مقتضى قول أبي حنيفة ، لأنه لا يقتل تارك الصلاة إذا اعترف بها .

الثاني : أنه أراد فعل الصلاة ، وهو مقتضى قول مالك والشافعي ، لأنهما يقتلان تارك الصلاة وإن اعترف بها .

{ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ } يعني اعترفوا بها على الوجهين معاً ، لأن تارك الزكاة لا يقتل مع الاعتراف بها وتؤخذ من ماله جبراً ، وهذا إجماع .

(88/2)

وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ (6)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قوله عز وجل { وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ . . . } الآية : وفي كلام الله وجهان أي إن استأمنك فأمّنه .

أحدهما : أنه عني سورة براءة خاصة ليعلم ما فيها من حكم المقيم على العهد . وحكم الناقض له والسيرة في المشركين والفرق بينهم وبين المنافقين .

الثاني : يعني القرآن كله ، ليهتدي به من ضلاله ويرجع به عن كفره .

{ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ } يعني إن أقام على الشرك وانقضت مدة الأمان .

{ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ } يحتمل وجهين :

أحدهما : الرشد من الغيّ .

والثاني : استباحة رقابهم عند انقضاء مدة أمانهم .

(89/2)

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (7)

قوله عز وجل { كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِيْنَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ . . . } الآية . يحتمل وجهين :

أحدهما : إذا لم يعطوا أماناً .

الثاني : إذا غدروا وقاتلوا .

وفي قوله { إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ } أربعة أقاويل :

أحدها : أنهم قوم من بني بكر بن كنانة ، قاله ابن إسحاق .

والثاني : أنهم قريش ، وهو قول ابن عباس .

والثالث : خزاعة ، قاله مجاهد .

والرابع : بنو ضمرة ، قاله الكلبي .

{ فَمَا اسْتَقَامُواْ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ } يعني فما أقاموا على الوفاء بالعهد فأقيموا عليه ، فدل على أنهم إذا نقضوا العهد سقط أمانهم وحلّت دماؤهم .

(90/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (8)

قوله عز وجل { كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ } يعني يقووا حتى يقدروا على الظفر بكم . وفي الكلام محذوف وتقديره : كيف يكون لهم عهد وإن يظهروا عليكم .

{ لاَ يَرْقُبُوْ فِيكُمْ } فيه وجهان :

أحدهما : لا يخافوا : قاله السدي .

الثاني : لا يراعوا .

{ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً } وفي الإلّ سبعة تأويلات .

أحدها : أنه العهد ، وهوقول ابن زيد .

والثاني : أنه اسم الله تعالى ، قاله مجاهد ، ويكون معناه لا يرقبون الله فيكم .

والثالث : أنه الحلف ، وهو قول قتادة .

والرابع : أن الإل اليمين ، والذمة العهد ، قاله أبو عبيدة ، ومنه قول ابن مقبل :

أفسد الناس خلوف خلفوا ... قطعوا الإلَّ وأعراق الرَّحِم

والخامس : أنه الجوار ، قاله الحسن .

والسادس : أنه القرابة ، قاله ابن عباس والسدي ، ومنه قول حسان :

وأُقسم إن إلَّك من قريش ... كإل السّقْبِ من رَأل النعام

والسابع : أن الإل العهد والعقد والميثاق واليمين ، وأن الذمة في هذا الموضع التذمم ممن لا عهد له ، قاله بعض البصريين .

{ وَلاَ ذِمَّةً } فيها ثلاثة أوجه :

أحدها : الجوار ، قاله ابن بحر .

الثاني : أنه التذمم ممن لا عهد له ، قاله بعض البصريين .

والثالث : أنه العهد وهو قول أبي عبيدة .

{ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ } يحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها : يرضونك بأفواههم في الوفاء وتأبى قلوبهم إلا الغدر .

والثاني : يرضونكم بأفواههم في الطاعة وتأبى قلوبهم إلا المعصية .

والثالث : يرضونكم بأفواههم في الوعد بالإيمان وتأبى قلوبهم إلا الشرك ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يرضيه من المشركين إلا بالإيمان .

{ وَأَكْثَرَهُمْ فَاسِقُونَ } فيه وجهان :

أحدهما : في نقض العهد وإن كان جميعهم بالشرك فاسقاً .

والثاني : وأكثرهم فاسق في دينه وإن كان كل دينهم فسقاً .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

(91/2)

اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (9) لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (10) فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (11)

قوله عز وجل { اشْتَرَوْاْ بَئَايَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً } في آيات الله تعالى ها هنا وجهان :

أحدهما : حججه ودلائله .

والثاني : آيات الله التوراة التي فيها صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والثمن القليل : ما جعلوه من ذلك بدلاً . وفي صفته بالقليل وجهان :

أحدهما : لأنه حرام ، والحرام قليل .

والثاني : لأنها من عروض الدنيا التي بقاؤها قليل .

وفيمن أريد بهذه الآية قولان :

أحدهما : أنهم الأعراب الذين جمعهم أبو سفيان على طعامه ، وهذا قول مجاهد ومن زعم أن الآيات حجج الله تعالى .

والثاني : أنهم قوم من اليهود دخلوا في العهد ثم رجعوا عنه وهذا قول من زعم أنها آيات التوراة .

{ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِ } يحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها : عن دين الله تعالى في المنع منه .

والثاني : عن طاعة الله في الوفاء بالعهد .

والثالث : عن قصد بيت الله حين أحصر بالحديبيّة .

(92/2)

وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (12)

قوله عز وجل { وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ } أي نقضوا عهدهم الذي عقدوه بأيمانهم .

{ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ } يحتمل وجهين :

أحدهما : إظهار الذم له .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والثاني : إظهار الفساد فيه .

{ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ } فيهم ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم رؤساء المشركين .

والثاني : أنهم زعماء قريش ، قاله ابن عباس .

والثالث : أنهم الذين كانوا قد هموا بإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قاله قتادة .

{ إِنَّهُم لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ } قراءة الجمهور بفتح الألف ، من اليمين لنقضهم إياها . وقرأ ابن عامر : { إِنَّهُم لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ } بكسر الألف ، وهي قراءة الحسن . وفيها إذا كسرت وجهان :

أحدهما : أنهم كفرة لا إيمان لهم .

والثاني : أنهم لا يعطون أماناً .

(93/2)

أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (13) قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (14) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (15) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (16)

قوله عز وجل : { . . . وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً } فيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها الخيانة ، قاله قتادة .

والثاني : أنهم البطانة ، قاله قطرب ومقاتل ، ومنه قول الشاعر :

وجعلت قومك دون ذاك وليجة ... ساقوا إليك الخير غير مشوب

والثالث : أنه الدخول في ولاية المشركين ، من قولهم ولج فلان في كذا إذا دخل فيه قال طرفة بن العبد :

رأيت القوافي يتلجن موالجاً ... تضايق عنها أن تولجها الإبر

(94/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ (17) إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآَتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (18)

قوله عز وجل { مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ اللَّهِ } يعني المسجد الحرام . وفيه وجهان :

أحدهما : ما كان لهم أن يعمروها بالكفر لأن مساجد الله تعالى تعمر بالإيمان .

والثاني : ما كان لهم أن يعمروه بالزيارة له والدخول إليه .

{ شَاهِدِينَ عَلَى أنفُسِهِم بِالْكُفْرِ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن فيما يقولونه أو يفعلونه دليل على كفرهم كما يدل عليه إقرارهم ، فكأن ذلك منهم هو شهادتهم على أنفسهم ، قاله الحسن .

والثاني : يعني شاهدين على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكفر لأنهم كذبوه وأكفروه وهو من أنفسهم ، قاله الكلبي .

والثالث : أن النصراني إذا سئل ما أنت؟ قال : نصراني ، واليهودي إذا سئل قال : يهودي ، وعابد الوثن يقول : مشرك ، وكان هؤلاء كفار وإن لم يقروا بالكفر ، قاله السدي .

ثم قال تعالى { إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ } في هذه المساجد قولان :

أحدهما : أنها مواضع السجود من المصلى ، فعلى هذا عمارتها تحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها : بالمحافظة على إقامة الصلاة .

والثاني : بترك الرياء .

والثالث : بالخشوع والإعراض عما ينهى .

والقول الثاني : أنها بيوت الله تعالى المتخذة لإقامة الصلوات ، فعلى هذا عمارتها تحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها : إنما يعمرها بالإيمان من آمن بالله تعالى .

والثاني : إنما يعمرها بالزيارة لها والصلاة فيها من آمن بالله تعالى .

والثالث : إنما يرغب في عمارة بنائها من آمن بالله تعالى .

{ وَالْيَوْمِ الأَخِرِ وَأَقَامَ الْصَّلاَةَ وَءَاتَى الزَّكاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ } فيه وجهان :

أحدهما : أنه قال ذلك لهم تحذيراً من فعل ما يخالف هدايتهم .

والثاني : أن كل { عَسَى } من الله واجبة وإن كانت من غيره ترجياً ، قاله ابن عباس والسدي .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (19) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (20) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ (21) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (22)

قوله عز وجل : { أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ } يعني بعمارته السدانة والقيام به .
{ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الأخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ } لأن قريشاً فضلت ذلك على الإيمان بالله ، فرد الله تعالى عليهم وأعلمهم أنهما لا يستويان ، وأن ذلك مع الكفر محبط .
وحكى مقاتل أن هذا الآية نزلت في العباس بن عبد المطلب ، وهو صاحب السقاية ، وفي شيبة بن عثمان وهو صاحب السدانة وحاجب الكعبة أُسرا يوم بدر فعيرا بالمقام على الكفر بمكة وأغلظ لهما المهاجرون ، فقالا نحن أفضل منكم أجراً نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج فنزل هذا فيهم .

(96/2)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (23) قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (24)

قوله عز وجل { قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا } يعني اكتسبتموها .
{ وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا } فيها وجهان :
أحدهما : أنها أموال التجارات إذا نقص سعرها وكسد سوقها .
والثاني : أنهن البنات الأيامى إذا كسدن عند آبائهن ولم يخطبن . { وَمَسَاكِنَ تَرْضَوْنَهَا } وهذا نزل في قوم أسلموا بمكة فأقاموا بها ولم يهاجروا إشفاقاً على فراق ما ذكره الله تعالى ميلاً إليه وحبّاً له فذمهم الله تعالى على ذلك وقال : { . . . فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ } فيه وجهان :
أحدهما : أنه فتح مكة ، قاله مجاهد .
والثاني : حتى يأتي الله بأمره من عقوبة عاجلة أو آجلة ، قاله الحسن .

(97/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (25) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (26) ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (27)

قوله عز وجل { ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ . . } الآية ، وفي السكينة ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها الرحمة ، قاله علي بن عيسى .

والثاني : أنها الأمن والطمأنينة .

والثالث : أنها الوقار ، قاله الحسن .

{ وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا } فيه وجهان :

أحدهما : الملائكة .

والثاني : أنه تكثيرهم في أعين أعدائهم ، وهو محتمل .

{ وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ } فيه وجهان :

أحدهما : بالخوف والحذر .

والثاني : بالقتل والسبي .

(98/2)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (28) قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (29)

قوله عز وجل { قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ } فإن قيل : فأهل الكتاب قد آمنوا بالله واليوم الآخر فكيف قال ذلك فيهم ، ؟

ففيه جوابان :

أحدهما : أن إقرارهم باليوم الآخر يوجب الإقرار بجميع حقوقه ، فكانوا بترك الإقرار بحقوقه كمن لا يقرّ به .

والثاني : أنه ذمّهم ذم من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر للكفر بنعمته ، وهم في الذم بالكفر كغيرهم

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

.

{ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ } فيه وجهان :

أحدهما : أنه ما أمر الله سبحانه وتعالى بنسخه من شرائعهم .

والثاني : ما أحله لهم وحرمه عليهم .

{ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِ } والحق هنا هو الله تعالى ، وفي المراد بدينه في هذا الموضع وجهان :

أحدهما : العمل بما في التوراة من اتباع الرسول ، قاله الكلبي .

والثاني : الدخول في دين الإسلام لأنه ناسخ لما سواه من الأديان ، وهو قول الجمهور .

{ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ } فيه وجهان :

أحدهما : يعني من آباء الذين أوتوا الكتاب .

الثاني : من الذين أوتوا الكتاب بين أظهرهم لأنه في اتباعه كآبائهم .

{ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ } فيه تأويلان :

أحدهما : حتى يضمنوا الجزية وهو قول الشافعي لأنه يرى أن الجزية تجب انقضاء الحول وتؤخذ معه .

والثاني : حتى يدفعوا الجزية .

وفي الجزية وجهان :

أحدهما : أنها من الأسماء المجملة لا يوفق على علمها إلا بالبيان .

والثاني : أنها من الأسماء العامة التي يجب إجراؤها على عمومها إلا ما خص بالدليل .

ثم قال تعالى { عَن يَدٍ } وفيه أربعة تأويلات :

أحدها : عن غنى وقدرة .

والثاني : أنها من عطاء لا يقابله جزاء ، قاله أبو عبيدة .

والثالث : أن يروا أن لنا في أخذها منهم يداً عليهم بحقن دمائهم بها .

والرابع : يؤدونها بأيديهم ولا ينفذونها مع رسلهم كما يفعله المتكبرون .

{ وَهُمْ صَاغِرُونَ } فيه خمسة أقاويل :

أحدها : أن يكونوا قياماً والآخذ لها جالساً ، قاله عكرمة .

والثاني : أن يمشوا بها وهم كارهون ، قاله ابن عباس .

والثالث : أن يكونوا أذلاء مقهورين ، قاله الطبري .

والرابع : أن دفعها هو الصَّغار بعينه .

والخامس : أن الصغار أن تجري عليهم أحكام الإسلام ، قاله الشافعي .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (30) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (31)

قوله عز وجل { وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ } الآية . أما قول اليهود ذلك فسببه أن بختنصر لما أخرب بيت المقدس أحرق التوراة حتى لم يبق بأيديهم شيء منها ، ولم يكونوا يحفظونها بقلوبهم ، فحزنوا لفقدها وسألوا الله تعالى ردها عليهم ، فقذفها الله في قلب عزير ، فحفظها وقرأها عليهم فعرفوها فلأجل ذلك قالوا إنه ابن الله .

واختلف فيمن قال ذلك على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن ذلك كان قول جميعهم ، وهو مروي عن ابن عباس .

والثاني : أنه قول طائفة من سلفهم .

والثالث : أنه قول جماعة ممن كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

واختلف فيهم على قولين :

أحدهما : أنه فنحاص وحده ، ذكر ذلك عبيد بن عمير وابن جريج .

والثاني : أنهم جماعة وهم سلام ابن مشكم ونعمان بن أبي أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف ، وهذا مروي عن ابن عباس .

فإن قيل : فإذا كان ذلك قول بعضهم فلم أضيف إلى جميعهم؟

قيل : لأن من لم يقله عند نزول القرآن لم ينكره ، فلذلك أضيف إليهم إضافة جمع وإن تلفظ به بعضهم .

{ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ } وهذا قول جميعهم ، واختلف في سبب قولهم لذلك على قولين :

أحدهما : أنه لما خلق من غير ذكر من البشر قالوا إنه ابن الله ، تعالى الله عن ذلك .

الثاني : أنهم قالوا ذلك لأجل من أحياه من الموتى وأبرأه من المرضى .

{ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ } معنى ذلك : وإن كانت الأقوال كلها من الأفواه : أنه لا يقترن به دليل ولا يعضده برهان ، فصار قولاً لا يتجاوز الفم فلذلك خص به .

{ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ من قبلُ } أي يشابهون ، مأخوذ من قولهم امرأة ضهياء إذا لم تحض تشبيهاً بالرجال ومنه ما جاء في الحديث : « أَجرأُ النَّاسِ عَلى اللَّهِ تَعَالَى الَّذِينَ يُضَاهِئُونَ خَلْقَهُ » أي يشبهون به .

وفيهم ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن قولهم ذلك يضاهي قول عبدة الأوثان في اللات والعزى ومناة وأن الملائكة بنات الله ،

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قاله ابن عباس وقتادة .

والثاني : أن قول النصارى المسيح ابن الله يضاهي قول اليهود عزير ابن الله ، قاله الطبري .

والثالث : أنهم في تقليد أسلافهم يضاهون قول من تقدمهم ، قاله الزجاج .

{ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : معناه لعنهم الله ، قاله ابن عباس ومنه قول عبيد بن الأبرص :

قاتلها الله تلحاني وقد علمت ... أني لنفسي إفسادي وإصلاحي

والثاني : معناه قتلهم الله ، قاله بعض أهل العربية .

والثالث : أن الله تعالى فيما أعده لعذابهم وبينه من عداوتهم التي هي في مقابلة عصيانهم وكفرهم كأنه مقاتل لهم .

{ أَنَّى يُؤْفَكُونَ } معناه كيف يُصرفون عن الحق إلى الإفك وهو الكذب .

قوله عز وجل { اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ } أما الأحبار منهم العلماء ، واحدهم حَبْر سمي بذلك لأنه يحبر المعاني أي يحسنها بالبيان عنها .

وأما الرهبان فجمع راهب ، مأخوذ من رهبة الله تعالى وخشيته ، غير أنه صار بكثرة الاستعمال يتناول نُسّاك النصارى .

وقوله { أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ } يعني آلهة لقبولهم منهم تحريم ما يحرمونه عليهم وتحليل ما يحلونه لهم ، فلذلك صاروا لهم كالأرباب وإن لم يقولوا إنهم أرباب ، وقد روي مثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم .

(100/2)

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (32) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (33)

قوله عز وجل { يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ } وفي نوره قولان :

أحدهما : أنه القرآن والإسلام ، قاله الحسن وقتادة .

والثاني : أنه آياته ودلائله لأنه يهتدى بها كما يهتدى بالأنوار .

وإنما خص ذلك بأفواههم لما ذكرنا أنه ليس يقترن بقولهم دليل .

{ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ } وليس يريد تمامه من نقصان لأن نوره لم يزل تاماً . ويحتمل المراد به وجهين :

أحدهما : إظهار دلائله .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والثاني : معونة أنصاره .

قوله عز وجل { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ } يعني محمداً صلى الله عليه وسلم أرسله الله إلى خلقه بالهدى ودين الحق .

وفيها أربعة تأويلات :

أحدها : أن الهدى البيان ، ودين الحق الإسلام ، قاله الضحاك .

والثاني : أن الهدى الدليل ، ودين الحق المدلول عليه .

والثالث : معناه بالهدى إلى دين الحق .

والرابع : أن معناهما واحد وإنما جمع بينهما تأكيداً لتغاير اللفظين .

{ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ } فيه ستة تأويلات :

أحدها : يعني عند نزول عيسى عليه السلام فإنه لا يعبد الله تعالى إلاّ بالإِسلام ، قاله أبو هريرة .

والثاني : معناه أن يعلمه شرائع الدين كله ويطلعه عليه ، قاله ابن عباس .

والثالث : ليظهر دلائله وحججه ، وقد فعل الله تعالى ذلك ، وهذا قول كثير من العلماء .

والرابع : ليظهره برغم المشركين من أهله .

والخامس : أنه وارد على سبب ، وهو أنه كان لقريش رحلتان رحلة الصيف إلى الشام ورحلة الشتاء إلى اليمن والعراق فلما أسلموا انقطعت عنهم الرحلتان للمباينة في الدين فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى عليه : { لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ } يعني في بلاد الرحلتين وقد أظهره الله تعالى فيهما . والسادس : أن الظهور الاستعلاء ، ودين الإسلام أعلى الأديان كلها وأكثرها أهلاً ، قد نصره الله بالبر والفاجر والمسلم والكافر ، فروى الربيع بن أنس عن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ اللَّهِ يُؤَيِّدُ بِأَقْوَامٍ مَا لَهُم فِي الأَخِرَةِ مِن خَلاَقٍ » .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (34) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ (35)

قوله عز وجل { يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيراً مِنَ الأَحبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُون أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ } الآية : في قولان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدهما : أنه أخذ الرشا في الحكم ، قاله الحسن .

والثاني : أنه على العموم من أخذه بكل وجه محرم .

وإنما عبر عن الأخذ بالأكل لأن ما يأخذونه من هذه الأموال هي أثمان ما يأكلون ، وقد يطلق على أثمان المأكول اسم الأكل ، كما قال الشاعر :

ذر الآكلين الماء فما أرى ... ينالون خيراً بعد أكلهم الماء

أي ثمن الماء .

{ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ } يحتمل وجهين :

أحدهما : أنه منعهم من الحق في الحكم بقبول الرشا .

والثاني : أنه منعهم أهل دينهم من الدخول في الإسلام بإدخال الشبهة عليهم . { وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } وفي هذا الكنز المستحق عليه هذا الوعيد ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن الكنز كل مال وجبت فيه الزكاة فلم تؤدَّ زكاته ، سواء كان مدفوناً أو غير مدفون ، قاله ابن عمر والسدي والشافعي والطبري .

والثاني : أن الكنز ما زاد على أربعة آلاف درهم ، أديت منه الزكاة أم لم تؤد ، قاله عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقد قال : أربعة آلاف درهم فما دونها نفقة ، وما فوقها كنز .

والثالث : أن الكنز ما فضل من المال عن الحاجة إليه ،

روى عمرو بن مرة عن سالم بن أبي الجعد قال : لما نزل قوله تعالى { وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ . . . } الآية . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « تبّاً لِلذَهَبِ وَالْفِضَّةِ » قال : فشق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : فأي المال نتخذ؟ فقال عمر ابن الخطاب : أنا أعلم لكم ذلك ، فقال : يا رسول الله إن أصحابك قد شق عليهم وقالوا : فأي المال نتخذ؟ فقال : « لِسَاناً ذَاكِراً وَقَلْباً شَاكِراً وَزَوْجَةً مُؤْمِنَةً تُعِينُ أَحَدَكُمْ عَلَى دِينِهِ » . وروى قتادة عن شهر بن حوشب عن أبي أمامة صدي بن عجلان قال : مات رجل من أهل الصفّة فوجد في مئزرة دينار ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « كَيَّةٌ » ثم مات آخر فوجد في مئزره ديناران فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « كَيَّتَانِ

» والكنز في اللغة هو كل شيء مجموع بعضه إلى بعض سواء كان ظاهراً على الأرض أو مدفوناً فيها ، ومنه كنز البُرّ ، قال الشاعر :

لا دَرَّ دري إن أطعمت نازلهم ... قِرف الحتى وعندي البُرّ مكنوز

الحتى : سَويق المقل . يعني وعندي البُرّ مجموع .

فإن قيل : فقد قال الله تعالى : { وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ } فذكر جنسين ثم قال { وَلاَ يُنفِقُونَهَا } والهاء كناية ترجع إلى جنس واحد ، ولم يقل : وَلاَ يُنفِقُونَهمَا لترجع الكناية إليهما .

فعن ذلك جوابان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

(102/2)

أحدهما : أن الكناية راجعة إلى الكنوز ، وتقديره : ولا ينفقون الكنوز في سبيل الله .

والثاني : أنه قال ذلك اكتفاء بذكر أحدهما عن الآخر لدلالة الكلام على اشتراكهما فيه ، كما قال تعالى { وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّواْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِماً } [الجمعة : 11] ولم يقل إليهما ، وكقول الشاعر :

إن شرخ الشباب والشعر الأسود ما لم يُعاص كان جنوناً ... ولم يقل يعاصيا .

ثم إن الله تعالى غلَّظ حال الوعيد بما ذكره بعد هذا من قوله :

{ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِباهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ } وإنما غلظ بهذا الوعيد لما في طباع النفوس من الشح بالأموال ليسهل لهم تغليظ الوعيد إخراجها في الحقوق .

(103/2)

إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (36)

قوله عز وجل { إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شهْراً } يعني شهور السنة ، وإنما كانت اثني عشر شهراً لموافقة الأهلة ولنزول الشمس والقمر في اثني عشر برجاً يجريان فيها على حساب متفق كما قال الله تعالى { الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ } [الرحمن : 5] .

{ . . . مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ } يعني أن من الاثني عشر شهراً أربعة حرم ، يعني بالحرم تعظيم انتهاك المحارم فيها ، وهو ما رواه صدقة بن يسار عن ابن عمر قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بمنى في وسط أيام التشريق فقال : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ فَهُوَ اليَومُ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَواتِ وَالأَرْضَ وَإِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهراً مِنهَا أَرْبَعَةٌ حَرُمٌ ، أَوّلُهُنَّ رَجَبُ مُضَرَ بيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ وَذُو الْقِعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ » . { ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ } فيه وجهان :

أحدهما : أي ذلك الحساب الصحيح والعدد المستوفي ، قاله ابن قتيبة .

والثاني : يعني القضاء الحق المستقيم ، قاله الكلبي .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

{ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ } فيه أربعة أوجه :

أحدها : فلا تظلموها بمعاصي الله تعالى في الشهور الاثني عشر كلها ، قاله ابن عباس .

والثاني : فلا تظلموها بمعاصي الله في الأربعة الأشهر ، قاله قتادة .

والثالث : فلا تظلموا أنفسكم في الأربعة الأشهر الحرم بإحلالها بعد تحريم الله تعالى لها ، قاله الحسن وابن إسحاق .

والرابع : فلا تظلموا فيها أنفسكم أي تتركوا فيها قتال عدوكم ، قاله ابن بحر .

فإن قيل : فلم جعل بعض الشهور أعظم حرمة من بعض؟

قيل : ليكون كفهم فيها عن المعاصي ذريعة إلى استدامة الكف في غيرها توطئة للنفس على فراقها مصلحة منه في عباده ولطفاً بهم .

(104/2)

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (37)

قوله عز وجل { إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ . . . } أما النسيء في الأشهر فهو تأخيرها ، مأخوذ من بيع النسيئة ، ومنه قوله تعالى { مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْنُنسِهَا } أي نؤخرها .

وفي نَسْء الأشهر قولان .

أحدهما : أنهم كانوا يؤخرون السنة أحد عشر يوماً حتى يجعلوا المحرم صفراً ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنهم كانوا يؤخرون الحج في كل سنتين شهراً .

قال مجاهد : فحج المسلمون في ذي الحجة عامين ، ثم حجوا في المحرم عامين : ثم حجوا في صفر عامين ، ثم في ذي القعدة عامين الثاني منهما حجة أبي بكر قبل حجة النبي صلى الله عليه وسلم من قابل في ذي الحجة فذلك حين يقول : « إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ

» وكان المنادى بالنسيء في الموسم : من بني كنانة على ما حكاه أبو عبيدة ، وقال شاعرهم عمير بن قيس :

ألسنا الناسئين على مَعَدٍّ ... شهور الحل نجعلُها حَراماً

واختلف في أول من نسأ الشهور منهم ، فقال الزبير بن بكار : أول من نسأ الشهور نعيم بن ثعلبة بن الحارث ابن مالك بن كنانة .

وقال أيوب بن عمر الغفاري : أول من نسأ الشهور القَلمّس الأكبر وهو عدي بن عامر بن ثعلبة بن

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الحارث بن مالك بن كنانة ، وآخر من نسأ الشهور أبو ثمامة جنادة بن عوف إلى أن نزل هذا التحريم سنة عشر وكان ينادي إني أنسأ الشهور في كل عام ، ألا أن أبا ثمامة لا يجاب ولا يعاب ، فحرم الله سبحانه بهذه الآية النسيء وجعله زيادة في الكفر .

ثم قال تعالى { . . . لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ } أي ليوافقوا فحرموا أربعة أشهر كما حرم الله تعالى أربعة أشهر .

{ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ } فيه وجهان :

أحدهما : أن الله تعالى زينها بالشهرة لها والعلامة المميزة بها لتجتنب .

الثاني : أن أنفسهم والشيطان زين لهم ذلك بالتحسين والترغيب ليواقعوها ، وهو معنى قول الحسن .

وفي { سُوءُ أَعْمَالِهِمْ } ها هنا وجهان :

أحدهما : أنه ما قدمه من إحلالهم ما حرم الله تعالى وتحريمهم ما أحله الله .

الثاني : أنه الرياء ، قاله جعفر بن محمد .

(105/2)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآَخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (38) إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (39)

قوله عز وجل { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلتُمْ إِلَى الأَرْضِ } قال الحسن ومجاهد : دُعوا إلى غزوة تبوك فتثاقلوا فنزل ذلك فيهم .

وفي قوله { اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ } ثلاثة أوجه :

أحدها : إلى الإقامة بأرضكم ووطنكم .

والثاني : إلى الأرض حين أخرجت الثمر والزرع . قال مجاهد : دعوا إلى ذلك أيام إدراك النخل ومحبة القعود في الظل .

الثالث : اطمأننتم إلى الدنيا ، فسماها أرضاً لأنها فيها ، وهذا قول الضحاك .

وقد بينه قوله تعالى { أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الأَخَرَةِ } يعني بمنافع الدنيا بدلاً من ثواب الآخرة .

والفرق بين الرضا والإرادة أن الرضا لما مضى ، والإرادة لما يأتي .

{ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الأَخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ } لانقطاع هذا ودوام ذاك .

قوله عز وجل { إِلاَّ تَنفِرُواْ } يعني في الجهاد .

{ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً } قال ابن عباس : احتباس القطر عنهم هو العذاب الأليم الذي أوعدتم ويحتمل

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
أن يريد بالعذاب الأليم أن يظفر بهم أعداؤهم .
{ وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ } يعني ممن ينفر إذا دُعي ويجيب إذا أُمر .
{ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئاً } فيه وجهان :
أحدهما : ولا تضروا الله بترك النفير ، قاله الحسن .
والثاني : ولا تضرّوا الرسول ، لما تكفل الله تعالى به من نصرته ، قاله الزجاج .

(106/2)

إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (40)

قوله تعالى { إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ } يعني إلا تنصروا أيها الناس النبي صلى الله عليه وسلم بالنفير معه وذلك حين استنفرهم إلى تبوك فتقاعدوا فقد نصره الله .
{ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ } يعني من مكة ولم يكن معه من يحامي عنه ويمنع منه إلا الله تعالى ، ليعلمهم بذلك أن نصره نبيه ليس بهم فيضره انقطاعهم وقعودهم ، وإنما هو من قبل الله تعالى فلم يضره قعودهم عنه .
وفي قوله { فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ } وجهان :
أحدهما : بإرشاده إلى الهجرة حتى أغناه عن معونتهم .
والثاني : بما تكفل به من إمداده بملائكته .
{ ثَانِيَ اثْنَيْنِ } أي أحد اثنين ، وللعرب في هذ مذهب أن تقول خامس خمسة أي أحد خمسة .
{ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ } يعني النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر حين خرجا من مكة دخلا غاراً في جبل ثور ليخفيا على من خرج من قريش في طلبهم .
والغار عمق في الجبل يدخل إليه .
قال مجاهد : مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار مع أبي بكر ثلاثاً .
قال الحسن : جعل الله على باب الغار ثمامة وهي شجرة صغيرة ، وقال غيره : ألهمت العنكبوت فنسجت على باب الغار .
وذهب بعض المتعمقة في غوامض المعاني إلى أن قوله تعالى { إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ } أي في غيرة على ما كانوا يرونه من ظهور الكفر فغار على دين ربه . وهو خلاف ما عليه الجمهور .
{ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ } يريد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لصاحبة أبي بكر « لا تَحْزَنْ

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
» فاحتمل قوله ذلك له وجهين :

أحدهما : أن يكون تبشيراً لأبي بكر بالنصر من غير أن يظهر منه حزن .

والثاني : أن يكون قد ظهر منه حزن فقال له ذلك تخفيفاً وتسلية . وليس الحزن خوفاً وإنما هو تألم القلب بما تخيله من ضعف الدين بعد الرسول فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « لاَ تَحْزَنْ إنَّ اللَّهَ مَعَنَا » أي ناصرنا على أعدائنا .

{ . . . فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ } فيها قولان :

أحدهما : على النبي صلى الله عليه وسلم ، قاله الزجاج .

والثاني : على أبي بكر لأن الله قد أعلم نبيه بالنصر .

وفي السكينة أربعة أقاويل :

أحدها : أنها الرحمة ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنها الطمأنينة ، قاله الضحاك .

والثالث : الوقار ، قاله قتادة .

والرابع : أنها شيء يسكن الله به قلوبهم ، قاله الحسن وعطاء .

{ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا } فيه وجهان :

أحدهما : بالملائكة .

والثاني : بالثقة بوعده واليقين بنصره .

وفي تأييده وجهان :

أحدهما : إخفاء أثره في الغار حين طلب .

والثاني : المنع من التعرض له حين هاجر .

{ وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى } يحتمل وجهين :

أحدهما : بانقطاع الحجة .

والثاني : جعل كلمة الذين كفروا السفلى بذُلّ الخوف ، وكلمة الله هي العليا بعز الظفر .

{ وَكَلِمَةُ اللهِ هيَ العُلْيَا } بظهور الحجة .

(107/2)

انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (41)

قوله عز وجل { انفِرُواْ خِفَافاً وثِقَالاً } فيه عشرة تأويلات :

أحدها : يعني شباباً وشيوخاً ، قاله الحسن وعكرمة ومجاهد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والثاني : في اليسر والعسر فقراء وأغنياء ، قاله أبو صالح .

والثالث : مشاغيل وغير مشاغيل ، قاله الحكم .

والرابع : نشاطاً وغير نشاط ، قاله ابن عباس وقتادة .

والخامس : ركباناً ومشاة ، قاله أبو عمرو الأوزاعي .

والسادس : ذا صنعة وغير ذي صنعة ، قاله ابن زيد .

والسابع : ذا عيال وغير ذي عيال ، قاله زيد بن أسلم .

والثامن : أصحاء وغير أصحاء ومرضى ، قاله جويبر .

والتاسع : على خفة البعير وثقله ، قاله علي بن عيسى والطبري .

والعاشر : خفافاً إلى الطاعة وثقالاً عن المخالفة .

ويحتمل حادي عشر : خفافاً إلى المبارزة ، وثقالاً في المصابرة .

{ وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ } أما الجهاد بالنفس فمن فروض الكفايات إلا عند هجوم العدو فيصير متعيناً .

وأما بالمال فبزاده وراحلته إذا قدر على الجهاد بنفسه ، فإن عجز عنه بنفسه فقد ذهب قوم إلى أن بذل المال يلزم بدلاً عن نفسه . وقال جمهورهم : لا يجب لأن المال في الجهاد تبع النفس إلا سهم سبيل الله من الزكاة .

{ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ } فيه وجهان :

أحدهما : أن الجهاد خير لكم من تركه إلى ما أبيح من القعود عنه .

والثاني : معناه أن الخير في الجهاد لا في تركه .

{ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ } فيه وجهان :

أحدهما : إن كنتم تعلمون صدق الله تعالى فيما وعد به من ثوابه وجنته .

والثاني : إن كنتم تعلمون أن الخير في الجهاد .

ويحتمل وجهاً ثالثاً : إن كنتم تعلمون أن لله تعالى يريد لكم الخير .

(108/2)

لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (42)

قوله عز وجل { لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً } أي لو كان الذي دُعيتم إليه عرضاً قريباً . وفيه وجهان :

أحدهما : يعني بالعرض ما يعرض من الأمور السهلة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

والثاني : يعني الغنيمة .

{ وَسَفَرَاً قَاصِداً } أي سهلاً مقتصداً .

{ لأَتَّبَعُوكَ } يعني في الخروج معك .

{ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ } والشقة هي القطعة من الأرض التي يشق ركوبها على صاحبها لبعدها .

{ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ } يحتمل وجهين :

أحدهما : لو استطعنا فراق أوطاننا وترك ثمارنا .

والثاني : لو استطعنا مالاً نستمده ونفقةً نخرج بها لخرجنا معكم في السفر الذي دعوا إليه فتأخروا عنه وهو غزوة تبوك .

ثم جاءوا بعد ذلك يحلفون بما أخبر الله عنهم من أنهم لو استطاعوا لخرجوا تصديقاً لقوله تعالى وتصحيحاً لرسالة نبيه صلى الله عليه وسلم .

{ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ } يحتمل وجهين :

أحدهما : يهلكون أنفسهم باليمين الكاذبة .

والثاني : يهلكون أنفسهم بالتأخر عن الإجابة .

(109/2)

عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (43) لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (44) إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (45) وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (46) لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (47)

قوله عز وجل { وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً } فيه وجهان :

أحدهما : صدق العزم ونشاط النفس .

والثاني : الزاد والراحلة في السفر ، ونفقة الأهل في الحضر . { وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ } وإنما كره انبعاثهم لوقوع الفشل بتخاذلهم كعبد الله بن أبي بن سلول ، والجد بن قيس .

{ وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ } فيه وجهان :

أحدهما : مع القاعدين بغير عذر ، قاله الكلبي .

والثاني : مع القاعدين بعذر من النساء والصبيان ، حكاه علي بن عيسى . وفي قائل ذلك قولان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدهما : أنه النبي صلى الله عليه وسلم ، غضباً عليهم ، لعلمه بذلك منهم .

والثاني : أنه قول بعضهم لبعض .

قوله عز وجل { لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً } يعني اضطراباً حكاه ابن عيسى .

والثاني : فساداً ، قاله ابن عباس .

فإن قيل : فلم يكونوا في خبال فيزدادوا بهؤلاء الخارجين خبالاً .

قيل هذا من الاستثناء المنقطع ، وتقديره : ما زادوكم قوة ، ولكن أوقعوا بينكم خبالاً .

{ وَلأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ } أما الإيضاع فهو إسراع السير ، ومنه قول الراجز :

يا ليتني فيها جذع ... أخُبّ فيها وأضَعْ

وأما الخلال فهو من تخلل الصفوف وهي الفُرَج تكون فيها ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : « تَرَاصُّوا فِي الصُّفُوفِ وَلاَ يَتَخَلَّلْكُمْ ، كَأَوْلاَدِ الحذف يَعْنِي الشَّيَاطِينَ » والخلال هو الفساد ، وفيه ها هنا وجهان :

أحدهما : لأسرعوا في إفسادكم .

والثاني : لأوضعوا الخلف بينكم .

وفي الفتنة التي يبغونها وجهان :

أحدهما : الكفر .

والثاني : اختلاف الكلمة وتفريق الجماعة .

{ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ } وفيهم ثلاثة أقاويل :

أحدها : وفيكم من يسمع كلامهم ويطيعهم ، قاله قتادة وابن إسحاق .

والثاني : وفيكم عيون منكم ينقلون إلى المشركين أخباركم ، قاله الحسن .

(110/2)

لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ (48)

قوله عز وجل { لَقَدْ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ } يعين إيقاع الخلاف وتفريق الكلمة . { وَقَلَّبُواْ لَكَ الأُمُورَ } يحتمل أربعة أوجه :

أحدها : معاونتهم في الظاهر وممالأة المشركين في الباطن .

والثاني : قولهم بأفواههم ما ليس في قلوبهم .

والثالث : توقع الدوائر وانتظار الفرص .

والرابع : حلفهم بالله لو استطعنا لخرجنا معكم .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

{ حَتَّى جَآءَ الْحَقُّ } يعني النصر .
{ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ } يعني الدين .
{ وَهُمْ كَارِهُونَ } يعني النصر وظهور الدين .

(111/2)

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (49)

قوله عز وجل { وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي } يعني في التأخر عن الجهاد .
{ وَلاَ تَفْتِنِّي } فيه ثلاثة أوجه :
أحدها : لا تكسبني الإثم بالعصيان في المخالفة ، قاله الحسن وقتادة وأبو عبيدة والزجاج .
والثاني : لا تصرفني عن شغلي ، قاله ابن بحر .
والثالث : أنها نزلت في الجد بن قيس قال : ائذن لي ولا تفتني ببنات بني الأصفر فإني مشتهر بالنساء ، قاله ابن عباس ومجاهد وابن زيد .
{ أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ } فيها وجهان :
أحدهما : في عذاب جهنم لقوله تعالى : { وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ }
والثاني : في محنة النفاق وفتنة الشقاق .

(112/2)

إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ (50) قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (51)

قوله عز وجل { إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ } يعني بالحسنة النصر .
{ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ } أي أخذنا حذرنا فسلمنا .
{ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ } أي بمصيبتك وسلامتهم .
قال الكلبي : عنى بالحسنة النصر يوم بدر ، وبالمصيبة النكبة يوم أحد .
قوله عز وجل { قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا } فيه وجهان :
أحدهما : إلا ما كتب الله لنا في اللوح المحفوظ أنه يصيبنا من خير أو شر ، لا أن ذلك بأفعالنا فنذمّ أو نحمد ، وهو معنى قول الحسن .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
والثاني : إلا ما كتب الله لنا في عاقبة أمرنا أنه ينصرنا ويعز دينه بنا .
{ هُوَ مَوْلاَنَا } فيه وجهان :
أحدهما : مالكنا .
والثاني : حافظنا وناصرنا .
{ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُون } أي على معونته وتدبيره .

(113/2)

قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ (52) قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (53) وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ (54)

قوله عز وجل { قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ } يعني النصر أو الشهادة وكلاهما حسنة لأن في النصر ظهور الدين ، وفي الشهادة الجنة .
{ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ } يحتمل وجهين :
أحدهما : عذاب الاستئصال في الدنيا .
والثاني : عقاب العصيان في الآخرة .
{ أَوْ بِأَيْدِينَا } يعني بقتل الكافر عند الظفر والمنافق مع الإذن فيه .

(114/2)

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (55) وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (56) لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ (57)

قوله عز وجل { فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلآ أَوْلاَدُهُمْ . . . } فيه خمسة أقاويل :
أحدها : فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة ، قاله ابن عباس وقتادة ويكون فيه تقديم وتأخير .
والثاني : إنما يريد الله ليعذبهم بما فرضه من الزكاة في أموالهم ، يعني المنافقين . وهذا قول الحسن

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

.

والثالث : ليعذبهم بمصائبهم في أموالهم أولادهم ، قاله ابن زيد .

والرابع : ليعذبهم ببني أولادهم وغنيمة أموالهم ، يعني المشركين ، قاله بعض المتأخرين .

والخامس : يعذبهم بجمعها وحفظها وحبها والبخل بها والحزن عليها ، وكل هذا عذاب .

{ وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ } أي تهلك بشدة ، من قوله تعالى { وَقُلْ جَآءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ } [الإسراء : 81] .

قوله عز وجل { لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ . . . } الآية ، أما الملجأ ففيه أربعة أوجه :

أحدها : أنه الحرز ، قاله ابن عباس .

والثاني : الحصن ، قاله قتادة .

والثالث : الموضع الحريز من الجبل ، قاله الطبري .

والرابع : المهرب ، قاله السدي . ومعاني هذه كلها متقاربة . وأما المغارات ففيها وجهان :

أحدهما : أنها الغيران في الجبال ، قاله ابن عباس .

والثاني : المدخل الساتر لمن دخل فيه ، قاله علي بن عيسى .

وأما المدَّخل ففيه وجهان :

أحدهما : أنه السرب في الأرض ، قاله الطبري .

والثاني : أنه المدخل الضيق الذي يدخل فيه بشدة .

{ لَوَلَّوْا إِلَيْهِ } يعني هرباً من القتال وخذلاناً للمؤمنين .

{ وَهُمْ يَجْمَحُونَ } أي يسرعون ، قال مهلهل :

لقد جمحت جماحاً في دمائهم ... حتى رأيت ذوي أحسابهم خمدوا

(115/2)

وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ (58) وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ (59)

قوله عز وجل { وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ . . . } الآية ، فيه قولان :

أحدهما : أنه ثعلبة بن حاطب كان يقول : إنما يعطي محمد من يشاء ويتكلم بالنفاق فإن أعطي رضي وإن منع سخط ، فنزلت فيه الآية .

الثاني : ما روى الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي سعيد الخدري قال : بينما رسول الله

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

صلى الله عليه وسلم يقسم قسماً إذ جاءه الخويصرة التميمي فقال : اعدْل يا رسول الله ، فقال : « وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلْ إن لَّمْ أَعْدِلْ » ؟ « فقال عمر رضي الله عنه : يا رسول الله ائذن لي فأضرب عنقه ، فقال » دَعْهُ « . فأنزل الله تعالى { وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ } الآية .

وفي معنى يلمزك ثلاثة أوجه :

أحدها : يروزك ويسألك ، قاله مجاهد .

والثاني : يغتابك ، قاله ابن قتيبة .

والثالث : يعيبك ، قال رؤبة :

قاربت بين عَنَقي وحجزي ... في ظل عصري باطلي ولمزي

(116/2)

إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (60)

قوله عز وجل { إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَآءِ وَالْمَسَاكِينِ } اختلف أهل العلم فيها على ستة أقاويل :

أحدها : أن الفقير المحتاج المتعفف عن المسألة . والمسكين : المحتاج السائل ، قاله ابن عباس والحسن وجابر وابن زيد والزهري ومجاهد وزيد .

والثاني : أن الفقير هو ذو الزمانة من أهل الحاجة ، والمسكين : هو الصحيح الجسم منهم ، قاله قتادة .

والثالث : أن الفقراء هم المهاجرون ، والمساكين : غير المهاجرين ، قاله الضحاك بن مزاحم وإبراهيم .

والرابع : أن الفقير من المسلمين ، والمسكين : من أهل الكتاب ، قاله عكرمة .

والخامس : أن الفقير الذي لا شيء له لأن الحاجة قد كسرت فقاره ، والمسكين الذي له ما لا يكفيه لكن يسكن إليه ، قاله الشافعي .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ليس المسكين الذي لا مال له ولكن المسكين الأخلق الكسب . قال ابن عليّة : الأخلق المحارف عندنا وقال الشاعر :

لما رأى لُبَدُ النُّسور تطايرت ... رفع القوادم كالفقير الأعزل

والسادس : أن الفقير الذي له ما لا يكفيه ، والمسكين : الذي ليس له شيء يسكن إليه قاله أبو حنيفة .

ثم قال { وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا } وهم السعاة المختصون بجبايتها وتفريقها قال الشاعر :

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

إن السُّعاة عصوك حين بعثتهم ... لم يفعلوا مما أمرت فتيلا

وليس الإمام من العاملين عليها ولا والي الإقليم .

وفي قدر نصيبهم منها قولان :

أحدهما : الثمن ، لأنهم أحد الأصناف الثمانية ، قال مجاهد والضحاك .

والثاني : قدر أجور أمثالهم ، قاله عبد الله بن عمر .

{ وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ } وهم قوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم بالعطية ، وهم صنفان : مسلمون ومشركون .

فأما المسلمون فصنفان : صنف كانت نياتهم في الإسلام ضعيفة فتألفهم تقوية لنياتهم ، كعقبة بن زيد وأبي سفيان بن حرب والأقرع بن حابس والعباس بن مرداس . وصنف آخر منهم كانت نياتهم في الإسلام حسنة فأعطوا تألفاً لعشائرهم من المشركين مثل عدي بن حاتم . ويعطي كِلا الصنفين من سهم المؤلفة قلوبهم .

وأما المشركون فصنفان : صنف يقصدون المسلمين بالأذى فيتألفهم دفعاً لأذاهم مثل عامر بن الطفيل ، وصنف كان لهم ميل إلى الإسلام تألفهم بالعطية ليؤمنوا مثل صفوان بن أمية .

وفي تألفهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسهم المسمى لهم من الصدقات قولان :

أحدهما : يعطونه ويتألفون به ، قاله الحسن وطائفة .

والثاني : يمنعون منه ولا يعطونه لإعزاز الله دينه عن تألفهم ، قاله جابر ، وكلا القولين محكي عن الشافعي .

وقد روى حسان بن عطية قال : قال عمر رضي الله عنه وأتاه عيينة بن حصن يطلب من سهم المؤلفة قلوبهم فقال قد أغنى الله عنك وعن ضربائك { وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ } (الكهف : 29) أي ليس اليوم مؤلفة .

(117/2)

{ وَفِي الرِّقَابِ } فيهم قولان :

أحدهما : أنهم المكاتبون ، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه والشافعي .

والثاني : أنهم عبيد يُشترون بهذا السهم قاله ابن عباس ومالك .

{ وَالْغَارِمِينَ } وهم الذين عليهم الدين يلزمهم غرمه ، فإن ادّانوا في مصالح أنفسهم لم يعطوا إلا مع الفقر ، وإن ادّانوا في المصالح العامة أعطوا مع الغنى والفقر .

واختلف فيمن ادّان في معصية على ثلاثة أقاويل :

أحدها لا يعطى لئلا يعان على معصية .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والثاني : يعطى لأن الغرم قد وجب ، والمعصية قد انقضت .

والثالث : يعطى التائب منها ولا يعطى إن أصر عليها .

{ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ } هم الغزاة المجاهدون في سبيل الله يعطون سهمهم من الزكاة مع الغنى والفقر .

{ وَابْنِ السَّبِيلِ } فيه قولان :

أحدهما : هو المسافر لا يجد نفقة سفره ، يعطى منها وإن كان غنياً في بلده ، وهو قول الجمهور .

والثاني : أنه الضيف ، حكاه ابن الأنباري .

(118/2)

وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (61)

قوله عز وجل { وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ } أي يصغي إلى كل أحد ، فيسمع منه ، قال عدي بن زيد :

أيها القلب تعلّل بددن ... إن همي من سماع وأذن

{ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ } أي يسمع الخير ويعمل به ، لا أذن شر يفعله إذا سمعه .

قال الكلبي : نزلت هذه الآية في جماعة من المنافقين كانوا يعيبون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون فيه ما لا يجوز ، فنزلت هذه الآية فيهم .

وفي تأويلها وجهان :

أحدهما : أنهم كانوا يعيبونه بأنه أذن يسمع جميع ما يقال له ، فجعلوا ذلك عيباً فيه .

والثاني : أنهم عابوه فقال أحدهم : كفوا فإني أخاف أن يبلغه فيعاقبنا ، فقالوا : هو أُذن إذا أجبناه وحلفنا له صدقنا ، فنسبوه بذلك إلى قبول العذر في الحق والباطل ، قاله الكلبي ومقاتل .

وقيل إن قائل هذا نفيل بن الحارث .

(119/2)

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ (62) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ (63)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله عز وجل { أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ } فيها ثلاثة أقوال :

أحدها : من يخالف الله ورسوله ، قاله الكلبي .

والثاني : مجاوزة حدودها ، قاله علي بن عيسى .

والثالث : أنها معاداتها مأخوذ من حديد السلاح لاستعماله في المعاداة ، قاله ابن بحر .

{ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ } وهذا وعيد ، وإنما سميت النار جهنم من قول العرب بئر جهنام إذا كانت بعيدة القعر ، فسميت نار الآخرة جهنم لبعد قعرها ، قاله ابن بحر .

(120/2)

يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ (64)

{ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ . . . } الآية ، فيه وجهان :

أحدهما : أنه إخبار من الله تعالى عن حذرهم ، قاله الحسن وقتادة .

والثاني : أنه أمر من الله تعالى لهم بالحذر ، وتقديره ليحذر المنافقون ، قاله الزجاج .

وفي قوله تعالى { . . . تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِم } وجهان :

أحدهما : ما أسرّوه من النفاق .

والثاني : قولهم في غزوة تبوك : أيرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها؟ هيهات هيهات . فأطلع الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وسلم على ما قالوا ، قاله الحسن وقتادة .

{ قُلِ اسْتَهْزِئُواْ } هذا وعيد خرج مخرج الأمر للتهديد .

{ إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ } يحتمل وجهين :

أحدهما : مظهر ما تسرون .

والثاني : ناصر من تخذلون .

(121/2)

وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (65) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (66) الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (67) وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (68)

قوله عز وجل { الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ } يحتمل وجهين :

أحدهما : أن بعضهم يجتمع مع بعض على النفاق .

والثاني : أن بعضهم يأخذ نفاقه من بعضٍ . وقال الكلبي : بعضهم على دين بعض .

{ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ } في المنكر والمعروف قولان :

أحدهما : أن المنكر كل ما أنكره العقل من الشرك ، والمعروف : كل ما عرفه العقل من الخير .

والثاني : أن المعروف في كتاب الله تعالى كله الإيمان ، والمنكر في كتاب الله تعالى كله الشرك ، قاله أبو العالية .

{ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ } فيه أربعة أقاويل :

أحدها : يقبضونها عن الإنفاق في سبيل الله تعالى ، قاله الحسن ومجاهد .

والثاني : يقبضونها عن كل خير ، قاله قتادة .

والثالث : يقبضونها عن الجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم ، قاله بعض المتأخرين .

والرابع : يقبضون أيديهم عن رفعها في الدعاء إلى الله تعالى .

{ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ } أي تركوا أمره فترك رحمتهم .

قال ابن عباس : كان المنافقون بالمدينة من الرجال ثلاثمائة ، ومن النساء سبعين ومائة امرأة .

وروى مكحول عن أبي الدرداء أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفة المنافق : فقال : « إذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا اؤتُمِنَ خَانَ ، وَإِذا وَعَدَ أَخلَفَ ، وَإِذَ خَاصَمَ فَجَرَ ، وَإِذَا عَاهَدَ نَقَضَ ، لاَ يَأْتِي الصَّلاَةَ إِلاَّ دُبُراً وَلاَ يَذْكُرِ اللَّهَ إِلاَّ هَجْراً

» .

(122/2)

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (69)

قوله عز وجل { . . . فَاسْتَمْتَعُواْ بِخَلاَقِهِم . . } .

قيل بنصيبهم من خيرات الدنيا .

ويحتمل استمتاعهم باتباع شهواتهم .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
وفيه وجه ثالث : أنه استمتاعهم بدينهم الذي أصروا عليه .
{ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوآ } فيه وجهان :
أحدهما : في شهوات الدنيا .
والثاني : في قول الكفر .
وفيهم قولان :
أحدهما : أنهم فارس والروم .
والثاني : أنهم بنو اسرائيل .

(123/2)

أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (70) وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (71) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (72)

قوله عز وجل { . . وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ } فيه وجهان :
أحدهما : أن المساكن الطيبة قصور من اللؤلؤ والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر مبنية بهذه الجواهر .
الثاني : أنها المساكن التي يطيب العيش فيها ، وهو محتمل .
وأما جنات عدن فيها خمسة أوجه :
أحدها : أنها جنات خلود وإقامة ، ومنه سمي المعدن لإقامة جوهره فيه ، ومنه قول الأعشى :
فإن تستضيفوا إلى حلمِه ... تضافوا إلى راجح قد عدَن
يعني ثابت الحلم . وهذا مروي عن ابن عباس .
والثاني : أن جنات عدن هي جنات كروم وأعناب بالسريانية ، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً .
والثالث : أن عدن اسم لبطنان الجنة اي وسطها ، قاله عبد الله بن مسعود . والرابع : أن عدن اسم قصر في الجنة ، قاله عبد الله بن عمرو بن العاص والحسن .
والخامس : أن جنة عدن في السماء العليا لا يدخلها إلا نبيّ أو صديق أو شهيد أو إمام عدل .
وجنة المأوى في السماء الدنيا تأوي إليها أرواح المؤمنين رواه معاذ بن جبل مرفوعاً .

This file was downloaded from QuranicThought.com

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (73) يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (74)

قوله عز وجل { يَآ أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ } أما جهاد الكفار فبالسيف وأما جهاد المنافقين ففيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : جهادهم بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه وقلبه ، فإن لم يستطع فليكفهر في وجوههم ، قاله ابن مسعود .

والثاني : جهادهم باللسان ، وجهاد الكفار بالسيف ، قاله ابن عباس .

والثالث : أن جهاد الكفار بالسيف ، وجهاد المنافقين بإقامة الحدود عليهم ، قاله الحسن وقتادة . وكانوا أكثر من يصيب الحدود .

{ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمِ } يحتمل وجهين :

أحدهما : تعجيل الانتقام منهم .

والثاني : ألا يصدق لهم قولاً ، ولا يبر لهم قسماً .

قوله عز وجل { يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُواْ } فيهم ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه الجلاس بن سويد بن الصامت ، قال : إن كان ما جاء به محمد حقاً فنحن شر من الحمير ، ثم حلف أنه ما قال ، وهذا قول عروة ومجاهد وابن إسحاق .

والثاني : أنه عبد الله بن أبي بن سلول . قال : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، قاله قتادة .

والثالث : أنهم جماعة من المنافقين قالوا ذلك ، قاله الحسن .

{ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ } يعني ما أنكروه مما قدمنا ذكره تحقيقاً لتكذيبهم فيما أنكروه وقيل بل هو قولهم إن محمداً ليس بنبي .

{ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إسلامهم } يحتمل وجهين :

أحدهما : كفروا بقلوبهم بعد أن آمنوا بأفواههم .

والثاني : جرى عليهم حكم الكفر بعد أن جرى عليهم حكم الإيمان .

{ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُواْ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن المنافقين هموا بقتل الذي أنكر عليهم ، قاله مجاهد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

والثاني : أنهم هموا بما قالوه { لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنهَا الأَذَلَّ } وهذا قول قتادة .
والثالث : أنهم هموا بقتل النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا مروي عن مجاهد أيضاً وقيل إنه كان ذلك في غزوة تبوك .

(125/2)

وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آَتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (75) فَلَمَّا آَتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (76) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (77) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (78)

قوله عز وجل { وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ ءَاتَانَا مِن فَضْلِهِ . . . } الآية والتي بعدها نزلت في ثعلبة ابن حاطب الأنصاري . وفي سبب نزولها قولان :
أحدهما : أنه كان له مال بالشام خاف هلاكه فنذر أن يتصدق منه ، فلما قدم عليه بخل به ، قاله الكلبي .
والثاني : أن مولى لعمر قتل رجلاً لثعلبة فوعد إن أوصل الله الدية إليه أخرج حق الله تعالى منها ، فلما وصلت إليه بخل بحق الله تعالى أن يخرجه ، قاله مقاتل .
وقيل إن ثعلبه لما بلغه ما نزل فيه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله أن يقبل منه صدقته فقال : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَنَعَنِي أَن أَقْبَلَ مِنكَ صَدَقَتَكَ » فجعل يحثي على رأسه التراب . وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيئاً .

(126/2)

الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (79)

قوله عز وجل { الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ } قرىء بضم الجيم وفتحها وفيه وجهان :
أحدهما : أنهما يختلف لفظهما ويتفق معناهما ، قاله البصريون .
والثاني : أن معناهما مختلف ، فالجهد بالضم الطاقة ، وبالفتح المشقة ، قاله بعض الكوفيين .
وقيل : كان ذلك في غزاة تبوك نزلت في عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدي وأبي عقيل

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الأراشي وسبب ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة ليتجهز للجهاد ، فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال هذا شطر مالي صدقة ، وجاء عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر ، وجاء أبو عقيل بصاع من تمر وقال : إني آجرت نفسي بصاعين فذهبت بأحدهما إلى عيالي وجئت بالآخر صدقة ، فقال قوم من المنافقين حضروه : أما عبد الرحمن وعاصم فما أعطيا إلا رياءً ، وأما صاع أبي عقيل فالله غني عنه ، فنزلت فيهم هذه الآية .

{ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ } يحتمل وجهين :

أحدهما : أنهم أظهروا حمدهم واستبطنوا ذمهم .

والثاني : أنهم نسبوا إلى الرياء وأعلنوا الاستهزاء .

{ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ } يحتمل وجهين :

أحدهما : أنه ما أوجبه عليهم من جزاء الساخرين .

والثاني : بما أمهلهم من المؤاخذة .

قال ابن عباس : وكان هذا في الخروج إلى غزاة تبوك .

(127/2)

اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (80)

قوله عز وجل { اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ } وهذا على وجه المبالغة في اليأس من المغفرة وإن كان على صيغة الأمر ، ومعناه أنك لو طلبتها لهم طلب المأمور بها أو تركتها ترك المنهي عنها لكان سواء في أن الله تعالى لا يغفر لهم .

قوله { إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً } ليس بحد لوقوع المغفرة بعدها ، وإنما هو على وجه المبالغة بذكر هذا العدد لأن العرب تبالغ بالسبع والسبعين لأن التعديل في نصف العقد وهو خمسة إذا زيد عليه واحد كان لأدنى المبالغة ، وإذا زيد عليه اثنان كان لأقصى المبالغة ، ولذلك قالوا للأسد سبُع أي قد ضوعفت قوته سبع مرات ، وهذا ذكره علي بن عيسى .

وحكى مجاهد وقتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لُهُمْ أَكْثَرَ مِن سَبْعِينَ مَرَّةً » فأنزل الله تعالى { سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتُ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ } فكف .

(128/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (81) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (82)

قوله عز وجل { فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ } أي المتروكون .

{ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللَّهِ } فيه وجهان :

أحدهما : يعني مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا قول الأكثرين .

والثاني : معناه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله أبو عبيدة وأنشد .

عفت الديار خلافهم فكانما ... بسط الشواطب بينهن حصيراً

أي بعدهم .

{ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ } فيه وجهان :

أحدهما : هذا قول بعضهم لبعض حين قعدوا .

والثاني : أنهم قالوه للمؤمنين ليقعدوا معهم ، وهؤلاء المخلفون عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة تبوك وكانوا أربعة وثمانين نفساً .

قوله عز وجل { فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً } هذا تهديد وإن خرج مخرج الأمر ، وفي قلة ضحكهم وجهان :

أحدهما : أن الضحك في الدنيا لكثرة حزنها وهمومها قليل ، وضحكهم فيها أقل لما يتوجه إليهم من الوعيد .

الثاني : أن الضحك في الدنيا وإن دام إلى الموت قليل ، لأن الفاني قليل .

{ وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً } فيه وجهان :

أحدهما : في الآخرة لأنه يوم مقداره خمسون ألف سنة ، وهم فيه يبكون ، فصار بكاؤهم كثيراً ، وهذا معنى قول الربيع بن خيثم .

الثاني : في النار على التأبيد لأنهم إذا مسهم العذاب بكوا من ألمه ، وهذا قول السدي .

ويحتمل أن يريد بالضحك السرور ، وبالبكاء الغم .

(129/2)

فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ (83)

قوله عز وجل : { . . . إِنَّكُم رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ } فيه قولان :

أحدهما : أول مرة دعيتم .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفيّة الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثاني : يعني قبل استئذانكم .

{ فَاقْعُدُواْ مَعَ الْخَالِفِينَ } فيهم قولان :

أحدهما : أنهم النساء والصبيان ، قاله الحسن وقتادة .

الثاني : هم الرجال الذين تخلفوا بأعذار وأمراض ، قاله ابن عباس .

(130/2)

وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ (84)

قوله عز وجل { وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُم مَّاتَ أَبَداً } لما احتضر عبد الله بن أبي بن سلول أتى ابنُه النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يصلي عليه وأن يعطيه قميصه ليكفن فيه فأعطاه إياه وهو عرق فكفنه فيه وحضره ، فقيل إنه أدركه حياً ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَهْلَكَهُمُ اليَهُودُ » فقال : يا رسول الله لا تؤنبني واستغفر لي ، فلما مات ألبسه قميصه وأراد الصلاة عليه فجذبه عمر رضي الله عنه وقال : يا رسول الله أليس الله قد نهاك عن الصلاة عليهم؟ فقال : « يَا عُمَرُ خَيَّرَنِي رَبِّي فَقَالَ : { اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُمْ } لأَزِيدَنَّ عَلَى الْسَّبِعِينَ » فصلى عليه . فنزلت { وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً } الآية ، فما صلى بعدها على منافق ، وهذا قول ابن عباس وابن عمر وجابر وقتادة .

وقال أنس بن مالك : أراد أن يصلي عليه فأخذ جبريل بثوبه وقال { وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّاتَ أَبَداً } .

{ وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ } يعني قيام زائر ومستغفر .

(131/2)

وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (85) وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ (86) رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (87)

قوله عز وجل { وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيا } يحتمل ثلاثة أوجه :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدها : يعذبهم بحفظها في الدنيا والإشفاق عليها .

والثاني : يعذبهم بما يلحقهم منها من النوائب والمصائب .

والثالث : يعذبهم في الآخرة بما صنعوا بها في الدنيا عند كسبها وعند إنفاقها .

وحكى ابن الأنباري وجهاً رابعاً : أنه على التقديم والتأخير ، وتقديره : ولا تعجبك أموالهم وأولادهم في الدنيا إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الآخرة .

قوله عز وجل { وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : استديموا الإيمان بالله .

والثاني : افعلوا فعل من آمن بالله .

والثالث : آمنوا بقلوبكم كما آمنتم بأفواهكم ، ويكون خطاباً للمنافقين .

{ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُوْلُوْا الطَّوْلِ مِنْهُمْ } فيه وجهان :

أحدهما : أهل الغنى ، قاله ابن عباس وقتادة .

والثاني : أهل القدرة . وقال محمد بن إسحاق . نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول والجد بن قيس .

قوله عز وجل { رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : مع المنافقين ، قاله مقاتل .

والثاني : أنهم خساس الناس وأدناهم مأخوذ من قولهم فلان خالفه أهله إذا كان دونهم ، قاله ابن قتيبة .

والثالث : أنهم النساء ، قاله قتادة والكلبي .

(132/2)

لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (88) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (89)

قوله عز وجل { وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ } وهو جمع خيرة ، وفيها أربعة أوجه :

أحدها : أنها غنائم الدنيا ومنافع الجهاد .

والثاني : فواضل العطايا .

والثالث : ثواب الآخرة .

والرابع : حُور الجنان ، من قوله تعالى { فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ } [الرحمن : 70] .

(133/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (90) لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (91) وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ (92) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (93)

قوله عز وجل { وَجَآءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ } فيها وجهان :

أحدهما : أنهم المعتذرون بحق اعتذروا به فعذروا ، قاله ابن عباس وتأويل قراءة من قرأها بالتخفيف .

والثاني : هم المقصرون المعتذرون بالكذب ، قاله الحسن وتأويل من قرأها بالتشديد ، لأنه إذا خفف مأخوذ من العذر ، وإذا شدد مأخوذ من التعذير ، والفرق بينهما أن العذر حق والعذير كذب .

وقيل إنهم بنو أسد وغطفان .

قوله عز وجل { لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى } الآية . وفي الضعفاء ها هنا ثلاثة أوجه :

أحدها : أنهم الصغار لضعف أبدانهم .

الثاني : المجانين لضعف عقولهم .

الثالث : العميان لضعف بصرهم . كما قيل في تأويل قوله تعالى في شعيب { إِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً } [هود : 91] أي ضريراً .

{ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ } فيه وجهان :

أحدهما : إذا برئوا من النفاق .

الثاني : إذا قاموا بحفظ المخلفين من الذراري والمنازل .

فإن قيل بالتأويل الأول كان راجعاً إلى جميع من تقدم ذكره من الضعفاء . والمرضى الذين لا يجدون ما ينفقون .

وإن قيل بالتأويل الثاني كان راجعاً إلى الذين لا يجدون ما ينفقون خاصة .

وقيل إنها نزلت في عائذ بن عمرو وعبد الله ابن مُغَفّل .

{ وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ } فيه وجهان : أحدهما : أنه لم يجد لهم زاداً لأنهم طلبوا ما يتزودون به ، قاله أنس بن مالك .

والثاني : أنه لم يجد لهم نعالاً لأنهم طلبوا النعال ، قاله الحسن .

روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذه الغزاة وهي تبوك « أَكْثِرُوا مِنَ النِّعَالِ فَإِنَّ

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الرَّجُلَ لاَ يَزَالُ رَاكِباً مَا كَانَ مُنْتَعِلاً

» . وفيمن نزلت فيه خمسة أقاويل :

أحدها : في العرباض بن سارية ، قاله يحيى بن أبي المطاع .

والثاني : في عبد الله بن الأزرق وأبي ليلى ، قاله السدي .

والثالث : في بني مقرّن من مُزينة ، قاله مجاهد .

والرابع : في سبعة من قبائل شتى ، قاله محمد بن كعب .

والخامس : في أبي موسى وأصحابه ، قاله الحسن .

(134/2)

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (94) سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (95) يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (96)

قوله عز وجل : { إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ } في السبيل ها هنا وجهان :

أحدهما : الإنكار .

الثاني : الإثم .

وقوله تعالى : { يَسْتَأْذِنُونَكَ } يعني في التخلف عن الجهاد . { وَهُمْ أَغْنِيَآءُ } يعني بالمال والقدرة .

{ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ } فيه وجهان :

أحدهما : أنهم الذراري من النساء والأطفال .

الثاني : أنهم المتخلفون بالنفاق .

(135/2)

الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (97) وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (98) وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (99)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قوله عز وجل : { الأَعْرابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً } فيه وجهان :

أحدهما : أن يكون الكفر والنفاق فيهم أكثر منه في غيرهم لقلة تلاوتهم القرآن وسماعهم السنن .

الثاني : أن الكفر والنفاق فيهم أشد وأغلظ منه في غيرهم لأنهم أجفى طباعاً وأغلظ قلوباً .

{ وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُوا حُدُودَ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ } ومعنى أجدر أي أقرب ، مأخوذ من الجدار الذي يكون بين مسكني المتجاورين .

وفي المراد بحدود الله ما أنزل الله وجهان :

أحدهما : فروض العبادات المشروعة .

الثاني : الوعد والوعيد في مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم والتخلف عن الجهاد .

قوله عز وجل { وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَماً } فيه وجهان :

أحدهما : ما يدفع من الصدقات .

الثاني : ما ينفق في الجهاد مع الرسول صلى الله عليه وسلم مغرماً ، والمغرم التزام ما لا يلزم ، ومنه قوله تعالى { إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً } [الفرقان : 65] أي لازماً ، قال الشاعر :

فَمَا لَكَ مَسْلُوبَ العَزَاءِ كَأَنَّمَا ... تَرَى هَجْرَ لَيْلَى مَغْرَماً أَنْتَ غارِمُهُ

{ وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَآئِرَ } جمع دائرة وهي انقلاب النعمة إلى ضدها ، مأخوذة من الدور ويحتمل تربصهم الدوائر وجهين :

أحدهما : في إعلان الكفر والعصيان .

والثاني : في انتهاز الفرصة بالانتقام .

{ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ } رد لما أضمروا وجزاء لما مكروا .

قوله عز وجل { وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ } قال مجاهد : هم بنو مقرن من مزينة .

{ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ } يحتمل وجهين :

أحدهما : أنها تقربة من طاعة الله ورضاه .

الثاني : أن ثوابها مذخور لهم عند الله تعالى فصارت قربات عند الله { وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ } فيها وجهان :

أحدهما : أنه استغفاره لهم ، قاله ابن عباس .

الثاني : دعاؤه لهم ، قاله قتادة .

{ أَلاَ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ } فيه وجهان :

أحدهما : أن يكون راجعاً إلى إيمانهم ونفقتهم أنها قربة لهم .

الثاني : إلى صلوات الرسول أنها قربة لهم .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (100)

قوله عز وجل : { وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأنصَارِ } فيهم أربعة أقاويل :

أحدها : أنهم الذين صلّوا إلى القبلتين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قاله أبو موسى الأشعري وسعيد بن المسيب .

الثاني : أنهم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان ، قاله الشعبي وابن سيرين .

الثالث : أنهم أهل بدر ، قاله عطاء .

الرابع : أنهم السابقون بالموت والشهادة من المهاجرين والأنصار سبقوا إلى ثواب الله تعالى وحسن جزائه .

ويحتمل خامساً : أن يكون السابقون الأولون من المهاجرين هم الذين آمنوا بمكة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم ، والسابقون الأولون من الأنصار هم الذين آمنوا برسول الله ورسوله قبل هجرته إليهم .

{ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ } يحتمل وجهين :

أحدهما : من الإيمان .

الثاني : من الأفعال الحسنة .

{ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : رضي الله عنهم بالإيمان ، ورضوا عنه بالثواب ، قاله ابن بحر .

الثاني : رضي الله عنهم في العبادة . ورضوا عنه بالجزاء ، حكاه علي بن عيسى .

الثالث : رضي الله عنهم بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ورضوا عنه بالقبول .

(137/2)

وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ (101)

قوله عز وجل : { وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرابِ مُنَافِقُونَ } يعني حوله المدينة : قال ابن عباس : مزينة وجهينة وأسلم وغِفار وأشجع كان فيهم بعد إسلامهم منافقون كما كان من الأنصار لدخول جميعهم تحت القدرة فتميزوا بالنفاق وإن عمتهم الطاعة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

{ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أقاموا عليه ولم يتوبوا منه ، قاله عبد الرحمن بن زيد .

الثاني : مردوا عليه أي عتوا فيه ، ومنه قوله عز وجل { وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَّرِيداً } [النساء : 117] .

الثالث : تجردوا فيه فظاهروا ، مأخوذ منه تجرد خد الأمرد لظهوره وهو محتمل .

{ لاَ تَعْلَمُهُمْ } فيه وجهان :

أحدهما : لا تعلمهم حتى نعلمك بهم .

الثاني : لا تعلم أنت عاقبة أمورهم وإنما نختص نحن بعلمها ، وهذا يمنع أن يحكم على أحد بجنة أو نار .

{ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ } فيه أربعة أوجه :

أحدهما : أن أحد العذابين الفضيحة في الدنيا والجزع من المسلمين ، والآخر عذاب القبر ، قاله ابن عباس .

والثاني : أن أحدهما عذاب الدنيا والآخر عذاب الآخرة ، قاله قتادة .

والثالث : أن أحدهما الأسر والآخر القتل ، قاله ابن قتيبة .

والرابع : أن أحدهما الزكاة التي تؤخذ منهم والآخر الجهاد الذي يؤمرون به لأنهم بالنفاق يرون ذلك عذاباً . قال الحسن .

{ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدهما : أنه عذاب النار في الآخرة .

الثاني : أنه إقامة الحدود في الدنيا .

الثالث : إنه أخذ الزكاة منهم .

(138/2)

وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (102)

قوله عز وجل : { وَءَاخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ } فيهم قولان :

أحدهما : أنهم سبعة من الأنصار منهم أو لبابة بن عبد المنذر ، وأوس بن ثعلبة ، ووديعة بن حزام ، كانوا من جملة العشرة الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة تبوك ، فربطوا أنفسهم لما ندموا على تأخرهم إلى سواري المسجد ليطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إن عفا

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

عنهم ، فلما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بهم وكانوا على طريقة فسأل عنهم فأخبر بحالهم فقال : « لاَ أَعذُرُهمْ وَلاَ أُطْلِقُهم حَتَّى يَكونَ اللَّهَ تَعالَى هُوَ الَّذِيَ يَعْذُرُهم وَيُطْلِقُهمْ » فنزلت هذه الآية فيهم فأطلقهم ، وهذا قول ابن عباس .

الثاني : أنه أبو لبابة وحده قال لبني قريظة حين أرادوا النزول على حكم النبي صلى الله عليه وسلم إنه ذابحكم إن نزلتم على حكمه ، قاله مجاهد .

{ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحاً وَءَاخَرَ سَيِّئاً } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن الصالح : الجهاد ، والسيء ، التأخر عنه ، قاله السدي .

الثاني : أن السيىء : الذنب والصالح : التوبة ، قاله بعض التابعين .

الثالث : ما قاله الحسن : ذنباً وسوطاً لا ذهباً فروطاً ، ولا ساقطاً سقوطاً .

(139/2)

خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (104) وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (105)

قوله عز وجل : { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً } قال ابن عباس : لما نزل في أبي لبابة وأصحابه { وَءَاخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِم } الآية . ثم تاب عليهم قالوا يا رسول الله خذ منا صدقة أموالنا لتطهرنا وتزكينا ، قال : لا أفعل حتى أؤمر ، فأنزل الله تعالى { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً } وفيها وجهان :

أحدهما : أنها الصدقة التي بذلوها من أموالهم تطوعاً ، قاله ابن زيد .

والثاني : أنها الزكاة التي أوجبها الله تعالى في أموالهم فرضاً ، قاله عكرمة . ولذلك قال : { مِنْ أَمْوَالِهِمْ } لأن الزكاة لا تجب في الأموال كلها وإنما تجب في بعضها .

{ تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا } أي تطهر ذنوبهم وتزكي أعمالهم .

{ وَصَلِّ عَلَيْهِمِ } فيه وجهان :

أحدهما : استغفر لهم : قاله ابن عباس .

الثاني : ادع لهم ، قاله السدي .

{ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ } فيه خمسة تأويلات :

أحدها : قربة لهم ، قاله ابن عباس في رواية الضحاك .

الثاني : رحمة لهم ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس أيضاً .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الثالث : وقار لهم ، قاله قتادة .

الرابع : تثبت لهم ، قاله ابن قتيبة .

الخامس : أمن لهم ، ومنه قول الشاعر :

يَا جَارَةَ الحَيِّ كُنتِ لي سَكَناً ... إذْ لَيْسَ بعضُ الجِيرَانِ بِالسَّكَنِ

وفي الصلاة عليهم والدعاء لهم عند أخذ الصدقة منهم ستة أوجه :

أحدها : يجب على الآخذ الدعاء للمعطي اعتباراً بظاهر الأمر .

الثاني : لا يجب ولكن يستحب لأن جزاءها على الله تعالى لا على الآخذ .

والثالث : إن كانت تطوعاً وجب على الآخذ الدعاء ، وإن كانت فرضاً استحب ولم يجب .

والرابع : إن كان آخذها الوالي استحب له الدعاء ولم يجب عليه ، وإن كان آخذها الفقير وجب عليه الدعاء له ، لأن الحق في دفعها إلى الوالي معيّن ، وإلى الفقير غير معيّن .

والخامس : إن كان آخذها الوالي وجب ، وإن كان الفقير استحب ولم يجب . لأنه دفعها إلى الوالي إظهار طاعة فقوبل عليها بالشكر وليس كذلك الفقير .

والسادس : إن سأل الدافع الدعاء وجب ، وإن لم يسأل استحب ولم يجب .

روى عبد الله بن أبي أوفى قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بصدقات قومي فقلت يا رسول الله صلِّ عليّ ، فقال : « اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى

» .

(140/2)

وَآَخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (106)

قوله عز وجل : { وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللَّهِ } وهم الثلاثة الباقون من العشرة المتأخرين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة تبوك ولم يربطوا أنفسهم مع أبي لبابة ، وهم هلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع ، وكعب بن مالك .

{ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللَّهِ } أي مؤخرون موقوفون لما يرد من أمر الله تعالى فيهم .

{ إِمَّا يُعَذِبُهُمْ } فيه وجهان :

أحدهما : يميتهم على حالهم ، قاله السدي .

الثاني : يأمر بعذابهم إذا لم يعلم صحة توبتهم .

{ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ } يحتمل وجهين :

أحدهما : أن يعلم صدق توبتهم فيطهر ما فيهم .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثاني : أن يعفو عنهم ويصفح عن ذنوبهم .

{ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } أي عليم بما يؤول إليه حالهم ، حكيم فيما فعله من إرجائهم .

(141/2)

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (107) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (108)

قوله عز وجل : { وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً } هؤلاء هم بنو عمرو بن عوف وهم اثنا عشر رجلاً من الأنصار المنافقين ، وقيل : هم خذام بن خالد ومن داره أخرج مسجد الشقاق ، وثعلبة بن حاطب ، وَمُعَتِّب بن قشير ، وأبو حبيبة بن الأزعر ، وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف ، وجارية بن عامر ، وابناه مُجمِّع وزيد ابنا جارية ، ونبتل بن الحارث ، وبجاد بن عثمان ، ووديعة بن ثابت ، وبحرج وهو جد عبد الله بن حنيف ، وله قال النبي صلى الله عليه وسلم « وَيْلَكَ يَا بَحْرَج مَاذَا أَرَدْتَ بِمَا أَرَى؟ » فقال يا رسول الله ما أردت إلا الحسنى ، وهو كاذب ، فصدقه ، فبنى هؤلاء مسجد الشقاق والنفاق قريباً من مسجد قباء .

{ ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ } يعني ضراراً ، وكفراً بالله ، وتفريقاً بين المؤمنين أن لا يجتمعوا كلهم في مسجد قباء فتجتمع كلمتهم ، ويتفرقوا فتتفرق كلمتهم ، ويختلفوا بعد ائتلافهم .

{ وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ . . . } وفي الإرصاد وجهان :

أحدهما : أنه انتظار سوء يتوقع .

الثاني : الحفظ المقرون بفعل .

وفي محاربة الله تعالى ورسوله وجهان :

أحدهما : مخالفتهما .

الثاني : عداوتهما . والمراد بهذا الخطاب أبو عامر الراهب والد حنظلة بن الراهب كان قد حزّب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خاف فهرب إلى الروم وتنصر واستنجد هرقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فبنوا هذا المسجد له حتى إذا عاد من هرقل صلى فيه ، وكانوا يعتقدون أنه إذا صلى فيه نُصِر ، وكانوا ابتدأوا بنيانه ورسول الله صلى الله عليه وسلم خارج إلى تبوك ، فسألوه أن يصلي لهم فيه فقال : « أَنَا عَلَى سَفَرٍ وَلَو قَدِمْنَا إِن شَآءَ اللَّهُ أَتَيْنَاكُم وَصَلَّينَا لَكُم فِيهِ » . فلما قدم من تبوك أتوه وقد فرغوا منه وصلوا فيه الجمعة والسبت والأحد ، وقالوا قد فرغنا منه ، فأتاه خبر المسجد وأنزل الله تعالى فيه ما أنزل .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وحكى مقاتل أن الذي أمّهم فيه مجمع بن جارية وكان قارئاً ، ثم حسن إسلامه بعد ذلك فبعثه عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الكوفة يعلمهم القرآن ، وهو علم ابن مسعود بقية القرآن .

{ . . . وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى } يحتمل ثلاثة أوجه : أحدها : طاعة الله تعالى .

والثاني : الجنة .

والثالث : فعل التي هي أحسن ، من إقامة الدين والجماعة والصلاة ، وهي يمين تحرُّج .

{ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } يحتمل وجهين :

أحدهما : والله يعلم إنهم لكاذبون في قولهم خائنون في إيمانهم .

والثاني : والله يعلمك أنهم لكاذبون خائنون . فصار إعلامه له كالشهادة منه عليهم .

{ لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَداً } أي لا تصلَّ فيه أبداً ، يعني مسجد الشقاق والنفاق فعند ذلك أنفذ رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم وعاصم بن عدي فقال : انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه . فذهبا إليه وأخذا سعفاً وحرقاه . وقال ابن جريج : بل انهار المسجد في يوم الاثنين ولم يُحرَّق .

(142/2)

{ لَّمَسْجِدٌ أُسِسَّ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ } وفيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، قاله أبو سعيد الخدري ورواه مرفوعاً .

الثاني : أنه مسجد قباء ، قاله الضحاك وهو أول مسجد بني في الإسلام ، قاله ابن عباس وعروة بن الزبير وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك .

الثالث : أنه كل مسجد بني في المدينة أسس على التقوى ، قاله محمد بن كعب { فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : من المسجد الذي أسس على التقوى رجال يحبون أن يتطهروا من الذنوب والله يحب المتطهرين منها بالتوبة ، قاله أبو العالية .

والثاني : فيه رجال يحبون أن يتطهروا من البول والغائط بالاستنجاء بالماء . والله يحب المتطهرين بذلك .

روى أبو أيوب الأنصاري وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للأنصار عند نزول هذه الآية : « يَا مَعْشَرَ الأَنصَارِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَثْنَى عَلَيكُم خَيراً فِي الطَّهُورَ فَمَا طَهُورُكُم هَذَا » قالوا : يا رسول الله نتوضأ للصلاة ونغتسل من الجنابة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فَهَلْ مَعَ ذَلِكَ غَيْرُهُ؟ » قالوا لا ، غير أن أحدنا إذا خرج إلى الغائط أحب أن يستنجي بالماء ، فقال : « هُوَ ذَلِكَ فَعَلَيكُمُوهُ » الثالث : أنه عني المتطهرين عن إتيان النساء في أدبارهن ، وهو مجهول ، قاله مجاهد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (109) لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (110)

قوله عز وجل : { أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ } يعني مسجد قباء والألف من { أَفَمَنْ } ألف إنكار .

ويحتمل قوله { عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ } وجهين :

أحدهما : أن التقوى اجتناب معاصيه ، والرضوان فعل طاعته .

الثاني : أن التقوى اتقاء عذابه ، والرضوان طلب ثوابه .

وكان عمر بن شبة يحمل قوله تعالى { لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى } على مسجد المدينة ، ويحتمل { أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مَنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ } على مسجد قباء ، فيفرق بين المراد بهما في الموضعين .

{ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ } يعني شفير جرف وهو حرف الوادي الذي لا يثبت عليه البناء لرخاوته وأكل الماء له { هَارٍ } يعني هائر ، والهائر : الساقط . وهذا مثل ضربه الله تعالى لمسجد الضرار .

ويحتمل المقصود بضرب هذا المثل وجهين :

أحدهما : أنه لم يبق بناؤهم الذي أسس على غير طاعة الله حتى سقط كما يسقط ما بني على حرف الوادي .

الثاني : أنه لم يخف ما أسرُّوه من بنائه حتى ظهر كما يظهر فساد ما بنى على حرف الوادي بالسقوط .

{ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ } فيه وجهان :

أحدهما : أنهم ببنيانهم له سقطوا في نار جهنم .

الثاني : أن بقعة المسجد مع بنائها وبُناتها سقطت في نار جهنم ، قاله قتادة والسدي .

قال قتادة : ذكر لنا أنه حفرت منه بقعة فرئي فيها الدخان وقال جابر بن عبد الله : رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار حين انهار .

قوله عزوجل { لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْاْ } يعني مسجد الضرار .

{ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِم } فيه قولان :

أحدهما : أن الريبة فيها عند بنائه .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الثاني : أن الريبة عند هدمه .

فإن قيل بالأول ففي الريبة التي في قلوبهم وجهان :

أحدهما : غطاء على قلوبهم ، قاله حبيب بن أبي ثابت .

الثاني : أنه شك في قلوبهم ، قاله ابن عباس وقتادة والضحاك ، ومنه قول النابغة الذبياني :

حَلَفْتُ فلم أترك لنَفْسِكَ ريبة ... وليس وراءَ الله للمرءِ مذهب

ويحتمل وجهاً ثالثاً : أن تكون الريبة ما أضمروه من الإضرار برسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين .

وإن قيل بالثاني أن الريبة بعد هدمه ففيها وجهان :

أحدهما : أنها حزازة في قلوبهم ، قاله السدي .

الثاني : ندامة في قلوبهم ، قاله حمزة .

ويحتمل وجهاً ثالثاً : أن تكون الريبة الخوف من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن المؤمنين .

{ إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : إلا أن يموتوا ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك .

الثاني : إلا أن يتوبوا ، قاله سفيان .

الثالث : إلا أن تقطع قلوبهم في قبورهم ، قاله عكرمة . وكان أصحاب ابن مسعود يقرأونها : { وَلَوْ تَقَطَّعَتْ قُلُوبُهُمْ } .

(144/2)

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (111)

قوله عز وجل { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ } اشترى أنفسهم بالجهاد ، { وَأَمْوَالَهُمْ } يحتمل وجهين :

أحدهما : نفقاتهم في الجهاد .

والثاني : صدقاتهم على الفقراء .

{ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ } قال سعيد بن جبير : يعني الجنة ، وهذا الكلام مجاز معناه أن الله تعالى أمرهم بالجهاد بأنفسهم وأموالهم ليجازيهم بالجنة ، فعبر عنه بالشراء لما فيه من عوض ومعوض مضار في معناه ، ولأن حقيقة الشراء لما لا يملكه المشتري .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

{ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ } لأن الثواب على الجهاد إنما يستحق إذا كان في طاعته ولوجهه .

{ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ } يعني أن الجنة عوض عن جهادهم سواء قَتَلُوا أو قُتِلُوا . فروى جابر بن عبد الله الأنصاري أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد فكبّر الناس ، فأقبل رجل من الأنصار ثانياً طرف ردائه على أحد عاتقيه فقال : يا رسول الله أنزلت هذه الآية؟ فقال : نَعَم ، فقال الأنصاري : بيع ربيح لا نقبل ولا نستقبل .

وقال بعض الزهاد : لأنه اشترى الأنفس الفانية بالجنة الباقية .

(145/2)

التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآَمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (112)

قوله عز وجل : { التَّآئِبُونَ } يعني من الذنوب .

ويحتمل أن يراد بهم الراجعون إلى الله تعالى في فعل ما أمر واجتناب ما حظر لأنها صفة مبالغة في المدح ، والتائب هو الراجع ، والراجع إلى الطاعة أفضل من الراجع عن المعصية لجمعه بين الأمرين .

{ العَابِدُونَ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : العابدون بتوحيد الله تعالى ، قاله سعيد بن جبير .

والثاني : العابدون بطول الصلاة ، قاله الحسن .

والثالث : العابدون بطاعة الله تعالى ، قاله الضحاك .

{ الحَامِدُونَ } فيه وجهان :

أحدهما : الحامدون لله تعالى على دين الإسلام ، قاله الحسن .

الثاني : الحامدون لله تعالى على السراء والضراء ، رواه سهل بن كثير .

{ السَّآئِحُونَ } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : المجاهدون روى أبو أمامة أن رجلاً استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي السياحة فقال : « إِنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتِي الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » والثاني : الصائمون ، وهو قول ابن مسعود وابن عباس ، وروى أبو هريرة مرفوعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سِيَاحَةُ أُمَّتِي الصَّوْمُ » . الثالث : المهاجرون ، قاله عبد الرحمن بن زيد .

الرابع : هم طلبة العِلم ، قاله عكرمة .

{ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ } يعني في الصلاة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

{ الأَمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ } فيه وجهان :

أحدهما : بالتوحيد ، قاله سعيد بن جبير .

الثاني : بالإسلام .

{ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ } فيه وجهان :

أحدهما : عن الشرك ، قاله سعيد بن جبير .

الثاني : أنهم الذين لم ينهوا عنه حتى انتهوا قبل ذلك عنه ، قاله الحسن .

{ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : القائمون بأمر الله تعالى .

والثاني : الحافظون لفرائض الله تعالى من حلاله وحرامه ، قاله قتادة .

والثالث : الحافظون لشرط الله في الجهاد ، قاله مقاتل بن حيان .

{ وَبَشّرِ الْمُؤْمِنِينَ } فيه وجهان :

أحدهما : يعني المصدقين بما وعد الله تعالى في هذه الآيات . قاله سعيد بن جبير .

والثاني : العاملين بما ندب الله إليه في هذه الآيات ، وهذا أشبه بقول الحسن .

وسبب نزول هذه الآية ما روى ابن عباس أنه لما نزل قوله تعالى { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم } الآية . أتى رجل من المهاجرين فقال يا رسول الله وإن زنى وإن سرق وإن شرب الخمر؟ فأنزل الله تعالى { التَّآئِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ } الآية .

(146/2)

مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (113) وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (114)

قوله عز وجل : { مَا كَانَ لِلنَّبِيّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى } اختلف في سبب نزولها على ثلاثة أقاويل :

أحدها : ما روى مسروق عن ابن مسعود قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقابر فاتبعناه فجاء حتى جلس إلى قبر منها فناجاه طويلاً ثم بكى فبكينا لبكائه ، ثم قام ، فقام إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فدعاه ثم دعانا فقال : « مَا أَبْكَاكُم؟ » قلنا : بكينا لبكائك ، قال : « إن القبر الذي جلست عنده قبر آمِنَةَ وَإِنِّي اسْتَأْذَنتُ رَبِّي فِي زِيَارَتِهَا فَأَذِنَ لِي ، وَإِنِّي استَأْذَنتُ رَبِّي فِي الدُّعَاءِ لَهَا فَلَمْ يَأْذَن لِي ، وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ : { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَآمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُربَى } الآية . { فأخذني ما يأخذ الولد للوالد ، وكنتُ نَهيتُكم عن زِيَارَةِ القُبُورِ فَزُورُوهَا فإنها تُذَكِّرُكُمُ الآخِرَةَ

» « والثاني : أنها نزلت في أبي طالب ، روى سعيد بن المسيب عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال صلى الله عليه وسلم : » أي عَمِّ قُلْ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ كَلِمَةٌ أُحَاج لَكَ بِهَا عِندَ اللَّهِ « فقال أبو جهل وعبد الله بن أمية : أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فكان آخر شيء كلمهم به أن قال : أنا على ملة عبد المطلب . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : » لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنكَ « فنزلت { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَآمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلمُشْرِكِينَ } الآية .

والثالث : أنها نزلت فيما رواه أبو الخليل عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال : سمعت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان ، فقلت : تستغفر لأبويك وهما مشركان؟ قال : أو لم يستغفر إبراهيم لأبويه؟ فذكرته للنبي صلى الله عليه وسلم ، فنزلت { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءآمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ } .

قوله عز وجل { وَمَا كَانَ استِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهآ إِيَّاهُ } الآية .

عذر الله تعالى إبراهيم عليه السلام في استغفاره لأبيه مع شركه لسالف موعده ورجاء إيمانه .

وفي موعده الذي كان يستغفر له من أجله قولان :

أحدهما : أن أباه وعده أنه إن استغفر له آمن .

والثاني : أن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له لما كان يرجوه أنه يؤمن .

{ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ } وذلك بموته على شركه وإياسه من إيمانه { تَبَرَّأَ مِنْهُ } أي من أفعاله ومن استغفاره له ، فلم يستغفر له بعد موته .

{ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ } فيه عشرة تأويلات :

أحدها : أن الأوّاه : الدعَّاء ، أي الذي يكثر الدعاء ، قاله ابن مسعود .

الثاني : أنه الرحيم ، قاله الحسن .

الثالث : أنه الموقن ، قاله عكرمة وعطاء .

الرابع : أنه المؤمن ، بلغة الحبشة ، قاله ابن عباس .

الخامس : أنه المسبِّح ، قاله سعيد بن المسيب .

السادس : أنه الذي يكثر تلاوة القرآن ، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً .

السابع : أنه المتأوّه ، قاله أبو ذر .

الثامن : أنه الفقيه ، قاله مجاهد .

التاسع : أنه المتضرع الخاشع ، رواه عبد الله بن شداد بن الهاد عن النبي صلى الله عليه وسلم .

العاشر : أنه الذي إذا ذكر خطاياه استغفر منها ، قاله أبو أيوب .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وأصل الأواه من التأوه وهو التوجع ، ومنه قول المثقب العبدي .

إِذَا مَا قُمْتُ أَرْحَلُها بِلَيْلٍ ... تَأَوَّهُ آهَةَ الرَّجُلِ الْحَزِينِ

(147/2)

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (115) إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (116)

قوله عز وجل : { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ } الآية . سبب نزولها أن قوماً من الأعراب أسلموا وعادوا إلى بلادهم فعملوا بما شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمله من الصلاة إلى بيت المقدس وصيام الأيام البيض ، ثم قدموا بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدوه يصلي إلى الكعبة ويصوم شهر رمضان : فقالوا : يا رسول الله أضلنا الله بعدك بالصلاة . إنك على أمر وإنا على غيره فأنزل الله تعالى هذه الآية .

(148/2)

لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (117)

قوله عز وجل : { لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ } الآية . هي غزوة تبوك قِبل الشام ، كانوا في عسرة من الظهر ، كان الرجلان والثلاثة على بعير وفي عسرة من الزاد ، قال قتادة حتى لقد ذكر لنا أن الرجلين كانا يشقان التمرة بينهما ، وكان النفر يتداولون التمرة بينهم يمصها أحدهم ثم يشرب عليها من الماء ، ثم يمصها الآخر ، وفي عسرة من الماء ، وكانوا في لهبان الحر وشدته .

قال عبد الله بن محمد بن عقيل : وأصابهم يوماً عطش شديد فجعلوا ينحرون إبلهم ويعصرون أكراشها فيشربون ماءها ، قال عمر بن الخطاب فأمطر الله السماء بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم فغشينا .

وفي هذه التوبة من الله على النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والأنصار وجهان محتملان :

أحدهما : استنقاذهم من شدة العسر .

والثاني : أنها خلاصهم من نكاية العدوّ . وعبر عن ذلك بالتوبة وإن خرج عن عرفها لوجود معنى

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

التوبة فيه وهو الرجوع إلى الحالة الأولى .

{ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ } فيه وجهان :

أحدهما : تتلف بالجهد والشدة .

والثاني : تعدِل عن الحق في المتابعة والنصرة ، قاله ابن عباس .

{ ثُمَّ تَابَ عَلَيهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ } وهذه التوبة غير الأولى ، وفيها قولان :

أحدهما : أن التوبة الأولى في الذهاب ، والتوبة الثانية في الرجوع .

والقول الثاني : أن الأولى في السفر ، والثانية بعد العودة إلى المدينة .

فإن قيل بالأول ، أن التوبة الثانية في الرجوع ، احتملت وجهين :

أحدهما : أنها الإذن لهم بالرجوع إلى المدينة .

الثاني : أنها بالمعونة لهم في إمطار السماء عليهم حتى حيوا ، وتكون التوبة على هذين الوجهين عامة .

وإن قيل إن التوبة الثانية بعد عودهم إلى المدينة احتملت وجهين :

أحدهما : أنها العفو عنهم من ممالأة من تخلف عن الخروج معهم .

الثاني : غفران ما همَّ به فريق منهم من العدول عن الحق ، وتكون التوبة على هذين الوجهين خاصة .

(149/2)

وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (118) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119)

قوله عز وجل : { وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ } يعني وتاب على الثلاثة الذين خلّفوا وفيه وجهان :

أحدهما : خلفوا عن التوبة وأخرت عليهم حين تاب عليهم ، أي على الثلاثة الذين لم يربطوا أنفسهم مع أبي لبابة ، قاله الضحاك وأبو مالك .

الثاني : خلفوا عن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قاله عكرمة .

وهؤلاء الثلاثة هم : هلال بن أمية ومرارة بن الربيع وكعب بن مالك .

{ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ } لأن المسلمين امتنعوا من كلامهم .

{ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ } بما لقوه من الجفوة لهم .

{ وَظَنُّوآ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ } أي تيقنوا أن لا ملجأ يلجؤون إليه في الصفح عنهم وقبول

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

التوبة منهم إلا إليه .

{ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ } قال كعب بن مالك : بعد خمسين ليلة من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزاة تبوك .

{ لِيَتُوبُوٓا } قال ابن عباس ليستقيموا لأنه قد تقدمت توبتهم وإنما امتحنهم بذلك استصلاحاً لهم ولغيرهم .

قوله عز وجل : { يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَآمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ } في هذه الآية قولان :

أحدهما : أنها في أهل الكتاب ، وتأويلها : يا أيها الذين آمنوا من اليهود بموسى ، ومن النصارى بعيسى اتقوا الله في إيمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم فآمنوا به ، وكونوا مع الصادقين يعني مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في جهاد المشركين ، قاله مقاتل بن حيان .

الثاني : أنها في المسلمين : وتأويلها : يا أيها الذين آمنوا من المسلمين اتقوا الله وفي المراد بهذه التقوى وجهان :

أحدهما : اتقوا الله من الكذب ، قال ابن مسعود : إن الكذب لا يصلح في جدٍّ ولا هزل ، اقرأوا إن شئتم { يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَآمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ } وهي قراءة ابن مسعود هكذا : من الصادقين .

والثاني : اتقوا الله في طاعة رسوله إذا أمركم بجهاد عدوّه .

{ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ } فيهم أربعة أقاويل :

أحدها : مع أبي بكر وعمر ، قاله الضحاك .

الثاني : مع الثلاثة الذين خُلفوا حين صدقوا النبي صلى الله عليه وسلم عن تأخرهم ولم يكذبوا . قاله السدي .

والثالث : مع من صدق في قوله ونيته وعمله وسره وعلانيته ، قاله قتادة .

والرابع : مع المهاجرين لأنهم لم يتخلفوا عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله ابن جريج .

(150/2)

مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (120) وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

(121) وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (122)

قوله عز وجل : { وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَافَّةً } فيه وجهان :

أحدهما : وما كان عليهم أن ينفروا جميعاً لأن فرضه صار على الكفاية وهذا ناسخ لقوله تعالى { انفِرُو خِفَافاً وَثِقَالاً } قاله ابن عباس .

والثاني : معناه وما كان للمؤمنين إذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سَرية أن يخرجوا جميعاً فيها ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده بالمدينة حتى يقيم معه بعضهم ، قاله عبد الله بن عبيد الله بن عمير .

قال الكلبي : وسبب نزول ذلك أن المسلمين بعد أن عُيّروا بالتخلف عن غزوة تبوك توفروا على الخروج في سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركوه وحده بالمدينة ، فنزل ذلك فيهم .

{ فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ } فيه قولان :

أحدهما : لتتفقه الطائفة الباقية إما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جهاده ، وإما مهاجرة إليه في إقامته ، قاله الحسن .

الثاني : لتتفقه الطائفة المتأخرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النفور في السرايا ، ويكون معنى الكلام : فهلاَّ إذا نفروا أن تقيم من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدين ، قاله مجاهد .

وفي قوله تعالى { لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ } تأويلان :

أحدهما : ليتفقهوا في أحكام الدين ومعالم الشرع ويتحملوا عنه ما يقع به البلاغ وينذروا به قومهم إذا رجعوا إليهم .

الثاني : ليتفقهوا فيما يشاهدونه من نصر الله لرسوله وتأييده لدينه وتصديق وعده ومشاهدة معجزاته ليقوى إيمانهم ويخبروا به قومهم .

(151/2)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (123)

قوله عز وجل : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَآمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِّنَ الْكُفَّارِ } فيهم أربعة أقاويل :

أحدها : أنهم الروم قاله ابن عمر .

الثاني : أنهم الديلم ، قاله الحسن .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثالث : أنهم العرب ، قاله ابن زيد .

الرابع : أنه على العموم في قتال الأقرب فالأقرب والأدنى فالأدنى ، قاله قتادة .

(152/2)

وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (124) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (125)

قوله عز وجل : { وَإِذَا مَآ أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فِمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً } .

هؤلاء هم المنافقون . وفي قولهم ذلك عند نزول السورة وجهان :

أحدهما : أنه قول بعضهم لبعض على وجه الإنكار ، قاله الحسن .

الثاني : أنهم يقولون ذلك لضعفاء المسلمين على وجه الاستهزاء .

{ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَآمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً } فيه تأويلان :

أحدهما : فزادتهم خشية ، قاله الربيع بن أنس .

الثاني : فزادتهم السورة إيماناً لأنهم قبل نزولها لم يكونوا مؤمنين بها ، قاله الطبري .

{ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ } أي شك .

{ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : إثماً إلى إثمهم ، قاله مقاتل .

الثاني : شكاً إلى شكِّهم ، قاله الكلبي .

الثالث : كفراً إلى كفرهم ، قاله قطرب .

(153/2)

أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (126) وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (127)

قوله عز وجل : { أَوَ لاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ } الآية .

في معنى الافتتان هنا ثلاثة أوجه :

أحدها : يبتلون ، قاله ابن عباس .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الثاني : يضلون ، قاله عبد الرحمن بن زيد .

الثالث : يختبرون ، قاله أبو جعفر الطبري .

وفي الذي يفتنون به أربعة أقاويل :

أحدها : أنه الجوع والقحط ، قاله مجاهد .

الثاني : أنه الغزو والجهاد في سبيل الله ، قاله قتادة .

الثالث : ما يلقونه من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قاله حذيفة بن اليمان .

الرابع : أنه ما يظهره الله تعالى من هتك أستارهم وسوء نياتهم ، حكاه علي بن عيسى .

وهي في قراءة ابن مسعود : { أَوَ لاَ تَرَى أَنَّهُم يُفْتَنُونَ } خطاباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

(154/2)

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (128) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (129)

قوله عز وجل : { لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ } فيه قراءتان :

إحداهما : من أنفسكم بفتح الفاء ويحتمل تأويلها ثلاثة أوجه :

أحدها : من أكثركم طاعة لله تعالى .

الثاني : من أفضلكم خلقاً .

الثالث : من أشرفكم نسباً .

والقراءة الثانية : بضم الفاء ، وفي تأويلها أربعة أوجه :

أحدها : يعني من المؤمنين لم يصبه شيء من شرك ، قاله محمد بن علي .

الثاني : يعني من نكاح لم يصبه من ولادة الجاهلية ، قاله جعفر بن محمد . وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خَرَجْتُ مِن نِكَاحٍ وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ »

الثالث : ممن تعرفونه بينكم ، قاله قتادة .

الرابع : يعني من جميع العرب لأنه لم يبق بطن من بطون العرب إلا قد ولدوه ، قاله الكلبي .

{ عَزِيزٌ عَلَيهِ مَا عَنِتُّمْ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : شديد عليه ما شق عليكم ، قاله ابن عباس .

الثاني : شديد عليه ما ضللتم ، قاله سعيد بن أبي عروبة .

الثالث : عزيز عليه عنت مؤمنكم ، قاله قتادة .

{ حَرِيصٌ عَلَيكُمْ } قاله الحسن : حريص عليكم أن تؤمنوا .

This file was downloaded from QuranicThought.com

{ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } فيه وجهان :

أحدهما : بما يأمرهم به من الهداية ويؤثره لهم من الصلاح .

الثاني : بما يضعه عنهم من المشاق ويعفو عنهم من الهفوات ، وهو محتمل .

قوله عز وجل { فَإِن تَوَلَّوْا } فيه وجهان :

أحدهما : عن طاعة الله ، قاله الحسن .

الثاني : عنك ، ذكره عليّ بن عيسى .

{ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيهِ تَوَكَّلْتُ } يحتمل وجهين :

أحدهما : حسبي الله معيناً عليكم .

الثاني : حسبي الله هادياً لكم .

{ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ } يحتمل وجهين :

أحدهما : لسعته .

الثاني : لجلالته .

روى يوسف بن مهران عن ابن عباس أن آخر ما أُنزل من القرآن هاتان الآيتان { لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ } وهذه الآية . وقال أُبي بن كعب : هما أحدث القرآن عهداً بالله وقال مقاتل : تقدم نزولهما بمكة ، والله أعلم .

(155/2)

الر تِلْكَ آَيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (1) أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آَمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ (2)

قوله عز وجل : { الر } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : معناه أنا الله أرى ، قاله ابن عباس والضحاك . والثاني : هي حروف من اسم الله الذي هو الرحمن ، قاله سعيد بن جبير والشعبي . وقال سالم بن عبد الله : { الر } و { حمٌ } و { ن } للرحمن مقاطع .

الثالث : هو اسم من أسماء القرآن ، قاله قتادة .

الرابع : أنها فواتح افتتح الله بها القرآن ، قاله ابن جريج .

{ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ } يعني بقوله { تِلْكَ ءَايَاتُ } أي هذه آيات ، كما قال الأعشى :

تلك خَيْلِي مِنْهُ وتلكَ رِكَابِي ... هُنَّ صُفْرٌ أَوْلاَدُها كالزَّبِيبِ

أي هذه خيلي .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وفي { الكِتَابِ الْحِكِيمِ } ها هنا ثلاثة أقاويل :

أحدها : التوراة والإنجيل ، قاله مجاهد .

الثاني : الزبور ، قاله مطر .

الثالث : القرآن ، قاله قتادة .

وفي قوله { الحَكِيمِ } تأويلان :

أحدهما : أنه بمعنى محكم ، قاله أبو عبيدة .

الثاني : أنه كالناطق بالحكمة ، ذكره علي بن عيسى .

قوله عز وجل : { أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنآ إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ } قال ابن عباس : سبب نزولها أن الله تعالى لما بعث محمداً صلى الله عليه وسلم رسولاً أنكر العرب ذلك أو من أنكر منهم فقالوا : الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً مثل محمد ، فنزلت هذه الآية .

وهذا لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الإنكار والتعجب مَن كفر من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم لأنه جاءهم رسول منهم ، وقد أرسل الله إلى سائر الأمم رسلاً منهم .

ثم قال : { وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَآمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِهِّم } فيه خمسة تأويلات :

أحدها : أن لهم ثواباً حسناً بما قدموا من صالح الأعمال ، قاله ابن عباس .

الثاني : سابق صدق عند ربهم أي سبقت لهم السعادة في الذكر الأول ، قاله ابن أبي طلحة عن ابن عباس أيضاً .

الثالث : أن لهم شفيع صدق يعني محمداً صلى الله عليه وسلم يشفع لهم ، قاله مقاتل بن حيان .

الرابع : أن لهم سلف صدق تقدموهم بالإيمان ، قاله مجاهد وقتادة .

والخامس : أن لهم السابقة بإخلاص الطاعة ، قال حسان بن ثابت :

لنا القدم العُلْيَا إليكَ خَلْفَنَا ... لأَوَّلنا في طَاعَةِ اللَّهِ تابعُ

ويحتمل سادساً : أن قدم الصدق أن يوافق الطاعة صدق الجزاء ، ويكون القدم عبارة عن التقدم ، والصدق عبارة عن الحق .

(156/2)

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (3) إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (4) هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (5) إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ (6)

قوله عز وجل : { يُدَبِّرُ الأَمْرَ } فيه وجهان :

أحدهما : يقضيه وحده ، قاله مجاهد .

الثاني : يأمر به ويمضيه .

{ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : ما من شفيع يشفع إلا من بعد أن يأذن الله تعالى له في الشفاعة .

الثاني : ما من أحد يتكلم عنده إلا بإذنه ، قاله سعيد بن جبير .

الثالث : لا ثاني معه ، مأخوذ من الشفع الذي هو الزوج لأنه خلق السموات والأرض وهو واحد فرد لا حي معه ، ثم خلق الملائكة والبشر .

وقوله { إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ } يعني من بعد أمره أن يكون الخلق فكان ، قاله ابن بحر .

قوله عز وجل : { . . . إِنَّهُ يَبْدَؤُاْ الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِيدُهُ } فيه وجهان :

أحدهما : أنه ينشئه ثم يفنيه .

الثاني : ما قاله مجاهد : يحييه ثم يميته ثم يبيده ثم يحييه .

(157/2)

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (7) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (8)

قوله عز وجل : { إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَآءَنَا } فيه تأويلان :

أحدهما : لا يخافون عقابنا . ومنه قول الشاعر :

إِذَا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا ... وَخَالَفَهَا فِي بَيْتِ نَوْبٍ عَوَامِلُ

الثاني : لا يطمعون في ثوابنا ، ومنه قول الشاعر :

أَيَرْجُوا بَنُوا مَرْوَانَ سَمْعِي وَطَاعَتِي ... وَقَوْمِي تَمِيمٌ وَالْفَلاَةُ وَرَائِيَا

(158/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (9) دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (10)

قوله عز وجل : { إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ } فيه أربعة أوجه :

أحدها : يجعل لهم نوراً يمشون به ، قاله مجاهد .

الثاني : يجعل عملهم هادياً لهم إلى الجنة ، وهذا معنى قول ابن جريج .

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يَتَلَقَّى الْمُؤْمِنَ عَمَلُهُ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَيُؤْنِسُهُ وَيَهْدِيهِ ، وَيَتَلَقَّى الْكَافِرَ عَمَلُهُ فِي أَقْبَحِ صُورَةٍ فَيُوحِشُهُ وَيُضِلُّهُ » . الثالث : أن الله يهديهم إلى طريق الجنة .

الرابع : أنه وصفهم بالهداية على طريق المدح لهم .

{ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ } فيه وجهان :

أحدهما : من تحت منازلهم قاله أبو مالك .

الثاني : تجري بين أيديهم وهم يرونها من علو لقوله تعالى { أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي } [الزخرف : 51] يعني بين يدي .

وحكى أبو عبيدة عن مسروق أن أنهار الجنة تجري في غير أخدود .

قوله عز وجل : { دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ } فيه وجهان :

أحدهما : أن أهل الجنة إذا اشتهوا الشيء أو أرادوا أن يدعوا بالشيء قالوا سبحانك اللهم فيأتيهم ، ذلك الشيء ، قاله الربيع وسفيان .

الثاني : أنهم إذا أرادوا الرغبة إلى الله في دعاء يدعونه كان دعاؤهم له : سبحانك اللهم : قاله قتادة .

{ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ } فيه وجهان :

أحدهما : معناه وملكهم فيها سالم . والتحية الملك ، ومنه قول زهير بن جنان الكلبي :

ولكلُّ ما نال الفتى ... قد نِلتُه إلا التحية

الثاني : أن تحية بعضهم لبعض فيها سلام . أي : سلمت وأمنت مما بلي به أهل النار ، قاله ابن جرير الطبري .

{ وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } فيه وجهان :

أحدهما : أن آخر دعائهم : الحمد لله رب العالمين ، كما كان أول دعائهم : سبحانك اللهم ، ويشبه أن يكون هذا قول قتادة .

الثاني : أنهم إذا أجابهم فيما دعوه وآتاهم ما اشتهوا حين طلبوه بالتسبيح قالوا بعده : شكراً لله والحمد لله رب العالمين .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (11)

قوله عز وجل : { وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ } فيه وجهان :

أحدهما : ولو يعجل الله للكافر العذاب على كفره كما عجل له خير الدنيا من المال والولد لعجل له قضاء أجله ليتعجل عذاب الآخرة ، قاله ابن إسحاق .

الثاني : معناه أن الرجل إذا غضب على نفسه أو ماله أو ولده فيدعو بالشر فيقول : لا بارك الله فيه وأهلكه الله ، فلو استجيب ذلك منه كما يستجاب منه الخير لقضي إليهم أجلهم أي لهلكوا .

فيكون تأويلاً على الوجه الأول خاصاً في الكافر ، وعلى الوجه الثاني عاماً في المسلم والكافر .

{ فَنَذَرُ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَآءَنَا } قال قتادة : يعني مشركي أهل مكة .

{ فِي طُغْيَانِهِمْ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : في شركهم ، قاله ابن عباس .

الثاني : في ضلالهم ، قاله الربيع بن أنس .

الثالث : في ظلمهم ، قاله عليّ بن عيسى .

{ يَعْمَهُونَ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : يترددون ، قاله ابن عباس وأبو مالك وأبو العالية .

الثاني : يتمادون ، قاله السدي .

الثالث : يلعبون ، قاله الأعمش .

وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (12)

قوله عز وجل : { وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَآئِماً } فيه وجهان :

أحدهما : أنه إذا مسه الضر دعا ربه في هذه الأحوال .

الثاني : دعا ربه فيكون محمولاً على الدعاء في جميع أحواله .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (13) ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (14) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (15) قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (16) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ (17)

قوله عز وجل : { وَإِذَا تُتْلَى عَلَيهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ } يعني آيات القرآن التي هي تبيان كل شيء .

{ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَآءَنَا } يعني مشركي أهل مكة .

{ ائتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَآ أَوْ بَدِّلْهُ } والفرق بين تبديله والإتيان بغيره أن تبديله لا يجوز أن يكون معه ، والإتيان بغيره قد يجوز أن يكون معه .

وفي قولهم ذلك ثلاثة أوجه :

أحدها : أنهم سألوه الوعد وعيداً ، والوعيد وعداً ، والحلال حراماً ، والحرام حلالاً ، قاله ابن جرير الطبري .

الثاني : أنهم سألوه أن يسقط ما في القرآن من عيب آلهتهم وتسفيه أحلامهم ، قاله ابن عيسى .

الثالث : أنه سألوه إسقاط ما فيه من ذكر البعث والنشور ، قاله الزجاج .

{ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَآءِي نَفْسِي } أي ليس لي أن أتلقاه بالتبديل والتغيير كما ليس لي أن أتلقاه بالرد والتكذيب .

{ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ } فيما أتلوه عليكم من وعد ووعيد وتحليل وتحريم أو أمر أو نهي .

{ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي } في تبديله وتغييره .

{ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ } يعني يوم القيامة .

قوله عز وجل : { قُل لَّوْ شَآءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ } يعني القرآن :

{ وَلآَ أَدْرَاكُم بِهِ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : ولا أعلمكم به ، قاله ابن عباس .

الثاني : ولا أنذركم به ، قاله شهر بن حوشب .

الثالث : ولا أشعركم به ، قاله قتادة .

{ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِّن قَبْلِهِ } فيه وجهان :

أحدهما : أنه أراد ما تقدم من عمره قبل الوحي إليه لأن عمر الإنسان مدة حياته طالت أو قصرت .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثاني : أنه أربعون سنة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم بعث بعد الأربعين وهو المطلق من عمر الإنسان ، قاله قتادة .

{ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ } أني لم أدَّع ذلك بعد أن لبثت فيكم عمراً حتى أُوحِي إليّ ، ولو كنت افتريته لقدمته .

(162/2)

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (18) وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (19)

قوله عز وجل : { . . . قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ } فيه وجهان :

أحدهما : أتخبرونه بعبادة من لا يعلم ما في السموات ولا ما في الأرض .

الثاني : أتخبرونه بعبادة غيره وليس يعلم له شريكاً في السموات ولا في الأرض .

قوله عز وجل : { وَمَا كَانَ النَّاسُ إلاَّ أُمَّةً وَاحِدً } في الناس ها هنا أربعة أقاويل :

أحدها : أنه آدم عليه السلام ، قاله مجاهد والسدي .

الثاني : أنهم أهل السفينة ، قاله الضحاك .

الثالث : أنهم من كان على عهد إبراهيم عليه السلام ، قاله الكلبي .

الرابع : أنه بنو آدم ، قاله أُبي بن كعب .

وفي قوله تعالى : { إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً } ثلاثة أوجه :

أحدها : على الإسلام حتى اختلفوا ، قاله ابن عباس وأُبي بن كعب .

الثاني : على الكفر حتى بعث الله تعالى الرسل ، وهذا قول قد روي عن ابن عباس أيضاً .

الثالث : على دين واحد ، قاله الضحاك .

{ فاخْتَلَفُواْ } فيه وجهان :

أحدهما : فاختلفوا في الدين فمؤمن وكافر ، قاله أبي بن كعب . الثاني : هو اختلاف بني بن آدم حين قَتل قابيل أخاه هابيل ، قاله مجاهد .

{ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ } فيه وجهان :

أحدهما : ولولا كلمة سبقت من ربك في تأجيلهم إلى يوم القيامة لقضي بينهم من تعجيل العذاب في الدنيا ، قاله السدي .

الثاني : ولولا كلمة سبقت من ربك في أن لا يعاجل العصاة إنعاماً منه يبتليهم به لقضى بينهم فيما فيه يختلفون بأن يضطرهم إلى معرفة المحق من المبطل ، قاله عليّ بن عيسى .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

(163/2)

وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (20) وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ (21) هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (22) فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (23)

قوله عز وجل : { وَإِذَآ أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ } فيه أربعة أوجه :

أحدها : رخاء بعد شدة .

الثاني : عافية بعد سقم .

الثالث : خصباً بعد جدب ، وهذا قول الضحاك .

الرابع : إسلاماً بعد كفر وهو المنافق ، قاله الحسن .

{ إِذَا لَهُمْ مَّكْرٌ فِي ءَايَاتِنَا } فيه وجهان :

أحدهما : أن المكر ها هنا الكفر والجحود ، قاله ابن بحر .

الثاني : أنه الاستهزاء والتكذيب ، قاله مجاهد .

ويحتمل ثالثاً : أن يكون المكر ها هنا النفاق لأنه يظهر الإيمان ويبطن الكفر . { قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً } يعني أسرع جزاء على المكر . وقيل إن سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا على أهل مكة بالجدب فقحطوا سبع سنين كسني يوسف إجابة لدعوته ، أتاه أبو سفيان فقال يا محمد قد كنت دعوت بالجدب فأجدبنا فادع الله لنا بالخصب فإن أجابك وأخصبنا صدقناك وآمنا بك ، فدعا لهم واستسقى فسقوا وأخصبوا ، فنقضوا ما قالوه وأقاموا على كفرهم ، وهو معنى قوله { إِذَا لَهُمْ مَّكْرٌ فِي ءَايَاتِنَا } .

(164/2)

إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (24) وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (25)

قوله عز وجل : { . . . فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً } فيه وجهان :

أحدهما : ذاهباً .

الثاني : يابساً . { كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِألأَمْسِ } فيه أربعه تأويلات :

أحدها : كأن لم تعمر بالأمس ، قاله الكلبي .

الثاني : كأنه لم تعش بالأمس ، قاله قتادة ، ومنه قول لبيد :

وغنيت سبتاً بعد مجرى داحس ... لو كان للنفس اللجوج خلود

الثالث : كأن لم تقم بالأمس ، ومن قولهم غنى فلان بالمكان إذا أقام فيه ، قاله عليّ بن عيسى .

الرابع كأن لم تتعم بالأمس ، قاله قتادة أيضاً .

قوله عز وجل : { وَاللَّهَ يَدْعُواْ إِلَى دَارِ السَّلاَمِ } يعني الجنة . وفي تسميتها دار السلام وجهان :

أحدهما : لأن السلام هو الله ، والجنة داره .

الثاني : لأنها دار السلامة من كل آفة ، قاله الزجاج .

{ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } في هدايته وجهان :

أحدهما : بالتوفيق والمعونة .

الثاني : بإظهار الأدلة وإقامة البراهين .

وفي الصراط المستقيم أربعة تأويلات :

أحدها : أنه كتاب الله تعالى ، روى علي بن أبي طالب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى » . الثاني : أنه الإسلام ، رواه النواس بن سمعان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الثالث : أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه من بعده أبو بكر وعمر ، قاله الحسن وأبو العالية . الرابع : أنه الحق ، قاله مجاهد وقتادة .

روى جابر بن عبد الله قال : خرج علينا رسول الله يوماً فقال : « رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ جِبْرِيلَ عِندَ رَأْسِي وَمِيكَآئِيلَ عِندَ رِجْلَيّ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : أَضْرِبْ لَهُ مَثَلاً ، فَقَالَ : اسْمَعْ سَمْعَتْ أُذُنُكَ ، وَاعْقِلْ ، عَقَلَ قَلْبُكَ ، إِنَّمَا مَثَلُكَ وَمَثَلُ أُمَّتِكَ كَمَثَلِ مَلِكٍ أَتَّخَذَ دَاراً ثُمَّ بَنَى فِيهَا بَيتاً ثُمَّ جَعَلَ فِيهَا مَائِدَةً ثُمَّ بَعَثَ رَسُولاً يَدْعُو النَّاسَ إِلَى طَعَامِهِ فَمِنهُم مَّنْ أَجَابَ الرَّسُولَ وَمِنهُم مَّن تَرَكَهُ ، فَاللَّهُ الْمَلِكُ ، وَالدَّارُ الإِسْلاَمُ ، وَالْبَيْتُ الْجَنَّةُ ، وَأَنْتَ يَا مُحَمَّدُ الرَّسُولُ فَمَنْ أَجَابَكَ دَخَلَ فِي الإِسْلاَمِ ، وَمَنْ دَخَلَ فِي الإِسْلاَمِ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَن دَخَلَ الْجَنَّةَ أَكَلَ مِمَّا فيهَا » ثم تلا قتادة ومجاهد . { وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلاَمِ } .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (26) وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (27)

قوله عز وجل : { لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ } يعني عبادة ربهم .

{ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ } فيه خمسة تأويلات :

أحدها : أن الحسنى الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى . وهذا قول أبي بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وأبي موسى الأشعري .

والثاني : أن الحسنى واحدة من الحسنات ، والزيادة مضاعفتها إلى عشر أمثالها ، قاله ابن عباس .

الثالث : أن الحسنى حسنة مثل حسنة . والزيادة مغفرة ورضوان ، قاله مجاهد .

والرابع : أن الحسنى الجزاء في الآخرة والزيادة ما أعطوا في الدنيا ، قاله ابن زيد .

والخامس : أن الحسنى الثواب ، والزيادة الدوام ، قاله ابن بحر .

ويحتمل سادساً : أن الحسنى ما يتمنونه ، والزيادة ما يشتهونه .

{ وَلاَ يَرْهَقُ وَجُوهَهُمْ قَتَرٌ } في معنى يرهق وجهان :

أحدهما : يعلو .

الثاني : يلحق ، ومنه قيل غلام مراهق إذا لحق بالرجال .

وفي قوله تعالى : { قَتَرٌ } أربعة أوجه : أحدها : أنه سواد الوجوه ، قاله ابن عباس .

الثاني : أنه الحزن ، قاله مجاهد .

الثالث : أنه الدخان ومنه قتار اللحم وقتار العود وهو دخانه ، قاله ابن بحر .

الرابع : أنه الغبار في محشرهم إلى الله تعالى ، ومنه قول الشاعر :

متوجٌ برداء الملك يتبعه ... موجٌ ترى فوقه الرايات والقترا

{ وَلاَ ذِلَّةٌ } فيها ها هنا وجهان :

أحدهما : الهوان .

الثاني : الخيبة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ (28) فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ (29) هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (30) قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (31) فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (32) كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (33)

قوله عز وجل : { هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ } فيه قراءتان :

إحداهما : بتاءين قرأ بها حمزة والكسائي ، وفي تأويلها ثلاثة أوجه :

أحدها : تتبع كل نفس ما قدمت في الدنيا ، قاله السدي ، ومنه قول الشاعر :

إن المريب يتبع المريبا ... كما رأيت الذيب يتلو الذيبا

الثاني : تتلو كتاب حسناتها وكتاب سيئاتها ، ومن التلاوة .

والثالث : تعاين كل نفس جزاء ما عملت .

والقراءة الثانية : وهي قراءة الباقين تتلو بالباء وفي تأويلها وجهان :

أحدهما : تسلم كل نفس .

الثاني : تختبر كل نفس ، قاله مجاهد .

{ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِ } أي مالكهم ، ووصف تعالى نفسه بالحق ، لأن الحق منه ، كما وصف نفسه بالعدل ، لأن العدل منه .

فإن قيل فقد قال تعالى { وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُمْ } [محمد : 11] فكيف صار ها هنا مولى لهم؟ قيل ليس بمولى في النصرة والمعونة ، وهو مولى لهم في الملكية .

{ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ } أي بطل عنهم ما كانوا يكذبون .

(167/2)

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (34) قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (35) وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (36)

قوله عز وجل : { وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنّاً } هم رؤساؤهم .

{ إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِ شَيْئاً } في الظن وجهان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدهما : أنه منزلة بين اليقين والشك ، وليست يقيناً وليست شكاً .

الثاني : إن الظن ما تردد بين الشك واليقين وكان مرة يقيناً ومرة شكاً .

(168/2)

وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآَنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (37) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (38) بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (39) وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ (40)

قوله عز وجل : { وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللَّهِ } يعني أنه يختلق ويكذب .

{ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ } فيه وجهان :

أحدهما : شاهد بصدق ما تقدم من التوراة والإنجيل والزبور .

الثاني : لما بين يديه من البعث والنشور والجزاء والحساب .

ويحتمل ثالثاً : أن يكون معناه ولكن يصدقه الذي بين يديه من الكتب السالفة بما فيها من ذكره فيزول عنه الافتراء .

قوله عز وجل : { بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ } فيه وجهان :

أحدهما : لم يعلموا ما عليهم بتكذيبهم لشكهم فيه .

الثاني : لم يحيطوا بعلم ما فيه من وعد ووعيد لإعراضهم عنه .

{ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ } فيه وجهان :

أحدهما : علم ما فيه من البرهان .

الثاني : ما يؤول إليه أمرهم من العقاب .

(169/2)

وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (41) وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ (42) وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ (43) إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (44)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قوله عز وجل : { وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ } فيه وجهان :

أحدهما : يستمعون الكذب عليك فلا ينكرونه .

الثاني : يستمعون الحق منك فلا يَعُونَه .

{ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يَعْقِلُونَ } يحتمل وجهين :

أحدهما : أن من لا يعي ما يسمع فهو كمن لا يعقل .

الثاني : معناه أنه كما لا يعي من لا يسمع كذلك لا يفهم من لا يعقل .

والألف التي في قوله تعالى { أَفَأَنتَ } لفظها الاستفهام ومعناها معنى النفي .

(170/2)

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (45)

قوله تعالى { وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ } فيه وجهان :

أحدهما : كأن لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من النهار .

الثاني : كأن لم يلبثوا في قبورهم إلا ساعة من النهار لقربه .

{ يَتَعَارَفُون بَيْنَهُمْ } فيه وجهان :

أحدهما : يعرف بعضهم بعضاً . قال الكلبي : يتعارفون إذا خرجوا من قبورهم ثم تنقطع المعرفة .

الثاني : يعرفون أن ما كانوا عليه باطل .

(171/2)

وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ (46) وَلِكُلِّ
أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (47) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ (48) قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ
فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (49)

قوله عز وجل : { وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ } يعني نبياً يدعوهم إلى الهدى ويأمرهم بالإيمان .

{ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : فإذا جاء رسولهم يوم القيامة قضي بينهم ليكون رسولهم شاهداً عليهم ، قاله مجاهد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الثاني : فإذا جاء رسولهم يوم القيامة وقد كذبوه في الدنيا قضى الله تعالى بينهم وبين رسولهم في الآخرة ، قاله الكلبي .

الثالث : فإذا جاء رسولهم في الدنيا واعياً بعد الإذن له في الدعاء عليهم قضى الله بينهم بتعجيل الانتقام منهم ، قاله الحسن .

(172/2)

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ (50) أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آَمَنْتُمْ بِهِ آَلْآَنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (51) ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (52) وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (53) وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (54) أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (55) هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (56)

قوله عز وجل : { وَيَسْتَنْبِئُونَكَ } أي يستخبرونك ، وهو طلب النبأ .

{ أَحَقٌّ هُوَ } فيه وجهان :

أحدهما : البعث ، قاله الكلبي .

الثاني : العذاب في الآخرة .

{ قُلْ وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ } فأقسم مع إخباره أنه حق تأكيداً .

{ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ } فيه وجهان :

أحدهما : بممتنعين .

الثاني : بسابقين ، قاله ابن عباس .

قوله عز وجل : { وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ } فيه وجهان : أحدهما : أخفوا الندامة وكتموها عن رؤسائهم ، وقيل بل كتمها الرؤساء عن أتباعهم .

الثاني : أظهروها وكشفوها لهم .

وذكر المبرد فيه وجهاً ثالثاً : أنه بدت بالندامة أَسِرّةُ وجوههم وهي تكاسير الجبهة .

{ وَقُضِيَ بَيْنَهُم } فيه وجهان :

أحدهما : قضي بينهم وبين رؤسائهم ، قاله الكلبي .

الثاني : قضى عليهم بما يستحقونه من عذابهم .

(173/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (57) قُلْ
بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (58) قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ
فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ (59) وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ
الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (60) وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ
وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ
مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (61)

قوله عز وجل : { قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن فضل الله معرفته ، ورحمته توفيقه .

الثاني : أن فضل الله القرآن ، ورحمته الإسلام ، قاله ابن عباس وزيد بن أسلم والضحاك .

الثالث : أن فضل الله الإسلام ، ورحمته القرآن ، قاله الحسن ومجاهد وقتادة .

{ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ } يعين بالمغفرة والتوفيق على الوجه الأول ، وبالإسلام والقرآن على الوجهين الآخرين .

وفيه ثالث : فلتفرح قريش بأن محمداً منهم ، قاله ابن عباس .

{ هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ } يعني في الدنيا .

روى أبان عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ هَدَاهُ اللهُ لِلإِسْلاَمِ وَعَلَّمَهُ القُرْآنَ ثُمَّ شَكَا الفَاقَةَ كَتبَ اللَّهُ الْفَقْرَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ » ثم تلا { قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ } .

(174/2)

أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63) لَهُمُ الْبُشْرَى
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (64) وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ
الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (65) أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ
يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (66) هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (67) قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ
هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا
تَعْلَمُونَ (68) قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (69) مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ
ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (70)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله عز وجل : { أَلآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ } في { أَوْلِيَاءَ اللَّهِ } ها هنا خمسة أقاويل :

أحدها : أنهم أهل ولايته والمستحقون لكرامته ، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير .

الثاني : هم { الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُواْ يَتَّقُونَ } .

الثالث : هم الراضون بالقضاء ، والصابرون على البلاء ، والشاكرون على النعماء .

الرابع : هم من توالت أفعالهم على موافقة الحق .

الخامس : هم المتحابون في الله تعالى .

روى جرير عن عمارة بن غزية عن أبي زرعة عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّ مِن عِبَادِ اللَّهِ أُنَاساً مَّا هُم بِأَنْبِيْآءٍ وَلاَ شُهَدَآءٍ يَغْبِطُهُم الأنبياءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِم مِّن اللَّهِ » قالوا : يا رسول الله خبّرنا من هم وما أعمالهم فإنا نحبهم لذلك ، قال : « هُمْ قَوْمٌ تَحآبُوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُم وَلاَ أَمْوَالٍ يَتَعَاطَونَهَا . فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ وَإِنَّهُم لَعَلَى مَنَابَرَ مِن نُّورٍ لاَ يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ وَلاَ يَحْزَنُونَ إِذَا حزِنَ النَّاسُ » وقرأ { أَلآ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيهِم وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ } .

وفيه وجهان : أحدهما : لا يخافون على ذريتهم فإن الله تعالى يتولاهم ولا هم يحزنون على دنياهم لأن الله تعالى يعوضهم عنها ، وهو محتمل .

الثاني : لا خوف عليهم في الآخرة ولا هم يحزنون عند الموت .

قوله عز وجل : { لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ } فيه تأويلان :

أحدهما : أن البشرى في الحياة الدنيا هي البشارة عند الموت بأن يعلم أين هو من قبل أن يموت ، وفي الآخرة الجنة ، قاله قتادة والضحاك ، وروى علي بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إنّ لِخَدِيجَةَ بِنتِ خُوَيلِدٍ بَيْتاً مِنْ قَصَبٍ لاَ صَخَبَ فِيهِ وَلاَ نَصَب » . الثاني : أن البشرى في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو تُرى له ، وفي الآخرة الجنة ، روى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو الدرداء وأبو هريرة وعبادة بن الصامت .

ويحتمل تأويلاً ثالثاً : أن البشرى في الحياة الدنيا الثناء الصالح ، وفي الآخرة إعطاؤه كتابه بيمينه .

{ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ } فيه وجهان :

أحدهما : لا خلف لوعده .

الثاني : لا نسخ لخبره .

(175/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ
تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ (71) فَإِنْ
تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (72) فَكَذَّبُوهُ
فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُنْذَرِينَ (73)

قوله عز وجل : { . . . فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ } فيه وجهان :

أحدهما : فاجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم لنصرتكم ، قاله الفراء .

الثاني : فاجمعوا أمركم مع شركائكم على تناصركم ، قاله الزجاج .

وفي هذا الإجماع وجهان :

أحدهما : أنه الإعداد .

الثاني : أنه العزم .

{ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً } فيه تأويلان :

أحدهما : أن الغمة ضيق الأمر الذي يوجب الغم .

الثاني : أنه المغطى ، من قولهم : قد غم الهلال إذا استتر .

وفي المراد بالأمر ها هنا وجهان :

أحدهما : من يدعونه من دون الله تعالى .

الثاني : ما هم عليه من عزم .

{ ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : ثم انهضوا ، قاله ابن عباس .

الثاني : ثم اقضوا إليّ ما أنتم قاضون ، قاله قتادة .

الثالث : اقضوا إليّ ما في أنفسكم ، قاله مجاهد .

{ وَلاَ تُنظِرُونَ } قال ابن عباس : ولا تؤخروني .

قوله عز وجل : { فَإِن تَوَلَّيْتُمْ } يعني عن الإيمان .

{ فَمَا سَأَلْتُكُم مِنْ أَجْرٍ } يحتمل وجهين :

أحدهما : فما سألتكم من أجر تستثقلونه فتمتنعون من الإجابة لأجله ، { إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ } .

والثاني : فما سألتكم من أجر إن انقطع عني ثقُل علي .

{ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ } وقد حصل بالدعاء لكم إن أجبتم أو أبيتم .

{ أُمِرتُ أن أكونَ مِنَ المُسْلِمينَ } أي من المستسلمين لأمر الله بطاعته .

قوله عز وجل : { فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ في الْفُلْكِ } قال ابن عباس : كان في سفينة نوح عليه السلام ثمانون رجلاً أحدهم جرهم وكان لسانه عربياً ، وحمل فيها من كل زوجين اثنين ، قال ابن عباس

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فكان أول ما حمل الذرة وآخر ما حمل الحمال ودخل معه إبليس يتعلق بذنبه .

{ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ } أي خلفاً لمن هلك بالغرق .

{ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا } حكى أبو زهير أن قوم نوح عاشوا في الطوفان أربعين يوماً . وذكر محمد بن إسحاق أن الماء بقي بعد الغرق مائة وخمسين يوماً ، فكان بين أن أرسل الله الطوفان إلى أن غاض الماء ستة أشهر وعشرة أيام وذلك مائة وتسعون يوماً . قال محمد بن إسحاق لما مضت على نوح أربعون ليلة فتح كوة السفينة ثم أرسل منها الغراب لينظر ما فعل الماء فلم يعد ، فأرسل الحمامة فرجعت إليه ولم تجد لرجلها موضعاً ، ثم أرسلها بعد سبعة أيام فرجعت حيث أمست وفي فيها ورقة زيتونة فعلم أن الماء قد قل على الأرض ، ثم أرسلها بعد سبعة أيام فلم تعد فعلم أن الأرض قد برزت ، وكان استواء السفينة على الجودي لسبع عشرة ليلة من الشهر السابع فيما ذكر ، والله أعلم .

(176/2)

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ (74) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (75) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ (76) قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ (77) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ (78)

قوله عز وجل : { قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا } وفيه ثلاثة أوجه :

أحدها : لتلوينا ، قاله قتادة .

الثاني : لتصدنا ، قاله السدي .

الثالث : لتصرفنا ، من قولهم لفته لفتاً إذا صرفه ومنه لفت عنقه أي لواها ، قاله عليّ بن عيسى .

{ وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَآءُ فِي الأَرْضِ } فيه أربعة أوجه :

أحدها : الملك ، قاله مجاهد .

الثاني : العظمة ، حكاه الأعمش .

الثالث : العلو ، قاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

الرابع : الطاعة ، قاله الضحاك .

(177/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (79) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ
(80) فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ
(81) وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (82) فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى
خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ (83)

قوله عز وجل : { فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ } فيه أربعة أوجه :

أحدها : أن الذرية القليل ، قاله ابن عباس .

الثاني : أنهم الغلمان من بني إسرائيل لأن فرعون كان يذبحهم فأسرعوا إلى الإيمان بموسى ، قاله زيد بن أسلم .

الثالث : أنهم أولاد الزمن قاله مجاهد .

الرابع : أنهم قوم أمهاتهم من بني إسرائيل وآباؤهم من القبط .

ويحتمل خامساً : أن ذرية قوم موسى نساؤهم وولدانهم .

{ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلإِيْهِمْ } يعني وعظمائهم وأشرافهم .

{ أَن يَفْتِنَهُمْ } فيه وجهان :

أحدهما : أن يعذبهم ، قاله ابن عباس .

الثاني : أن يكرههم على استدامة ما هم عليه .

{ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ } فيه وجهان :

أحدهما : أي متجبر ، قاله السدي .

الثاني : باغ طاغ ، قاله ابن إسحاق .

{ وإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ } يعني في بغيه وطغيانه .

(178/2)

وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ (84) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا
لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (85) وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (86)

قوله عز وجل : { . . . فَقَالُواْ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا } يحتمل وجهين :

أحدهما : في الإسلام إليه .

الثاني : في الثقة به .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

{ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } فيه وجهان :

أحدهما : لا تسلطهم علينا فيفتنونا ، قاله مجاهد .

الثاني : لا تسلطهم علينا فيفتتنون بنا لظنهم أنهم على حق ، قاله أبو الضحى وأبو مجلز .

قوله عز وجل : { وَأَوْحَيْنَآ إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً } .

يعني تخيّرا واتخذا لهم بيوتاً يسكنونها ، ومنه قول الراجز :

نحن بنو عدنان ليس شك ... تبوَأ المجد بنا والملك

وفي قوله { بِمِصْرَ } قولان :

أحدهما : أنها الإسكندرية ، وهو قول مجاهد .

الثاني : أنه البلد المسمى مصر ، قاله الضحاك .

وفي قوله { بُيُوتاً } وجهان :

أحدهما : قصوراً ، قاله مجاهد .

الثاني : مساجد ، قاله الضحاك .

{ وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً } فيه أربعة أقاويل :

أحدها : واجعلوها مساجد تصلون فيها ، لأنهم كانوا يخافون فرعون أن يصلّوا في كنائسهم ومساجدهم ، قاله الضحاك وابن زيد والنخعي .

الثاني : واجعلوا مساجدكم قِبل الكعبة ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة .

الثالث : واجعلوا بيوتكم التي بالشام قبلة لكم في الصلاة فهي قبلة اليهود إلى اليوم قاله ابن بحر .

الرابع : واجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضاً ، قاله سعيد بن جبير .

{ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ } فيه وجهان :

أحدهما : في بيوتكم لتأمنوا فرعون .

الثاني : إلى قبلة مكة لتصح صلاتكم .

{ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ } قال سعيد بن جبير : بشرهم بالنصر في الدنيا ، وبالجنة في الآخرة .

(179/2)

وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (87) وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (88) قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (89)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله عز وجل : { . . . رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ } أي أهلكها ، قاله قتادة . فذكر لنا أن زروعهم وأموالهم صارت حجارة منقوشة ، قاله الضحاك .

{ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ } فيه أربعة أوجه :

أحدها : بالضلالة ليهلكوا كفاراً فينالهم عذاب الآخرة ، قاله مجاهد .

الثاني : بإعمائها عن الرشد .

الثالث : بالموت ، قاله ابن بحر .

الرابع : اجعلها قاسية .

{ فَلاَ يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ } قال ابن عباس هو الغرق .

قوله عز وجل : { قَالَ قَدْ أُجِيبت دَّعْوَتُكُمَا } قال أبو العالية والربيع : دعا موسى وأمَّن هارون فسمي هارون وقد أمّن على الدعاء داعياً ، والتأمين على الدعاء أن يقول آمين .

واختلف في معنى آمين بعد الدعاء وبعد فاتحة الكتاب في الصلاة على ثلاثة أقاويل :

أحدها : معناه اللهم استجب ، قاله الحسن .

الثاني : أن آمين اسم من أسماء الله تعالى ، قاله مجاهد ، قال ابن قتيبة وفيه حرف النداء مضمر وتقديره يا آمين استجب دعاءنا .

الثالث : ما رواه سعيد عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « آمين خَاتَمُ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ » يعني أنها تمنع من وصول الأذى والضرر كما يمنع الختم من الوصول إلى المختوم عليه .

وفرق ابن عباس في معنى آمين بين وروده بعد الدعاء وبين وروده بعد فاتحة الكتاب فقال : معناه بعد الدعاء : اللهم استجب ، ومعناه بعد الفاتحة : كذلك فليكن .

قال محمد بن علي وابن جريج : وأخّر فرعون بعد إجابته دعوتهما أربعين سنة .

{ فَاسْتَقِيمَا } فيه وجهان :

أحدهما : فامضيا لأمري فخرجا في قومهم ، قاله السدي .

الثاني : فاستقيما في دعوتكما على فرعون وقومه ، وحكاه علي بن عيسى .

وقيل : إنه لا يجوز أن يدعو نبي على قومه إلا بإذن لأن دعاءه موجب لحلول الانتقام وقد يجوز أن يكون فيهم من يتوب .

(180/2)

وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (90) آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الْمُفْسِدِينَ (91) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (92)

قوله عز وجل : { فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ } معنى ننجيك نلقيك على نجوة من الأرض ، والنجوة المكان المرتفع وقوله تعالى { بِبَدَنِكَ } فيه وجهان :

أحدهما : يعني بجسدك من غير روح ، قاله مجاهد .

الثاني : بدرعك ، وكان له درع من حديد يعرف بها ، قاله أبو صخر ، وكان من تخلف من قوم فرعون ينكر غرقه .

وقرأ يزيد اليزيدي { نُنَجِّيكَ } بالحاء غير معجمة وحكاها علقمة عن ابن مسعود . أن يكون على ناحية من البحر حتى يراه بنو إسرائيل ، وكان قصير أحمر كأنه ثور .

{ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً } يعني لمن بعدك عبرة وموعظة .

(181/2)

وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (93)

قوله عز وجل : { وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ } فيه قولان :

أحدهما : أنه الشام وبيت المقدس ، قاله قتادة .

الثاني : أنه مصر والشام : قاله الضحاك .

وفي قوله : { مُبَوَّأَ صِدْقٍ } تأويلان :

أحدهما : أنه كالصدق في الفضل .

والثاني : أنه تصدق به عليهم .

ويحتمل تأويلاً ثالثاً : أنه وعدهم إياه فكان وَعْدُه وعْد صدق .

{ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ } يعني وأحللنا لهم من الخيرات الطيبة .

{ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَآءَهُمُ العِلْمُ } يعني أن بني إسرائيل ما اختلفوا أن محمداً نبي .

{ حَتَّى جَآءَهُمُ الْعِلْمُ } وفيه وجهان :

أحدهما : حتى جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم الذي كانوا يعلمون أنه نبي ، وتقديره حتى جاءهم المعلوم ، قاله ابن بحر وابن جرير الطبري .

والثاني : حتى جاءهم القرآن ، قاله ابن زيد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

(182/2)

فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (94) وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (95) إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ (96) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (97)

قوله عز وجل : { فَإِن كُنتَ في شَكٍّ مِّمَّآ أَنْزَلْنَآ إِلَيْكَ } هذا خطاب من الله لنبيه يقول : إن كنت يا محمد في شك مما أنزلنا إليك ، وفيه وجهان :

أحدهما : في شك أنك رسول .

الثاني : في شك أنك مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل .

{ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ } فيه وجهان :

أحدهما : أنه أراد مَنْ منهم مثل عبد الله بن سلام وكعب الأحبار ، قاله ابن زيد .

الثاني : أنه عنى أهل الصدق والتقوى منهم ، قاله الضحاك .

فإن قيل : فهل كان النبي صلى الله عليه وسلم شاكاً؟ قيل قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لاَ أَشُكُ وَلاَ أَسْأَلُ

» وفي معنى الكلام وجهان : أحدهما :

أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من أمته ، كما قال تعالى : { يَآ أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ } الآية [الطلاق : 1] .

والثاني : أنه خطاب ورد على عادة العرب في توليد القبول والتنبيه على أسباب الطاعة . كقول الرجل لابنه : إن كنت ابني فبرّني ، ولعبده إن كنت مملوكي فامتثل أمري ، ولا يدل ذلك على شك الولد في أنه ابن أبيه ولا أن العبد شاك في أنه ملك لسيده .

{ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ } أي من الشاكّين .

قوله عز وجل : { إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ } يحتمل وجهين :

أحدهما : إن الذين وجبت عليهم كلمة ربك بالوعيد والغضب لا يؤمنون أبداً .

الثاني : إن الذين وقعت كلمته عليهم بنزول العذاب بهم لا يؤمنون أبداً .

(183/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آَمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آَمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (98)

قوله عز وجل : { فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهآ إِيمَانُهَا } والمراد بالقرية أهل القرية . { إلاَّ قَوْمَ يُونُسَ } وهم أهل نينوى من بلاد الموصل فإن يونس عليه السلام وعدهم بالعذاب بعد ثلاثة أيام ، فقالوا : انظروا يونس فإن خرج عنا فوعيده حق ، فلما خرج عنهم تحققوه ففزعوا إلى شيخ منهم فقال : توبوا وادعوا وقولوا يا حي حين لاحي ، ويا حي يا محيي الموتى ، ويا حي لا إله إلا أنت ، فلبسوا المسوح وفرقوا بين كل والدة وولدها ، وخرجوا من قريتهم تائبين داعين فكشف الله عنهم العذاب كما قال تعالى :

{ . . . كَشَفَنْا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } وفيه وجهان :

أحدهما : أنهم تابوا قبل أن يروا العذاب فلذلك قبل توبتهم ، ولو رأوه لم يقبلها كما لم يقبل من فرعون إيمانه لما أدركه الغرق .

الثاني : أنه تعالى خصهم بقبول التوبة بعد رؤية العذاب ، قال قتادة : كشف عنهم العذاب بعد أن تدلى عليهم ولم يكن بينهم وبين العذاب إلا ميل .

{ وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ } فيه تأويلان :

أحدهما : إلى أجلهم ، قاله السدي .

الثاني : إلى أن يصيرهم إلى الجنة أو النار ، قاله ابن عباس .

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : إن الحذر لا يرد القدر ، وإن الدعاء يرد القدر ، وذلك أن الله تعالى يقول : { إلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ } قال عليّ رضي الله عنه ذلك يوم عاشوراء .

(184/2)

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآَمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (99) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (100) قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآَيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (101) فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (102) ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آَمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ (103)

قوله عز وجل : { وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : معناه إلا بأمر الله تعالى ، قاله الحسن .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثاني : إلا بمعونة الله .

الثالث : إلا بإعلام الله سبل الهدى والضلالات .

{ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ } فيه خمسة تأويلات :

أحدها : أن الرجس السخط ، قاله ابن عباس .

الثاني : أنه العذاب ، قاله الفراء .

الثالث : أنه الإثم ، قاله سعيد بن جبيرٍ .

الرابع : أنه ما لا خير فيه ، قاله مجاهد .

الخامس : أنه الشيطان ، قاله قتادة .

وقوله : { عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ } يعني لا يعقلون عن الله تعالى أمره ونهيه ويحتمل أنهم الذين لا يعتبرون بحججه ودلائله .

(185/2)

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (104) وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (105) وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ (106) وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (107)

قوله عز وجل : { وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلِّدِينِ حَنِيفاً } أي استقم بإقبال وجهك على ما أمرت به من الدين حنيفاً ، وقيل أنه أراد بالوجه النفس .

و { حَنِيفاً } فيه ستة تأويلات :

أحدها : أي حاجاً ، قاله ابن عباس والحسن والضحاك وعطية والسدي .

الثاني : متبعاً ، قاله مجاهد .

الثالث : مستقيماً ، قاله محمد بن كعب .

الرابع : مخلصاً ، قاله عطاء .

الخامس : مؤمناً بالرسل كلهم ، قاله أبو قلابة قال حمزة بن عبد المطلب :

حمدت الله حين هدى فؤادي ... من الإشراك للدين الحنيف

السادس : سابقاً إلى الطاعة ، مأخوذ من الحنف في الرجلين وهو أن تسبق إحداهما الأخرى .

(186/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (108) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (109)

قوله عز وجل : { قُلْ يَآ أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ الْحَقُّ مِنَّ ربِّكُمْ } فيه وجهان :

أحدهما : القرآن .

الثاني : الرسول صلى الله عليه وسلم .

{ فَمِنِ اهْتَدَى فإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ } فيه وجهان محتملان :

أحدهما : فمن اهتدى لقبول الحق فإنما يهتدي بخلاص نفسه .

الثاني : فمن اهتدى إلى معرفة الحق فإنما يهتدي بعقله .

(187/2)

الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (1) أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (2) وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (3) إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (4)

قوله عز وجل : { الر كِتَابٌ } يعني القرآن .
{ أُحْكِمَتْ ءَايَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ } فيه خمسة تأويلات :
أحدها : أحكمت آياته بالأمر والنهي ثم فصلت بالثواب والعقاب ، قاله الحسن .
الثاني : أحكمت آياته من الباطل ثم فصلت بالحلال والحرام والطاعة والمعصية ، وهذا قول قتادة .
الثالث : أحكمت آياته بأن جعلت آيات هذه السورة كلها محكمة ثم فصلت بأن فسرت ، وهذا معنى قول مجاهد .
الرابع : أحكمت آياته للمعتبرين ، وفصلت آياته للمتقين . الخامس : أحكمت آياته في القلوب ، وفصلت أحكامه على الأبدان .
{ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ } فيه وجهان :
أحدهما : من عند حكيم في أفعاله ، خبير بمصالح عباده .
الثاني : حكيم بما أنزل ، خبير بمن يتقبل .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قوله عز وجل { أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللَّهَ } فيه وجهان :
أحدهما : أن كتبت في الكتاب { أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللَّهَ }
الثاني : أنه أمر رسوله أن يقول للناس { أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللَّهَ } .
{ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ } قال ابن عباس : نذير من النار ، وبشير بالجنة .
قوله عز وجل : { وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ } فيه وجهان :
أحدهما : استغفروه من سالف ذنوبكم ثم توبوا إليه من المستأنف متى وقعت منكم . قال بعض العلماء : الإستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين . الثاني : أنه قدم ذكر الاستغفار لأن المغفرة هي الغرض المطلوب والتوبة هي السبب إليها ، فالمغفرة أولٌ في الطلب وآخر في السبب .
ويحتمل ثالثاً : أن المعنى استغفروه من الصغائر وتوبوا إليه من الكبائر { يُمَتِّعْكُم مَّتَاعاً حَسَناً } يعني في الدنيا وفيه ثلاثة أوجه :
أحدها : أنه طيب النفس وسعة الرزق .
الثاني : أنه الرضا بالميسور ، والصبر على المقدور .
الثالث : أنه ترْك الخلق والإقبال على الحق ، قاله سهل بن عبد الله ويحتمل ثلاثة أوجه :
أحدها : أنه الحلال الكافي .
الثاني : أنه الذي لا كد فيه ولا طلب .
الثالث : أنه المقترن بالصحة والعافية .
{ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى } فيه ثلاثة أوجه :
أحدها : إلى يوم القيامة ، قاله سعيد بن جبير .
الثاني : إلى يوم الموت ، قاله الحسن . الثالث : إلى وقت لا يعلمه إلا الله تعالى ، قاله ابن عباس .
{ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ } فيه وجهان :
أحدهما : يهديه إللعمل الصالح ، قاله ابن عباس .
الثاني : يجازيه عليه في الآخرة ، على قول قتادة . ويجوز أن يجازيه عليه في الدنيا ، على قول مجاهد .
{ وَإِن تَوَلَّوْاْ } يعني عما أُمرتم له .
{ فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ } وفيه إضمار وتقدير : فقل لهم إني أخاف عليكم عذاب يوم كبير يعني يوم القيامة وصفه بذلك لكبر الأمور التي هي فيه .

(188/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (5)

قوله عز وجل : { أَلاَ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ } فيه خمسة أقاويل :

أحدها : يثنون صدورهم على الكفر ليستخفوا من الله تعالى ، قاله مجاهد . الثاني : يثنونها على عداوة النبي صلى الله عليه وسلم ليخفوها عنه ، قاله الفراء والزجاج .

الثالث : يثنونها على ما أضمروه من حديث النفس ليخفوه عن الناس ، قاله الحسن . الرابع : أن المنافقين كانوا إذا مرّوا بالنبي صلى الله عليه وسلم غطوا رؤوسهم وثنوا صدورهم ليستخفوا منه فلا يعرفهم ، قاله أبو رزين .

الخامس : أن رجلاً قال إذا أغلقت بابي وضربت ستري وتغشيت ثوبي وثنيت صدري فمن يعلم بي؟ فأعلمهم الله تعالى أنه يعلم ما يسرون وما يعلنون .

{ أَلاَ حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ } يعني يلبسون ثيابهم ويتغطون بها ، ومنه قول الخنساء :

أرعى النجوم وما كُلّفتُ رعيتها ... وتارةً أتغشّى فضل أطماري

وفي المراد ب { حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ } أربعة أقاويل :

أحدها : الليل يقصدون فيه إخفاء أسرارهم فيما يثنون صدورهم عليه . والله تعالى لا يخفى عليه ما يسرونه في الليل ولا ما يخفونه في صدروهم ، فكنى عن الليل باستغشاء ثيابهم لأنهم يتغطون بظلمته كما يتغطون إذا استغشوا ثيابهم .

الثاني : أن قوماً من الكفار كانوا لشدة بغضتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يستغشون ثيابهم يغطون بها وجوههم ويصمون بها آذنهم حتى لا يروا شخصه ولا يسمعوا كلامه ، وهو معنى قول قتادة .

الثالث : أن قوماً من المنافقين كانوا يظهرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم بألسنتهم أنهم على طاعته ومحبته ، وتشتمل قلوبهم على بغضه ومعصيته ، فجعل ما تشتمل عليه قلوبهم كالمستغشي بثيابه .

الرابع : أن قوماً من المسلمين كانوا يتنسكون بستر أبدانهم ولا يكشفونها تحت السماء ، فبين الله تعالى أن المنسك ما اشتملت قلوبهم عليه من معتقد وما أظهروه من قول وعمل .

ثم بيَّن ذلك فقال : { يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون بأفواههم .

الثاني : ما يسرون من الإيمان وما يعلنون من العبادات .

الثالث : ما يسرون من عمل الليل وما يعلنون من عمل النهار ، قاله ابن عباس .

{ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } قيل بأسرار الصدور . قال ابن عباس : نزلت هذه الآية في الأخنس بن شريق الثقفي .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

(189/2)

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (6)

قوله عز وجل : { وَيَعْلَمُ مُستَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدعَهَا } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : مستقرها حيث تأوي ، ومستودعها حيث تموت .

الثاني : مستقرها في الرحم ، ومستودعها في الصلب ، قاله سعيد بن جبير .

الثالث : مستقرها في الدنيا ، ومستودعها في الآخرة .

ويحتمل رابعاً : أن مستقرها في الآخرة من جنة أو نار ، ومستودعها في القلب من كفر أو إيمان .

(190/2)

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (7) وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (8)

قوله عز وجل : { لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً } فيه أربعة أوجه :

أحدها : يعني أيكم أتم عقلاً ، قاله قتادة .

الثاني : أيكم أزهد في الدنيا ، وهو قول سفيان .

الثالث : أيكم أكثر شكراً ، قاله الضحاك .

الرابع : ما روى كليب بن وائل عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أَيُّكُم أَحْسَنُ عَمَلاً » أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَقْلاً وَأَوْرَعُ عَن مَحَارِمِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَسَرَعُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ » . قوله عز وجل : { ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة } فيه وجهان :

أحدهما : يعني إلى فناء أمة معلومة ، ذكره علي بن عيسى .

الثاني : إلى أجل معدود ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وجمهور المفسرين . وتكون الأمة عبارة عن المدة ، واصلها الجماعة فعبر بها عن المدة لحلولها في مدة .

{ ليقولن ما يحبسه } يعني العذاب . وفي قولهم ذلك وجهان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

أحدهما : أنهم قالوا ذلك تكذيباً للعذاب لتأخره عنهم .

الثاني : أنهم قالوا ذلك استعجالاً للعذاب واستهزاء ، بمعنى ما الذي حبسه عنا؟

(191/2)

وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ (9) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ
لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (10) إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (11) فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ
أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (12) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ
سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (13) فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ
فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (14) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (15) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ
وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (16) أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ
وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا
تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (17)

قوله عز وجل : { أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِن رَّبِّه } فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه القرآن ، قاله عبد الرحمن بن زيد .

الثاني : محمد صلى الله عليه وسلم ، قاله مجاهد وعكرمة وأبو العالية وأبو صالح وقتادة والسري والضحاك .

الثالث : الحجج الدالة على توحيد الله تعالى ووجوب طاعته ، قاله ابن بحر .

وذكر بعض المتصوفة قولاً رابعاً : أن البينة هي الإشراف على القلوب والحكمة على الغيوب .

{ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ } فيه خمسة أقاويل :

أحدها : أنه لسانه يشهد له بتلاوة القرآن ، قاله الحسن وقتادة ، ومنه قول الأعشى :

فلا تحبسنّي كافراً لك نعمةً ... على شاهدي يا شاهد الله فاشهد .

الثاني : أنه محمد صلى الله عليه وسلم شاهد من الله تعالى ، قاله علي بن الحسين .

الثالث : أنه جبريل عليه السلام ، قاله ابن عباس والنخعي وعكرمة والضحاك .

الرابع : أنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، روى المنهال عن عباد بن عبد الله قال : قال عليّ : ما في قريش أحد إلا وقد نزلت فيه آية ، قيل له : فما نزل فيك؟ قال { وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ }

الخامس : أنه ملك يحفظه ، قاله مجاهد وأبو العالية .

This file was downloaded from QuranicThought.com

ويحتمل قولاً سادساً : ويتلوه شاهد من نفسه بمعرفة حججه ودلائله وهو عقله ووحدته ، قال ابن بحر .

{ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى } فيه وجهان :

أحدهما : ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة ، قاله ابن زيد .

الثاني : ومن قبل محمد كتاب موسى ، قاله مجاهد .

{ إِمَاماً وَرَحْمَةً } فيه وجهان :

أحدهما يعني متقدماً علينا ورحمة لهم .

الثاني : إماماً للمؤمنين لاقتدائهم بما فيه ورحمة لهم .

{ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ } يعني من كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه .

{ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ } فيهم قولان :

أحدهما : أنهم أهل الأديان كلها لأنهم يتحزبون : قاله سعيد بن جبير .

الثاني : هم المتخزبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم المجتمعون على محاربته .

وفي المراد بهم ثلاثة أوجه : أحدها : قريش ، قال السدي .

الثاني : اليهود والنصارى ، قاله سعيد بن جبير .

الثالث : أهل الملل كلها . { فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ } أي أنها مصيره ، قال حسان بن ثابت :

أوردتموها حياض الموت ضاحيةً ... فالنار موعِدُها والموت لاقيها

{ فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ منه } فيه وجهان :

أحدهما : في مرية من القرآن قاله مقاتل .

الثاني : في مرية من أن النار موعد الكفار ، قاله الكلبي ، وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به جميع المكلفين .

(192/2)

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (18) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (19) أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ (20) أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (21) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ (22)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله عز وجل : { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً } معناه ومن أظلم لنفسه ممن افترى على الله كذباً بأن يدعي إنزال ما لم ينزل عليه أو ينفي ما أنزل عليه .

{ أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ } وهو حشرهم إلى موقف الحساب كعرض الأمير لجيشه ، إلا أن الأمير يعرضهم ليراهم وهذا لا يجوز على الله تعلى لرؤيته لهم قبل الحشر .

{ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هؤلاَءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ } والأشهاد جمع ، وفيما هو جمع له وجهان :

أحدهما : أنه جمع شاهد مثل صاحب وأصحاب .

والثاني : جمع شهيد مثل شريف وأشراف .

وفي الأشهاد أربعة أقاويل :

احدها : أنه الأنبياء ، قاله الضحاك .

الثاني : أنهم الملائكة ، قاله مجاهد .

الثالث : الخلائق ، قاله قتادة .

الرابع : أن الأشهاد أربعة : الملائكة والأنبياء والمؤمنون والأجساد ، قاله زيد بن أسلم .

قوله عز وجل : { الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ } يعني قريشاً .

وفي سبيل الله التي صدوا عنها وجهان :

أحدهما : أنه محمد صلى الله عليه وسلم صدت قريش عنه الناس ، قاله السدي .

والثاني : دين الله تعالى ، قاله ابن عباس .

{ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : يعني يؤمنون بملة غير الإسلام ديناً ، قاله أبو مالك .

الثاني : يبغون محمداً هلاكاً ، قاله السدي .

الثالث : أن يتأولوا القرآن تاويلاً باطلاً ، قاله عليّ بن عيسى .

قوله عز وجل : { لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن معنى لا جرم : لا بد .

الثاني : أن { لا } عائد على الكفار ، أي لا دافع لعذابهم ، ثم استأنف فقال : جرم ، أي كسب بكفره استحقاق النار ، ويكون معنى جرم : كسب ، أي بما كسبت يداه ، قال الشاعر :

نَصَبنا رأسه في جذع نخل ... بما جَرَمت يداه وما اعتدينا

أي بما كسبت يداه .

الثالث : أن { لا } زائدة دخلت توكيداً ، يعني حقاً إنهم في الآخرة هم الأخسرون . قال الشاعر :

ولقد طعنت أبا عيينة طعنة ... جرمت فزارُة بعدها أن يغضبوا .

أي أحقتهم الطعنة بالغضب .

(193/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (23) مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (24)

قوله عز وجل : { وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ } فيه خمسة تأويلات :

أحدها : يعني خافوا ربهم ، قاله ابن عباس .

الثاني : يعني اطمأنوا ، قاله مجاهد .

الثالث : أنابوا ، قاله قتادة .

الرابع : خشعوا وتواضعوا لربهم ، رواه معمر .

الخامس : أخلصوا إلى ربهم ، قاله مقاتل .

(194/2)

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (25) أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (26) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (27)

قوله عزوجل : { وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا } الاراذل جمع أرذل ، وارذل جمع رذل ، والرذل الحقير ، وعنوا بأراذلهم الفقراء وأصحاب المهن المتضعة . { باديَ الرأي } أي ظاهر الرأي ، وفيه ثلاثة اوجه :

احدها : إنك تعمل بأول الرأي من غير فكر ، قاله الزجاج .

الثاني : أن ما في نفسك من الرأي ظاهر ، تعجيزاً له ، قال ابن شجرة . الثالث : يعني ان أراذلنا اتبعوك بأقل الرأي وهم إذا فكروا رجعوا عن اتباعك ، حكاه ابن الأنباري .

{ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ } يحتمل وجهين .

أحدهما : من فضل تفضلون به علينا من دنياكم . والثاني : من فضل تفضلون به علينا في أنفسكم .

(195/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (28)

قوله عز وجل : { قَالَ يَا قَوْمِ أَرءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِن رَّبِّي } فيه وجهان :

أحدهما : يعني على ثقة من ربي ، قاله أبو عمران الجوني .

الثاني : على حجة من ربي ، قاله عليّ بن عيسى .

{ وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ } فيها وجهان :

أحدهما : الإيمان .

والثاني : النبوة ، قاله ابن عباس .

{ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ } يعني البينة في قوله { إنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِن رَبِّي } وإنما قال { فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ } وهم الذين عموا عنها ، لأنها خفيت عليهم بترك النظر فأعماهم الله عنها .

وقرأ حمزة والكسائي وحفص { فعميت عليكم } بضم العين وتشديد الميم ، وفي قراءة أُبي { فعمّاها } وهي موافقة لقراءة من قرأ بالضم على ما لم يسم فاعله .

وفي الذي عماها على هاتين القراءتين وجهان :

أحدهما : أن الله تعالى عماها عليهم .

الثاني : بوسوسة الشيطان . وما زينه لهم من الباطل حتى انصرفوا عن الحق . وإنما قصد نبي الله نوح بهذا القول لقومه أن يرد عيهم قولهم { وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ } ليظهر فضله عليهم بأنه على بينة من ربه وآتاه رحمة من عنده وهم قد سلبوا ذلك ، فأي فضل أعظم منه .

ثم قال تعالى : { أَنُلْزِمُكَمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ } فيها وجهان : أنلزمكم الرحمة ، قاله مقاتل .

الثاني : أنلزمكم البينة وأنتم لها كارهون ، وقبولكم لها لا يصح مع الكراهة عليها .

قال قتادة والله لو استطاع نبي الله نوح عليه السلام لألزمها قومه ولكنه لم يملك ذلك .

(196/2)

وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (29) وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (30)

قوله عز وجل : { . . وَمَآ أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُواْ } لأنهم سألوه طرد من اتبعه من أراذلهم ، فقال جواباً لهم ورداً لسؤالهم : وما أنا بطارد الذين آمنوا .

{ إِنَّهُم مُّلاَقُوْا رَبِّهِم } يحتمل وجهين :

أحدهما : أن يكون قال ذلك على وجه الإعظام لهم بلقاء الله تعالى .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثاني : على وجه الاختصام ، بأني لو فعلت ذلك لخاصموني عند الله . { وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ } فيه وجهان :

أحدهما : تجهلون في استرذالكم لهم وسؤالكم طردهم .

الثاني : تجلون في أنهم خير منكم لإيمانهم وكفركم .

(197/2)

وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (31) قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (32) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (33) وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (34)

قوله عز وجل : { وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللَّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ } احتمل هذا القول من نوح عليه السلام وجهين :

أحدهما : أن يكون جواباً لقومه على قولهم { مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا }

الثاني : أن يكون جواباً لهم على قولهم { وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ } فقال الله تعالى له قل : { وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللَّهِ } وفيها وجهان :

أحدهما : أنها الرحمة أي ليس بيدي الرحمة فأسوقها إليكم ، قاله ابن عباس .

الثاني : أنها الأموال ، أي ليس بيدي أموال فأعطيكم منها على إيمانكم . { وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ } فأخبركم بما في انفسكم . { وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ } يعني فأباين جنسكم . { وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً } والازدراء الإحتقار . يقال ازدريت عليه إذاعبته ، وزريت عليه إذا حقرته .

وأنشد المبرد :

يباعده الصديق وتزدريه ... حليلته وينهره الصغير .

{ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْراً } أي ليس لاحتقاركم لهم يبطل أجرهم أو ينقص ثوابهم ، وكذلك لستم لعلوكم في الدنيا تزدادون على أجوركم .

{ اللَّهَ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ } يعني أنه يجازيهم عليه ويؤاخذهم به . { إني إذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ } يعني إن قلت هذا الذي تقدم ذكره .

(198/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ (35)

قوله عز وجل : { أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ } يعني النبي صلى الله عليه وسلم ، افترى افتعل من قبل نفسه ما أخبر به عن نوح وقومه .

{ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إجرامي } وفي الإجرام وجهان :

أحدهما : أنه الذنوب المكتسبة . حكاه ابن عيسى .

الثاني : أنها الجنايات المقصودة ، قاله ابن عباس ومنه قول الشاعر :

طريد عشيرةٍ ورهين جرم ... بما جرمت يدي وجنى لساني .

ومعناه : فعليّ عقاب إجرامي . { وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ } أي وعليكم من عقاب جرمكم في تكذيبي ما أنا بريء منه .

(199/2)

وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (36) وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (37) وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (38) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ (39)

قوله عز وجل : { وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أنه لن يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ } حقق الله تعالى استدامة كفرهم تحقيقاً لنزول الوعيد بهم ، قال الضحاك ، فدعا عليهم لما أُخبر بهذا فقال : { ربِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ديَّاراً . إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ فاجِراً كَفَّاراً } [نوح : 27 : 26] .

{ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَ كَانُوا يَفْعَلُونَ } فيه وجهان :

أحدهما : فلا تأسف ومنه قول يزيد بن عبد المدان :

فارسُ الخيل إذا ما ولولت ... ربّهُ الخِدر بصوتٍ مبتئس

الثاني : فلا تحزن ، ومنه قول الشاعر :

وكم من خليلٍ او حميم رُزئته ... فلم أبتئس والرزءُ فيه جَليلُ

والأبتئاس : الحزن في استكانة ، وأصله من البؤس ، وفي ذلك وجهان :

أحدهما : فلا تحزن لهلاككهم .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
الثاني : فلا تحزن لكفرهم المفضي إلى هلاكهم .
قوله عز وجل : { وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا } فيه ثلاثة أوجه :
أحدهما : بحيث نراك ، فعبر عن الرؤية بالأعين لأن بها تكون الرؤية .
الثاني : بحفظنا إياك حفظ من يراك .
الثالث : بأعين أوليائنا من الملائكة .
ويحتمل وجهاً رابعاً : بمعونتنا لك على صنعها . { وَوَحْيِنَا } فيه وجهان :
أحدهما : وأمرنا لك أن تصنعها .
الثاني : تعليمنا لك كيف تصنعها .
{ وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ } نهاه الله عن المراجعة فيهم فاحتمل نهيه أمرين :
أحدهما : ليصرفه عن سؤال ما لا يجاب إليه .
الثاني : ليصرف عنه مأثم الممالأة للطغاة .
قوله عز وجل : { وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ } قال زيد بن أسلم : مكث نوح عليه السلام مائة سنة يغرس الشجر ويقطعها وييبسها ، ومائة سنة يعملها ، واختلف في طولها على ثلاثة أقاويل :
أحدها : ما قاله الحسن كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع ، وعرضها ستمائة ذراع ، وكانت مطبقة .
الثاني : ما قاله ابن عباس : كان طولها أربعمائة ذراع ، وعلوها ثلاثون ذراعاً . وقال خصيف : كان طولها ثلاثمائة ذراع ، وعرضها خمسون ذراعاً ، وكان في أعلاها الطير ، وفي وسطها الناس وفي أسفلها السباع . ودفعت من عين وردة في يوم الجمعة لعشر مضين من رجب ورست بباقردي على الجودي يوم عاشوراء . قال قتادة وكان بابها في عرضها .
{ وكلّما مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّنْ قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ } وفي سخريتهم منه قولان :
أحدهما : أنهم كانوا يرونه يبني في البر سفينة فيسخرون منه ويستهزئون به ويقولون : يا نوح صرت بعد النبوة نجاراً .
الثاني : أنهم لما رأوه يبني السفينة ولم يشاهدوا قبلها سفينة بنيت قالوا يا نوح : ما تصنع؟ قال : أبني بيتاً يمشي علىلماء فعجبوا من قوله وسخروا منه .
{ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ } فيه قولان :
أحدهما : إن تسخروا من قولنا فسنسخر من غفلتكم .
الثاني : إن تسخروا من فِعلنا اليوم عند بناء السفينة فإنا نسخر منكم غداً عند الغرق .
والمراد بالسخرية ها هنا الاستجهال . ومعناه إن تستجهلونا فإنا نستجهلكم .
قال ابن عباس : ولم يكن في الأرض قبل الطوفان نهر ولا بحر فلذلك سخروا منه . قال : ومياه البحار بقية الطوفان .
فإن قيل : فلم جاز أن يقول فإنا نسخر منكم مع قبح السخرية؟ قيل : لأنه ذمٌّ جعله مجازاة على
This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

السخرية فجاء به على مزاوجة الكلام ، وكان الزجاج لأجل هذا الاعتراض يتأوله على معنى إن تستجهلونا فإنا نستجهلكم كما تستجهلوننا .

(200/2)

حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (40)

قوله عز وجل : { حَتَّى إذا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ } فيه ستة أوجه :
أحدها : وجه الأرض ، والعرب تسمي وجه الأرض تَنُّوراً ، قاله ابن عباس وقيل لنوح عليه السلام : إذا رأيت الماء على وجه الأرض فاركب أنت ومن معك .
الثاني : أن التنور العين التي بالجزيرة « عين وردة » ، رواه عكرمة . الثالث : أنه مسجد بالكوفة من قبل أبواب كندة ، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه . الرابع : أن التنور ما زاد على وجه الأرض فأشرف منها ، قاله قتادة .
الخامس : أنه التنور الذي يخبز فيه ، قيل له : إذا رأيت الماء يفور منه فاركب أنت ومن معك ، قاله مجاهد .
قال الحسن : كان تنوراً من حجارة وكان لحواء ثم صار لنوح ، وقال مقاتل : فارَ من أقصى دار نوح بعين وردة من أرض الشام ، قال أمية بن الصلت :
فار تنورهم وجاش بماءٍ ... صار فوق الجبال حتى علاها
السادس : أن التنور هو تنوير الصبح ، من قولهم : نور الصبح تنويراً ، وهو مروي عن علي رضي الله عنه .
{ قُلْنَا احِملْ فِيهَا مِن كُلّ زَوْجِيْنِ اثْنَينِ } يعني من الآدميين والبهائم ذكراً وأنثى .
{ وَأَهْلَكَ } أي احمل أهلك .
{ إلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ } من الله تعالى أنه يهلكهم وهو ابنه كنعان وامرأته كانا كافرين : قاله الضحاك وابن جريج .
{ وَمَن آمَنَ } أي احمل من آمن .
{ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إلاَّ قَلِيْلٌ } واختلف في عددهم على ثلاثة أقاويل : أحدها : ثمانون رجلاً منهم جرهم ، قاله ابن عباس . الثاني : ثمانين ، قاله ابن جريج .
الثالث : سبعة ، قاله الأعمش ومطر ، وكان فيهم ثلاثة بنين : سام وحام ويافث ، وثلاث بنات له ونوح معهم فصاروا سبعة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وعلى القول الثاني : كانت فيهم امرأة نوح فصاروا ثمانية . قال محمد بن عباد بن جعفر : فأصاب حام امرأته في السفينة ، فدعا نوح أن يغير الله نطفته فجاء السودان .

(201/2)

وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (41) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (42) قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (43)

قوله عز وجل : { وقال اركبوا فيها بإسم الله مجريها ومرساها إن ربي لغفور رحيمٌ } قال قتادة : ركب نوح عليه السلام في السفينة في اليوم العاشر من رجب ، ونزل منها في اليوم العاشر من المحرم ، وهو يوم عاشوراء ، فقال لمن معه : من كان صائماً فليتم صومه ، ومن لم يكن صائماً فليصمه .

وقوله { بسم الله مجريها } أي مسيرها ، { ومُرساها } أي مثبتها ، فكان إذا أراد السير قال : بسم الله مجريها ، فتجري ، وإذا أراد الوقوف قال : بسم الله مرساها . فتثبت واقفة .

قوله عز وجل : { قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء } قال ذلك لبقائه على كفره تكذيباً لأبيه ، وقيل إن الجبل الذي أوى إليه طور زيتا .

{ قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم } فيه وجهان :

أحدهما : إلا من رحم الله وهم أهل السفينة .

الثاني : إلا من رحم نوح فحمله في سفينته وقوله { لا عاصم } يعني لا معصوم . { من أمر الله } يعني الغرق .

(202/2)

وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (44)

قوله عز وجل : { وقيل يا أرض ابلعي ماءَك } جعل نزول الماء فيها بمنزلة البلع ، ومعناه ابلعي الماء الذي عليك ، فروى الحسن والحسين عليهما السلام أن بعض البقاع امتنع أن يبلع ماءه فصار

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ماؤه مراً وترابه سبخا .

{ ويا سماء أقلعي } أي لا تمطري ، من قولهم أقلع عن الشيء إذا تركه .

{ وغيض الماء } أي نقص حتى ذهبت زيادته عن الأرض . { وَقضي الأمر } يعني بهلاك من غرق من قوم نوح .

{ وَاستوت } يعني السفينة .

{ على الجودي } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه جبل بالموصل ، قاله الضحاك .

الثاني : أنه جبل بالجزيرة ، قاله مجاهد . قال قتادة . هو بباقردى من أرض الجزيرة .

الثالث : أن الجودي اسم لكل جبل ، ومنه قول زيد بن عمرو بن نفيل .

سبحانه ثم سُبحاناً يعود له ... وقبلنا سبح الجوديُّ والجمد

(203/2)

وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (45) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (46) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (47)

قوله عز وجل : { ونادى نوحٌ ربه فقال رَبِّ إنَّ ابني من أهلي } وإنما قال { من أهلي } لأن الله تعالى وعده أن ينجي أهله معه .

{ وإن وعدك الحق } يحتمل وجهين :

أحدهما الذي يحق فلا يخلف .

الثاني : الذي يلزم كلزوم الحق .

{ وأنت أحكم الحاكمين } يعني بالحق : فاحتمل هذا من نوح أحد أمرين : إما أن يكون قبل علمه بغرق ابنه فسأل الله تعالى له النجاة ، وإما أن يكون بعد علمه بغرقه فسأل الله تعالى له الرحمة .

قوله عز وجل : { قال يا نوح إنه ليس من أهلك } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه ولد على فراشه ولم يكن ابنه وكان لغيره رشدة ، قاله الحسن ومجاهد .

الثاني : أنه ابن امرأته .

الثالث : أنه كان ابنه ، قاله ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك . قال ابن عباس : ما بغت امرأة نبي قط .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقيل إن اسمه كان كنعان ، وقيل بل كان اسمه يام .

قال الحسن : وكان منافقاً ولذلك استعجل نوح أن يناديه فعلى هذا يكون في تأويل قوله تعالى { إنه ليس من أهلك } وجهان :

أحدهما : ليس من أهل دينك وولايتك ، وهو قول الجمهور .

الثاني : ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم معك ، قاله سعيد بن جبير .

{ إنه عملٌ غير صالحٍ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن مسألتك إياي أن أنجيه عمل غير صالح ، قاله قتادة وإبراهيم وهو تأويل من قرأ عملٌ غير صالح بالتنوين .

والثاني : معناه أن ابنك الذي سألتني أن أنجيه هو عملٌ غير صالحٍ ، أي أنه لغير رشدة ، قاله الحسن .

والثالث : أنه عملٌ غير صالحٍ ، قاله ابن عباس ، وهو تأويل من لمن ينون .

{ فلا تسألن ما ليس لك به علمٌ } يحتمل وجهين :

أحدهما : فيما نسبته إلى نفسك وليس منك .

الثاني : في دخوله في جملة من وعدتك بإنجائهم من أهلك وليس منهم .

{ إني أعظُك أن تكون من الجاهلين } يحتمل وجهين :

أحدهما : من الجاهلين بنسبك .

الثاني : من الجاهلين بوعدي لك .

وفي قوله { إني أعظك } تأويلان :

أحدهما : معناه إني رافعك أن تكون من الجاهلين .

الثاني : معناه أني أحذرك ومنه قوله تعالى { يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً } أي يحذرّكم .

(204/2)

قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (48) تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (49) وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (50) يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ (51) وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (52)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله عز وجل : { يُرْسِلِ السماء عليكم مدراراً } فيه وجهان : أحدهما : أنه المطر في إبانه ، قاله هارون التيمي .

الثاني : المطر المتتابع ، قاله ابن عباس .

ويحتمل وجهين آخرين :

أحدهما : يُدرُّه عند الحاجة .

والثاني : يُدرُّ به البركة ، وهو مأخوذ من درور اللبن من الضرع . { ويزدكم قوة إلى قوتكم } فيه أربعة أوجه :

أحدها : يعني شدة إلى شدتك ، قاله مجاهد .

الثاني : خصباً إلى خصبكم ، قاله الضحاك .

الثالث : عزاً إلى عزكم بكثرة عددكم وأموالكم ، قاله علي بن عيسى . الرابع : أنه ولد الولد ، قاله عكرمة . ويحتمل خامساً يزدكم قوة في إيمانكم إلى قوتكم في أبدانكم .

(205/2)

قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آَلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (53) إِنْ نَقُولُ إِلَّا
اعْتَرَاكَ بَعْضُ آَلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (54) مِنْ دُونِهِ
فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ (55) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آَخِذٌ
بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (56) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي
قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (57) وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ
آَمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (58) وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآَيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ
وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (59) وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا
بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (60)

قوله عز وجل : { . . . إن ربي على صراط مستقيم } فيه وجهان :

أحدهما : على الحق ، قاله مجاهد .

الثاني : على تدبير محكم ، قاله علي بن عيسى .

ويحتمل ثالثاً : أنه على طريق الآخرة في مصيركم إليه للجزاء وفصل القضاء .

(206/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (61)

قوله عز وجل : { . . . هو أنشأكم من الأرض } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : خلقكم من الأرض لأنكم من آدم وآدم من الأرض ، قاله السدي .

والثاني : معناه أنشأكم في الأرض .

والثالث : أنشأكم بنبات الأرض .

{ واستعمركم فيها } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : معناه أعمركم فيها بأن جعلكم فيها مدة أعماركم ، قاله مجاهد ، من قولهم أعمر فلان فلاناً داره فهي له عمرى .

الثاني : امركم بعمارة ما تحتاجون إليه فيها بناء مساكن وغرس أشجار قاله علي بن عيسى .

الثالث : أطال فيها أعمالكم ، قال الضحاك ، كانت أعماركم ألف سنة إلى ثلاثمائة سنة .

(207/2)

قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آَبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (62) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآَتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ (63)

قوله عز وجل { قالوا يا صالحُ قد كنت فينا مرجُوّاً قبل هذا } فيه وجهان :

أحدهما : أي مؤملاً برجاء خيرك .

الثاني : أي حقيراً من الإرجاء وهو التأخير ، فيكون على الوجه الأول عتباً ، وعلى الثاني زجراً .

قوله عز وجل : { قال يا قوم أرأيتم إن كُنْتُ على بينةٍ من ربي } يحتمل وجهين :

أحدهما : على حق بَيّن .

الثاني : على حجة ظاهرةٍ . وقال الكلبي على دين من ربي .

{ وآتاني منه رحمة } قال ابن جرير الطبري يعني النبوة والحكمة .

{ فمن ينصرني من الله إن عصيته } أي فمن يدفع عني عذاب الله إن عصيته بطاعتكم .

{ فما تزيدونني غير تخسير } فيه وجهان :

أحدهما : يعني ما تزيدونني في احتجاجكم بتباع آبائكم إلا خساراً تخسرونه أنتم ، قاله مجاهد .

الثاني : فما تزيدونني مع الرد والتكذيب إن أجبتم إلى ما سألتم إلا خساراً لاستبدال الثواب بالعقاب .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (64) فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ (65) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (66) وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (67) كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ (68)

قوله عز وجل : { وأخذ الذين ظلموا الصيحةُ } فيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن جبريل عليه السلام صاح بهم .

الثاني : أن الله تعالى أحدثها في حيوان صاح بهم .

الثالث : أن الله تعالى أحدثها من غير حيوان .

{ فأصبحوا في ديارهم جاثمين } لأن الصيحة أخذتهم ليلاً فأصبحوا منها هلكى . { في ديارهم } فيه وجهان :

أحدهما : في منازلهم وبلادهم ، من قولهم هذه ديار بكر وديار ربيعة .

الثاني : في دار الدنيا لأنها دار لجميع الخلق .

وفي { جاثمين } وجهان :

أحدهما : مبيتين ، لأن الصحية كانت بياتاً في الليل ، قاله عبد الرحمن بن زيد . الثاني : هلكى بالجثوم .

وفي الجثوم تأويلان :

أحدهما : أنه السقوط على الوجه .

الثاني : أنه القعود على الرُّكب .

قوله عز وجل : { كأن لم يغنوا فيها } فيه وجهان :

أحدهما : كأن لم يعيشوا فيها .

الثاني : كأن لم ينعموا فيها .

{ ألا إنَّ ثمود كفروا ربهم } فيه وجهان :

أحدهما : كذبوا وعيد ربهم . الثاني : كفروا بأمر ربهم .

{ ألا بُعْداً لثمود } فقضى عليهم بعذاب الاستئصال فهلكوا جيمعاً إلا رجلاً منهم وهو أبو رمحان كان في حرم الله تعالى فمنعه الحرم من عذاب الله تعالى .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (69) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ (70) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (71) قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (72) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (73)

قوله عز وجل : { ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى } . أما إبراهيم ففيه وجهان :

أحدهما : أنه اسم أعجمي ، قاله الأكثرون . وقيل معناه أب رحيم .

الثاني : أنه عربي مشتق من البرهمة وهي إدامة النظر .

والرسل جبريل ومعه ملكان قيل إنهما ميكائيل وإسرافيل عليه السلام وروى أبو صالح عن ابن عباس أنه كان المرسل مع جبريل اثني عشر ملكاً .

وفي البشرى التي جاءوه بها أربعة أقاويل :

أحدها : بشروه بنبّوته ، قاله عكرمة .

الثاني : بإسحاق ، قاله الحسن .

الثالث : بشروه بإخراج محمد صلى الله عليه وسلم من صلبه وأنه خاتم الأنبياء .

الرابع : بشروه بهلاك قوم لوط ، قاله قتادة .

{ قالوا سلاماً قال سلامٌ } فيه وجهان :

أحدهما تحية من الملائكة لإبراهيم عليه السلام فحياهم بمثله فدل على أن السلام تحية الملائكة والمسلمين جميعاً .

الثاني : سلمت أنت وأهلك من هلاك قوم لوط .

وقوله { سلام } أي الحمد لله الذي سلّمني ، فمعنى سلام : سلمت . وقرأ حمزة والكسائي { سِلم } بكسر السين وإسقاط الألف .

واختلف في السلم والسلام على وجهين : أحدهما : أن السلم من المسالمة والسلام من السلامة .

الثاني : أنهما بمعنى واحد ، قال الشاعر ، وقد أنشده الفراء لبعض العرب :

وقفنا فقلنا إيه سِلْم فسَلّمَتْ ... كما اكتلَّ بالبرْقِ الغمامُ اللوائحُ

{ فما لبث أن جاء بعجل حنيذ } ظنّ رُسُل ربه أضيافاً لأنهم جاؤوه في صورة الناس فعجل لهم الضيافة فجاءهم بعجل حنيذ . وفي الحنيذ قولان :

أحدهما : أنه الحار ، حكاه أبان بن تغلب عن علقمة النحوي .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الثاني : هو المشوي نضيجاً وهو المحنوذ مثل طبيخ ومطبوخ وفيه قولان :

أحدهما : هو الذي حُفر له في الأرض ثم غُمَّ فيها ، قال الشاعر :

اذا ما اعتبطنا اللحم للطالب القِرى ... حنذناه حتى عَين اللحم آكله

الثاني : هو أن يوقد عل الحجارة فإذا اشتد حرها ألقيت في جوفه ليسرع نضجه ، قال طرفة بن العبد :

لهم راحٌ وكافور ومسكٌ ... وعِقر الوحش شائله حنوذ

قوله عز وجل : { فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم } في نكرهم وأنكرهُم وجهان :

أحدهما : أن معناهما مخلتف ، فنكرهم إذا لم يعرفهم ونكرهم إذا وجدهم على منكر .

الثاني : أنهما بمعنى واحد ، قال الأعشى :

وأنكَرَتْني وما كان الذي نكرت ... من الحوادث إلا الشيب والصّلَعا

واختلف في سبب إنكاره لهم على قولين :

أحدهما : أنهم لم يطعموا ، ومن شأن العرب إذا نزل بهم ضيف فلم يطعم من طعامهم ظنوا به سوءاً وخافوا منه شراً ، فنكرهم إبراهيم لذلك ، قاله قتادة . والثاني : لأنه لم تكن لهم أيدي فنكرهم ، قاله يزيد بن أبي حبيب . وامتنعوا من طعامه لأنهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون .

{ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً } فيه وجهان :

أحدهما : أضمر في نفسه خوفاً منهم .

(210/2)

والثاني : أحسّ من نفسه تخوفاً منهم ، كما قال يزيد بن معاوية :

جاء البريد بقرطاس يُخَبُّ به ... فأوجس القلبُ من قرطاسه جزعا

{ قالوا لا تخف إنا أُرسلنا إلى قوم لوط } يعني بهلاكهم . وفي إعلامهم إبراهيم بذلك وجهان :

أحدهما : ليزول خوفه منهم .

والثاني : لأن إبراهيم قد كان يأتي قوم لوط فيقول : ويحكم أينهاكم عن الله أن تتعرضوا لعقوبته فلا يطيعونه . { وَامْرَأَتُهُ قَائِمَتٌ فَضَحِكَتْ } وفي قيامها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها كانت قائمة من وراء الستر تسمع كلامهم ، قاله وهب .

الثاني : أنها كانت قائمة تخدمهم ، قاله مجاهد .

الثالث : أنها كانت قائمة تُصَلّي ، قاله محمد بن إسحاق . { فَضَحِكَتْ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني حاضت ، قاله مجاهد والعرب تقول ضحكت المرأة إذا حاضت ، والضحك الحيض في كلامهم ، قال الشاعر :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
وضحك الأرانب فوق الصفا ... كمثل دم الخوف يوم اللّقا
والثاني : أن معنى ضحكت : تعجبت ، وقد يسمى التعجب ضحكاً لحدوث الضحك عنه ، ومنه قول أبي ذؤيب .
فجاء بمزجٍ لم ير الناس مثله ... هو الضحك إلاّ انه عمل النحل
الثالث : أنه الضحك المعروف في الوجه ، وهو قول الجمهور .
فإن حمل تأويله على الحيض ففي سبب حيضها وجهان : أحدهما : أنه وافق وقت عاتها فخافت ظهور دمها وأرادت شداده فتحيرت مع حضور الرسل .
والقول الثاني : ذعرت وخافت فتعجل حيضها قبل وقته ، وقد تتغير عادة الحيض باختلاف الأحوال وتغير الطباع .
ويحتمل قولاً ثالثاً : أن يكون الحيض بشيراً بالولادة لأن من لم تحض لا تلد .
وإن حمل تأويله على التعجب ففيما تعجب منه أربعة أقاويل :
أحدها : أنها تعجبت من أنها وزوجها يخدمان الأضياف تكرمة لهم وهم لا يأكلون ، قاله السدي .
الثاني : تعجبت من أن قوم لوط قد أتاهم العذاب وهم غافلون ، قاله قتادة .
الثالث : أنها عجبت من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها ، قاله وهب بن منبه .
الرابع : أنها تعجبت من إحياء العجل الحنيذ لأن جبريل عليه السلام مسحه بجناحه فقام يدرج حتى لحق بأمه وأم العجل في الدار ، قاله عون بن أبي شداد .
وإن حمل تأويله على ضحك الوجه ففيما ضحكت منه أربعة أقاويل :
أحدها : ضحكت سروراً بالسلامة .
الثاني : سروراً بالولد . الثالث : لما رأت ما بزوجها من الورع ، قاله الكلبي .
الرابع : أنها ضحكت ظناً بأن الرسل يعملون عمل قوم لوط ، قاله محمد بن عيسى .
{ فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب } وفي { وراء } ها هنا قولان :
أحدهما : أن الوراء ولد الولد ، قاله ابن عباس والشعبي .
الثاني : أنه بمعنى بعد ، قاله مقاتل ، وقال النابغة الذبياني :
حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراءَ اللهِ للمرء مذهبُ
فعجلوا لها البشرى بالولدين مظاهرة للنعمة ومبالغة في التعجب ، فاحتمل أن يكون البشارة بهما باسميهما فيكون الله تعالى هو المسمى لهما ، واحتمل أن تكون البشارة بهما وسماها أبوهما .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فإن قيل : فلم خصت سارة بالبشرى من دون إبراهيم؟ قيل عن هذا ثلاثة أجوبة :

أحدها : أنها لما اختصت بالضحك خصت بالبشرى .

الثاني : أنهم كافأُوها بالبشرى مقابلة على استعظام خدمتها .

الثالث : لأن النساء في البشرى بالولد أعظم سروراً وأكثر فرحاً .

قال ابن عباس : سمي إسحاق لأن سارة سحقت بالضحك حين بشرت به .

قوله عز وجل : { قالت يا ويلتي أألد وأنا عجوزٌ وهذا بَعْلي شيخا } لم تقصد بقولها يا ويلتا الدعاء على نفسها بالويل ولكنها كلمة تخفُّ على أفواه النساء إذا طرأ عليهن ما يعجبن منه ، وعجبت من ولادتها وهي عجوز وكون بعلها شيخاً لخروجه عن العادة ، وما خرج عن العادة مستغرب ومستنكر .

واختلف في سنها وسن إبراهيم حينئذ ، فقال مجاهد : كان لسارة تسع وتسعون سنة وكان لإبراهيم مائة سنة .

وقال محمد بن إسحاق : كانت سارة بنت تسعين سنة وكان إبراهيم ابن مائة وعشرين سنة .

وقال قتادة : كان كل واحد منهما ابن تسعين سنة . وقيل انها عرّضت بقولها { وهذا بعلي شيخاً } عن ترك غشيانه لها ، والبعل هو الزوج في هذا الموضع ، ومنه قوله تعالى { وبعولتهن أحق بردّهن في ذلك } [البقرة : 228] .

والبعل : المعبود ، ومنه قوله تعالى { أتدعون بعلاً } [الصافات : 125] أي اليها معبوداً .

والبعل السيد ، ومنه قول لبيد .

حاسري الديباج عن أذرعهم ... عند بعل حازم الرأي بَطل

فسمي الزوج بعلاً لتطاوله على الزوجة كتطاول السيد على المسود .

{ إن هذا لشيء عجيب } أي منكر ، ومنه قوله تعالى { بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم } [ق : 2] أي أنكروا . ولم يكن ذلك منها تكذيباً ولكن استغراباً له .

(212/2)

فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (74) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (75) يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (76)

قوله عز وجل : { فلما ذهب عن إبراهيم الرّوع } يعني الفزع ، والرُّوع بضم الراء النفس ، ومنه قولهم ألقى في رُوعي أي في نفْسي .

{ وجاءتْهُ البشرى } أي بإسحاق ويعقوب .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

{ يجادلنا في قوم لوط } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه جادل الملائكة بقوله { إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينة وأهله } [العنكبوت : 32] قاله الحسن .

الثاني : أنه سألهم أتعذبونهم إن كان فيها خمسون من المؤمنين؟ قالوا لا ، قال : فإن كان فيها أربعون؟ قالوا : لا ، إلى أن أنزلهم إلى عشرة ، فقالوا : لا ، قاله قتادة . الثالث : أنه سألهم عن عذابهم هل هو عذاب الاستئصال فيقع بهم لا محالة على سبيل التخويف ليؤمنوا ، فكان هذا هو جداله لهم وإن كان سؤالاً لأنه خرج مخرج الكشف عن أمر غامض .

قال أبو مالك : ولم يؤمن بلوط إلا ابنتاه رقية وهي الكبرى وعروبة وهي الصغرى .

(213/2)

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (77) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (78) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (79)

قوله عز وجل : { ولما جاءَت رُسُلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذراعاً } قال ابن عباس : ساء ظنه بقومه وضاق ذرعاً بأضيافه .

ويحتمل وجهاً آخر أنه ساء ظنه برسل ربه ، وضاق ذراعاً بخلاص نفسه لأنه نكرهم قبل معرفتهم .

{ وقال هذا يومٌ عصيب } أي شديد لأنه خاف على الرسل من قومه أن يفضحوهم على قول ابن عباس ، وعلى الاحتمال الذي ذكرته خافهم على نفسه فوصف يومه بالعصيب وهو الشديد ، قال الشاعر :

وإنك إلاّ ترض بكر بن وائل ... يكن لك يومٌ بالعراق عصيب .

قال أبو عبيدة : وإنما قيل له عصيب لأنه يعصب الناس بالشر ، قال الكلبي : كان بين قرية إبراهيم وقف لوط أربعة فراسخ .

قوله عز وجل : { وجاءه قومُه يهرعون إليه } أي يسرعون ، والإهراع بين الهرولة والحجزى . قال الكسائي والفراء : لا يكون الإهراع إلا سراعاً مع رعدة .

وكان سبب إسراعهم إليه أن أمرأة لوط أعلمتهم بأضيافه وجَمالهم فأسرعوا إليه طلباً للفاحشة منهم .

{ ومن قبل كانوا يعملون السيئات } فيه وجهان :

أحدهما : من قبل إسراعهم اليه كان ينكحون الذكور ، قاله السدي .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الثاني : أنه كانت اللوطية في قوم لوط في النساء قبل الرجال بأربعين سنة ، قاله عمر بن أبي زائدة .

{ قال يا قوم هؤلاء بناتي هُنَّ أطهر لكم } قال لهم لوط ذلك ليفتدي أضيافه منهم .

{ هؤلاء بناتي } فيهن قولان :

أحدهما : أنه أراد نساء أمته ولم يرد بنات نفسه . قال مجاهد وكل نبي أبو أمّته وهم أولاده . وقال سعيد بن جبير : كان في بعض القرآن : النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزاجه أمهاتهم وهوأب لهم .

الثاني : أنه أراد بنات نفسه وأولاد صلبه لأن أمره فيهن أنفذ من أمره في غيرهن ، وهو معنى قول حذيفة بن اليمان .

فإن قيل : كيف يزوجهم ببناته مع كفر قومه وإيمان بناته؟

قيل عن هذا ثلاثة أجوبة :

أحدها : أنه كان في شريعة لوط يجوز تزويج الكافر بالمؤمنة ، وكان هذا في صدر الإسلام جائزاً حتى نسخ ، قاله الحسن .

الثاني : أنه يزوجهم على شرط الإيمان كما هو مشروط بعقد النكاح .

الثالث : أنه قال ذلك ترغيباً في الحلال وتنبيهاً على المباح ودفعاً للبادرة من غير بذل نكاحهن ولا بخطبتهن ، قاله ابن أبي نجيح .

{ هن أطهر لكم } أي أحل لكم بالنكاح الصحيح .

{ فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : لا تذلوني بعار الفضيحة ، ويكون الخزي بمعنى الذل . الثاني : لا تهلكوني بعواقب فسادكم ، ويكون الخزي بمعنى الهلاك . الثالث : أن معنى الخزي ها هنا الاستحياء ، يقال خزي الرجل إذا استحى ، قال الشاعر :

من البيض لا تخزى إذا الريح ألصقت ... بها مِرطها أو زايل الحلي جيدها

والضيف : الزائر المسترقد ، ينطلق على الواحد والجماعة ، قال الشاعر :

لا تعدمي الدهر شفار الجازر ... للضيف والضيف أحق زائر

{ أليس منكم رجلٌ رشيد } فيه وجهان : أحدهما : أي مؤمن ، قاله ابن عباس . الثاني : آمر بالمعروف وناهٍ عن المنكر ، قاله أبو مالك . ويعني : رجل رشيد ليدفع عن أضيافه ، وقال ذلك تعجباً من اجتماعهم على المنكر . قوله عز وجل : { قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق } فيه

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وجهان :

أحدهما : ما لنا فيهن حاجة ، قاله الكلبي .

الثاني : ليس لنا بأزواج ، قاله محمد بن إسحاق .

{ وإنك لتعلم ما نريد } فيه وجهان :

أحدهما : تعلم أننا لا نتزوج إلا بامرأة واحدة وليس منا رجل إلا له امرأة ، قاله الكلبي .

الثاني : أننا نريد الرجال .

(215/2)

قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آَوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ (80) قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (81)

قوله عز وجل : { قال لو أن لي بكم قوة } يعني أنصاراً . وقال ابن عباس : أراد الولد . { أو آوي إلى رُكنٍ شديد } يعني إلى عشيرة مانعة . وروى أبو سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد » . يعني الله تعالى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فما بعث الله بعده نبياً إلا في ثروة من قومه » . قال وهب بن منبه : لقد وجدت الرسل على لوط وقالوا : إن ركنك لشديد .

قوله عز وجل : { قالوا يا لوط إنا رُسُل ربِّك لن يصلوا إليك } وفي اسمه وجهان :

أحدهما : أنه اسم أعجمي وهو قول الأكثيرين . الثاني : أنه اسم عربي مأخوذ من قولهم : لطتُ الحوض إذا ملسته بالطين . وقيل إن لوطاً كان قائماً على بابه يمنع قومه من أضيافه ، فلما أعلموه أنهم رسل ربه مكّن قومه من الدخول فطمس جبريل عليه السلام على أعينهم فعميت ، وعلى أيديهم فجفت .

{ فأسْرِ بأهلك } أي فسِرْ بأهلك ليلاً ، والسُري سير الليل ، قال عبد الله بن رواحة :

عند الصباح يحمد القوم السُرَى ... وتنجلي عنهم غيابات الكرى

يقال وأسرى وفيها وجهان :

أحدهما : أن معناهما في سير الليل واحد .

الثاني : أن معناهما مختلف ، فأسرى إذا سار من أول الليل ، وسرى إذا سار في آخره ، ولا يقال في النهار إلا سار ، قال لبيد :

إذا المرءُ أسرى ليلة ظن أنه ... قضى عملاً ، والمرءُ ما عاش عامِلُ

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

{ بقطعٍ من الليل } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : معناه سواد الليل ، قاله قتادة .

الثاني : أنه نصف الليل مأخوذ من قطعه نصفين ، ومنه قول الشاعر :

ونائحةٍ تنوح بقطع ليل ... على رجلٍ بقارعة الصّعيد

الثالث : أنه الفجر الأول ، قاله حميد بن زياد . الرابع : أنه قطعة من الليل ، قاله ابن عباس . {

ولا يلتفت منك أحد } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : لا ينظر وراءه منكم أحد ، قاله مجاهد . الثاني : يعني لا يتخلف منك أحد ، قاله ابن عباس :

الثالث : يعني لا يشتغل منكم أحد بما يخلفه من مال أو امتناع ، حكاه علي بن عيسى .

{ إلا امرأتك إنّه مُصيبها ما أصابهم } فيه وجهان :

أحدهما : أن قوله { إلا امرأتك } استثناء من قوله { فأسر بأهلك بقطع من الليل الا امرأتك } وهذا قول من قرأ { إلا امرأتك } بالنصب .

الثاني : أنه استثناء من قوله { ولا يلتفت منك أحد إلا امرأتك } وهو على معنى البدل إذا قرىء بالرفع .

{ إنه مصيبها ما أصابهم } فذكره قتادة أنها خرجت مع لوط من القرية فسمعت الصوت فالتفتت ، فأرسل الله عليهم حجراً فأهلكها . { إنّ موعدهم الصبح أليْسَ الصُّبحُ بقريبٍ } فروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن لوطاً لما علم أنهم رسل ربه قال : فالآن إذن فقال له جبريل عليه السلام { إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب » ويجوز أن يكون قد جعل الصبح ميقاتاً لهلاكهم لأن النفوس فيه أودع والناس فيه أجمع .

(216/2)

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (82) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (83)

قوله عز وجل : { فلمّا جاء أمرُنا } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه أمر الله تعالى للملائكة . الثاني : أنه وقوع العذاب بهم .

الثالث : أنه القضاء بعذابهم .

{ جعلنا عاليَها سافلَها } قال محمد بن كعب القرظي إن الله تعالى بعث جبريل إلى مؤتفكات قوم لوط فاحتملها بجناحه ثم صعد بها حتى إن أهل السماء يسمعون نباح كلابهم وأصوات دجاجهم ، ثم

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قلبها فجعل عاليها سافلها وأتبعها بحجارة من سجّيل حتى أهلكها وما حولها ، وكن خمساً : صبغة ومقرة وعمرة ودوما وسدوم وهي القرية العظمى .

وقال قتادة : كانوا في ثلاث قرى يقال لها سدوم بين المدينة والشام وكان فيها أربعة آلاف ألف .

{ وأمطرنا عليها حجارة من سجّيل } فيه ثمانية تأويلات : أحدها : أنه فارسي معرب وهو « سنك وكيل » فالسنك : الحجر ، والكيل الطين ، قاله ابن عباس .

الثاني : أنه طين قد طبخ حتى صار كالأرحاء ، ذكره ابن عيسى .

الثالث : أنه الحجارة الصلبة الشديدة ، قاله أبو عبيدة وأنشد قول ابن مقبل :

ورحلة يضربون البيض عن عَرَضٍ ... ضربا تواصى به الأبطال سجّينا

إلا أن النون قلبت لاماً .

الرابع : من سجيل يعني من سماء اسمها سجيل ، قاله ابن زيد .

الخامس : من سجيل من جهنم واسمها سجين فقلبت النون لاماً .

السادس : أن السجيل من السجل وهو الكتاب وتقديره من مكتوب الحجارة التي كتب الله تعالى أن يعذب بها أو كتب عليها ، وفي التنزيل { كلا إن كتاب الفجار لفي سجين . وما أدراك ما سجين . كتاب مرقوم } [المطففين : 7-9] السابع : أنه فِعِّيل من السجل وهو الإرسال ، يقال أسجلته أي أرسلته ، ومنه سمي الدلو سجلاً لإرساله فكان السجل هو المرسل عليهم .

الثامن : أنه مأخوذ من السجل الذي هو العطاء ، يقال سجلت له سجلاً من العطاء ، فكأنه قال سُجلوا البلاء أي أعطوه .

{ منضود } فيه تأويلان :

أحدهما : قد نُضِّد بعضه على بعض ، قال الربيع .

الثاني : مصفوف ، قاله قتادة .

قوله عز وجل : { مسومة عند ربك } والمسومة : المعلّمة ، مأخوذ من السيماء وهي العلامة ، قال الشاعر :

غُلامٌ رماه الله بالحُسْن يافعا ... له سيمياءٌ لا تشقُ على البصر

وفي علامنها قولان :

أحدهما : أنها كانت مختمة ، على كل حجر منها اسم صاحبه .

الثاني : معلمة ببياض في حمرة ، على قول ابن عباس ، وقال قتادة : مطوقة بسواد في حمرة .

{ عند ربك } فيه وجهان :

أحدهما : في علم ربك ، قال ابن بحر .

الثاني : في خزائن ربك لا يملكها غيره ولا يتصرف فيها أحد إلا بأمره . { وما هي من الظالمين ببعيد } فيه أربعة أوجه :

أحدها : أنه ذكر ذلك وعيداً لظالمي قريش ، قاله مجاهد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الثاني : وعيد لظالمي العرب ، قال عكرمة .

الثالث : وعيد لظالمي هذه الأمة ، قاله قتادة .

الرابع : وعيد لكل ظالم ، قاله الربيع . وفي الحجارة التي أمطرت قولان :

أحدهما : أنه أمطرت على المدن حين رفعها . الثاني : أنها أمطرت على من لم يكن في المدن من أهلها وكان خارجاً عنها .

(217/2)

وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ (84)

قوله عز وجل : { وإلى مَدِين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبُدوا الله ما لكم من إله غيره } ومدين هم قوم شعيب ، وفي تسميتهم بذلك قولان :

أحدهما : لأنهم بنو مدين بن إبراهيم ، فقيل مدين والمراد بنو مدين ، كما يقال مضر والمراد بنو مضر .

الثاني : أن مدين اسم مدينتهم فنسبوا إليها ثم اقتصر على اسم المدينة تخفيفاً .

ثم فيه وجهان :

أحدهما : أنه اسم أعجمي .

الثاني : أنه اسم عربي وفي اشتقاقه وجهان :

أحدهما : أنه من قولهم مدن بالمكان إذا أقام فيه ، والياء زائدة ، وهذا قول من زعم أنه اسم مدينة .

الثاني : أنه مشتق من قولهم دَيَنْت أي ملكت والميم زائدمة ، وهذا قول من زعم أنه اسم رجل . وأما شعيب فتصغير شعب وفيه ثلاثة أوجه : أحدها : أنه الطريق في الجبل .

الثاني : أنه القبيلة العظيمة .

الثالث : أنه مأخوذ من شَعْب الإناء المكسور .

{ ولا تنقصوا المكيال والميزان } كانوا مع كفرهم أهل بخس وتطفيف فأمروا بالإيمان إقلاعاً عن الشرك ، وبالوفاء نهياً عن التطفيف .

{ إني أراكم بخير } فيه تأويلان :

أحدهما : أنه رخص السعر ، قاله ابن عباس والحسن . الثاني : أنه المال وزينة الدنيا ، قال قتادة وابن زيد . ويحتمل تأويلاً ثالثاً : أنه الخصب والكسب .

{ إني أخافُ عليكم عذاب يومٍ محيط } فيه ثلاثة تأويلات :

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدها : غلاء السعر ، وهو مقتضى قول ابن عباس والحسن . الثاني : عذاب الاستصال في الدنيا .

الثالث : عذاب النار بالآخرة .

(218/2)

وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (85) بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (86)

قوله عز وجل : { بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين } فيها ستة أقاويل :
أحدها : يعني طاعة الله تعالى خير لكم ، قاله مجاهد .
الثاني : وصية من الله ، قاله الربيع .
الثالث : رحمة الله ، قاله ابن زيد .
الرابع : حظكم من ربكم خير لكم ، قاله قتادة .
الخامس : رزق الله خير لكم ، قاله ابن عباس .
السادس : ما أبقاه الله لكم بعد أن توفوا الناس حقوقهم بالمكيال والميزان خير لكم ، قاله ابن جرير الطبري .
{ وما أنا عليكم بحفيظ } يحتمل ثلاثة أوجه : أحدها : حفيظ من عذاب الله تعالى أن ينالكم .
الثاني : حفيظ لنعم الله تعالى أن تزول عنكم .
الثالث : حفيظ من البخس والتطفيف إن لم تطيعوا فيه ربكم .

(219/2)

قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (87)

قوله عز وجل : { قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا } في { صلاتك } ثلاثة أوجه :
أحدها : قراءتك ، قاله الأعمش .
الثاني : صلاتك التي تصليها لله تعبّداً .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثالث : دينك الذي تدين به وأمرت باتباعه لأن أصل الصلاة الاتباع ، ومنه أخذ المصلي في الخيل . { تأمرك } فيه وجهان :

أحدهما : تدعوك إلى أمرنا .

الثاني : فيها أن تأمرنا أن نترك ما يعبد آباؤنا يعني من الأوثان والأصنام .

{ أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : ما كانوا عليه من البخس والتطفيف .

الثاني : الزكاة ، كان يأمرهم بها فيمتنعون منها ، قاله زيد بن أسلم وسفيان الثوري .

الثالث : قطع الدراهم والدنانير لأنه كان ينهاهم عنه ، قال زيد بن أسلم . { إنك لأنت الحليم الرشيد } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنهم قالوا ذلك استهزاء به ، قاله قتادة .

الثاني : معناه أنك لست بحليم ولا رشيد على وجه النفي ، قاله ابن عباس .

الثالث : أنهم اعترفوا له بالحلم والرشد على وجه والحقيقة وقالوا أنت حليم رشيد فلِم تنهانا أن نفعل في أموالنا ما نشاء؟ والحلم والرشد لا يقتضي منع المالك من فعل ما يشاء في ماله ، قال ابن بحر .

(220/2)

قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (88)

قوله عز وجل : { قال يا قوم أرأيتُم إن كُنتُ على بيِّنةٍ من ربي } قد ذكرنا تأويله . { ورزقني منه رِزقاً حسناً } فيه تأويلان :

أحدهما : أنه المال الحلال ، قاله الضحاك .

قال ابن عباس وكان شعيب كثير المال .

الثاني : أنه النبوة ، ذكره ابن عيسى ، وفي الكلام محذوف وتقديره ، أفأعدل مع ذلك عن عبادته . ثم قال

{ وما أريدُ أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه } أي لا أفعل ما نهيتكم عنه كما لا أترك ما أمرتكم به .

{ إنْ أريد إلا الإصلاح ما استطعت } ومعناه ما أريد إلا فعل الصلاح ما استطعت ، لأن الاستطاعة من شرط الفعل دون الإرادة .

{ وما توفيقي إلا بالله عليه توكلْتُ وإليه أُنيب } فيه وجهان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدهما : أنّ الإنابة الرجوع ومعناه وإليه أرجع ، قاله مجاهد .

الثاني : أن الإنابة الدعاء ، ومعناه وإليه أدعو ، عبيد الله بن يعلى .

(221/2)

وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ (89) وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ (90)

قوله عز وجل : { ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي } في { يجرمنكم } تأويلان :

أحدهما : معناه لا يحملنكم ، قاله الحسن وقتادة .

والثاني : معناه لا يكسبنكم ، قاله الزجاج .

وفي قوله { شقاقي } ثلاثة تأويلات :

أحدها : إضراري ، قاله الحسن .

الثاني : عداوتي ، قاله السدي ومنه قول الأخطل :

ألا من مبلغ قيساً رسولاً ... فكيف وجدتم طعمَ الشقاق

الثالث : فراقي ، قاله قتادة .

{ أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوحٍ } وهم أول أمة أهلكوا بالعذاب .

{ أو قوم هودٍ أو قوم صالحٍ وما قوم لوطٍ منكم ببعيدٍ } فيه وجهان :

أحدهما : يعني بعد الدار لقربهم منهم ، قاله قتادة .

الثاني : بعد العهد لقرب الزمان .

ويحتمل أن يكون مراداً به قرب الدار وقرب العهد .

وقد أهلك قوم هود بالريح العاصف ، وقوم صالح بالرجفة والصيحة ، وقوم لوط بالرجم .

(222/2)

قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (91) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (92)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله عز وجل : { قالوا يا شعيبُ ما نفقهُ كثيراً مما تقول } أي ما نفهم ، ومنه سمي عِلم الدين فقهاً لأنه مفهوم ، وفيه وجهان :

أحدهما : ما نفقه صحة ما تقول من العبث والجزاء .

الثاني : أنهم قالوا ذلك إعراضاً عن سماعه واحتقاراً لكلامه .

{ وإنا لنراك ضعيفاً } فيه سبعة تأويلات :

أحدها : ضعيف البصر ، قاله سفيان .

الثاني : ضعيف البدن ، حكاه ابن عيسى .

الثالث : أعمى ، قاله سعيد بن جبير وقتادة .

الرابع : قليل المعرفة وحيداً ، قاله السدي .

الخامس : ذليلاً مهيناً ، قاله الحسن .

السادس : قليل العقل .

السابع : قليل المعرفة بمصالح الدنيا وسياسة أهلها .

{ ولولا رهطك } فيه وجهان :

أحدهما : عشيرتك ، وهو قول الجمهور .

الثاني : لولا شيعتك ، حكاه النقاش .

{ لرجمناك } فيه وجهان : أحدهما : لقتلناك بالرجم .

الثاني : لشتمناك بالكلام ، ومنه قول الجعدي .

تراجمنا بمُرِّ القول حتى ... نصير كأننا فَرسَا رِهان

{ وما أنت علينا بعزيز } فيه وجهان :

أحدهما : بكريم .

الثاني : بممتنع لولا رهطك .

قوله عز وجل : { قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله } أي تراعون رهطي فيّ ولا تراعون الله فيّ .

{ واتخذتموه وراءَكم ظهرياً } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : اطرحتم أمره وراء ظهوركم لا تلتفتون إليه ولا تعملون به ، قاله السدي ، ومنه قول الشاعر :

. . . . وجَدْنا بني البرصاءِ من وَلَدِ الظّهْرِ

أي ممن لا يلتفت إليهم ولا يعتد بهم .

الثاني : يعني أنكم حملتم أوزار مخالفته على ظهوركم ، قاله السدي ، من قولهم حملت فلاناً على ظهري اذا أظهرت عناده .

الثالث : يعني أنكم جعلتم الله ظهرياً إن احتجتم استعنتم به ، وإن اكتفيتم تركتموه . كالذي يتخذه

This file was downloaded from QuranicThought.com

الجمَّال من جماله ظهرياً إن احتاج إليها حمل عليها وإن استغنى عنها تركها ، قاله عبد الرحمن بن زيد .

الرابع : إن الله تعالى جعلهم وراء ظهورهم ظهرياً ، قاله مجاهد .

{ إنّ ربي بما تعملون محيط } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : حفيظ .

الثاني : خبير .

الثالث : مُجَازٍ .

(223/2)

وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (93) وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (94) كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ (95)

قوله عز وجل : { ويا قوم اعملوا على مكانتكم } فيه وجهان :

أحدهما : على ناحيتكم ، قاله ابن عباس .

الثاني : على تمكنكم ، قاله ابن عيسى .

وقوله { اعملوا } يريد ما وعدوه من إهلاكه ، قال ذلك ثقة بربة .

ثم قال جواباً لهم فيه تهديد ووعيد { إني عاملٌ سوف تعلمون } فيه وجهان : أحدهما : تعلمون الإجابة . الثاني : عامل في أمر من يأتي بهلاككم ليطهر الأرض منكم ، وسترون حلول العذاب بكم .

{ من يأتيه عذابٌ يخزيه } قال عكرمة : الغرق .

وفي { يخزيه } وجهان :

أحدهما : يذله .

الثاني : يفضحه .

{ ومن هو كاذب } فيه مضمر محذوف تقديره : ومن هو كاذب يخزى بعذاب الله ، فحذفه اكتفاء بفحوى الكلام .

{ وارتقبوا } أي انتظروا العذاب .

{ إني معكم رقيب } يحتمل وجهين :

أحدهما : إني معكم شاهد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الثاني : إني معكم كفيل .

وفيه وجه ثالث : إني منتظر ، قاله الكلبي .

(224/2)

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (96) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (97) يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ (98) وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ (99)

قوله عز وجل : { وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة } فيه وجهان :

أحدهما : أن اللعنة في الدنيا من المؤمنين وفي الآخرة من الملائكة .

الثاني : أنه عنى بلعنة الدنيا الغرق ، وبلعنة الآخرة النار ، قاله الكلبي ومقاتل .

{ بئس الرِّفد المرفود } فيه ثلاث أوجه :

أحدها : بئس العون المعان ، قاله أبو عبيدة .

الثاني : أن الرَّفد بفتح الراء : القدح ، والرفد بكسرها ما في القدح من الشراب ، حكي ذلك عن الأصمعي فكأنه ذم بذلك ما يُسقونه في النار .

الثالث : أن الرفد الزيادة ، ومعناه بئس ما يرفدون به بعد الغرق النار ، قاله الكلبي .

(225/2)

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ (100) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (101)

قوله عز وجل : { ذلك من أنباء القُرى نقصُّه عليك } فيه وجهان :

أحدهما : نخبرك .

الثاني : نتبع بعضه بعضاً .

{ منها قائمٌ وحصيدٌ } فيه وجهان :

أحدهما : أن القائم : العامرة ، والحصيد : الخاوية قاله ابن عباس .

الثاني : أن القائم : الآثار ، والحصيد : الدارس ، قاله قتادة ، قال الشاعر :

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والناس في قسم المنية بينهم ... كالزرع منه قائم وحصيد

قوله عز وجل : { وما زادوهم غير تتبيب } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن التتبيب الشر ، قاله ابن زيد .

الثاني : أنه الهلكة ، قاله قتاة . قال لبيد :

فلقد بَليتُ وكلٌّ صاحب جِدّةٍ ... لبِلىً يعودُ وذاكم التتبيب

ومنه قول جرير :

عرابة من بقية قوم لوطٍ ... ألا تباً لما فعلوا تبابا

الثالث : التخسير ، وهو الخسران ، قاله مجاهد وتأول قوله تعالى { تبَّتْ يدا أبي لهب } [المسد : 1] أي خسرت .

(226/2)

وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (102) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآَخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ (103) وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ (104) يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (105)

قوله عز وجل : { يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه } فيه ثلاث تأويلات :

أحدها : لا تشفع إلا بإذنه .

الثاني : لا تتكلم إلا بالمأذون فيه من حسن الكلام لأنهم ملجؤون إلى ترك القبيح .

الثالث : أن لهم في القيامة وقت يمنعون فيه من الكلام إلا بإذنه .

{ فمنهم شقيٌّ وسعيد } فيه وجهان :

أحدهما : محروم ومرزوق ، قاله ابن بحر .

الثاني : معذب ومكرم ، قال لبيد .

فمنهم سعيد آخذٌ بنصيبه ... ومنهم شقي بالمعيشة قانعُ

ثم في الشقاء والسعادة قولان : أحدهما : أن الله تعالى جعل ذلك جزاء على عملهما فأسعد المطيع وأشقى العاصي ، قاله ابن بحر .

الثاني : أن الله ابتدأهما بالشقاوة والسعادة من غير جزاء . وروى عبد الله بن عمر عن أبيه أنه قال : لما نزلت { فمنهم شقي وسعيد } قلت : يا رسول الله فعلام نعمل؟ أعلى شيء قد فرغ منه أم على ما لم يفرغ منه؟ فقال : « بلى على شيء قد فرغ منه يا عمر ، وجرت به الأقلام ولكن كل شيء

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ميسور لما خلق له
. »

(227/2)

فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (106) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (107)

قوله عز وجل : { فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق } فيه أربعة أوجه :

أحدها : أن الزفير الصوت الشديد ، والشهيق الصوت الضعيف ، قاله ابن عباس .

الثاني : أن الزفير في الحلق من شدة الحزن ، مأخوذ من الزفير ، والشهيق في الصدر ، قاله الربيع بن أنس .

الثالث : أن الزفير تردد النفس من شدة الحزن ، مأخوذ من الزفر وهو الحمل على الظهر الشدته ، والشهيق النفس الطويل الممتد ، مأخوذ من قولهم جبل شاهق أي طويل ، قاله ابن عيسى .

الرابع : أن الزفير أول نهيق الحمار ، والشهيق آخر نهيقه ، قال الشاعر :

حشرج في الجوف سحيلاً أو شهق ... حتى يقال ناهق وما نهق

{ خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلى ما شاء ربك } فيه ثمانية تأويلات :

أحدها : خالدين فيها ما دامت سماء الدنيا وأرضها إلا ما شاء ربك من الزيادة عليها بعد فناء مدتها حكاه ابن عيسى .

الثاني : ما دامت سموات الآخرة وأرضها إلا ما شاء ربك من قدر وقوفهم في القيامة ، قاله بعض المتأخرين .

الثالث : ما دامت السموات والأرض ، أي مدة لبثهم في الدنيا ، قاله ابن قتيبة .

الرابع : خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك من أهل التوحيد أن يخرجهم منها بعد إدخالهم إليها ، قاله قتادة ، فيكونون أشقياء في النار سعداء في الجنة ، حكاه الضحاك عن ابن عباس ، وروى يزيد بن أبي حبيب عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يدخل ناس جهنم حتى إذا صاروا كالحمحمة أخرجوا منها وأدخلوا الجنة فيقال هؤلاء الجهنميون » الخامس : إلا ما شاء من أهل التوحيد أن لا يدخلهم إليها ، قاله أبو نضرة يرويه مأثوراً عن النبي صلى الله عليه وسلم .

السادس : إلا ما شاء ربك من كل من دخل النار من موحد ومشرك أن يخرجه منها إذا شاء ، قاله ابن عباس .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

السابع : أن الاستثناء راجع إلى قولهم { لهم فيها زفير وشهيق } إلا ما شاء ربك من أنواع العذاب التي ليست بزفير ولا شهيق مما لم يسم ولم يوصف ومما قد سمّي ووصف ، ثم استأنف { ما دامت السموات والأرض } حكاه ابن الأنباري .

الثامن : أن الاستثناء واقع على معنى لو شاء ربك أن لا يخلدهم لفعل ولكن الذي يريده ويشاؤه ويحكم به تخليدُهم وفي تقدير خلودهم بمدة السموات والأرض وجهان :

أحدهما : أنها سموات الدنيا وأرضها ، ولئن كانت فانية فهي عند العرب كالباقية على الأبد فذكر ذلك على عادتهم وعرفهم كما قال زهير :

ألا لا أرى على الحوادث باقيا ... ولا خالداً إلا الجبال الرواسيا

والوجه الثاني : أنها سموات الآخرة وأرضها لبقائها على الأبد .

(228/2)

وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (108)

قوله عز وجل : { وأمّا الذين سُعدُوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك } فيها خمسة تأويلات :

أحدها : دامت سموات الدنيا وأرضها إلا ما شاء ربك من الزيادة عليها في الخلود فيها :

الثاني : إلا ما شاء ربك من مدة يوم القيامة .

الثالث : إلا ما شاء ربك من مدة مكثهم في النار إلى أن يخرجوا منها ، قاله الضحاك .

الرابع : خالدين فيها يعني أهل التوحيد ، إلا ما شاء ربك يعني أهل الشرك ، وهو يشبه قول أبي نضرة .

الخامس : خالدين فيها إلا ما شاء ربك أي ما شاء من عطاء غير مجذوذ ، فتكون { إلا } هنا بمعنى الواو كقول الشاعر :

وكلُّ أخٍ مفارقُهُ أخوه ... لعمر أبيك إلا الفرقدان .

أي والفرقدان .

{ عطاءً غير مجذوذ } فيه وجهان :

أحدهما : غير مقطوع .

الثاني : غير ممنوع .

(229/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آَبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ (109) وَلَقَدْ آَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (110) وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (111)

قوله عز وجل : { . . . وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : نصيبهم من الرزق ، قاله أبو العالية .

الثاني : نصيبهم من العذاب ، قاله ابن زيد .

الثالث : ما وعدوا به من خير أو شر ، قاله ابن عباس .

(230/2)

فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (112) وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (113)

قوله عز وجل : { ولا تركنوا إلى الذين ظلموا } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : لا تميلوا ، قاله ابن عباس .

الثاني : لا تدنوا ، قاله سفيان .

الثالث : لا ترضوا أعمالهم ، قاله أبو العالية .

الرابع : لا تدهنوا لهم في القول وهو أن يوافقهم في السر ولا ينكر عليهم في الجهر .

ومنه قوله تعالى { ودّوا لو تدهن فيدهنون } [القلم : 9] ، قاله عبد الرحمن بن زيد .

{ فتمسكم النار } يحتمل وجيهن :

أحدهما : فيمسكم عذاب النار لركونكم إليهم .

الثاني : فيتعدى إليكم ظلمهم كما تتعدى النار إلى إحراق ما جاورها ، ويكون ذكر النار على هذا الوجه استعارة وتشبيهاً ، وعلى الوجه الأول خبراً ووعيداً .

(231/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ (114) وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (115)

قوله عز وجل : { وأقم الصلاة طرفي النهار } أما الطرف الأول فصلاة الصبح باتفاق وأما الطرف الثاني ففيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه عنى صلاة الظهر والعصر ، قاله مجاهد .

الثاني : صلاة العصر وحدها ، قاله الحسن .

الثالث : صلاة المغرب ، قاله ابن عباس .

{ وزلفاً من الليل } والزلف جمع زلفة ، والزلفة المنزلة ، فكأنه قال ومنازل من الليل ، أي ساعات من الليل ، وقيل إنما سميت مزدلفة من ذلك لأنها منزل بعد عرفة ، وقيل سميت بذلك لازدلاف آدم من عرفة إلى حواء وهي بها ، ومنه قول العجاج في صفة بعير :

ناجٍ طواه الأين مما وجفا ... طيَّ الليالي زُلَفاً فزلفا

وفي معنى { زلفاً من الليل } قولان :

أحدهما : صلاة العشاء الآخرة ، قاله ابن عباس ومجاهد .

الثانية : صلاة المغرب والعشاء والآخرة ، قاله الضحاك ولحسن ورواه مرفوعاً .

{ إن الحسنات يذهبن السيئات } في هذا الحسنات أربعة أقاويل :

أحدها : الصلوات الخمس ، قاله ابن عباس والحسن وابن مسعود والضحاك .

الثاني : هي قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، قاله مجاهد قال عطاء : وهن الباقيات الصالحات .

الثالث : أن الحسنات المقبولة يذهبن السيئات المغفورة .

الرابع : أن الثواب الطاعات يذهبن عقاب المعاصي .

{ ذلك ذكرى للذاكرين } فيه وجهان :

أحدهما : توبة للتائبين ، قاله الكلبي .

الثاني : بيان للمتعظين ، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « واتبع السيئة الحسنة تمحها

» وسبب نزول هذه الآية ما روى الأسود عن ابن مسعود قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني عالجت امرأة في بعض أقطار المدينة فأصبت منها دون أن أمسّها وأنا هذا فاقض فيّ ما شئت . فقال له عمر : لقد سترك الله لو سترت على نفسك . ولم يردّ عليه النبي صلى الله عيله وسلم شيئاً . فنزلت هذه الآية : { إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذركى للذاكرين } فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليه فقال عمر : يا رسول الله أله خاصة أم للناس

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

كافة؟ فقال : « بل للناس كافة » قال أبو موسى طمحان : إن هذا الرجل أبو اليسر الأنصاري وقال ابن عابس هو عمرو بن غزية الأنصاري ، وقال مقاتل : هو عامر بن قيس الأنصاري .

(232/2)

فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (116) وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (117)

قوله عز وجل : { فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أولو طاعة

الثاني : أولو تمييز .

الثالث : أولو حذر من الله تعالى .

{ ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أُترفوا فيه وكان مجرمين } يحتمل وجهين :

أحدهما : أنهم اتبعوا على ظلمهم ما أترفوا فيه من استدامة نعمهم استدراجاً لهم .

الثاني : أنهم أخذوا بظلمهم فيما أترفوا فيه من نعمهم . والمترف : المنعّم . وقال ابن عباس : أترفوا فيه : معناه انظروا فيه .

(233/2)

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (119)

قوله عز وجل : { ولو شاء ربُّك لجعل الناس أمّةً واحدةً } فيه وجهان :

أحدهما : على ملة الإسلام وحدها ، قاله سعيد بن جبير .

الثاني : أهل دين واحد ، أهل ضلالة وأهل هدى ، قاله الضحاك .

{ ولا يزالون مختلفين إلا من رَحِمَ ربّك } فيه ستة أقاويل :

أحدها : مختلفين في الأديان إلا من رحم ربك من أهل الحق ، قاله مجاهد وعطاء .

الثاني : مختلفين في الحق والباطل إلا من رحم ربك من أهل الطاعة ، قاله ابن عباس .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الثالث : مختلفين في الرزق فهذا غني وهذا فقير إلا من رحم ربك من أهل القناعة . قاله الحسن .

الرابع : مختلفين بالشقاء والسعادة إلا من رحم ربك بالتوفيق .

الخامس : مختلفين في المغفرة والعذاب إلا من رحم ربك بالجنة .

السادس : أنه معنى مختلفين أي يخلف بعضهم بعضاً ، فيكون من يأتي خلفاً للماضي لأن سوءاً في كل منهم خلف بعضهم بعضاً ، فاقتتلوا ومنه قولهم : ما اختلف الجديدان ، أي جاء هذا بعد ذاك ، قاله ابن بحر .

{ ولذلك خلقهم } فيه أربعة أقاويل :

أحدها : للاختلاف خلقهم ، قاله الحسن وعطاء .

الثاني : للرحمة خلقهم ، قاله مجاهد .

الثالث : للشقاء والسعادة خلقهم ، قاله ابن عباس .

الرابع : للجنة والنار خلقهم ، قاله منصور بن عبد الرحمن .

(234/2)

وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (120)

قوله عز وجل : { وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبتُ به فؤادك } أي نقوّي به قلبك وتسكن إليه نفسك ، لأنهم بُلُوا فصبروا ، وجاهدوا فظفروا .

{ وجاءَك في هذه الحقُّ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : في هذه السورة ، قاله ابن عباس وأبو موسى .

الثاني : في هذه الدنيا ، قاله الحسن وقتادة . الثالث : في هذه الأنباء ، حكاه ابن عيسى .

(235/2)

وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (121) وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (122) وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (123)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وفي هذا { الحق } وجهان :

أحدهما : صدق القصص وصحة الأنباء وهذا تأويل من جعل المراد السورة .

الثاني : النبوة ، وهذا تأويل من جعل المراد الدنيا .

{ وموعظةٌ } يحتمل وجهين :

أحدهما : القرآن الذي هو وعظ الله تعالى لخلقه .

الثاني : الاعتبار بأنباء من سلف من الأنبياء ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « والسعيد من وعظ بغيره

» .

(236/2)

الر تِلْكَ آَيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (1) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآَنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (2) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآَنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (3)

قوله عزوجل : { الر تلك آيات الكتاب المبين } فيه ثلاثة أوجه :

أحدهما : أنها الآيات المتقدم ذكرها في السورة التي قبلها .

الثاني : الآيات التي في هذه السورة ، ويكون معنى قوله تعالى { تلك آيات الكتاب المبين } أي هذه آيات الكتاب المبين .

الثالث : أن تلك الآيات إشارة إلى ما افتتحت به السورة من الحروف وأنها علامات الكتاب العربي ، قاله ابن بحر .

وفي قوله تعالى : { الكتاب المبين } ثلاثة تأويلات : أحدها : المبين حلاله وحرامه ، قاله مجاهد .

الثاني : المبين هداه ورشده ، قاله قتادة .

الثالث : المبين للحروف التي سقطت من ألسن الأعاجم وهي ستة أحرف ، قاله معاذ .

قوله عز وجل : { إنا أنزلناه قرآناً عربياً } فيه وجهان :

أحدهما : إنا أنزلنا الكتاب قرآناً عربياً بلسان العرب ، وهو قول الجمهور . الثاني : إنا أنزلنا خبر يوسف قرآناً ، أي مجموعاً عربياً أي يعرب عن المعاني بفصيح من القصص وهو شاذ .

{ لعلكم تعقلون } .

{ نحن نقص عليك أحسن القصص } أي نبين لك أحسن البيان ، والقاصّ الذي يأتي بالقصة على حقيقتها .

(237/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (4)

قوله عز وجل : { إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحَدَ عشر كوكباً والشمس والقمر } فيه قولان :

أحدهما : أنه رأى إخوته وأبويه ساجدين له فثنى ذكرهم ، وعنى بأحد عشر كوكباً إخوته وبالشمس أباه يعقوب ، وبالقمر أمه راحيل رآهم له ساجدين ، فعبر عنه بما ذكره ، قاله ابن عباس وقتادة .

الثاني : أنه رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر ساجدين له فتأول الكواكب إخوته ، والشمس أباه ، والقمر أمه ، وهو قول الأكثرين . وقال ابن جريج : الشمس أمه والقمر أبوه ، لتأنيث الشمس وتذكير القمر .

وروى السدي عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ من اليهود يقال له بستانة فقال : يا محمد أخبرني عن الكواكب التي رآها يوسف أنها ساجدة له ما أسماؤها ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجب بشيء ، فنزل عليه جبريل بأسمائها قال فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه وقال « أنت تؤمن إن أخبرتك بأسمائها » فقال نعم ، فقال : « جريان ، والطارق والذيال وذو الكتفين وقابس والوثّاب والعمودان والفليق والمصبح والضروح وذو الفرع والضياء والنور » فقال اليهودي : بلى والله إنها لأسماؤها .

وفي إعادة قوله { رأيتهم لي ساجدين } وجهان :

أحدهما : تأكيداً للأول لبعد ما بينهما قاله الزجاج .

الثاني : أن الأول رؤيته لهم والثاني رؤيته لسجودهم .

وفي قوله { ساجدين } وجهان :

أحدهما : أنه السجود المعهود في الصلاة إعظاماً لا عبادة .

الثاني : أنه رآهم خاضعين فجعل خضوعهم سجوداً ، كقول الشاعر :

. . . . ترى الأكم فيه سُجّداً للحوافر

(238/2)

قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (5)

وقيل إنه كان له عند هذه الرؤيا سبع عشرة سنة ، قال ابن عباس : رأى هذه الرؤيا ليلة الجمعة وكانت ليلة القدر ، فلما قصها على يعقوب أشفق عليه من حسد إخوته فقال : يا بني هذه رؤيا الليل

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
فلا يعول عليها ، فلما خلا به { ق يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للإنسان عدوٌّ مبين } .

وفي تسميته بيوسف قولان :

أحدهما : أنه اسم أعجمي .

الثاني : أنه عربي مشتق من الأسف ، والأسف في اللغة الحزن .

(239/2)

وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آَلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (6)

قوله عز وجل : { وكذلك يجتبيك ربك } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : بحسن الخَلق والخُلق .

الثاني : بترك الإنتقام .

الثالث : بالنبوة ، قاله الحسن . { ويعلمك من تأويل الأحاديث } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : عبارة الرؤيا ، قاله مجاهد .

الثاني : العلم والحكمة ، قاله ابن زيد .

الثالث : عواقب الأمور ، ومنه قول الشاعر :

وللأحبة أيام تذكّرُها ... وللنوى قبل يوم البيْن تأويل

{ ويتم نعمته عليك } فيه وجهان :

أحدهما : باختيارك للنبوة .

الثاني : بإعلاء كلمتك وتحقيق رؤياك ، قال مقاتل .

وفيه وجه ثالث : أن أخرج إخوته إليه حتى أنعم عليهم بعد إساءتهم إليه .

{ وعلى آل يعقوب } بأن جعل فيهم النبوة .

{ كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم وإسحاق } قال عكرمة : فنعمته على إبراهيم أن أنجاه من النار ، وعلى إسحاق أن أنجاه من الذبح .

(240/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ (7) إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (8) اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (9) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (10)

قوله عز وجل : { لقد كان في يوسف وإخوته آياتٌ للسائلين } في هذه الآيات وجهان :

أحدهما : أنها عِبَرٌ للمعتبرين .

الثاني : زواجر للمتقين .

وفيها من يوسف وإخوته أربعة أقاويل :

أحدها : ما أظهره الله تعالى فيه من عواقب البغي عليه .

الثاني : صدق رؤياه وصحة تأويله .

الثالث : ضبط نفسه وقهر شهوته حتى سلم من المعصية وقام بحق الأمانة .

الرابع : الفرج بعد شدة الإياس . قال ابن عطاء : ما سمع سورة يوسف محزون إلا استروح إليها .

قوله عز وجل : { إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا مِنّا } وأخوه بنيامين وهما أخوان لأب وأم ، وكان يعقوب قد كلف بهما لموت أمهما وزاد في المراعاة لهما ، فذلك سبب حسدهم لهما ، وكان شديد الحب ليوسف ، فكان الحسد له أكثر ، ثم رأى الرؤيا فصار الحسد له أشد .

{ ونحن عصبة } وفي العصبة أربعة أقاويل :

أحدها : أنها ستة أو سبعة ، قاله سعيد بن جبير .

الثاني : أنها من عشرة إلى خمسة عشر ، قاله مجاهد .

الثالث : من عشرة إلى أربعين ، قاله قتادة

الرابع : الجماعة ، قاله عبد الرحمن بن زيد .

{ إن أبانا لفي ضلال مبين } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : لفي خطأ من رأيه ، قال ابن زيد .

الثاني : لفي جور من فعله ، قال ابن كامل .

الثالث : لفي محبة ظاهرة ، حكاه ابن جرير .

وإنما جعلوه في ضلال مبين لثلاثة أوجه :

أحدها : لأنه فضّل الصغير على الكبير .

الثاني : القليل على الكثير .

الثالث : من لا يراعي ما له على من يراعيه .

واختلف فيهم هل كانوا حينئذ بالغين؟ فذهب قوم إلى أنهم كانوا بالغين مؤمنين ولم يكونوا أنبياء بعد لأنهم قالوا { يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين } وهذه حالة لا تكون إلا من بالغ ، وقال

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

آخرون : بل كانوا غير بالغين لأنهم قالوا { أرسله معنا غداً نرتع ونلعب } وإنما استغفروه بعد البلوغ .

قوله عز وجل : { اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً } فيه وجهان : أحدهما : اطرحوه أرضاً لتأكله السباع .

الثاني : ليبعد عن أبيه .

{ يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين } فيه وجهان :

أحدهما : أنهم أرادوا صلاح الدنيا لا صلاح الدين ، قاله الحسن .

الثاني : أنهم أرادوا صلاح الدين بالتوبة ، قاله السدي .

ويحتمل ثالثاً : أنهم أرادوا صلاح الأحوال بتسوية أبيهم بينهم من غير أثرة ولا تفضيل . وفي هذا دليل على أن توبة القاتل مقبولة لأن الله تعالى لم ينكر هذا القول منهم .

قوله عز وجل : { قال قائلٌ منهم لا تقتلوا يوسف } اختلف في قائل هذا منهم على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه روبيل وهو أكبر إخوة يوسف وابن خالته ، قاله قتادة .

الثاني : أنه شمعون ، قاله مجاهد .

(241/2)

الثالث : أنه يهوذا ، قال السدي .

{ وألقُوه في غيابة الجُبِّ } فيه وجهان :

أحدهما : يعني قعر الجب وأسفله .

الثاني : ظلمه الجب التي تغيّب عن الأبصار ما فيها ، قاله الكلبي . فكان رأس الجب ضيقاً وأسفله واسعاً .

أحدهما : لأنه يغيب فيه خبره . وفي تسميته

{ غيابة الجب } وجهان :

الثاني : لأنه يغيب فيه أثره ، قال ابن أحمر :

ألا فالبثا شهرين أو نصف ثالثٍ ... إلى ذاك ما قد غيبتني غيابيا

وفي { الجب } قولان :

أحدهما : أنه اسم بئر في بيت المقدس ، قاله قتادة .

الثاني : أنه بئر غير معينة ، وإنما يختص بنوع من الآبار قال الأعشى :

لئن كنت في جب ثمانين قامة ... ورقيت أسباب السماء بسلم

وفيما يسمى من الآبار جباً قولان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدهما : أنه ما عظم من الآبار سواء كان فيه ماء أو لم يكن .

الثاني : أنه ما لا طيّ له من الآبار ، قال الزجاج ، وقال : سميت جبًّا لأنها قطعت من الأرض قطعاً ولم يحدث فيها غير القطع .

{ يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين } معنى يلتقطه يأخذه ، ومنه اللقطة لأنها الضالة المأخوذة .

وفي { السيارة } قولان :

أحدهما : أنهم المسافرون سُموا بذلك لأنهم يسيرون .

الثاني : أنهم مارة الطريق ، قاله الضحاك .

(242/2)

قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (11) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (12)

قوله عز وجل : { أرسله معنا غداً يرتع ويلعب } فيه خمسة أوجه :

أحدها : نلهو ونلعب ، قاله الضحاك .

الثاني : نسعى وننشط ، قاله قتادة .

الثالث : نتحارس فيحفظ بعضنا بعضاً ونلهو ، قاله مجاهد .

الرابع : نرعى ونتصرف ، قاله ابن زيد ، ومنه قول الفرزدق .

راحت بمسلمة البغالُ مودعاً ... فارعي فزارة لا هناك المرتع

الخامس : نطعم ونتنعم مأخوذ من الرتعة وهي سعة المطعم والمشرب ، قاله ابن شجرة وأنشد قول الشاعر :

أكُفراً بعد رَدّ الموت عنّي ... وبعد عطائك المائة الرِّتاعا

أي الراتعة لكثرة المرعى .

ولم ينكر عليهم يعقوب عليه السلام اللعب لأنهم عنوا به ما كان مباحاً .

(243/2)

قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (13) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ (14)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قوله عز وجل : { قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخافُ أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون } فيه قولان :

أحدهما : أنه قال ذلك لخوفه منهم عليه ، وأنه أرادهم بالذئب ، وخوفه إنما كان من قتلهم له فكنى عنهم بالذئب مسايرة لهم ، قال ابن عباس فسماهم ذئاباً .

والقول الثاني : ما خافهم عليه ، ولو خافهم ما أرسله معهم ، وإنما خاف الذئب لأنه أغلب ما يخاف منه من الصحارى .

وقال الكلبي : بل رأى في منامه أن الذئب شَدّ على يوسف فلذلك خافه عليه .

(244/2)

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (15)

{ وأوحينا إليه } فيه وجهان :

أحدهما : يعني وألهمناه ، كما قال تعالى : { وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه } [القصص : 7] .

الثاني : أن الله تعالى أوحى إليه وهو في الجب ، قاله مجاهد وقتادة .

{ لتنبئنهم بأمرهم هذا } فيه وجهان :

أحدهما : أنه أوحى إليه أنه سيلقاهم ويوبخهم على ما صنعوا ، فعلى هذا يكون الوحي بعد إلقائه في الجب تبشيراً له بالسلامة .

الثاني : أنه أوحى إليه بالذي يصنعون به ، فعلى هذا يكون الوحي قبل إلقائه في الجب إنذاراً له .

{ وهم لا يشعرون } فيه وجهان : أحدهما : لا يشعرون بأنه أخوهم يوسف ، قاله قتادة وابن جريج .

الثاني : لا يشعرون بوحي الله تعالى له بالنبوة ، قاله ابن عباس ومجاهد .

(245/2)

وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (16) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (17) وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (18)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قوله عز وجل : { قالوا يا أبانا إنّا ذهبنا نستبق } وهو نفتعل من السباق وفيه أربعة أوجه :

أحدها : معناه ننتصل ، من السباق في الرمي ، قاله الزجاج .

الثاني : أنهم أرادوا السبق بالسعي على أقدامهم .

الثالث : أنهم عنوا استباقهم في العمل الذي تشاغلوا به من الرعي والاحتطاب .

الرابع : أي نتصيد وأنهم يستبقون على اقتناص الصيد .

{ وتركنا يوسف عند متاعنا } يحتمل أن يعنوا بتركه عند متاعهم إظهار الشفقة عليه ، ويحتمل أن يعنوا حفظ رحالهم .

{ فأكله الذئب } لما سمعوا أباهم يقول : وأخاف أن يأكله الذئب أخذوا ذلك من فيه وتحرّموا به لأنه كان أظهر المخاوف عليه .

{ وما أنت بمؤمن لنا } أي بمصدق لنا .

{ ولو كنا صادقين } فيه وجهان :

أحدهما : أنه لم يكن ذلك منهم تشكيكاً لأبيهم في صدقهم وإنما عنوا : ولو كنا أهل صدق ما صدقتنا ، قاله ابن جرير .

الثاني : معناه وإن كنا قد صدقنا ، قاله ابن إسحاق .

قوله عزوجل : { وجاءُوا على قميصه بدمٍ كذب } قال مجاهد : كان دم سخلة . وقال قتادة : كان دم ظبية .

قال الحسن : لما جاءُوا بقميص يوسف فلم ير يعقوب فيه شقاً قال : يا بني والله ما عهدت الذئب حليماً أيأكل ابني ويبقي على قميصه . ومعنى قوله { بدم كذب } أي مكذوب فيه ، ولكن وصفه بالمصدر فصار تقديره بدم ذي كذب .

وقرأ الحسن { بدم كذب } بالدال غير معجمة ، ومعناه بدم متغير قاله الشعبي .

وفي القميص ثلاث آيات : حين جاءُوا عليه بدم كذب ، وحين قُدَّ قميصه من دُبر ، وحين ألقي على وجه أبيه فارتد بصيراً .

{ قال بل سوَّلت لكن أنفسكم أمراً } فيه وجهان :

أحدهما : بل أمرتكم أنفسكم ، قاله ابن عباس .

الثاني : بل زينت لكم أنفسكم أمراً ، قاله قتادة .

وفي ردّ يعقوب عليهم وتكذيبه لهم ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه كان ذلك بوحي من الله تعالى إليه بعد فعلهم .

الثاني : أنه كان عنده علم بذلك قديم أطلعه الله عليه .

الثالث : أنه قال ذلك حدساً بصائب رأيه وصدق ظنه .

قال ترضيه لنفسه { فصبر جميل } فاحتمل ما أمر به نفسه من الصبر وجهين : أحدهما : الصبر على مقابلتهم على فعلهم فيكون هذا الصبر عفواً عن مؤاخذتهم .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الثاني : أنه أمر نفسه بالصبر على ما ابتُلي به من فقد يوسف .

وفي قوله : { فصبرٌ جميل } وجهان :

أحدهما : أنه بمعنى أن من الجميل أن أصبر .

الثاني : أنه أمر نفسه بصبر جميل .

وفي الصبر الجميل وجهان : أحدهما : أنه الصبر الذي لا جزع فيه قاله مجاهد .

الثاني : أنه الصبر الذي لا شكوى فيه .

روى حباب بن أبي حبلة قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى { فصبر جميل } فقال : « صبر لا شكوى فيه ، ومن بث لم يصبر » .

{ والله المستعان على ما تصفون } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : والله المستعان على الصبر الجميل .

الثاني : والله المستعان على احتمال ما تصفون .

الثالث : يعني على ما تكذبون ، قاله قتادة .

قال محمد بن إسحاق : ابتلى الله يعقوب في كبره ، ويوسف في صغره لينظر كيف عزمهما .

(246/2)

وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (19) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (20)

قوله عز وجل : { وجاءت سيارةٌ فأرسلوا واردهم } وهو الذي يرد أمامهم الماء ليستقي لهم . وذكر أصحاب التواريخ أنه مالك بن ذعر بن حجر بن يكه بن لخم .

{ فأدلى دلوه } أي أرسلها ليملأها ، يقال أدلاها إذا أرسل الدلو ليملأها ، ودلّاها إذا أخرجها ملأى .

قال قتادة : فتعلق يوسف عليه السلام بالدلو حين أرسلت . والبئر ببيت المقدس معروف مكانها .

{ قال يا بشرى هذا غلام } فيه قولان :

أحدهما : أنه ناداهم بالبشرى يبشرهم بغلام ، قاله قتادة .

الثاني : أنه نادى أحدهم ، كان اسمه بشرى فناداه باسمه يعلمه بالغلام ، قاله السدي .

{ وأسرُّوه بضاعة } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن إخوة يوسف كانوا بقرب الجب فلما رأوا الوارد قد أخرجه قالوا هذا عبدنا قد أوثقناه فباعوه وأسرّوا بيعه بثمن جعلوه بضاعة لهم ، قاله ابن عباس .

الثاني : أن الواردين الى الجُب أسرّوا ابتياعه عن باقي أصحابهم ليكون بضاعة لهم كيلا يشركوهم

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
فيه لرخصه وتواصوا أنه بضاعة استبضعوها من أهل الماء ، قاله مجاهد .

الثالث : أن الذين شروه أسرُّوا بيعه على الملك حتى لا يعلم به أصحابهم وذكروا أنه بضاعة لهم .

وحكى جويبر عن الضحاك أنه أُلقيَ في الجب وهو ابن ست سنين ، وبقي فيه إلى أن أخرجته السيارة منه ثلاثة أيام .

وقال الكلبي : أُلقي فيه وهو ابن سبع عشرة سنة .

قوله عزوجل : { وشروه بثمن بخسٍ } معنى شروه أي باعوه ، ومنه قول ابن مفرغ الحميري .

وشريت برداً ليتني ... من بعدِ بُرْدٍ كنت هامه

واسم البيع والشراء يطلق على كل واحد من البائع والمشتري لأن كل واحد منهما بائع لما في يده مشترٍ لما في يد صاحبه .

وفي بائعه قولان :

أحدهما : أنهم إخوته باعوه على السيارة حين أخرجوه من الجب فادّعوه عبداً ، قاله ابن عباس والضحاك ومجاهد .

الثاني : أن السيارة باعوه عن ملك مصر ، قاله الحسن وقتادة .

{ بثمن بخس } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن البخس ها هنا الحرام ، قاله الضحاك ، قال ابن عطاء : لأنهم أوقعوا البيع على نفس لا يجوز بيعها فكان ثمنه وإن جَلّ بخساً ، وما هو وإن باعه أعداؤه بأعجب منك في بيع نفسك بشهوةٍ ساعةٍ من معاصيك .

الثاني : أنه الظلم ، قاله قتادة .

الثالث : أنه القليل ، قاله مجاهد والشعبي .

{ دراهم معدودة } اختلف في قدرها على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه بيع بعشرين درهماً اقتسموها وكانوا عشرة فأخذ كل واحد منهم درهمين ، قاله ابن مسعود وابن عباس وقتادة وعطية والسدي .

الثاني : باثنين وعشرين درهماً ، كانوا أحد عشر فأخذ كل واحد درهمين ، قاله مجاهد .

الثالث بأربعين درهما ، قاله عكرمة وابن إسحاق . وكان السدي يقول : اشتروا بها خفافاً ونِعالاً .

وفي قوله تعالى { دراهم معدودة } وجهان :

(247/2)

أحدهما : معدودة غير موزونة لزهدهم فيه .

الثاني : لأنها كانت أقل من أربعين درهماً ، وكانوا لا يَزِنُون أقل من أربعين درهماً ، لأن أقل الوزن

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

عندهم كان الأوقية ، والأوقية أربعون درهماً .

{ وكانوا فيه من الزاهدين } وفي المعنيّ بهم قولان :

أحدهما : أنهم إخوة يوسف كانوا فيه من الزاهدين حين صنعوا به ما صنعوا .

الثاني : أن السيارة كانوا فيه من الزاهدين حين باعوه بما باعوه به .

وفي زهدهم فيه وجهان :

أحدهما : لعلمهم بأنه حرٌّ لا يبتاع .

الثاني : أنه كان عندهم عبداً فخافوا أن يظهر عليه مالكوه فيأخذوه .

وفيه وجه ثالث : أنهم كانوا في ثمنه من الزاهدين لاختبارهم له وعلمهم بفضله ، وقال عكرمة أعتق يوسف حين بيع .

(248/2)

وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (21) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (22)

قوله عزو جل : { وقال الذي اشتراه من مصر } وهو العزيز ملكها واسمه إظفير بن رويجب .

{ لامرأته } واسمها راعيل بنت رعاييل ، على ما ذرك ابن اسحاق .

وقال ابن عباس : اسمه قطفير وكان على خزائن مصر ، وكان الملك يومئذ الوليد بن الرّيان من العماليق .

قال مقاتل : وكان البائع له للملك مالك بن ذعر بعشرين ديناراً وزاده حُلة ونعلين .

{ أكرمي مثواه } فيه وجهان :

أحدهما : أجملي منزلته .

الثاني : أجلي منزلته ، قال كثير :

أريد ثواءً عندها وأظنُّها ... إذا ما أطلْنا عندها المكث ملّت

وإكرام مثواه بطيب طعامه ولين لباسه وتوطئة مبيته .

{ عسى أن ينفعنا } قيل : في ثمنه إن بعناه . ويحتمل : ينفعنا في الخدمة والنيابة .

{ أو نتخذه ولداً } إن أعتقناه وتبنيناه .

قال عبد الله بن مسعود : أحسن الناس في فراسة ثلاثة : العزيز في يوسف حين قال لامرأته { أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا } وابنة شعيب في موسى حين قالت لأبيها { يا أبت استأجره إن خير

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

من استأجرت القوي الأمين } [القصص : 26] وأبو بكر حين استخلف عمر .

{ وكذلك مكّنّا ليوسف في الأرض } فيه وجهان :

أحدهما : بإخراجه من الجب .

الثاني : باستخلاف الملك له .

{ ولنعلمه من تأويل الأحاديث } قد ذكرنا في تأويله وجهين .

{ والله غالبٌ على أمره } فيه وجهان :

أحدهما : غالب على أمر يوسف حتى يبلغ فيه ما أراده له ، قاله مقاتل .

الثاني : غالب على أمر نفسه فيما يريده ، أن يقول له كن فيكون .

قوله عز وجل : { ولما بلغ أشدَّه } يعني منتهى شدته وقوة شبابه . وأما الأشدُّ ففيه ستة أقاويل :

أحدها : ببلوغ الحلم ، قاله الشعبي وربيعة وزيد بن أسلم .

الثاني : ثماني عشرة سنة ، قاله سعيد بن جبير .

الثالث : عشرون سنة ، قاله ابن عباس والضحاك .

الرابع : خمس وعشرون سنة ، قاله عكرمة .

الخامس : ثلاثون سنة ، قاله السدي .

السادس : ثلاث وثلاثون سنة . قاله الحسن ومجاهد وقتادة .

هذا أول الأشد ، وفي آخر الأشد قولان :

أحدهما : أنه أربعون سنة ، قاله الحسن . الثاني : أنه ستون سنة ، حكاه ابن جرير الطبري ، وقال سُحَيْم بن وثيل الرياحي :

أخو خمسين مجتمع أشُدّي ... وتجذّني مداورة الشئون

وفي المراد ببلوغ الأشد في يوسف قولان :

أحدهما : عشرون سنة ، قاله الضحاك .

الثاني : ثلاثون سنة ، وهو قول مجاهد .

{ آتيناه حكماً وعلماً } في هذا الحكم الذي آتاه خمسة أوجه :

أحدها : العقل ، قاله مجاهد .

الثاني : الحكم على الناس .

الثالث : الحكمة في أفعاله .

الرابع : القرآن ، قاله سفيان .

الخامس : النبوة ، قاله السدي . وفي هذا العلم الذي آتاه وجهان :

أحدهما : الفقه ، قاله مجاهد .

الثاني : النبوة ، قاله ابن أبي نجيح .

ويحتمل وجهاً ثالثاً : أنه العلم بتأويل الرؤيا .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

{ وكذلك نجزي المحسنين } فيه وجهان :

أحدهما : المطيعين .

الثاني : المهتدين ، قاله ابن عباس . والفرق بين الحكيم والعالم أن الحكيم هو العامل بعلمه ، والعالم هو المقتصر على العلم دون العمل .

(249/2)

وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (23)

{ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه } وهي راعيل امرأة العزيز إظفير . قال الضحاك : وكان اسمها زليخا .

قال محمد بن إسحاق : وكان إظفير فيما يحكى لنا رجلاً لا يأتي النساء وكانت امرأته حسناء ، وكان يوسف عليه السلام قد أُعطي من الحسن ما لم يعطه أحد قبله ولا بعده كما لم يكن في النساء مثل حواء حسناً . قال ابن عباس : اقتسم يوسف وحواء الحسن نصفين .

فراودته امرأة العزيز عن نفسه استدعاء له إلى نفسها .

{ وغلقت الأبواب } فيه وجهان :

أحدهما : بتكثير الأغلاق .

الثاني : بكثرة الإيثاق . { وقالت هيت لك } فيه وجهان :

أحدهما : معناه تهيأت لك ، قاله عكرمة وأبو عبد الرحمن السلمي ، وهذا تأويل من قرأ بكسر الهاء وترك الهمز ، وقال الشاعر :

قد رابني أن الكرى أسكتا ... لو كان معنياً بها لهيتا

الثاني : هلم لك ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة : وأنشد أبو عمرو بن العلاء :

أبلغ أمير المؤمنين أخا ... العراق إذا أتيتا

أن العراق وأهله ... عنق إليك ، فهيت هيتا

وهذا تأويل من قرأ هيت لك بفتح الهاء وهي أصح وأفصح ، قال طرفة بن العبد :

ليس قومي بالأبعدين إذا ما ... قال داع من العشيرة : هيتا

ثم اختلف قائلو هذا التأويل في الكلمة فحكى عطية عن ابن عباس أن { هيت لك } كلمة بالقبطية معناها هلم لك ، وقال مجاهد بل هي كلمة عربية هذا معناها وقال الحسن : هي كلمة سريانية .

{ قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي } أي أعوذ بالله .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وفي { إنه ربي أحسن مثواي } وجهان :

أحدهما : إن الله ربي أحسن مثواي فلا أعصيه ، قاله الزجاج .

الثاني : أنه أراد العزيز إظفير إنه ربي أي سيدي أحسن مثواي فلا أخونه . قاله مجاهد وابن إسحاق والسدي .

(250/2)

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (24)

قوله عز وجل : { ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى بُرهان ربه } أما همها به ففيه قولان :

أحدهما : أنه كان هَمَّ شهوة .

الثاني : أنها استلقت له وتهيأت لمواقعته .

وأما همّه بها ففيه ستة أقاويل :

أحدها : أنه همّ بها أن يضربها حين راودته عن نفسه ولم يهم بمواقعتها قاله بعض المتأخرين .

الثاني : أن قوله ولقد همت به كلام تام قد انتهى ، ثم ابتدأ الخبر عن يوسف فقال { وهم بها لولا أن رأى برهان ربه } ومعنى الكلام لولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها ، قاله قطرب .

الثالث : أن همها كان شهوة ، وهمه كان عفة .

الرابع : أن همه بها لم يكن عزماً وإرادة وإنما كان تمثيلاً بين الفعل والترك ، ولا حرج في حديث النفس إذا لم يقترن به عزم ولا فعل ، وأصل الهم حديث النفس حتى يظهر فيصير فعلاً ، ومنه قول جميل :

هممت بهمٍّ من بثينة لو بدا ... شفيت غليلات الهوى من فؤاديا

الخامس : أنه همه كان حركة الطباع التي في قلوب الرجال من شهوة النساء وإن كان قاهراً له وهو معنى قول الحسن .

السادس : أنه هم بمواقعتها وعزم عليه . قال ابن عباس : وحل الهميان يعني السراويل وجلس بين رجليها مجلس الرجل من المرأة ، وهو قول جمهور المفسرين .

فإن قيل : فكيف يجوز أن يوصف يوسف بمثل هذا الفعل وهو نبي الله عز وجل؟

قيل : هي منه معصية ، وفي معاصي الأنبياء ثلاثة أوجه :

أحدها : أن كل نبي ابتلاه الله بخطيئة إنما ابتلاء ليكون من الله تعالى على وجل إذا ذكرها فيجدّ في طاعته إشفاقاً منها ولا يتكل على سعة عفوه ورحمته .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثاني : أن الله تعالى ابتلاهم بذلك ليعرفهم موقع نعمته عليهم بصفحه عنهم وترك عقوبتهم في الآخرة على معصيتهم .

الثالث : أنه ابتلاهم بذلك ليجعلهم أئمة لأهل الذنوب في رجاء رحمة الله وترك الإياس في عفوه عنهم إذا تابوا .

وفي قوله تعالى { لولا أن رأى برهان ربه } ستة أقاويل :

أحدها : أن برهان ربه الذي رآه أن نودي بالنهي عن مواقعة الخطيئة ، قال ابن عباس : نودي اي ابن يعقوب تزني فيكون مثلك مثل طائر سقط ريشه فذهب يطير فلم يستطع .

الثاني : أنه رأى صورة يعقوب وهو يقول : يا يوسف أتهمُّ بفعل السفهاء وأنت مكتوب في الأنبياء؟ فخرجت شهوته من أنامله ، قاله قتادة ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير .

قال مجاهد : فولد لكل واحد من أولاد يعقوب اثنا عشر ذكراً إلا يوسف فلم يولد له إلا غلامان ونقص بتلك الشهوة ولده .

الثالث : أن البرهان الذي رآه ما أوعد الله تعالى على الزنى ، قال محمد بن كعب القرظي : رأى كتاباً على الحائط :

(251/2)

{ ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً } [الإسراء : 32] .

الرابع : أن البرهان الذي رآه . الملك إظفير سيده ، قاله ابن إسحاق .

الخامس : أن البرهان الذي رآه هو ما آتاه الله تعالى من آداب آبائه في العفاف والصيانة وتجنب الفساد والخيانة ، قاله ابن بحر .

السادس : أن البرهان الذي رآه أنه لما همت به وهم بها رأى ستراً فقال لها : ما وراء هذه الستر؟ فقالت : صنمي الذي أعبده أستره استحياء منه . فقال : إذا استحيت مما لا يسمع ولا يبصر فأنا أحق أن أستحي من إلهي وأتوقاه ، قاله الضحاك .

{ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء } فيها وجهان :

أحدهما : أن السوء الشهوة ، والفحشاء المباشرة .

الثاني : أن السوء عقوبة الملك العزيز . والفحشاء مواقعة الزنى .

{ إنه من عبادنا المخلصين } قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر المخلصين بكسر اللام ، وتأويلها الذين أخلصوا طاعة الله تعالى .

وقرأ الباقون بفتح اللام ، وتأويلها الذين أخلصهم الله برسالته ، وقد كان يوسف عليه السلام بهاتين الصفتين لأنه كان مخلصاً في طاعة الله تعالى ، مستخلصاً لرسالة الله .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (25) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (26) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (27) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (28) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (29)

قوله عز وجل : { واستبقا الباب } أي أسرعا إليه ، أما يوسف فأسرع إليه هرباً ، وأما امرأة العزيز فأسرعت إليه طلباً .
{ وقدت قميصه من دبر } لأنها أدركته وقد فتح بعض الأغلاق فجذبته من ورائه فشقت قميصه إلى ساقه ، قال ابن عباس : وسقط عنه وتبعته .
{ وألفيا سيدها لَدى الباب } أي وجدا زوجها عند الباب . قال أبو صالح : والسيد هو الزوج بلسان القبط .
{ قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلاّ أن يسجن أو عذابٌ أليمٌ } هذا قولها لزوجها لتدفع الريبة عن نفسها بإلقائها على يوسف ، ولو صدق حبها لم تفعل ذلك به ولآثرته على نفسها ، ولكنها شهوة نزعت ومحبة لم تصف . وذلك أنه لما اقترن شدة حبها بالشهوة طلبت دفع الضرر بالتكذيب عليه ، ولو خلص من الشهوة لطلبت دفع الضرر عنه بالصدق . { قال هي راودتني عن نفسي } لأنها لما برأت نفسها بالكذب عليه احتاج أن يبرىء نفسه بالصدق عليها ، ولو كفت عن الكذب عليه لكف عن الصدق عليها .
{ وشهد شاهد من أهلها } لأنهما لما تعارضا في القول احتاج الملك إلى شاهد يعلم به صدق الصادق منهما من الكاذب ، فشهد شاهد من أهلها ، أي حكم حاكم من أهلها لأنه حكم منه وليس شهادة .
وفيه أربعة أقاويل :
أحدها : أنه صبي أنطقه الله تعالى في مهده ، قاله ابن عباس وأبو هريرة والحسن وسعيد بن جبير والضحاك .
الثاني : أنه خلق من خلق الله تعالى ليس بإنس ولا جن ، قاله مجاهد .
الثالث : أنه رجل حكيم من أهلها ، قاله قتادة . قال السدي وكان ابن عمها .
الرابع : أنه عنى شهادة القميص المقدود ، قاله مجاهد أيضاً .
{ إن كان قميصُه قد مِن قُبل فصدقت وهو من الكاذبين }

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

{ وإن كان قميصه قد من دُبر فكذبت وهو من الصادقين } لأن الرجل إذا طلب المرأة كان مقبلاً عليها فيكون شق قميصه من قبله دليلاً على طلبه . وإذا هرب من المرأة كان مدبراً عنها فيكون شق قميصه من دبره دليلاً على هربه .

وهذه إحدى الآيات الثلاث في قميصه : إن كان قُدَّ من دبر فكان فيه دليل على صدقه ، وحين جاءوا على قميصه بدم كذب ، وحين ألقي على وجه أبيه فارتدّ بصيراً .

{ فلما رأى قميصه قُدَّ من دُبُرٍ قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم } علم بذلك صدق يوسف فصدّقه وقال إنه من كيدكن .

وفي الكيد هما وجهان :

أحدهما : يعني به كذبها عليه .

الثاني : أنه أراد السوء الذي دعته إليه .

وفي قائل ذلك قولان :

أحدهما : أنه الزوج ، قاله محمد بن إسحاق .

الثاني : أنه الشاهد ، حكاه علي بن عيسى .

قوله عزوجل : { يوسف أعرض عن هذا } فيه وجهان :

أحدهما : أعرض عن هذا الأمر ، قال قتادة : على وجه التسلية له في ارتفاع الإثم .

(253/2)

الثاني : أعرض عن هذا القول ، قاله ابن زيد على وجه التصديق له في البراءة من الذنب .

{ واستغفري لذنبك } هذا قول الملك لزوجه وهو القائل ليوسف أعرض عن هذا . وفيه قولان :

أحدهما : أنه لم يكن غيوراً فلذلك كان ساكتاً .

الثاني : أن الله تعالى سلبه الغيرة وكان فيه لطف بيوسف حتى كفى بادرته وحلم عنها فأمرها بالاستغفار من ذنبها توبة منه وإقلاعاً عنه .

{ إنك كنت من الخاطئين } يعني من المذنبين ، يقال لمن قصد الذنب خَطِىءَ ، ولمن لم يقصده أخطأ ، وكذلك في الصوب والصواب ، قال الشاعر :

لعمرك إنما خطئي وصوبي ... عليّ وإنما أهلكت مالي

وقال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات لتغليب المذكر على المؤنث .

(254/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ
(30) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ
عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (31) قَالَتْ
فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ
الصَّاغِرِينَ (32) قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ
وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (33) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (34)

قوله تعالى : { وقال نسوة في المدينة } قال جويبر : كن أربعاً : امرأة الحاجب وامرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة القهرمان . قال مقاتل : وامرأة صاحب السجن وفي هذه المدينة قولان :

أحدهما : مصر .

الثاني : عين شمس . { امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه } قلن ذلك ذماً لها وطعناً فيها وتحقيقاً لبراءة يوسف وإنكاراً لذنبه .

والعزيز اسم الملك مأخوذ من عزته ، ومنه قول أبى داؤد :

درة غاص عليها تاجر ... جلبت عند عزيز يوم طل

{ قد شغفها حبّاً } أي قد دخل حبه من شغاف قلبها . وفي شغاف القلب خمسة أقاويل :

أحدها : أنه حجاب القلب ، قاله ابن عباس .

الثاني : أنه غلاف القلب وهو جلدة رقيقة بيضاء تكون على القلب وربما سميت لباس القلب ، قاله السدي وسفيان .

الثالث : أنه باطن القلب ، قاله الحسن ، وقيل هو حبة القلب .

الرابع : أنه ما يكون في الجوف ، قاله الأصمعي .

الخامس : هو الذعر والفزع الحادث عن شدة الحب ، قاله إبراهيم .

وقد قرىء في الشواذ عن ابن محيصن : قد شعفها حباً (بالعين غير معجمة) واختلف في الفرق بينهما على قولين :

أحدهما : أن الشغف بالغين معجمة هو الجنون وبالعين غير معجمة هو الحب ، قاله الشعبي .

والثاني : أن الشغف بالإعجام الحب القاتل ، والشعف بغير إعجام دونه ، قاله ابن عباس وقال أبو ذؤيب :

فلا وجْدَ إلا دُون وجْدٍ وجَدته ... أصاب شغافَ القلب والقلبُ يشغف

{ إنا لنراها في ضلال مبين } فيه وجهان : أحدهما : في ضلال عن الرشد وعدول عن الحق .

الثاني : معناه في محبة شديدة . ولما اقترن شدة حبها بالشهوة طلبت دفع الضرر عن نفسها بالكذب عليه ، ولو خلص من الشهوة طلبت دفع الضرر عنه بالصدق على نفسها .

قوله عز وجل : { فلما سمعت بمكرهن } فيه وجهان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدهما : أنه ذمهن لها وإنكارهن عليها .

الثاني : أنها أسرت إليهن بحبها له فأشعْن ذلك عنها .

{ أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكأ } وفي { أعتدت } وجهان :

أحدهما : أنه من الإعداد .

الثاني : أنه من العدوان .

وفي (المُتْكَأ) ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه المجلس ، قاله ابن عباس والحسن .

والثاني : أنه النمارق والوسائد يتكأ عليها ، قاله أبو عبيدة والسدي .

الثالث : أنه الطعام مأخوذ من قول العرب اتكأنا عند فلان أي طعمنا عنده ، وأصله أن من دعي إلى طعام أُعد له متكأ فسمي الطعام بذلك متكأ على الاستعارة . فعلى هذا أي الطعام هو؟ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أنه الزُّماورد ، قاله الضحاك وابن زيد .

الثاني : أنه الأترج ، قاله ابن عباس ومجاهد وهو وتأويل من قرأها مخففة غير مهموزة ، والمتْك في كلامهم الأترج ، قال الشاعر :

نشرب الإثم بالصُّواع جهارا ... وترى المتك بيننا متسعارا

(255/2)

والإثم : الخمر ، والمتك : الأترج .

الثالث : أنه كل ما يجز بالسكين وهو قول عكرمة لأنه في الغالب يؤكل على متكأ .

الرابع : أنه كل الطعام والشراب على عمومه ، وهو قول سعيد بن جبير وقتادة .

{ وآتت كلَّ واحدة منهن سكيناً وقالت اخرج عليهن } وإنما دفعت ذلك إليهن في الظاهر معونة على الأكل ، وفي الباطن ليظهر من دهشتهن ما يكون شاهداً عليهن . قال الزجاج : كان كالعبد لها فلم تمكنه أن يخرج إلا بأمرها .

{ فلما رأينه أكبرنه } وفيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : معناه أعظمنه ، قاله ابن عباس .

الثاني : معناه وجدن شأنه في الحسن والجمال كبيراً ، قال ابن بحر .

الثالث : معناه : حضن عند رؤيته ، وهو قول رواه عبد الصمد بن علي الهاشمي عن أبيه عن جده عبد الله بن عباس .

وقيل : إن المرأة إذا جزعت أو خافت حاضت ، وقد يسمى الحيض إكباراً ، قال الشاعر :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

نأتي النساء على أطهارهن ولا ... نأتي النساء إذا أكبرن إكباراً

{ وقطعن أيديهن } دهشاً ليكون شاهداً عليهن على ما أضمرته امرأة العزيز فيهن .

وفي قطع أيديهن وجهان :

أحدهما : أنهن قطعن أيديهن حتى بانت .

الثاني : أنهن جرحن أيديهن حتى دميت ، من قولهم قطع فلان يده إذا جرحها .

{ وقلن حاش لله } بالألف في قراءة أبي عمرو ونافع في رواية الأصمعي وقرأ الباقون حاش لله بإسقاط الألف ، ومعناهما واحد .

وفي تأويل ذلك وجهان :

أحدهما : معاذ الله ، قاله مجاهد .

الثاني : معناه سبحان الله ، قاله ابن شجرة .

وفي أصله وجهان : أحدهما : أنه مأخوذ من قولهم كنت في حشا فلا أي في ناحيته .

والثاني : أنه مأخوذ من قولهم حاش فلاناً أى اعزله في حشا يعني في ناحية . { ما هذا بشراً } فيه وجهان :

أحدهما : ما هذا أهلاً للمباشرة .

الثاني : ما هذا من جملة البشر . وفيه وجهان :

أحدهما : لما علمهن من عفته وأنه لو كان من البشر لأطاعها .

الثاني : لما شاهدن من حسنه البارع وجماله البديع { إن هذا إلا ملك كريم } وقرىء ما هذا بشراً (بكسر الباء والشين) أى ما هذا عبداً مشترى إن هذا إلا ملك كريم ، مبالغة في تفضيله في جنس الملائكة تعظيماً لشأنه .

قوله عزوجل { قال رب السجن أحب إليَّ مما يدعونني إليه } وهذا يدل على أنها دعته إلى نفسها ثانية بعد ظهور حالهما ، فقال : { رب السجن أحب إليَّ } يعني الحبس في السجن أحب إليَّ مما يدعونني إليه .

ويحتمل وجهين :

أحدهما : أنه أراد امرأة العزيز فيما دعته إليه من الفاحشة وكنى عنها بخطاب الجمع إما تعظيماً لشأنها في الخطاب وإما ليعدل عن التصريح إلى التعريض .

الثاني : أنه أراد بذلك جماعة النسوة اللاتي قطعن أيديهن حين شاهدنه لاستحسانهن له واستمالتهن لقلبه .

{ وإلاَّ تصرف عني كيدهن } يحتمل وجهين :

أحدهما : ما دعي إليه من الفاحشة إذا أضيف ذلك إلى امرأة العزيز .

الثاني : استمالة قلبه إذا أضيف ذلك إلى النسوة .

{ أصْبُ إليهن } فيه وجهان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدهما : أتابعهن ، قاله قتادة .

الثاني : أمل إليهن ، ومنه قول الشاعر :

إلى هند صبا قلبي ... وهند مثلها يصبي

(256/2)

ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآَيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ (35)

قوله تعالى : { ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات } في الآيات التي رأوها وجهان :

أحدهما : قدُّ القميص وحز الأيدي .

الثاني : ما ظهر لهم من عفته وجماله حتى قلن { ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم } .

{ ليسجننه حتى حين } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن الحين ها هنا ستة أشهر ، قاله سعيد بن جبير .

الثاني : أنه سبع سنين ، قاله عكرمة .

الثالث : أنه زمان غير محدود ، قاله كثير من المفسرين .

وسبب حبسه بعد ظهور صِدْقه ما حكى السدي أن المرأة قالت لزوجها : إن هذا العبد العبراني قد فضحني وقال إني راودته عن نفسه ، فإما أن تطلقني حتى أعتذر وإما أن تحبسه مثل ما حبستني ، فحبسه .

(257/2)

وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآَخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (36)

قوله عز وجل : { ودخَلَ معه السجن فتيان } قال ابن عباس :

كان أحدهما خازن الملك على طعامه ، وكان الآخر ساقي الملك على شرابه ، وكان الملك وهو الملك الأكبر الوليد بن الرّيان قد اتهمهما بسمّه فحبسهما ، فحكى مجاهد أنهما قالا ليوسف لما حُبسا معه : والله لقد أحببناك حين رأيناك ، فقال يوسف : أنشدكما بالله أن أحببتماني فما أحبّني أحد إلا دخل عليّ من حبه بلاء ، لقد أحبتني عمتي فدخل عليّ من حبها بلاء ، ثم أحبني أبي فدخل عليّ من حبه بلاء ، ثم أحبتني زوجة صاحبي العزيز فدخل عليّ من حبها بلاء ، لا أريد أن يحبني إلا

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
ربي .

وقال { فتيان } لأنهما كان عبدين ، والعبد يسمى فتى صغيراً كان أم كبيراً .

{ قال أحدهما إني أراني أعصر خمراً وقال الآخر إني أراني أحملُ فوق رأسي خُبزاً تأكل الطير منه } وسبب قولهما ذلك ما حكاه ابن جرير الطبري أنهما سألاه عن علمه فقال : إني أعبر الرؤيا ، فسألاه عن رؤياهما وفيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها كانت رؤيا صدق رأياها وسألاه عنها قال مجاهد وابن إسحاق : وكذلك صدق تأويلها . روى محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً

» . الثاني : أنها كانت رؤيا كذب سألاه عنها تجربة ، فلما أجابهما قالا : إنما كنا نلعب فقال { قضي الأمر الذي فيه تستفتيان } وهذا معنى قول ابن مسعود والسدي .

الثالث : أن المصلوب منهما كان كاذباً ، والآخر صادقاً ، قاله أبو مجلز .

وقوله { إني أراني أعصر خمراً } أي عنباً . وفي تسميته خمراً وجهان :

أحدهما : لأن عصيره يصير خمراً فعبر عنه بما يؤول إليه .

الثاني : أن أهل عُمان يسمون العنب خمراً ، قال الضحاك . وقرأ ابن مسعود : إني أراني أعصر عنباً .

{ نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين } فيه ستة أقاويل :

أحدها : أنهم وصفوه بذلك لأنه كان يعود مريضهم ويعزي حزينهم ويوسع على من ضاق مكانه منهم ، قاله الضحاك .

الثاني : معناه لأنه كان يأمرهم بالصبر ويعدهم بالثواب والأجر .

الثالث : إنا نراك ممن أحسن العلم . حكاه ابن جرير الطبري .

الرابع : أنه كان لا يرد عذر معتذر .

الخامس : أنه كان يقضي حق غيره ولا يقضي حق نفسه .

السادس : إنا نراك من المحسنين إن أنبأتنا بتأويل رؤيانا هذه ، قاله ابن إسحاق .

(258/2)

قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (37) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (38)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله عز وجل { قَال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبّأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : لا يأتيكما طعام ترزقانه في النوم إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما في اليقظة قاله السدي .

الثاني : لا يأتيكما طعام ترزقانه في اليقظة إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يصلكما لأنه كان يخبر بما غاب مثل عيسى ، قاله الحسن .

الثالث : أن الملك كان من عادته إذا أراد قتل إنسان صنع له طعاماً معروفاً وأرسل به إليه ، فكره يوسف تعبير رؤيا السوء قبل الإياس من صاحبها لئلا يخوفه بها فوعده بتأويلها عند وصول الطعام إليه ، فلما ألحّ عليه عبرها ، لئلا يخوفه بها فوعده بتأويلها عند وصول الطعام إليه ، فلما ألحَّ عليه عبرها ، قاله ابن جريج . وكذلك روى ابن سيرين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من رأى رؤيا فلا يقصها إلا على حبيب أو لبيب » .

{ ذلكما مما علمنى ربي } يعني تأويل الرؤيا .

{ إني تركت ملة قومٍ لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون } . وإنما عدل عن تأويل ما سألاه عنه لما كان فيها من الكرامة ، وأخبر بترك ملة قوم لا يؤمنون تنبيهاً لهم على ثبوته وحثاً لهم على طاعة الله .

قوله عز وجل : { ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس } قال ابن عباس : من فضل الله علينا أن جعلنا أنبياء ، وعلى الناس أن بعثنا إليهم رسلاً .

ويحتمل وجهاً آخر ذلك من فضل الله علينا في أن برأنا من الزنى ، وعلى الناس من أن خلصهم من مأثم القذف .

(259/2)

يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (40)

قوله عز وجل : { ذلك الدين القيم } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : ذلك الدين المستقيم ، قاله السدي . الثاني : الحساب البيّن ، قاله مقاتل بن حيان .

الثالث : يعني القضاء الحق ، قاله ابن عباس .

(260/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (41)

قوله عز وجل : { يا صاحبي السجين أما أحدكما فيسقي ربه خمراً } وهو الذي قال : إني أراني أعصر خمراً ، بشره بالنجاة وعوده إلى سقي سيده خمراً لأنه كان ساقيه .

{ وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه } وهو الذي قال { إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه } فأنذره بالهلكة وكان خباز الملك ، قال ابن جرير : وكان اسمه مجلثاً ، واسم الساقي نبواً . فلما سمع الهالك منهما تأويل رؤياه قال : إنما كنا نلعب .

قال { قُضِيَ الأمر الذي فيه تستفتيان } فيه وجهان :

أحدهما : قضي السؤال والجواب .

الثاني : سيقضى تأويله ويقع .

فإن قيل : فكيف قطع بتأويل الرؤيا وهو عنده ظن من طريق الاجتهاد الذي لا يقطع فيه؟ ففيه وجهان :

أحدهما : يجوز أن يكون قاله عن وحي من الله تعالى .

الثاني : لأنه نبي يقطع بتحقيق ما أنطقه الله تعالى وأجراه على لسانه ، بخلاف من ليس بنبي .

(261/2)

وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (42)

قوله عز وجل : { وقال للذي ظن أنه ناجٍ منهما اذكرني عند ربك } فيه قولان : أحدهما : يعني للذي علم أنه ناج ، فعبر عن العلم بالظن ، قاله ابن شجرة . الثاني : أنه ظن ذلك من غير يقين .

وفي ظنه وجهان :

أحدهما : لأن عبارة الرؤيا بالظن فلذلك لم يقطع به ، قاله قتادة .

الثاني : أنه لم يتيقن صدقهما في الرؤيا فكان الظن في الجواب لشكه في صدقهما .

{ اذكرني عند ربك } أي عند سيدك يعني الملك الأكبر الوليد بن الريان تأميلاً للخلاص إن ذكره عنده .

{ فأنساه الشيطان ذكر ربِّه } فيه قولان :

أحدهما : أن الذي نجا منهما أنساه الشيطان ذكر يوسف عند سيده حتى رأى الملك الرؤيا قاله محمد بن إسحاق .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الثاني : أن يوسف أنساه الشياطن ذكر ربه في الاستغاثة به والتعويل عليه .

روى أبو سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رحم الله يوسف لولا الكلمة التي قال : اذكرني عند ربك ما لبث في السجن ما لبث » . { فلبث في السِّجن بضع سنين } قال ابن عباس : عوقب يوسف بطول السجن بضع سنين لما قال للذي نجا منهما اذكرني عند ربك ، ولو ذكر يوسف ربه لخلصه . وفي « البضع » أربعة أقاويل :

أحدها : من ثلاث إلى سبع ، وهذا قول أبي بكر الصديق وقطرب .

الثاني : من ثلاث إلى تسع ، قاله مجاهد والأصمعي .

الثالث : من ثلاث إلى عشر ، قاله ابن عباس .

الرابع : ما بين الثلاث إلى الخمس ، حكاه الزجاج .

قال الفراء : والبِضع لا يذكر إلا مع العشرة والعشرين إلى التسعين ، ولا يذكر بعد المائة .

وفي المدة التي لبث فيها يوسف مسجوناً ثلاثة أقاويل :

أحدها : سبع سنين ، قاله ابن جريج وقتادة .

الثاني : أنه لبث اثنتي عشرة سنة ، قاله ابن عباس .

الثالث : لبث أربعة عشرة سنة ، قاله الضحاك ، وإنما البضع مدة العقوبة لا مدة الحبس كله .

وقال وهب : حبس يوسف سبع سنين ، ومكث أيوب في البلاء سبع سنين .

قال الكلبي : حبس سبع سنين بعد الخمس السنين التي قال فيها { اذكرني عند ربك } .

(262/2)

وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (43) قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ (44) وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (45) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (46) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (47) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ (48) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (49)

قوله عز وجل : { وقال الملك إني أرى سبع بقراتٍ سمان . . . } الآية . وهذه الرؤيا رآها الملك الأكبر الوليد بن الريان وفيها لطف من وجهين :

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدهما : أنها كانت سبباً لخلاص يوسف من سجنه .

الثاني : أنها كانت نذيراً بجدب أخذوا أهبته وأعدوا له عدته .

{ يا أيها الملأ افتوني في رؤياي } وذلك أن الملك لما لم يعلم تأويل رؤياه نادى بها في قومه ليسمع بها من يكون عنده عِلْمٌ بتأويلها فيعبرها له .

قوله عز وجل : { قالوا أضغاث أحلام } فيه أربعة أوجه :

أحدها : يعني أخلاط أحلام ، قاله معمر وقتادة .

الثاني : ألوان أحلام ، قاله الحسن .

الثالث : أهاويل أحلام قاله مجاهد .

الرابع : أكاذيب أحلام ، قاله الضحاك .

وفيه خامس : شبهة أحلام ، قاله ابن عباس .

قال أبو عبيدة : الأضغاث ما لا تأويل له من الرؤيا ، ومنه قول الشاعر :

كضغث حلم غُرَّ منه حالمُه . ... وروى هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب

» . وفي تقارب الزمان وجهان :

أحدهما : أنه استواء الليل والنهار لأنه وقت اعتدال تنفتق فيه الأنوار وتطلع فيه الثمار فكان أصدق الزمان في تعبير الرؤيا .

الثاني : أنه آخر الزمان وعند انتهاء أمده .

والأضغاث جمع واحده ضغث والضغث الحزمة من الحشيش المجموع بعضه إلى بعض وقيل هو ملء الكف ، ومنه قوله تعالى : { خذ بيدك ضغثاً } وقال ابن مقبل .

خَوْدٌ كَأَنَّ فِرَاشَهَا وُضِعَتْ بِهِ ... أَضْغَاثُ رَيْحَانٍ غَدَاةَ شَمَالِ

والأحلام جمع حُلم ، والحُلم الرؤيا في النوم ، وأصله الأناة ، ومنه الحلم ضد الطيش فقيل لما يرى في النوم حلم لأنها حال أناة وسكون .

{ وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين } فدل ذلك على أنه ليس التأويل الأول مما تؤول به الرؤيا هو الحق المحكوم به لأن يوسف عرفهم تأويلها بالحق ، وإنما قال يوسف للغلامين { قضي الأمر الذي فيه تستفتيان } لأنه منه نذير نبوة . ويجوز أن يكون الله تعالى صرف هؤلاء عن تفسير هذه الرؤيا لطفاً بيوسف ليتذكر الذي نجا منهما حاله فتدعوهم الحاجة إليه فتكون سبباً لخلاصه .

قوله عز وجل : { وقال الذي نجا منهما وادّكر بَعْدَ أمة } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني بعد حين ، قاله ابن عباس .

الثاني : بعد نسيان ، قاله عكرمة .

الثالث : بعد أمة من الناس ، قاله الحسن .

قال الحسن : ألقي يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة ، وكان في العبودية والسجن والملك

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ثمانين سنة وجمع له شمله فعاش بعد ذلك ثلاثاً وعشرين سنة .

وقرىء { وادّكر بعد أمَةٍ } بفتح الألف وتخفيف الميم ، والأمه : بالتخفيف النسيان .

{ أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون } أي أخبركم بمن عنده علم بتأويله ثم لم يذكره لهم .

قال ابن عباس : لم يكن السجن بالمدينة فانطلق إلى يوسف حين أذن له وذلك بعد أربع سنين بعد فراقه .

قوله عز وجل : { يوسف أيها الصديق أفتنا } احتمل تسميته بالصديق وجهين :

أحدهما : لصدقه في تأويل رؤياهما .

الثاني : لعلمه بنبوته . والفرق بين الصادق والصديق أن الصادق في قوله بلسانه ، والصديق من تجاوز صدقه لسانه إلى صدق أفعاله في موافقة حاله لا يختلف سره وجهره ، فصار كل صدّيق صادقاً وليس كل صادق صدّيقاً .

{ أفتنا في سبع بقرات سمان } قال قتادة : هي السنون المخصبات .

{ يأكلهن سبع عجافٌ } قال قتادة : هي السنون المجدبات .

{ وسبع سنبلات خضر وأُخر يابسات } والخضر الخصب لأن الأرض بنباتها خضراء ، واليابسات هي الجدب لأنّ الأرض فيه يابسة ، كما أن ماشية الخصب سمان ، وماشية الجدب عجاف .

{ لعلي أرجع إلى الناس } أي لكي أرجع إلى الناس وهو الملك وقومه ، ويحتمل أن يريد الملك وحده فعبر عنه بالناس تعظيماً له .

{ ولعلهم يعلمون } لأنه طمع أن يعلموا وأشفق أن لا يعلموا ، فلذلك قال { لعلهم يعلمون } يعني تأويلها . ولم يكن ذلك منه شكاً في علم يوسف . لأنه قد وقر في نفسه علمه وصدقه ، ولكن تخوف أحد أمرين إما أن تكون الرؤيا كاذبةً ، وإما ألاّ يصدقوا تأويلها لكراهتهم له فيتأخر الأمر إلى وقت العيان .

قوله عز وجل : { قال تزرعون سبع سنين دأباً } فيه وجهان :

أحدهما : يعني تباعاً متوالية .

الثاني : يعني العادة المألوفة في الزراعة .

{ فما حصدتم فذروه في سُنْبُلِهِ إلا قليلاً مما تأكلون } يعني فيخرج من سنبله لأن ما في السنبل مدخر لا يؤكل ، وهذا القول منه أمر ، والأول خبر ، ويجوز لكونه نبياً أن يأمر بالمصالح ، ويجوز أن يكون القول الأول أيضاً أمراً وإن كان الأظهر منه أنه خبر .

قوله عز وجل : { ثم يأتي من بعد ذلك سبعٌ شداد } يعني المجدبات لشدتها على أهلها .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وحكى زيد بن أسلم عن أبيه أن يوسف كان يصنع طعام اثنين فيقربه إلى رجل فيأكل نصفه ويدع نصفه ، حتى إذا كان يوماً قربه له فأكله كله ، فقال يوسف : هذا أول يوم السبع الشداد .

{ يأكلن ما قدمتم لهن } يعني تأكلون فيهن ما ادخرتموه لهن .

{ إلا قليلاً مما تحصنون } فيه وجهان :

أحدهما : مما تدخرون ، قاله قتادة .

الثاني : مما تخزنون في الحصون .

ويحتمل وجهاً ثالثاً : إلا قليلاً مما تبذرون لأن في استبقاء البذر تحصين الأقوات .

قوله عز وجل : { ثم يأتي من بعد ذلك عامٌ فيه يغاث الناس } فيه وجهان :

أحدهما : يغاثون بنزول الغيث ، قاله ابن عباس .

الثاني : يغاثون بالخصب ، حكاه ابن عيسى .

{ وفيه يعصرون } فيه خمسة تأويلات :

أحدها : يعصرون العنب والزيتون من خصب الثمار ، قاله مجاهد وقتادة .

الثاني : أي فيه يجلبون المواشي من خصب المراعي ، قاله ابن عباس .

الثالث : يعصرون السحاب بنزول الغيث وكثرة المطر ، من قوله تعالى { وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجَّاجاً } [النبأ : 14] . قاله عيسى بن عمر الثقفي .

الرابع : تنجون ، مأخوذ من العُصْرة وهي المنجاة ، قاله أبو عبيدة والزجاج ، ومنه قول الشاعر :

صادياً يستغيث غير مغاث ... ولقد كان عُصْرَة المنجود

الخامس : تحسنون وتفضلون ، ومنه قول الشاعر :

لو كان في أملاكنا ملك ... يعصر فينا مثل ما تعصر

أي يحسن : وهذا القول من يوسف غير متعلق بتأويل الرؤيا وإنما هو استئناف خبر أطلقه الله تعالى عليه من آيات نبوته .

(264/2)

وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (50) قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (51) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (52)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله عز وجل : { وقال الملك ائتوني به } يعني يوسف عليه السلام .

{ فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك } يعني الملك .

{ فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن } وإنما توقف عن الخروج مع طول حبسه ليظهر للملك عذره قبل حضوره فلا يراه مذنباً ولا خائناً .

فروى أبو الزناد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يرحم الله يوسف إنه كان ذا أناةٍ لو كنت أنا المحبوس ثم أُرسل لخرجت سريعاً

» . وفي سؤاله عن النسوة اللاتي قطعن أيديهن دون امرأة العزيز ثلاثة أوجه :

أحدها : أن في سؤاله عنها ظنَّةً ربما صار بها متهماً .

والثاني : صيانة لها لأنها زوج الملك فلم يتبذلها بالذكر .

الثالث : أنه أرادهن دونها لأنهن الشاهدات له عليها .

{ إن ربي بكيدهن عليم } فيه وجهان : أحدهما : معناه إن الله بكيدهن عليم . الثاني : أن سيدي الذي هو العزيز بكيدهن عليم . قوله عز وجل : { قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه } فهذا سؤال الملك قد تضمن تنزيه يوسف لما تخيله من صدقه لطفاً من الله تعالى به حتى لا تسرع واحدة منهن إلى التكذب عليه .

وفي قوله : { راودتن } وإن كانت المراودة من إحداهن وجهان :

أحدهما : أن المراودة كانت من امرأة العزيز وحدها فجمعهن في الخطاب وإن توجه إليها دونهن احتشاماً لها .

الثاني : أن المراودة كانت من كل واحدة منهن . { قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوءٍ } فشهدن له بالبراءة من السوء على علمهن لأنها شهادة على نفي ، ولو كانت شهادتهن على إثبات لشهدن قطعاً ، وهكذا حكم الله تعالى في الشهادات أن تكون على العلم في النفي ، وعلى القطع في الإثبات .

{ قالت امرأة العزيز الآنَ حصحص الحق } معناه الآن تبين الحق ووضح ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة .

وأصله مأخوذ من قولهم حَصّ شعره إذا استأصل قطعه فظهرت مواضعه ومنه الحصة من الأرض إذا قطعت منها . فمعنى حصحص الحق أي انقطع عن الباطل بظهوره وبيانه . وفيه زيادة تضعيف دل عليها الاشتقاق مثل قوله : (كبوا ، وكبكبوا) قاله الزجاج . وقال الشاعر :

ألا مبلغ عني خداشاً فإنه ... كذوب إذا ما حصحص الحق ظالم

{ أنا راودته عن نفسه ، وإنه لمن الصادقين } وهذا القول منها وإن لم تسأل عنه إظهار لتوبتها وتحقيق لصدق يوسف ونزاهته لأن إقرار المقر على نفسه أقوى من الشهادة عليه ، فجمع الله تعالى ليوسف في إظهار صدقه الشهادة والإقرار حتى لا يخامر نفساً ظن ولا يخالجها شك .

قوله عز وجل : { ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه قول امرأة العزيز عطفاً على ما تقدم ، ذلك ليعلم يوسف أني لم أخنه بالغيب ، يعني

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الآن في غيبه بالكذب عليه وإضافة السوء إليه لأن الله لا يهدي كيد الخائنين ، حكاه ابن عيسى .
الثاني : أنه قول يوسف بعد أن علم بظهور صدقه ، وذلك ليعلم العزيز أني لم أخنه بالغيب عنه في زوجته ، قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي .
{ وأن الله لا يهدي كيد الخائنين } معناه وأن الله لا يهدي الخائنين بكيدهم .

(265/2)

وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (53) وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (54) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (55)

قوله عز وجل : { وما أبرىء نفسي } فيه ثلاثة أوجه :
أحدها : أنه قول العزيز أي وما أبرىء نفسي من سوء الظن بيوسف .
{ إنَّ النفس لأمارة بالسوء } يحتمل وجهين :
أحدهما : الأمارة بسوء الظن .
الثاني : بالاتهام عند الارتياب .
{ إلا ما رحم ربي } يحتمل وجهين :
أحدهما : إلاَّ ما رحم ربي إن كفاه سوء الظن .
الثاني : أن يثنيه حتى لا يعمل . فهذا تأويل من زعم أنه قول العزيز .
الوجه الثاني : أنه قول امرأة العزيز وما أبرىء نفسي إن كنت راودت يوسف عن نفسه لأن النفس باعثة على السوء إذا غلبت الشهوة عليها .
{ إلا ما رحم ربي } يحتمل وجهين :
أحدهما : إلا ما رحم ربي من نزع شهوته منه .
الثاني : إلا ما رحم ربي في قهره لشهوة نفسه ، فهذا تأويل من زعم أنه من قول امرأة العزيز .
الوجه الثاني : أنه من قول يوسف ، واختلف قائلو هذا في سببه على أربعة أقاويل :
أحدها : أن يوسف لما قال { ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب } قالت امرأة العزيز : ولا حين حللت السراويل؟ فقال : وما أبريء نفسي إن النفس لأمّارة بالسوء ، قاله السدي .
الثاني : أن يوسف لما قال ذلك غمزه جبريل عليه السلام فقال : ولا حين هممت؟ فقال { وما أُبريء نفسي إن النفس لأمّارة بالسوء } قاله ابن عباس .
الثالث : أن الملك الذي مع يوسف قال له : اذكر ما هممت به ، فقال : { وما أبرىء نفسي إن

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

النفس لأمّارة بالسوء } قاله قتادة .

الرابع : أن يوسف لما قال { ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب } كره نبي الله أن يكون قد زكى نفسه فقال { وما أبريء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء } قاله الحسن .

ويحتمل قوله { لأمارة بالسوء } وجهين :

أحدهما : يعني أنها مائلة إلى الهوى بالأمر بالسوء .

الثاني : أنها تستثقل من عزائم الأمور ما إن لم يصادف حزماً أفضت إلى السوء .

قوله عز وجل : { وقال الملك ائتوني به استْخلصه لنفسي } وهذا قول الملك الأكبر لما علم أمانة يوسف اختاره ليستخلصه لنفسه في خاص خدمته .

{ فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين } لأنه استدل بكلامه على عقله ، وبعصمته على أمانته فقال : { إنك اليوم لدينا مكين أمين } وهذه منزلة العاقل العفيف .

وفي قوله { مكين } وجهان : أحدهما : وجيه ، قاله مقاتل .

الثاني : متمكن في المنزلة الرفيعة . وفي قوله { أمين } ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه بمعنى آمن لا تخاف العواقب ، قاله ابن شجرة .

الثاني : أنه بمعنى مأمون ثقة ، قاله ابن عيسى .

الثالث : حافظ ، قاله مقاتل . قوله عز وجل : { قال اجعلني على خزائن الأرض } أي على خزائن أرضك ، وفيها قولان :

أحدهما : هو قول بعض المتعمقة أن الخزائن ها هنا الرجال ، لأن الأفعال والأقوال مخزونة فيهم فصاروا خزائن لها .

الثاني : وهو قول أصحاب الظاهر أنها خزائن الأموال ، وفيها قولان : أحدهما : أنه سأله جميع الخزائن ، قاله ابن زيد .

(266/2)

الثاني : أنه سأله خزائن الطعام ، قاله شيبة بن نعامة الضبي .

وفي هذا دليل على جواز أن يخطب الإنسان عملاً يكون له أهلاً وهو بحقوقه وشروطه قائم . فيما حكى ابن سيرين عن أبي هريرة قال : نزعني عمر بن الخطاب عن عمل البحرين ثم دعاني إليها فأبيت ، فقال : لم؟ وقد سأل يوسف العمل .

فإن كان المولي ظالماً فقد اختلف الناس في جواز الولاية من قبله على قولين :

أحدهما : جوازها إن عمل بالحق فيما تقلده ، لأن يوسف عليه السلام ولي من قبل فرعون ، ولأن الاعتبار في حقه بفعله لا بفعل غيره .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثاني : لا يجوز ذلك له لما فيه من تولي الظالمين بالمعونة لهم وتزكيتهم بتنفيذ أعمالهم .

وأجاب من ذهب إلى هذا القول عن ولايته من قبل فرعون بجوابين :

أحدهما : أن فرعون يوسف كان صالحاً ، وإنما الطاغي فرعون موسى .

الثاني : أنه نظر له في أملاكه دون أعماله فزالت عنه التبعة فيه .

والأصح من إطلاق هذين القولين أن يفصل ما يتولاه من جهة الظالم على ثلاثة أقسام :

أحدها : ما يجوز لأهله فعله من غير اجتهاد في تنفيذه كالصدقات والزكوات فيجوز توليته من جهة الظالمين لأن النص على متسحقيه قد أغنى عن الاجتهاد فيه ، وجواز تفرد أربابه به قد أغنى عن التنفيذ .

والقسم الثاني : ما لا يجوز أن يتفردوا به ويلزم الإجتهاد في مصرفه كأموال الفيء فلا يجوز توليته من جهة الظالم لأنه يتصرف بغير حقٍ ويجتهد فيما لا يستحق .

والقسم الثالث : ما يجوز أن يتولاه أهله وللاجتهاد فيه مدخل كالقضايا والأحكام ، فعقد التقليد فيه محلول ، فإن كان النظر تنفيذاً لحكم بين متراضيين أو توسطاً بين مجبورين جاز ، وإن كان إلزام إجبار لم يجز .

{ إني حفيظ عليم } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : حفيظ لما استودعتني عليم بما وليتني ، قاله ابن زيد .

الثاني : حفيظ بالكتاب ، عليم بالحساب ، حكاه ابن سراقة ، وأنه أول من كتب في القراطيس .

الثالث : حفيظ بالحساب ، عليم بالألسن ، قاله الأشجع عن سفيان .

الرابع : حفيظ لما وليتني ، قاله قتادة ، عليم بسني المجاعة ، قاله شيبة الضبي . وفي هذا دليل على أنه يجوز للإنسان أن يصف نفسه بما فيه من علم وفضل ، وليس هذا على الإطلاق في عموم الصفات ولكن مخصوص فيما اقترن بوصلة أو تعلق بظاهر من مكسب وممنوع منه فيما سواه لما فيه من تزكية ومراءاة ، ولو تنزه الفاضل عنه لكان أليق بفضله ، فإن يوسف دعته الضرورة إليه لما سبق من حاله ولما يرجوه من الظفر بأهله .

(267/2)

وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (56) وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (57)

قوله عز وجل : { وكذلك مكنا ليوسف في الأرض } قال ابن جرير الطبري : استخلصه الملك الأكبر الوليد بن الريان على عمل إظفير وعزله . قال مجاهد : وأسلم على يده . قال ابن عباس :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ملك بعد سنة ونصف . فروى مقاتل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لو أن يوسف قال : إني حفيظ عليم إن شاء الله لملك في وقته ذلك

» . ثم مات إظفير فزوّجه الملك بامرأة إظفير راعيل ، فدخل بها يوسف فوجدها عذراء وولدت له ولدين أفرائيم ومنشا ابني يوسف .

ومن زعم أنها زليخا قال لم يتزوجها يوسف وأنها لما رأته في موكبه بكت ، ثم قالت : الحمد لله الذي جعل الملوك عبيداً بالمعصية ، وجعل العبيد بالطاعة ملوكاً ، فضمها إليه فكانت في عياله حتى ماتت عنده ولم يتزوجها . { يتبوَّأ منها حيث يشاء } فيه وجهان :

أحدهما : يتخذ من أرض مصر منزلاً حيث يشاء ، قاله سعيد بن جبير .

الثاني : يصنع في الدنيا ما يشاء لتفويض الأمر إليه ، قاله عبد الرحمن بن زيد .

{ نصيب برحمتنا من نشاء } يعني في الدنيا بالرحمة والنعمة .

{ ولا نضيع أجر المحسنين } يعني في الآخرة بالجزاء . ومنهم من حملها على الدنيا ، ومنهم من حملها على الآخرة ، والأصح ما قدمناه .

واختلف فيما أوتيه من هذا الحال على قولين :

أحدهما : ثواب من الله تعالى على ما ابتلاه .

الثاني : أنه أنعم بذلك عليه تفضلاً منه ، وثوابه باقٍ على حاله في الآخرة .

قوله عز وجل { ولأجر الآخرة خيرٌ للذين آمنوا وكانوا يتقون } فيه وجهان :

أحدهما : ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا من أجر الدنيا ، لأن أجر الآخرة دائم ، وأجر الدنيا منقطع .

الثاني : ولأجر الآخرة خير ليوسف من التشاغل بملك الدنيا ونعيمها لما فيه من التبعة .

(268/2)

وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (58) وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (59) فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ (60) قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ (61) وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (62)

قوله عز وجل : { وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه } الآية . قال ابن إسحاق والسدي : وإنما جاءُوا ليمتاروا من مصر في سني القحط التي ذكرها يوسف في تفسير الرؤيا ، ودخلوا على يوسف لأنه كان هو الذي يتولى بيع الطعام لعزته .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

{ فعرفهم } فيه وجهان :

أحدهما : أنه عرفهم حين دخلوا عليه من غير تعريف ، قاله ابن عباس .

الثاني : ما عرفهم حتى تعرفوا إليه فعرفهم ، قاله الحسن .

وقيل بل عرفهم بلسانهم العبراني حين تكلموا به .

قال ابن عباس : إنما سميت عبرانية لأن إبراهيم عليه السلام عبر بهم فلسطين فنزل من وراء نهر الأردن فسمّوا العبرانية .

{ وهم له منكرون } لأنه فارقوه صغيراً فكبر ، وفقيراً فاستغنى ، وباعوه عبداً فصار ملكاً ، فلذلك أنكروه ، ولم يتعرف إليهم ليعرفوه . قوله عز وجل :

{ ولمّا جهزهم بجهازهم } وذلك أنه كال لهم الطعام ، قال ابن إسحاق : وحمل لكل رجل منهم بعيراً بعدَّتهم .

{ قال ائتوني بأخٍ لكم من أبيكم } قال قتادة : يعني بنيامين وكان أخا يوسف لأبيه وأمه .

قال السدي : أدخلهم الدار وقال : قد استربت بكم تتكر عليهم فأخبروني من أنتم فإني أخاف أن تكونوا عيوناً ، فذكروا حال أبيهم وحالهم وحال يوسف وحال أخيه وتخلفه مع أبيه ، فقال : إن كنتم صادقين فائتوني بهذا الأخ الذي لكم من أبيكم ، وأظهر لهم أنه يريد أن يستبرىء به أحوالهم . وقيل : بل وصفوا له أنه أحَبُّ إلى أبيهم منهم ، فأظهر لهم محبة رؤيته .

{ ألا ترْوْن أني أوفي الكيلَ } يحتمل وجهين :

أحدهما : أنه أرخص لهم في السعر فصار زيادة في الكيل .

الثاني : أنه كال لهم بمكيال واف .

{ وأنا خير المنزلين } فيه وجهان :

أحدهما : يعني خير المضيفين ، قاله مجاهد .

الثاني : وهو محتمل ، خير من نزلتم عليه من المأمونين . فهو على التأويل الأول مأخوذ من النزل وهو الطعام ، وعلى التأويل الثاني مأخوذ من المنزل وهو الدار .

قوله عز وجل : { فإن لم تأتوني به فلا كيْل لكم عندي } يعني فيما بعد لأنه قد وفاهم كيلهم في هذه الحال .

{ ولا تقربون } أي لا أنزلكم عندي منزلة القريب . ولم يُرد أن يبعدوا منه ولا يعودوا إليه لأنه على العود حثهم .

قال السدي : وطلب منهم رهينة حتى يرجعوا ، فارتهن شمعون عنده . قال الكلبي : إنما اختار شمعون منهم لأنه يوم الجُبّ كان أجملهم قولاً وأحسنهم رأياً .

قوله عز وجل : { قالوا سَنُرَاوِدُ عنه أباه } والمراودة الاجتهاد في الطلب ، مأخوذ من الإرادة . { وَإِنَّا لَفَاعِلُون } فيه وجهان :

أحدهما : وإنا لفاعلون مراودة أبيه وطلبه منه .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثاني : وإنا لفاعلون للعود إليه بأخيهم ، قاله ابن إسحاق .

فإن قيل : كيف استجاز يوسف إدخال الحزن على أبيه بطلب أخيه؟

قيل عن هذا أربعة أجوبة :

أحدها : يجوز أن يكون الله عز وجل أمره بذلك ابتلاء ليعقوب ليُعظم له الثواب فاتّبع أمره فيه .

(269/2)

الثاني : يجوز أن يكون أراد بذلك أن ينبه يعقوب على حال يوسف .

الثالث : لتضاعف المسرة ليعقوب برجوع ولديه عليه .

والرابع : ليقدم سرور أخيه بالاجتماع معه قبل إخوته لميله إليه .

قوله عز وجل : { وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم } قرأ حمزة والكسائي وحفص { لفتيانه }

وفيهم قولان :

أحدهما : أنهم غلمانه ، قاله قتادة .

الثاني : أنهم الذين كالوا لهم الطعام ، قاله السدي .

وفي بضاعتهم قولان :

أحدهما : أنها وَرِقهم التي ابتاعوا الطعام بها .

الثاني : أنها كانت ثمانية جُرُب فيها سويق المقل ، قاله الضحاك .

وقال بعض العلماء : نبه الله تعالى برد بضاعتهم إليهم على أن أعمال العباد تعود إليهم فيما يثابون إليه من الطاعات ويعاقبون عليه من المعاصي .

{ لعلهم يعرفونها } أي ليعرفوها .

{ وإذا انقلبوا إلى أهلهم } يعني رجعوا إلى أهلهم ، ومنه قوله تعالى { فانقلبوا بنعمة من الله } [آل عمران : 174] .

{ لعلهم يرجعون } أي ليرجعوا .

فإن قيل : فلم فعل ذلك يوسف؟

قيل : يحتمل أوجهاً خمسة :

أحدها : ترغيباً لهم ليرجعوا ، على ما صرّح به .

الثاني : أنه علم منهم لا يستحلّون إمساكها ، وأنهم يرجعون لتعريفها .

الثالث : ليعلموا أنه لم يكن طلبه لعودهم طمعاً في أموالهم .

الرابع : أنه خشي أن لا يكون عند أبيه غيرها للقحط الذي نزل به .

الخامس : أنه تحرج أن يأخذ من أبيه وإخوته ثمن قوتهم مع شدة حاجتهم .

This file was downloaded from QuranicThought.com

(270/2)

فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (63) قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (64)

قوله عز وجل : { فلمّا رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا مُنِعَ مِنّا الكيل } واختلفوا في نزلهم الذي رجعوا إليه إلى أبيهم على قولين :

أحدهما : بالعربات من أرض فلسطين .

الثاني : بالأولاج من ناحية الشعب أسفل من حمس ، وكان صاحب بادية له شاءٌ وإبل .

{ قالوا يا أبانا منع منا الكيل } أي سيمنع منا الكيل إن عدنا بغير أخينا لأن ملك مصر ألزمنا به وطلبه منا إما ليراه أو ليعرف صدقنا منه .

{ فأرسل معنا أخانا نكتَل } أي إن أرسلته معنا أمكننا أن نعود إليه ونكتال منه .

{ وإنا له لحافظون } ترغيباً له في إرساله معهم . فلم يثق بذلك منهم لما كان منهم في يوسف .

{ قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل } لأنهم ضمنوا له حفظ يوسف فأضاعوه ، فلم يثق بهم فيما ضمنوه .

{ فالله خير حافظاً } قرأ حمزة والكسائي وحفص { حافظاً } يعني منكم لأخيكم .

{ وهو أرحم الراحمين } يحتمل وجهين : أحدهما : أرحم الراحمين في حفظ ما استودع .

والثاني : أرحم الراحمين فيما يرى من حزني .

(271/2)

وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (65) قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (66)

قوله عز وجل : { ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم رُدَّتْ إليهم } أي وجدوا التي كانت بضاعتهم وهو ما دفعوه في ثمن الطعام الذي امتاروه .

{ قالوا يا أبانا ما نبغي } فيه وجهان :

أحدهما : أنه على وجه الاستفهام بمعنى ما نبغي بعد هذا الذي قد عاملنا به ، قاله قتادة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثاني : معناه ما نبغي بالكذب فيما أخبرناك به عن الملك ، حكاه ابن عيسى .

{ هذه بضاعتنا ردت إلينا } احتمل أن يكون قولهم ذلك له تعريفاً واحتمل أن يكون ترغيباً ، وهو أظهر الاحتمالين .

{ ونمير أهلنا } أي نأتيهم بالميرة ، وهي الطعام المقتات ، ومنه قول الشاعر :

بعثتك مائراً فمكثت حولاً ... متى يأتي غياثك من تغيث .

{ ونمير أهلنا } هذا ترغيب محض ليعقوب .

{ ونحفظ أخانا } وهذا استنزال .

{ ونزداد كيل بعير } وهو ترغيب وفيه وجهان :

أحدهما : كيل البعير نحمل عليه أخانا .

والثاني : كيل بعير هو نصيب أخينا لأن يوسف قسّط الطعام بين الناس فلا يعطى الواحد أكثر من حمل بعير .

{ ذلك كَيْلٌ يسير } فيه وجهان :

أحدهما : أن الذي جئناك به كيل يسير لا ينفعنا .

والثاني : أن ما نريده يسير على من يكيل لنا ، قاله الحسن . فيكون على الوجه الأول استعطافاً ، وعلى الثاني تسهيلاً .

وفي هذا القول منهم وفاءٌ ، ليوسف فيما بذلوه من مراودة في اجتذاب أخيهم لأنهم قد راودوه من سائر جهات المراودة ترغيباً واستنزالاً واستعطافاً وتسهيلاً .

قوله تعالى : { قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقاً من الله } في هذا الموثق ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه إشهادهم الله على أنفسهم .

الثاني : أنه حلفهم بالله ، قاله السدي .

الثالث : أنه كفيل يتكفل بهم

{ لتأتنني به إلاَّ أن يحاط بكم } فيه وجهان :

أحدهما : يعني إلا أن يهلك جميعكم ، قاله مجاهد .

الثاني : إلا أن تُغلَبوا على أمركم ، قاله قتادة .

(272/2)

وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (67) وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (68)

قوله عز وجل : { وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد . . . } يعني لا تدخلوا مصر من باب واحد ، وفيه وجهان :

أحدها : يعني من باب واحد من أبوابها .

{ وادخلوا من أبواب متفرقة } ، قاله الجمهور .

الثاني : من طريق واحد من طرقها { وادخلوا من أبواب متفرقة } أي طرق ، قاله السدي .

وفيما خاف عليهم أن يدخلوا من باب واحد قولان :

أحدهما : أنه خاف عليهم العين لأنهم كانوا ذوي صور وجمال ، قاله ابن عباس ومجاهد .

الثاني : أنه خاف عليهم الملك أن يرى عددهم وقوتهم فيبطش بهم حسداً أو حذراً ، قاله بعض المتأخرين .

{ وما أغني عنكم من الله من شيءٍ } أي من أي شيء أحذره عليكم فأشار عليهم في الأول ، وفوض إلى الله في الآخر .

قوله عز وجل : { ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيءٍ } أي لا يرد حذر المخلوق قضاءَ الخالق .

{ إلاَّ حاجة في نفس يعقوب قضاها } وهو حذر المشفق وسكون نفس بالوصية أن يتفرقوا خشية العين .

{ وإنه لذو علم لما علمناه } فيه ثلاثة أوجه .

أحدها : إنه لعامل بما علم ، قاله قتادة .

الثاني : لمتيقن بوعدنا ، وهو معنى قول الضحاك .

الثالث : إنه لحافظ لوصيتنا ، وهو معنى قول الكلبي .

(273/2)

وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آَوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (69)

قوله عز وجل : { ولما دخلوا على يوسف أوى إليه أخاه } قال قتادة : ضمّهُ إليه وأنزله معه .

{ قال إني أنا أخوك } فيه وجهان :

أحدهما : أنه أخبره أنه يوسف أخوه ، قاله ابن إسحاق .

الثاني : أنه قال له : أنا أخوك مكان أخيك الهالك ، قاله وهب .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
{ فلا تبتئس بما كانوا يعملون } فيه وجهان :
أحدهما : فلا تأسف ، قاله ابن بحر .
الثاني : فلا تحزن بما كانوا يعملون .
وفيه وجهان :
أحدهما : بما فعلوه في الماضي بك وبأخيك .
الثاني : باستبدادهم دونك بمال أبيك .

(274/2)

فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (70) قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ (71) قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (72)

قوله عز وجل : { فلما جهزهم بجهازهم } وهو كيل الطعام لهم بعد إكرامهم وإعطائه بعيراً لأخيهم مثل ما أعطاهم .
{ جعل السقاية في رحل أخيه } والسقاية والصواع واحد . قال ابن عباس . وكل شيء يشرب فيه فهو صواع ، قال الشاعر :
نشرب الخمر بالصواع جهاراً ... وترى المتك بيننا مستعارا
قال قتادة : وكان إناء المتك الذي يشرب فيه .
واختلف في جنسه ، فقال عكرمة كان من فضة ، وقال عبد الرحمن بن زيد : كان من ذهب ، وبه كال طعامهم مبالغة في إكرامهم .
وقال السدي : هو المكوك العادي الذي يلتقي طرفاه .
{ ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون } أي نادى مناد فسمى النداء أذاناً لأنه إعلام كالأذان .
وفي { العير } وجهان :
أحدهما : أنها الرفقة .
الثاني : أنها الإبل المرحولة المركوبة ، قاله أبو عبيدة .
فإن قيل : كيف استجاز يوسف أن يجعل السقاية في رحل أخيه لسرقهم وهم برآء ، وهذه معصية؟
قيل عن هذه أربعة أجوبة :
أحدها : أنها معصية فعلها الكيال ولم يأمر بها يوسف .
الثاني : أن المنادي الذي كال حين فقد السقاية ظن أنهم سرقوها ولم يعلم بما فعله يوسف ، فلم يكن عاصياً .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثالث : أن النداء كان بأمر يوسف ، وعنى بذلك سرقتهم ليوسف من أبيه ، وذلك صدق .

الرابع : أنها كانت خطيئة من قبل يوسف فعاقبه الله عليها بأن قال القوم { إن يسرق فقد سرق أخٌ له من قبل } يعنون يوسف . وذهب بعض من يقول بغوامض المعاني إلى أن معنى قوله { إنكم لسارقون } أي لعاقون لأبيكم في أمر أخيكم حيث أخذتموه منه وختنتموه فيه .

قوله عز وجل : { قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون } لأنهم استنكروا ما قذفوا به مع ثقتهم بأنفسهم فاستفهموا استفهام المبهوت .

{ قالوا نفقد صواع الملك } والصواع واحد وحكى غالب الليثي عن يحيى بن يعمر أنه كان يقرأ صوغ الملك بالغين معجمة ، مأخوذ من الصياغة لأنه مصوغ من فضة أو ذهب وقيل من نحاس .

{ ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم } وهذه جعالة بذلت للواجد .

وفي حمل البعير وجهان :

أحدهما : حمل جمل ، وهو قول الجمهور .

الثاني : حمل حمار ، وهو لغة ، قاله مجاهد .

واختلف في هذا البذل على قولين :

أحدهما : أن المنادي بذله عن نفسه لأنه قال { وأنا به زعيم } أي كفيل ضامن .

فإن قيل : فكيف ضمن حمل بعير وهو مجهول ، وضمان المجهول لا يصح؟ قيل عنه جوابان :

أحدهما : أن حمل البعير قد كان عندهم معلوماً كالسوق فصح ضمانه .

الثاني : أنها جعالة وقد أجاز بعض الفقهاء فيها في الجهالة ، ما لم يُجزْه في غيرها كما أجاز فيها ضمان ما لم يلزم ، وإن منع منه في غيرها .

(275/2)

قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ (73) قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ (74) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (75) فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (76)

قوله عز وجل : { قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض } أي لنسرق ، لأن السرقة من الفساد في الأرض . وإنما قالوا ذلك لهم لأنهم قد كانوا عرفوهم بالصلاح والعفاف . وقيل لأنهم ردّوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم ، ومن يؤد الأمانة في غائب لا يقدم على سرقة مال حاضر .

{ وما كنا سارقين } يحتمل وجهين :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
أحدهما : ما كنا سارقين من غيركم فنسرق منكم .

والثاني : ما كنا سارقين لأمانتكم فنسرق غير أمانتكم . وهذا أشبه لأنهم أضافوا بذلك إلى عملهم .

قوله عز وجل : { قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين } أي ما عقوبة من سرق منكم إن كنتم كاذبين في أنكم لم تسرقوا منا .

{ قالوا جزاؤه مَن وُجِدَ في رحلِه فهو جزاؤه } أي جزاء من سرق إن يُسْترق .

{ كذلك نِجزي الظالمين } أي كذلك نفعل بالظالمين إذا سرقوا وكان هذا من دين يعقوب .

{ فبدأ بأوعيتهم قبل وعاءِ أخيه } لتزول الريبة من قلوبهم لو بدىء بوعاء أخيه .

{ ثم استخرجها من وعاء أخيه } قيل عنى السقاية فلذلك أنّث ، وقيل عنى الصاع ، وهو يذكر ويؤنث في قول الزجاج . { كذلك كدنا ليوسُف } فيه وجهان :

أحدهما : صنعنا ليوسف قاله الضحاك .

والثاني : دبّرنا ليوسف ، قاله ابن عيسى .

{ ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : في سلطان الملك ، قاله ابن عباس .

والثاني : في قضاء الملك ، قاله قتادة .

والثالث : في عادة الملك ، قال ابن عيسى : ولم يكن في دين الملك استرقاق من سرق . قال الضحاك : وإنما كان يضاعف عليه الغرم .

{ إلا أن يشاء الله } فيه وجهان :

أحدهما : إلا أن يشاء الله أن يُسْتَرق من سرق .

والثاني : إلا أن يشاء الله أن يجعل ليوسف عذراً فيما فعل .

قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (77)

قوله عز وجل : { قالوا إن يسرق فقد سَرَق أخ له من قبلُ } يعنون يوسف . وفي هذا القول منهم وجهان :

أحدهما : أنه عقوبة ليوسف أجراها الله تعالى على ألسنتهم ، قاله عكرمة .

والثاني : ليتبرأوا بذلك من فعله لأنه ليس من أمهم وأنه إن سرق فقد جذبه عِرق أخيه السارق لأن في الاشتراك في الأنساب تشاكلاً في الأخلاق .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وفي السرقة التي نسبوا يوسف إليها خمسة أقاويل :

أحدها : أنه سرق صنماً كان لجده إلى أمه من فضة وذهب ، وكسره وألقاه في الطريق فعيّروه بذلك ، قاله سعيد بن جبير وقتادة .

الثاني : كان مع إخوته على طعام فنظر إلى عرق فخبأه ، فعيّروه بذلك ، قاله عطية العوفي .

الثالث : أنه كان يسرق من طعام المائدة للمساكين ، حكاه ابن عيسى .

الرابع : أن عمته وكانت أكبر ولد إسحاق وإليها صارت منطقة إسحاق لأنها كانت في الكبير من ولده ، وكانت تكفل يوسف ، فلما أراد يعقوب أخذه منها جعلت المنطقة ، واتهمته فأخذتها منه ، فصارت في حكمهم أحق به ، فكان ذلك منها لشدة ميلها وحبها له ، قاله مجاهد .

الخامس : أنهم كذبوا عليه فيما نسبوه إليه ، قاله الحسن .

{ فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم } فيه وجهان :

أحدهما : أنه أسر في نفسه قولهم { إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل } قاله ابن شجرة وعلي بن عيسى .

الثاني : أسر في نفسه { أنتُمْ شَرٌّ مكاناً . . . } الآية ، قاله ابن عباس وابن إسحاق . وفي قوله : { قال أنتم شر مكاناً } وجهان :

أحدهما : أنتم شر منزلة عند الله ممن نسبتموه إلى هذه السرقة .

الثاني : أنتم شر صنعاً لما أقدمتم عليه من ظلم أخيكم وعقوق أبيكم .

وفي قوله تعالى : { والله أعلم بما تصفون } تأويلان :

أحدهما : بما تقولون ، قاله مجاهد .

الثاني : بما تكذبون ، قاله قتادة .

وحكى بعض المفسرين أنهم لما دخلوا عليه دعا بالصواع فنقره ثم أدناه من أذنه ثم قال : إن صواعي هذا ليخبرني أنكم كنتم اثني عشر رجلاً وأنكم انطلقتم بأخٍ لكم فبِعْتموه ، فلما سمعها بنيامين قام وسجد ليوسف وقال أيها الملك سلْ صواعك هذا عن أخي أحيّ هو أم هالك؟ فنقره ، ثم قال : هو حي وسوف تراه . قال : فاصنع بي ما شئت ، فإنه إن علم بي سينقذني . قال : فدخل يوسف فبكى ثم توضأ وخرج ، فقال بنيامين : افقر صواعك ليخبرك بالذي سرقه فجعله في رحلي ، فنقره ، فقال : صواعي هذا غضبان وهو يقول : كيف تسألني عن صاحبي وقد رأيت مع من كنت .

(277/2)

قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (78) قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ (79)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله عز وجل : { . . . يا أيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً } لكن قالوا ذلك ترقيقاً واستعطافاً وفي قولهم { كبيراً } وجهان :

أحدهما : كبير السن .

الثاني : كبير القدر لأن كبر السن معروف من حال الشيخ .

{ فخذ أحدنا مكانه } أي عبْداً بدله .

{ إنا نراك من المحسنين } فيه وجهان :

أحدهما : نراك من المحسنين في هذا إن فعلت ، قاله ابن إسحاق .

الثاني : نراك من المحسنين فيما كنت تفعله بنا من إكرامنا وتوفية كيلنا وبضاعتنا .

ويحتمل ثالثاً : إنا نراك من العادلين ، لأن العادل محسن .

فأجابهم يوسف عن هذا { قال معاذَ الله أن نأخذ إلا من وجَدْنا متاعنا عنده إنَّا إذًا لظالمون } إن أخذنا بريئاً بسقيم ، وفيه وجه ثان : إنا إذاً لظالمون عندكم إذا حكمنا عليكم بغير حكم أبيكم أن من سرق استُرِقّ .

(278/2)

فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (80) ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (81) وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (82)

قوله عز وجل : { فلما استيأسوا منه } أي يئسوا من رد أخيهم عليهم .

الثاني : استيقنوا أنه لا يرد عليهم ، قاله أبو عبيدة وأنشد قول الشاعر :

أقول لها بالشعب إذ يأسرونني ... ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم

{ خلصوا نجيّاً } أي خلا بعضهم ببعض يتناجون ويتشاورون لا يختلط بهم غيرهم .

{ قال كبيرهم } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه عنى كبيرهم في العقل والعلم وهو شمعون الذي كان قد ارتهن يوسف عنده حين رجع إخوته إلى أبيهم ، قاله مجاهد .

الثاني : أنه عنى كبيرهم في السن وهو روبيل ابن خالة يوسف ، قاله قتادة .

الثالث : أنه عنى كبيرهم في الرأي والتمييز وهو يهوذا ، قاله مجاهد .

{ ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله } يعني عند إيفاد ابنه هذا معكم .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

{ ومن قبل ما فرَّطتم في يوسف } أي ضيعتموه .

{ فلن أبرح الأرض } يعني أرض مصر .

{ حتى يأذن لي أبي } يعني بالرجوع . { أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين } فيه قولان :

أحدهما : يعني أو يقضي الله لي بالخروج منها ، وهو قول الجمهور .

الثاني : أو يحكم الله لي بالسيف والمحاربة لأنهم هموا بذلك ، قاله أبو صالح .

قوله عز وجل : { ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق } وقرأ ابن عباس { سُرِق } بضم السين وكسر الراء وتشديدها .

{ وما شهدنا إلا بما علمنا } فيها وجهان :

أحدهما : وما شهدنا عندك بأن ابنك سرق إلا بما علمنا من وجود السرقة في رحله ، قاله ابن إسحاق .

الثاني : وما شهدنا عند يوسف بأن السارق يُسترقّ إلا بما علمنا من دينك ، قاله ابن زيد .

{ وما كنا للغيب حافظين } فيه وجهان :

أحدهما : ما كنا نعلم أن ابنك يسرق ، قاله قتادة .

الثاني : ما كنا نعلم أن ابنك يسترقّ ، وهو قول مجاهد .

قوله عز وجل : { واسأل القرية التي كنا فيها } وهي مصر ، والمعنى واسأل أهل القرية فحذف ذكر الأهل إيجازاً ، لأن الحال تشهد به .

{ والعير التي أقبلنا فيها } وفي { العير } وجهان :

أحدهما : أنها القافلة ، وقافلة الإبل تسمى عيراً على التشبيه .

الثاني : الحمير ، قاله مجاهد ، والمعنى أهل العير .

وقيل فيه وجه ثالث : أنهم أرادوا من أبيهم يعقوب أن يسأل القرية وإن كانت جماداً ، أو نفس العير وإن كانت حيواناً بهيماً لأنه نبي ، والأنبياء قد سخر لهم الجماد والحيوان بما يحدث فيهم من المعرفة إعجازاً لأنبيائه ، فأحاله على سؤال القرية والعير ليكون أوضح برهاناً .

{ وإنا لصادقون } أي يستشهدون بصدْقنا أن ابنك سرق .

(279/2)

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (83) وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (84) قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (85) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (86)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قوله عز وجل : { قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً } فيه وجهان :

أحدهما : بل سهلت .

الثاني : بل زينت لكم أنفسكم أمراً في قولكم إن ابني سرق وهو لا يسرق ، وإنما ذاك لأمر يريده الله تعالى .

{ فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً } يعني يوسف وأخيه المأخوذ في السرقة وأخيه المتخلف معه فهم ثلاثة .

{ إنه هو العليم الحكيم } يعني العليم بأمركم ، الحكيم في قضائه بما ذكرتم .

قوله عز وجل : { وتولَّى عنهم وقال يا أسفَى على يوسف } فيه وجهان :

أحدهما : معناه واجزعاه قاله مجاهد ، ومنه قول كثير :

فيا أسفا للقلب كيف انصرافُه ... وللنفس لما سليت فتسلّتِ

الثاني : معناه يا جزعاه ، قاله ابن عباس . قال حسان بن ثابت يرثي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فيا أسفا ما وارت الأرض واستوت ... عليه وما تحت السلام المنضد

وفي هذا القول وجهان :

أحدهما : أنه أراد به الشكوى إلى الله تعالى ولم يرد به الشكوى منه رغباً إلى الله تعالى في كشف بلائه .

الثاني : أنه أراد به الدعاء ، وفيه قولان :

أحدهما : مضمر وتقديره يا رب ارحم أسفي على يوسف .

{ وابيضت عَيْنَاه من الحزن } فيه قولان :

أحدهما : أنه ضعف بصره لبياض حصل فيه من كثرة بكائه .

الثاني : أنه ذهب بصره ، قاله مجاهد .

{ فهو كظيم } فيه أربعة أوجه :

أحدها : أنه الكمد ، قاله الضحاك .

الثاني : أنه الذي لا يتكلم ، قاله ابن زيد .

الثالث : أنه المقهور ، قاله ابن عباس ، قال الشاعر :

فإن أك كاظماً لمصاب شاسٍ ... فإني اليوم منطلق لساني

والرابع : أنه المخفي لحزنه ، قاله مجاهد وقتادة ، مأخوذ من كظم الغيظ وهو إخفاؤه ، قال الشاعر :

فحضضت قومي واحتسبت قتالهم ... والقوم من خوفِ المنايا كظم

قوله عز وجل : { قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف } قال ابن عباس والحسن وقتادة معناه لا تزال تذكر يوسف ، قال أوس بن حجر :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فما فتئت خيل تثوبُ وتدّعي ... ويلحق منها لاحق وتقطّعُ

أي فما زالت . وقال مجاهد : تفتأ بمعنى تفتر .

{ حتى تكون حرضاً } فيه ثلاثة تأويلات .

أحدها : يعني هرماً ، قاله الحسن .

والثاني : دنفاً من المرض ، وهو ما دون الموت ، قاله ابن عباس ومجاهد .

والثالث : أنه الفاسد العقل ، قاله محمد بن إسحاق . وأصل الحرض فساد الجسم والعقل من مرض أو عشق ، قال العرجي .

إني امرؤلجّ بي حُبٌّ فأحرضني ... حتى بَليتُ وحتى شفّني السقم

{ أو تكون من الهالكين } يعني ميتاً من الميتين ، قاله الجميع .

فإن قيل : فكيف صبر يوسف عن أبيه بعد أن صار ملكاً متمكناً بمصر ، وأبوه بحرّان من أرض الجزيرة؟ وهلاّ عجّل استدعاءه ولم يتعلل بشيء بعد شيء؟

قيل يحتمل أربعة أوجه :

(280/2)

أحدها : أن يكون فعل ذلك عن أمر الله تعالى ، ابتلاء له لمصلحة علمها فيه لأنه نبيّ مأمور .

الثاني : أنه بلي بالسجن ، فأحب بعد فراقه أن يبلو نفسه بالصبر .

الثالث : أن في مفاجأة السرور خطراً وأحب أن يروض نفسه بالتدريج .

الرابع : لئلا يتصور الملك الأكبر فاقة أهله بتعجيل استدعائهم حين ملك .

قوله عز وجل : { قال إنما أشكو بَثِّي وحزني إلى الله } في بثي وجهان :

أحدهما : همّي ، قاله ابن عباس .

الثاني : حاجتي ، حكاه ابن جرير . والبث تفريق الهم بإظهار ما في النفس . وإنما شكا ما في نفسه فجعله بثاً وهو مبثوث .

{ وأعلم من الله ما لا تعلمون } فيه تأويلان :

أحدهما : أعلم أن رؤيا يوسف صادقة ، وأني ساجد له ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنه أحست نفسه حين أخبروه فدعا الملك وقال : لعله يوسف ، وقال لا يكون في الأرض صدّيق إلا نبي ، قاله السدّي .

وسبب قول يعقوب { إنما أشكو بثي وحزني إلى الله } ما حكي أن رجلاً دخل عليه فقال : ما بلغ بك ما أرى؟ قال : طول الزمان وكثرة الأحزان . فأوحى الله إليه : يا يعقوب تشكوني؟ فقال : خطيئة أخطأتها فاغفرها لي . وكان بعد ذلك يقول { إنما أشكو بثي وحزني إلى الله } .

This file was downloaded from QuranicThought.com

يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (87) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (88)

قوله عز وجل : { . . . اذهبوا فتحسَّسُوا مِن يوسُفَ وأخيه } أي استعملوا وتعرّفوا ، ومنه قول عديّ بن زيد :

فإنْ حَيِيتَ فلا أحسسك في بلدي ... وإن مرضت فلا تحسِسْك عُوّادِي

وأصله طلب الشيء بالحس .

{ ولا تيأسوا من روح الله } فيه تأويلان :

أحدهما : من فرج الله ، قاله محمد بن إسحاق .

والثاني : من رحمة الله ، قاله قتادة . وهو مأخوذ من الريح التي بالنفع . وإنما قال يعقوب ذلك لأنه تنبه على يوسف برد البضاعة واحتباس أخيه وإظهار الكرامة ولما حكي أن يعقوب سأل ملك الموت هل قبضت روح يوسف؟ فقال : لا .

قوله عز وجل : { فلمّا دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مَسّنا وأهلنا الضر } وهذا مِن ألطف ترفيق وأبلغ استعطاف . وفي قصدهم بذلك قولان :

أحدهما : بأن يرد أخاهم عليهم ، قاله ابن جرير .

والثاني : توفية كيلهم والمحاباة لهم ، قاله علي بن عيسى .

{ وجئنا ببضاعةٍ مزجاةٍ } وأصل الإزجاء السَوْق بالدفع ، وفيه قول الشاعر عدي بن الرقاع .

تزجي أغَنّ كأن إبرَةَ روقِهِ ... قلمٌ أصاب من الدواة مدادها

وفي بضاعتهم هذه خمسة أقاويل :

أحدها : أنها كانت دراهم ، قاله ابن عباس .

الثاني : متاع الأعراب ، صوف وسمن ، قاله عبدالله بن الحارث .

الثالث : الحبة الخضراء وصنوبر ، قاله أبو صالح .

الرابع : سويق المقل . قاله الضحاك .

الخامس : خلق الحبْل والغرارة ، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً .

وفي المزجاة ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنها الرديئة ، قاله ابن عباس .

والثاني : الكاسدة ، قاله الضحاك .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثالث : القليلة ، قاله مجاهد . قال ابن إسحاق : وهي التي لا تبلغ قدر الحاجة ومنه قول الراعي :

ومرسل برسول غير متّهم ... وحاجة غير مزجاة من الحاج

وقال الكلبي : هي كلمة من لغة العجم ، وقال الهيثمي : من لغة القبط .

{ فأوف لنا الكيل } فيه قولان :

أحدهما : الكيل الذي كان قد كاله لأخيهم ، وهو قول ابن جريج .

الثاني : مثل كيلهم الأول لأن بضاعتهم الثانية أقل ، قاله السدي .

{ وتصدق علينا } فيه أربعة أقاويل :

أحدهما : معناه تفضل علينا بما بين الجياد والرديئة ، قاله سعيد بن جبير والسدي والحسن ، وذلك لأن الصدقة تحرم على جميع الأنبياء .

الثاني : تصدق علينا بالزيادة على حقنا ، قاله سفيان بن عيينة . قال مجاهد : ولم تحرم الصدقة إلا على محمد صلى الله عليه وسلم وحده .

الثالث : تصدق علينا برد أخينا إلينا ، قاله ابن جريج ، وكره للرجل أن يقول في دعائه : اللهم تصدّق عَليّ ، لأن الصدقة لمن يبتغي الثواب .

الرابع : معناه تجوّز عنا ، قاله ابن شجرة وابن زيد واستشهد بقول الشاعر :

تصدّق علينا يا ابن عفان واحتسب ... وأمر علينا الأشعري لياليا

(282/2)

قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (89) قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (90) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (91) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (92)

قوله عز وجل : { قال هَلْ علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه } معنى قوله { هل علمتم ما فعلتم } أي قد علمتم ، كقوله تعالى { هل أتى على الإنسان حين من الدهر } أي قد أتى .

قال ابن إسحاق : ذكر لنا أنهم لما قالوا { مسّنا وأهلنا الضر } رحمهم ورقَّ لهم ، فقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه؟ وعَدَّد عليهم ما صنعوا بهما .

{ إذ أنتم جاهلون } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : يعني جهل الصغر .

الثاني : جهل المعاصي .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الثالث : الجهل بعواقب أفعالهم . فحينئذ عرفوه .

{ قالوا أئنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي } وحكى الضحاك في قراءة عبدالله : وهذا أخي وبيني وبينه قربى

{ قد مَنّ الله علينا } يعني بالسلامة ثم بالكرامة ، ويحتمل بالإجتماع بعد طول الفرقة .

{ إنه مَنْ يتّق ويصبرْ } فيه قولان :

أحدهما : يتقي الزنى ويصبر على العزوبة ، قاله إبراهيم .

الثاني : يتقي الله تعالى ويصبر على بلواه . وهو محتمل .

{ فإن الله لا يضيع أجر المحسنين } فيه قولان :

أحدهما : في الدنيا .

الثاني : في الآخرة .

قوله عز وجل : { قالوا تالله آثرك اللهُ علينا } مأخوذ من الإيثار ، وهو إرادة تفضيل أحد النفسين على الآخر ، قال الشاعر :

والله أسماك سُمًّا مباركاً ... آثرك الله به إيثارَكاً

{ وإن كنا لخاطئين } أي فيما صنعوا بيوسف ، وفيه قولان :

أحدهما : آثمين .

الثاني : مخطئين . والفرق بين الخاطئ والمخطئ أن الخاطئ آثم .

فإن قيل : فقد كانوا عند فعلهم ذلك به صغاراً ترفع عنهم الخطايا .

قيل لما كبروا واستداموا إخفاء ما صنعوا صاروا حينئذ خاطئين .

قوله عز وجل : { قال لا تثريب عليكم } فيه قولان أربعة تأويلات :

أحدها : لا تغيير عليكم ، وهو قول سفيان ابن عيينة .

الثاني : لا تأنيب فيما صنعتم ، قاله ابن إسحاق .

الثالث : لا إباء عليكم في قولكم ، قاله مجاهد .

الرابع : لا عقاب عليكم وقال الشاعر :

فعفوت عنهم عفو غير مثربٍ ... وتركتهم لعقاب يومٍ سرمد

{ اليوم يغفر الله لكم } يحتمل وجهين :

أحدهما : لتوبتهم بالاعتراف والندم .

الثاني : لإحلاله لهم بالعفو عنهم .

{ وهو أرحم الراحمين } يحتمل وجهين : أحدهما : في صنعه بي حين جعلني ملكاً .

الثاني : في عفوه عنكم عما تقدم من ذنبكم .

This file was downloaded from QuranicThought.com

اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (93) وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ
قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ (94) قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (95)

قوله عز وجل : { اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً } وفيه وجهان :

أحدهما : مستبصراً بأمري لأنه إذا شم ريح القميص عرفني .

الثاني : بصيراً من العمى فذاك من أحد الآيات الثلاث في قميص يوسف بعد الدم الكذب وقدّه من دُبُره . وفيه وجه آخر لأنه قميص إبراهيم أنزل عليه من الجنة لما أُلقي في النار ، فصار لإسحاق ثم ليعقوب ، ثم ليوسف فخلص به من الجب وحازه حتى ألقاه أخوه على وجه أبيه فارتد بصيراً ، ولم يعلم بما سبق من سلامة إبراهيم من النار ويوسف من الجب أن يعقوب يرجع به بصيراً .

قال الحسن : لولا أن الله تعالى أعلم يوسف بذلك لم يعلم أنه يرجع إليه بصره . . . وكان الذي حمل قميصه يهوذا بن يعقوب ، قال ليوسف : أنا الذي حملت إليه قميصك بدم كذب فأحزنته فأنا الآن أحمل قميصك لأسرّه وليعود إليه بصره فحمله ، حكاه السدي .

{ وأتوني بأهلكم أجمعين } لتتخذوا مِصرَ داراً . قال مسروق فكانوا ثلاثة وتسعين بين رجل وامرأة .

قوله عز وجل : { ولمّا فصلت العير } أي خرجت من مصر منطلقة إلى الشام .

{ قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف } فيها قولان :

أحدهما : أنها أمارات شاهدة وعلامات قوي ظنه بها ، فكانت هي الريح التي وجدها ليوسف ، مأخوذ من قولهم تنسمت رائحة كذا وكذا إذا قرب منك ما ظننت أنه سيكون .

والقول الثاني : وهو قول الجمهور أنه شم ريح يوسف التي عرفها .

قال جعفر بن محمد رضي الله عنه : وهي ريح الصبا . ثم اعتذر فقال :

{ لولا أن تفندّون } فيه أربعة أقاويل :

أحدها : لولا أن تسفهون ، قاله ابن عباس ومجاهد ، ومنه قول النابغة الذبياني :

إلا سليمان إذ قال المليكُ له ... قم في البرية فا جددها عن الفنَدِ

أي عن السفة .

الثاني : معناه لولا أن تكذبون ، قاله سعيد بن جبير والضحاك ، ومنه قول الشاعر :

هل في افتخار الكريم من أود ... أم هل لقول الصديق من فند

أي من كذب .

الثالث : لولا أن تضعّفون ، قاله ابن إسحاق . والتفنيد : تضعيف الرأي ، ومنه قول الشاعر :

يا صاحبي دعا لومي وتفنيدي ... فليس ما فات من أمري بمردود

وكان قول هذا لأولاد بنيه ، لغيبة بنيه عنه ، فدل هذا على أن الجدَّ أبٌ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الرابع : لولا أن تلوموني ، قاله ابن بحر .

ومنه قول جرير :

يا عاذليَّ دعا الملامة واقصِرا ... طال الهوى وأطلْتُما التفنيدا

واختلفوا في المسافة التي وجد ريح قميصه منها على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه وجدها من مسافة عشرة أيام . قاله أبو الهذيل .

الثاني : من مسيرة ثمانية أيام ، قاله ابن عباس .

الثالث : من مسيرة ستة أيام ، قاله مجاهد . وكان يعقوب بأرض كنعان ويوسف بمصر وبينهما ثمانون فرسخاً ، قاله قتادة .

قوله عز وجل : { قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أي في خطئك القديم ، قاله ابن عباس وابن زيد .

الثاني : في جنونك القديم ، قاله سعيد بن جبير . قال الحسن : وهذا عقوق .

الثالث : في محبتك القديمة ، قاله قتادة وسفيان .

الرابع : في شقائك القديم ، قاله مقاتل ، ومنه قول لبيد :

تمنى أن تلاقي آل سلمى ... بحطمة والمنى طرف الضّلال

وفي قائل ذلك قولان :

أحدهما : بنوه ، ولم يقصدوا بذلك ذماً فيأثموا .

والثاني : بنو نبيه وكانوا صغاراً .

(284/2)

فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (96) قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (97) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (98)

قوله عز وجل : { فلما أن جاء البشير } وفي قولان :

أحدهما : شمعون ، قاله الضحاك .

الثاني : يهوذا . سمي بذلك لأنه أتاه ببشارة .

{ ألقاه على وجهه } يعني ألقى قميص يوسف على وجه يعقوب .

{ فارتدَّ بصيراً } أي رجع بصيراً ، وفيه وجهان :

أحدهما : بصيراً بخبر يوسف .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثاني : بصيراً من العمى .

{ قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : إني أعلم من صحة رؤيا يوسف ما لا تعلمون .

الثاني : إني أعلم من قول ملك الموت أنه لم يقبض روح يوسف ما لا تعلمون .

الثالث : إني أعلم من بلوى الأنبياء بالمحن ونزول العراج ونيل الثواب ما لا تعلمون .

قوله عز وجل : { قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا } وإنما سألوه ذلك لأمرين :

أحدهما : أنهم أدخلوا عليه من آلام الحزن ما لا يسقط المأثم عنه إلا بإحلاله .

الثاني : أنه نبيٌّ تجاب دعوته ويعطى مسألته ، فروى ابن وهب عن الليث بن سعد أن يعقوب وإخوة يوسف قاموا عشرين سنة يطلبون التوبة فيما فعل إخوة يوسف بيوسف لا يقبل ذلك منهم حتى لقي جبريل يعقوب فعلمه هذا الدعاء : يا رجاء المؤمنين لا تخيب رجائي ، ويا غوث المؤمنين أغثني ، ويا عَوْن المؤمنين أعني ، ويا مجيب التّوابين تُبْ عليَّ فاستجيب لهم .

فإن قيل قد تقدمت المغفرة لهم بقول يوسف من قبل { لا تثريب عليكم } الآية ، فلمَ سألوا أباهم أن يستغفر لهم؟

فعن ذلك ثلاثة أجوبة :

أحدها : لأن لفظ يوسف عن مستقبل صار وعداً ، ولم يكن عن ماض فيكون خبراً .

الثاني : أن ما تقدم من يوسف كان مغفرة في حقه ، ثم سألوا أباهم أن يستغفر لهم في حق نفسه .

الثالث : أنهم علموا نبوة أبيهم فوثقوا بإجابته ، ولم يعلموا نبوة أخيهم فلم يثقوا بإجابته .

قوله عز وجل : { قال سوف أستغفر لكم ربي } وفي تأخيره الاستغفار لهم وجهان :

أحدهما : أنه أخره دفعاً عن العجيل ووعداً من بعد ، فلذلك قال عطاء : طلب الحوائج إلى الشباب أسهل منها عند الشيوخ ، ألا ترى إلى قول يوسف : { لا تثريب عليكم اليوم } وإلى قول يعقوب : { سوف أستغفر لكم ربي } .

الثاني : أنه أخّره انتظاراً لوقت الإجابة وتوقعاً لزمان الطلب .

وفيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : عند صلاة الليل ، قاله عمرو بن قيس .

الثاني : إلى السحَر ، قاله ابن مسعود وابن عمر . روى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أخرهم إلى السحر لأن دعاء السحر مستجار

» . الثالث : إلى ليلة الجمعة قاله ابن عباس ورواه عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعاً .

وإنما سألوه عن الاستغفار لهم وإن كان المستحق في ذنوبهم التوبة منها دون الاستغفار لهم ثلاثة أمور :

أحدها : للتبرك بدعائه واستغفاره . الثاني : طلباً لاستعطافه ورضاه . الثالث : لحذرهم من البلوى والامتحان في الدنيا

This file was downloaded from QuranicThought.com

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (99) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (100)

قوله عز وجل : { فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه } اختلف في إجتماع يوسف مع أبويه وأهله ، فحكى الكلبي والسدي أن يوسف خرج عن مصر وركب معه أهلها ، وقيل خرج الملك الأكبر معه واستقبل يعقوب ، قال الكلبي على يوم من مصر ، وكان القصر على ضحوة من مصر ، فلما دنا يعقوب متوكئاً على ابنه يهوذا يمشي ، فلما نظر إلى الخيل والناس قال : يا يهوذا أهذا فرعون؟ قال : لا ، هذا ابنك يوسف ، فقال يعقوب : السلام عليك يا مذهب الأحزان عني ، فأجابه يوسف :

{ وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين } فيه وجهان : أحدهما : آمنين من فرعون ، قاله أبو العالية .

الثاني : آمنين من القحط والجدب ، قاله السدي .

وقال ابن جريج : كان اجتماعهم بمصر بعد دخولهم عليه فيها على ظاهر اللفظ ، فعلى هذا يكون معنى قوله { ادخلوا مصر } استوطنوا مصر .

وفي قوله : { إن شاء الله } وجهان :

أحدهما : أن يعود إلى استيطان مصر ، وتقديره استوطنوا مصر إن شاء الله .

الثاني : أنه راجع إلى قول يعقوب : سوف أستغفر لكم ربي إن شاء الله آمنين إنه هو الغفور الرحيم ، ويكون اللفظ مؤخراً ، وهو قول ابن جريج .

فحكى ابن مسعود أنهم دخلوا مصر وهم ثلاثة وتسعون إنساناً من رجل وامرأة ، وخرجوا مع موسى وهم ستمائة ألف وسبعون ألفاً .

قوله عز وجل : { ورفع أبويه على العرش } قال مجاهد وقتادة :

وفي أبويه قولان :

أحدهما : أنهما أبوه وخالته راحيل ، وكان أبوه قد تزوجها بعد أمه فسميت أُماً ، وكانت أمه قد ماتت في نفاس أخيه بنيامين ، قاله وهب والسدي .

الثاني : أنهما أبوه وأمه وكانت باقيه إلى دخول مصر ، قاله الحسن وابن إسحاق .

{ وخرّوا له سجداً } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم سجدوا ليوسف تعظيماً له ، قال قتادة : وكان السجود تحية من قبلكم وأعطى الله

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

تعالى هذه الأمة السلام تحية أهل الجنة .

وقال الحسن : بل أمرهم الله تعالى بالسجود له لتأويل الرؤيا .

وقال محمد بن إسحاق : سجد له أبواه وإخوته الأحد عشر .

والقول الثاني : أنهم سجدوا لله عز وجل ، قاله ابن عباس ، وكان يوسف في جهة القبلة فاستقبلوه بسجود ، وكان سجودهم شكراً ، ويكون معنى قوله { وخروا } أي سقطوا ، كما قال تعالى { فخرّ عليهم السقف مِنْ فوقهم } أي سقط .

والقول الثالث : أن السجود ها هنا الخضوع والتذلل ، ويكون معنى قوله تعالى { خروا } أي بدروا .

{ وقال يا أبَتِ هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً } واختلف العلماء فيما بين رؤياه وتأويلها على خمسة أقاويل :

أحدها : أنه كان بيهما ثمانون سنة ، قاله الحسن وقتادة .

الثاني : كان بينهما أربعون سنة ، قاله سليمان .

الثالث : ست وثلاثون سنة ، قاله سعيد بن جبير .

(286/2)

الرابع : اثنتان وعشرون سنة .

والخامس : أنه كان بينهما ثماني عشرة سنة ، قاله ابن إسحاق .

فإن قيل : فإن رؤيا الأنبياء لا تكون إلا صادقة فهلاّ وثق بها يعقوب وتسلى؟ ولم { قال يا بُني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً } وما يضر الكيد مع سابق القضاء؟

قيل عن هذا جوابان :

أحدهما : أنه رآها وهو صبي فجاز أن تخالف رؤيا الأنبياء المرسلين . الثاني : أنه حزن لطول المدة في معاناة البلوى وخاف كيد الإخوة في تعجيل الأذى .

{ وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو } فإن قيل فلم اقتصر من ذكر ما بُلي به على شكر إخراجه من السجن دون الجب وكانت حاله في الجب أخطر؟

قيل عنه ثلاثة أجوبة :

أحدها : أنه كان في السجن مع الخوف من المعرة ما لم يكن في الجب فكان ما في نفسه من بلواه أعظم فلذلك خصه بالذكر والشكر .

الثاني : أنه قال ذلك شكراً لله عز وجل على نقله من البلوى إلى النعماء ، وهو إنما انتقل إلى الملك من السجن لا من الجب ، فصار أخص بالذكر والشكر إذ صار بخروجه من السجن ملكاً ، وبخروجه من الجب عبداً .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثالث : أنه لما عفا عن إخوته بقوله { لا تثريب عليكم اليوم } أعرض عن ذكر الجب لما فيه من التعريض بالتوبيخ

وتأول بعض أصحاب الخواطر قوله : { وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن } أي من سجن السخط إلى فضاء الرضا .

وفي قوله : { وجاء بكم من البدو } ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم كانوا في بادية بأرض كنعان أهل مواشٍ وخيام ، وهذا قول قتادة .

الثاني : أنه كان قد نزل « بدا » وبنى تحت جبلها مسجداً ومنها قصد ، حكاه الضحاك عن ابن عباس . قال جميل :

وأنتِ التي حَبَبْتِ شغباً إلى بَدَا ... إليّ وأوطاني بلادٌ سِواهما

يقال بدا يبدو إذا نزل « بدا » فلذلك قال : وجاء بكم من البدو وإن كانوا سكان المدن .

الثالث : لأنهم جاءُوا في البادية وكانوا سكان مدن ، ويكون بمعنى في .

واختلف من قال بهذا في البلد الذي كانوا يسكنونه على ثلاثة أقاويل .

أحدها : أنهم كانوا من أهل فلسطين ، قاله علي بن أبي طلحة .

الثاني : من ناحية حران من أرض الجزيرة ، ولعله قول الحسن .

الثالث : من الأولاج من ناحية الشعب ، حكاه ابن إسحاق .

{ من بَعْدِ أن نَزَغَ الشيطانُ بيني وبين إخوتي } وفي نزغه وجهان :

أحدهما : أنه إيقاع الحسد ، قاله ابن عباس .

الثاني : معناه حرّش وأفسد ، قاله ابن قتيبة .

{ إن ربي لطيف لما يشاء } قال قتادة : لطيف بيوسف بإخراجه من السجن ، وجاء بأهله من البدو ، ونزع عن يوسف نزغ الشيطان .

(287/2)

رَبِّ قَدْ آَتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (101)

قوله عز وجل : { رب قد آتيتني من الملك } فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أن الملك هو احتياج حساده إليه ، قاله ابن عطاء .

الثاني : أراد تصديق الرؤيا التي رآها .

الثالث : أنه الرضا بالقضاء والقناعة بالعطاء .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الرابع : أنه أراد مُلْك الأرض وهو الأشهر . وإنما قال من الملك لأنه كان على مصر من قبل فرعون .

{ وعلمتني من تأويل الأحاديث } فيه وجهان :

أحدهما : عبارة الرؤيا . قاله مجاهد .

الثاني : الإخبار عن حوادث الزمان ، حكاه ابن عيسى .

{ فاطر السموات والأرض } أي خالقهما .

{ أنت وليّي في الدنيا والآخرة } يحتمل وجهين :

أحدهما : مولاي .

الثاني : ناصري . { توفني مسلماً } فيه وجهان :

أحدهما : يعني مخلصاً للطاعة ، قاله الضحاك .

الثاني : على ملة الإسلام . حكى الحسن أن البشير لما أتى يعقوب قال له يعقوب عليه السلام : على أي دين خلفت يوسف؟ قال : على دين الإسلام . قال : الآن تمت النعمة .

{ وألحقني بالصالحين } فيه قولان :

أحدهما : بأهل الجنة ، قاله عكرمة .

الثاني : بآبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، قاله الضحاك .

قال قتادة والسدي : فكان يوسف أول نبي تمنى الموت .

وقال محمد بن إسحاق : مكث يعقوب بأرض مصر سبع عشرة سنة . وقال ابن عباس مات يعقوب بأرض مصر وحمل إلى أرض كنعان فدفن هناك . ودفن يوسف بأرض مصر ولم يزل بها حتى استخرج موسى عظامه وحملها فدفنها إلى جنب يعقوب عليهم السلام .

(288/2)

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (102) وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (103) وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (104)

{ ذلك من أنباء الغيب } يعني هذا الذي قصصناه عليك يا محمد من أمر يوسف من أخبار الغيب .

{ نوحيه إليك } أي نعلمك بوحي منا إليك .

{ وما كنت لديهم } أي إخوة يوسف .

{ إذ أجمعوا أمرهم } في إلقاء يوسف في الجب .

{ وهم يمكرون } يحتمل وجهين :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدهما : بيوسف في إلقائه في غيابة الجب .

الثاني : يعقوب حين جاؤوا على قميصه بدم كذب .

(289/2)

وَكَأَيِّنْ مِنْ آَيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (105) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (106) أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (107)

قوله عز وجل : { وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون } فيه خمسة أوجه :

أحدها : أنه قول المشركين الله ربنا وآلهتنا ترزقنا ، قاله مجاهد .

الثاني : أنه في المنافقين يؤمنون في الظاهر رياء وهم في الباطن كافرون بالله تعالى ، قاله الحسن .

الثالث : هو أن يشبه الله تعالى بخلقه ، قاله السدي .

الرابع : أنه يشرك في طاعته كقول الرجل لولا الله وفلان لهلك فلان ، وهذا قول أبي جعفر .

الخامس : أنهم كانوا يؤمنون بالله تعالى ويكفرون بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فلا يصح إيمانهم حكاه ابن الأنباري .

(290/2)

قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (108)

قوله عز وجل : { قل هذه سبيلي } فيها تأويلان :

أحدهما : هذه دعوتي ، قاله ابن عباس .

الثاني : هذه سنتي ، قاله عبد الرحمن بن زيد . والمراد بها تأويلان :

أحدهما : الإخلاص لله تعالى بالتوحيد .

الثاني : التسليم لأمره فيما قضاه .

{ أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبّعني } فيه تأويلان : أحدهما : على هدى ، قاله قتادة .

الثاني : على حق ، وهو قول عبد الرحمن بن زيد . وذكر بعض أصحاب الخواطر تأويلاً (ثالثاً) أي أبلغ الرسالة ولا أملك الهداية .

This file was downloaded from QuranicThought.com

(291/2)

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ (109)

قوله عز وجل : { وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى } قال قتادة : من أهل الأمصار دون البوادي لأنهم أعلم وأحلم . وقال الحسن : لم يبعث الله تعالى نبياً من أهل البادية قط ، ولا من النساء ، ولا من الجن .

{ ولدار الآخرة خير } يعني بالدار الجنة ، وبالآخرة القيامة ، فسمى الجنة داراً وإن كانت النار داراً لأن الجنة وطن اختيار ، والنار مسكن اضطرار .

(292/2)

حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (110)

قوله عز وجل : { حتى إذا استيأس الرسل } فيه وجهان :

أحدهما : من قولهم أن يصدقوهم ، قاله ابن عباس .

الثاني : أن يعذب قومهم ، قاله مجاهد .

ويحتمل ثالثاً : استيأسوا من النصر .

{ وظنوا أنهم قد كذبوا } في { كذبوا } قراءتان :

أحدهما : بضم الكاف وكسر الذال وتشديدها ، قرأ بها الحرميّان وأبو عمرو وابن عامر ، وفي تأويلها وجهان :

أحدهما : يعني أن قومهم ظنوا أن الرسل قد كذّبوهم ، حكاه ابن عيسى .

والقراءة الثانية { كُذِبوا } بضم الكاف وتخفيف الذال ، قرأ بها الكوفيون ، وفي تأويلها وجهان :

أحدهما : فظن اتباع الرسل أنهم قد كذبوا فيما ذكروه لهم .

الثاني : فظن الرسل أن ابتاعهم قد كذبوا فيما أظهروه من الإيمان بهم .

{ جاءهم نصرنا } فيه وجهان :

أحدهما : جاء الرسل نصر الله تعالى ، قاله مجاهد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثاني : جاء قومهم عذاب الله تعالى ، وهو قول ابن عباس .

{ فنجي من نشاءُ } قيل الأنبياء ومَن آمن معهم .

{ ولا يُرَدُّ بأسُنا عن القومِ المجرمين } يعني عذابنا إذا نزل بهم .

(293/2)

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (111)

قوله عز وجل : { لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب } يعني في قصص يوسف وإخوته اعتبار لذوي العقول بأن من نقل يوسف من الجب والسجن وعن الذل والرق إلى أن جعله مَلِكاً مطاعاً ونبياً مبعوثاً ، فهو على نصر رسوله وإعزاز دينه وإهلاك أعدائه قادر ، وإنما الإمهال إنذار وإعذار .

{ ما كان حديثاً يفترى } أن يختلف ويتخرّص ، وفيه وجهان :

أحدهما : يعني القرآن ، قاله قتادة .

الثاني : ما تقدم من القصص ، قاله ابن إسحاق .

{ ولكن تصديق الذي بين يديه } فيه وجهان :

أحدهما : أنه مصدِّق لما قبله من التوراة والإنجيل وسائر كتب الله تعالى ، وهذا تأويل من زعم أنه القرآن .

الثاني : يعني ولكن يصدّقه ما قبله من كتب الله تعالى ، وهذا قول من زعم أنه القصص .

{ وهُدًى ورحمة لقومٍ يؤمنون } والله أعلم .

(294/2)

المر تِلْكَ آَيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (1)

قوله عز وجل : { المر تلك آيات الكتاب } وفي الكتاب ثلاثة أقاويل :

أحدها : الزبور ، وهو قول مطر .

الثاني : التوراة والإنجيل ، قاله مجاهد .

الثالث : القرآن ، قال قتادة . فعلى هذا التأويل يكون معنى قوله { تلك آيات الكتاب } أي هذه آيات

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الكتاب .

{ والذي أنزل إليك من ربك الحق } يعني القرآن .

{ ولكن أكثر الناس لا يؤمنون } يعني بالقرآن أنه منزل بالحق . وفي المراد ب { أكثر الناس } قولان :

أحدهما : أكثر اليهود والنصارى ، لأن أكثرهم لم يسلم . الثاني : أكثر الناس في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(295/2)

اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (2)

قوله عز وجل : { الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها } فيه تأويلان :

أحدهما : يعني بِعُمد لا ترونها ، قاله ابن عباس .

الثاني : أنها مرفوعة بغير عمد ، قاله قتادة وإياس بن معاوية .

وفي رفع السماء وجهان :

أحدهما : رفع قدرها وإجلال خطرها ، لأن السماء أشرف من الأرض .

الثاني : سمكها حتى علت على الأرض .

(296/2)

وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (3) وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (4)

قوله عز وجل : { وهو الذي مَدّ الأرض } أي بسطها للاستقرار عليها ، رداً على من زعم أنها مستديرة كالكرة .

{ وجعل فيها رواسي } أي جبالاً ، واحدها راسية ، لأن الأرض ترسو بها ، أي تثبت . قال جميل :

أُحبُّهُ والذي أرسى قواعده ... حُبًّا إذا ظهرت آياته بطنا

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قال عطاء : أول جبل وضع على الأرض أبو قبيس .

{ وأنهاراً } وفيها من منافع الخلق شرب الحيوان ونبات الأرض ومغيض الأمطار ومسالك الفلك .

{ ومِنْ كُلِّ الثمرات جعل فيها زوجين اثنين } أحد الزوجين ذكر وأنثى كفحول النخل وإناثها ، كذلك كل النبات وإن خفي . والزوج الآخر حلو وحامض ، أو عذب ومالح ، أو أبيض وأسود ، أو أحمر وأصفر ، فإن كل جنس من الثمار ذو نوعين ، فصار كل ثمر ذي نوعين زوجين ، وهي أربعة أنواع .

{ يغشي الليل النهار } معناه يغشي ظلمةَ الليل ضوءَ النهار ، ويغشي ضوء النهار ظلمة الليل .

قوله عز وجل : { وفي الأرض قطعٌ متجاورات } فيه وجهان :

أحدهما : أن المتجاورات المدن وما كان عامراً ، وغير المتجاورات الصحارى وما كان غير عامر .

الثاني : أي متجاورات في المدى ، مختلفات في التفاضل . وفيه وجهان :

أحدهما : أن يتصل ما يكون نباته مراً .

الثاني : أن تتصل المعذبة التي تنبت بالسبخة التي لا تنبت ، قاله ابن عباس .

{ وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان } فيه أربعة أوجه :

أحدها : أن الصنوان المجتمع ، وغير الصنوان المفترق ، قاله ابن جرير . قال الشاعر :

العلم والحلم خُلّتا كرَمٍ ... للمرءِ زين إذا هما اجتمعا

صنوانٍ لا يستتم حسنها ... إلا بجمع ذا وذاك معا

الثاني : أن الصنوان النخلات يكون أصلها واحداً ، وغير صنوان أن تكون أصولها شتى ، قاله ابن عباس والبراء بن عازب .

الثالث : أن الصنوان الأشكال ، وغير الصنوان المختلف ، قاله بعض المتأخرين .

الرابع : أن الصنوان الفسيل يقطع من أمهاته ، وهو معروف ، وغير الصنوان ما ينبت من النوى ، وهو غير معروف حتى يعرف ، وأصل النخل الغريب من هذا ، قاله علي بن عيسى .

{ يسقى بماءٍ واحدٍ ونُفَضّلُ بعْضَها على بعضٍ في الأكل } فبعضه حلو ، وبعضه حامض ، وبعضه أصفر ، وبعضه أحمر ، وبعضه قليل ، وبعضه كثير .

{ إن في ذلك لآياتٍ لقومٍ يعقلون } فيه وجهان :

أحدهما : أن في اختلاف ذلك اعتبار يدل ذوي العقول على عظيم القدرة ، وهو معنى قول الضحاك .

الثاني : أنه مثل ضربه الله تعالى لبني آدم ، أصلهم واحد وهم مختلفون في الخير والشر والإيمان والكفر كاختلاف الثمار التي تسقى بماء واحد ، قاله الحسن .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (5)

قوله عز وجل : { وإن تعجب فعجَبٌ قولهم } الآية . معناه وإن تعجب يا محمد من تكذيبهم لك فأعجبُ منه تكذيبهم بالبعث . والله تعالى لا يتعجب ولا يجوز عليه التعجب ، لأنه تغير النفس بما تخفى أسبابه ، وإنما ذكر ذلك ليتعجب منه نبيه والمؤمنون .

(298/2)

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ (6)

قوله عز وجل : { ويستعجلونَكَ بالسيئة قَبْل الحسنة } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني بالعقوبة قبل العافية ، قاله قتادة .

الثاني : بالشر قبل الخير ، وهو قول رواه سعيد بن بشير .

الثالث : بالكفر قبل الإجابة . رواه القاسم بن يحيى .

ويحتمل رابعاً : بالقتال قبل الاسترشاد .

{ وقد خلت من قبلهم المثلاتُ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : الأمثال التي ضربها الله تعالى لهم ، قاله مجاهد .

الثاني : أنها العقوبات التي مثل الله تعالى بها الأمم الماضية ، قاله ابن عباس .

الثالث : أنها العقوبات المستأصلة التي لا تبقى معها باقية كعقوبات عاد وثمود حكاه ابن الأنباري

والمثلات : جمع مثُلة .

{ وإن ربك لذو مغفرةٍ للناس على ظُلمِهم } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يغفر لهم ظلمهم السالف بتوبتهم في الآنف ، قاله القاسم بن يحيى .

الثاني : يغفر لهم بعفوه عن تعجيل العذاب مع ظلمهم بتعجيل المعصية .

الثالث : يغفر لهم بالإنظار توقعاً للتوبة .

{ وإنّ ربّك لشديد العقاب } فروى سعيد ابن المسيب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عند نزول هذه الآية : « » لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ أحد العيش ، ولولا وعيده وعقابه لا تكل كل أحد . «

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

(299/2)

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (7)

قوله عز وجل : { . . . إنما أنت منذر } يعني النبي صلى الله عليه وسلم نذير لأمته

{ ولكل قومٍ هادٍ } فيه ستة تأويلات :

أحدها : أنه الله تعالى ، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير .

الثاني : ولكل قومٍ هادٍ أي نبي يهديهم ، قاله مجاهد وقتادة .

الثالث : ولكل قوم هاد معناه ولكل قوم قادة وهداة ، قاله أبو صالح .

الرابع : ولكل قوم هاد ، أي دعاة ، قاله الحسن .

الخامس : معناه ولكل قوم عمل ، قاله أبو العالية .

السادس : معناه ولكل قوم سابق بعلم يسبقهم إلى الهدى ، حكاه ابن عيسى .

(300/2)

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (8) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (9)

قوله عز وجل : { الله يعلم ما تحمل كل أنثى } قال ابن أبي نجيح يعلم أذكر هو أم أنثى .

ويحتمل وجهاً آخر : يعلم أصالح هو أَم طالح .

{ وما تغيض الأرحام وما تزداد } فيه خمسة تأويلات :

أحدها : { وما تغيض الأرحام } بالسقط الناقص { وما تزداد } بالولد التام ، قاله ابن عباس والحسن .

الثاني : { وما تغيض الأرحام } بالوضع لأقل من تسعة أشهر ، { وما تزداد } بالوضع لأكثر من تسعة أشهر ، قاله سعيد بن جبير والضحاك . وقال الضحاك : وضعتني أمي وقد حملتني في بطنها سنتين وولدتني وق خرجت سني .

الثالث : { وما تغيض الأرحام } بانقطاع الحيض في الحمل { ما تزداد } بدم النفاس بعد الوضع .

قال مكحول : جعل الله تعالى دم الحيض غذاء للحمل .

الرابع : { وما تغيض الأرحام } بظهور الحيض من أيام على الحمل ، وفي ذلك نقص في الولد }

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وما تزداد } في مقابلة أيام الحيض من أيام الحمل ، لأنها كلما حاضت على حملها يوماً ازدادت في طهرها يوماً حتى يستكمل حملها تسعة أشهر طهراً ، قال عكرمة وقتادة .

الخامس : { وما تغيض الأرحام } من ولدته قبل { وما تزداد } من تلده من بعد ، حكاه السدي وقتادة .

{ وكُلُّ شيءٍ عنده بمقدار } فيه وجهان :

أحدهما : في الرزق والأجل ، قاله قتادة .

الثاني : فيما تغيض الأرحام وما تزداد ، قاله الضحاك .

ويحتمل ثالثاً : أن كل شيء عنده من ثواب وعقاب بمقدار الطاعة والمعصية .

(301/2)

سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (10) لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ (11)

قوله تعالى : { سواءٌ منكم مَن أسَرَّ القول ومَن جَهَرَ به } إسرار القول : ما حدّث به نفسه ، والجهر ما حَدّث به غيره . والمراد بذلك أنه تعالى يعلم ما أسره الإنسان من خير وشر .

{ ومَن هو مستخفٍ بالليل وساربٌ بالنهار } فيه وجهان :

أحدهما : يعلم من استخفى بعمله في ظلمة الليل ، ومن أظهره في ضوء النهار . الثاني : يرى ما أخفته ظلمة الليل كما يرى ما أظهره ضوء النهار ، بخلاف المخلوقين الذين يخفي عليهم الليل أحوال أهلهم . قال الشاعر :

وليلٍ يقول الناسُ في ظلُماتِه ... سَواءٌ صحيحات العُيون وعورها

والسارب : هو المنصرف الذاهب ، مأخوذ من السُّروب في المرعى ، وهو بالعشي ، والسروج بالغداة ، قال قيس بن الخطيم :

أنَّى سَرَبْتِ وكُنْتِ غير سروب ... وتقرب الأحلام غير قريب

قوله عز وجل : { له معقبات مِن بين يديه ومن خَلْفِه } فيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم حراس الأمراء يتعاقبون الحرس ، قاله ابن عباس وعكرمة .

الثاني : أنه ما يتعاقب من أوامر الله وقضائه في عباده ، قاله عبد الرحمن بن زيد .

الثالث : أنهم الملائكة ، إذا صعدت ملائكة النهار أعقبتها ملائكة الليل ، وإذا صعدت ملائكة الليل أعقبتها ملائكة النهار ، قاله مجاهد وقتادة . قال الحسن : وهم أربعة أملاك : اثنان بالنهار ، واثنان

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
بالليل ، يجتمعون عند صلاة الفجر .
وفي قوله تعالى : { من بين يديه ومن خلفه } ثلاثة أوجه :
أحدها : من أمامه وورائه ، وهذا قول من زعم أن المعقبات حراس الأمراء .
الثاني : الماضي والمستقبل ، وهذا قول من زعم أن المعقبات ما يتعاقب من أمر الله تعالى وقضائه .
الثالث : من هُداه وضلالِه ، وهذا قول من زعم أن المعقبات الملائكة . { يحفظونَه من أمر الله } تأويله يختلف بحسب اختلاف المعقبات ، فإن قيل بالقول الأول أنهم حراس الأمراء ففي قوله { يحفظونه } أي عند نفسه من أمر الله ولا راد لأمره ولا دافع لقضائه ، قاله ابن عباس وعكرمة .
الثاني : أن في الكلام حرف نفي محذوفاً وتقديره : لا يحفظونه من أمر الله .
وإن قيل بالقول الثاني ، إن المعقبات ما يتعاقب من أمر الله وقضائه ، ففي تأويل قوله تعالى { يحفظونه من أمر الله } وجهان :
أحدهما : يحفظونه من الموت ما لم يأت أجله ، قاله الضحاك .
الثاني : يحفظونه من الجن والهوام المؤذية ما لم يأت قدر ، قاله أبو مالك وكعب الأحبار .
وإن قيل بالقول الثالث : وهو الأشبه : أن المعقبات الملائكة ففيما أريد بحفظهم له وجهان :
أحدهما : يحفظون حسناته وسيئاته بأمر الله .
الثاني : يحفظون نفسه .
فعلى هذا في تأويل قوله تعالى { يحفظونه من أمر الله } ثلاثة أوجه :
أحدها : يحفظونه بأمر الله ، قاله مجاهد .
الثاني : يحفظونه من أمر الله حتى يأتي أمر الله ، وهو محكي عن ابن عباس .
الثالث : أنه على التقديم والتأخير وتقديره : له معقبات من أمر الله تعالى يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ، قاله إبراهيم .
وفي هذه الآية قولان :

(302/2)

أحدهما : أنها عامة في جميع الخلق ، وهو قول الجمهور .
الثاني : أنها خاصة نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أزمع عامر بن الطفيل وأريد بن ربيعة أخو لبيد على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله عز وجل منهما وأنزل هذه الآية فيه ، قاله ابن زيد .
{ إنَّ الله لا يغيرُ ما بقومٍ حتى يغيِّرُوا ما بأنفسِهِم } يحتمل وجهين :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدهما : أن الله لا يغير ما بقوم من نعمة حتى يغيروا ما بأنفسهم من معصية .

الثاني : لا يغير ما بهم من نعمة حتى يغيروا ما بأنفسهم من طاعة .

{ وإذا أراد الله بقومٍ سوءًا فلا مرد له } فيه وجهان :

أحدهما : إذا أراد الله بهم عذاباً فلا مرد لعذابه .

الثاني : إذا أراد بهم بلاء من أمراض وأسقام فلا مرد لبلائه .

{ وما لهم مِن دونه من وال } فيه وجهان :

أحدهما : من ملجأ وهو معنى قول السدي .

الثاني : يعني من ناصر ، ومنه قول الشاعر :

ما في السماء سوى الرحمن من والِ ...

(303/2)

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ (12) وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (13)

قوله عز وجل : { هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : خوفاً للمسافر من أذيته ، وطمعاً للمقيم في بركته ، قاله قتادة .

الثاني : خوفاً من صواعق البرق ، وطمعاً في غيثه المزيل للقحط ، قاله الحسن .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سمع صوت الرعد قال : « اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك

» . الثالث : خوفاً من عقابه وطمعاً في ثوابه .

{ وينشىء السحاب الثقال } قال مجاهد : ثقال بالماء .

قوله عز وجل : { ويسبِّح الرعد بحمده } وفي الرعد قولان :

أحدهما : أنه الصوت المسموع ، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « الرعد وعيد من الله فإذا سمعتموه فأمسكوا عن الذنوب

» . الثاني : أن الرعد ملك ، والصوت المسموع تسبيحه ، قاله عكرمة . { والملائكة مِن خيفته } فيه وجهان :

أحدهما : وتسبح الملائكة من خيفة الله تعالى ، قاله ابن جرير .

الثاني : من خيفة الرعد ، ولعله قول مجاهد .

{ ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء } اختلف فيمن نزل ذلك فيه على ثلاثة أقاويل :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
أحدها : أنها نزلت في رجل أنكر القرآن وكذب النبي صلى الله عليه وسلم فأخذته صاعقة ، قاله قتادة .

الثاني : في أربد بن ربيعة وقد كان همّ بقتل النبي صلى الله عليه وسلم مع عامر بن الطفيل فتيبست يده على سيفه ، وعصمه الله تعالى منهما ، ثم انصرف فأرسل الله تعالى عليه صاعقة أحرقته . قال ابن جرير : وفي ذلك يقول أخوه لبيد :

أخشى على أربد الحتوف ولا ... أرهب نوء السِّماك والأسد

فجّعني البرق والصواعق بالفا ... رسِ يوم الكريمة النَّجُدِ

الثالث : أنها نزلت في يهودي جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أخبرني عن ربك من أي شيء ، من لؤلؤ أو ياقوت؟ فجاءت صاعقة فأخذته ، قال علي وابن عباس ومجاهد .

روى أبان عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تأخذ الصاعقة ذاكراً لله عز وجل » . { وهم يجادلون في الله } فيه وجهان :

أحدهما : يعني جدال اليهودي حين سأل عن الله : من أي شيء هو؟ قاله مجاهد .

الثاني : جدال أربد فيما همّ به من قتل النبي صلى الله عليه وسلم ، قاله ابن جريج .

{ وهو شديد المِحالِ } فيه تسعة تأويلات :

أحدها : يعني شديد العداوة ، قاله ابن عباس .

الثاني : شديد الحقد ، قاله الحسن .

الثالث : شديد القوة ، قاله مجاهد .

الرابع : شديد الغضب ، قاله وهب بن منبه .

الخامس : شديد الحيلة ، قاله قتادة والسدي .

السادس : شديد الحول ، قاله ابن عباس أيضاً .

السابع : شديد الإهلاك بالمحل وهو القحط ، قاله الحسن أيضاً .

الثامن : شديد الأخذ ، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه . التاسع : شديد الانتقام والعقوبة ، قاله أبو عبيدة وأنشد لأعشى بني ثعلبة .

فرع نبع يهتز في غصن المج ... د كريم الندى عظيم المحال

(304/2)

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (14)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله عز وجل { له دعوة الحق } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن دعوة الحق لا إله إلا الله ، قاله ابن عباس .

الثاني : أنه الله تعالى هو الحق ، فدعاؤه دعوة الحق .

الثالث : أن الإخلاص في الدعاء هي دعوة الحق ، قاله بعض المتأخرين .

ويحتمل قولاً رابعاً : أن دعوة الحق دعاؤه عند الخوف لأنه لا يدعى فيه إلا إياه ، كما قال تعالى { ضلّ من تدعون إلا إياه } [الإسراء : 67] هو أشبه بسياق الآية لأنه قال :

{ والذين يدعون مِن دونه } يعني الأصنام والأوثان .

{ لا يستجيبون لهم بشيء } أي لا يجيبون لهم دعاءً ولا يسمعون لهم نداء .

{ إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه } ضرب الله عز وجل الماء مثلاً لإياسهم من إجابة دعائهم لأن العرب تضرب لمن سعى فيما لا يدركه مثلاً بالقابض الماء باليد ، كما قال أبو الهذيل :

فأصبحتُ مما كان بيني وبينها ... مِن الود مثل القابض الماء باليد

وفي معنى هذا المثل ثلاثة أوجه :

أحدها : أن الذي يدعو إلهاً من دون الله كالظمآن الذي يدعو الماء ليبلغ إلى فيه من بعيد يريد تناوله ولا يقدر عليه بلسانه ، ويشير إليه بيده فلا يأتيه أبداً ، لأن الماء لا يستجيب له وما الماء ببالغ إليه ، قاله مجاهد .

الثاني : أنه كالظمآن الذي يرى خياله في الماء وقد بسط كفر فيه ليبلغ فاه ، وما هو ببالغه لكذب ظنه وفساد توهمه ، قاله ابن عباس .

الثالث : أنه كباسط كفه إلى الماء ليقبض عليه فلا يحصل في كفيه شيء منه .

وزعم الفراء أن المراد بالماء ها هنا البئر لأنها معدن للماء ، وأن المثل كمن مد يده إلى البئر بغير رشاء ، وشاهده قول الشاعر :

فإن الماء ماءُ أبي وجدي ... وبئري ذو حَفَرْتُ وذو طويت

(305/2)

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (15)

قوله عز وجل : { ولله يسجد من في السموات ومن في الأرض طوعاً وكرهاً } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : طوعاً سجود المؤمن ، وكرهاً سجود الكافر ، قاله قتادة .

الثاني : { طوعاً } من دخل في الإسلام رغبة ، { وكرهاً } من دخل فيه رهبة بالسيف ، قاله ابن زيد

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

. الثالث : { طوعاً } من طالت مدة إسلامه فألف السجود ، { وكرهاً } من بدأ بالإسلام حتى يألف السجود ، حكاه ابن الأنباري .

الرابع : ما قاله بعض أصحاب الخواطر أنه إذا نزلت به المصائب ذل ، وإذا توالت عليه النعم ملّ .

{ وظلالهم بالغدو والآصال } يعني أن ظل كل إنسان يسجد معه بسجوده ، فظل المؤمن يسجد طائعاً كما أن سجود المؤمن طوعاً ، وظل الكافر يسجد كارهاً كما أن سجود الكافر كرهاً .

والآصال جمع أصُل ، والأصل جمع أصيل ، والأصيل العشيّ وهو ما بين العصر والمغرب قال أبو ذؤيب :

لعمري لأنت البيت أكرم أهله ... وأقعد في أفيائِه بالأصائل

(306/2)

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (16)

قوله عز وجل : { قل من رب السموات والأرض } أمر الله تعالى نبيه أن يقول لمشركي قريش { من رب السموات والأرض } ثم أمره أن يقول لهم :

{ قل الله } إن لم يقولوا ذلك إفهاماً قالوه تقريراً لأنه جعل ذلك إلزاماً .

{ قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً } ثم أمره صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم هذا بعد اعترافهم بالله : أفاتخذتم من دون الخالق المنعم آلهة من أصنام وأوثان فعبدتموها من دونه ، لا يملكون لأنفسهم نفعاً يوصلونه إليها ولا ضراً يدفعونه عنها ، فكيف يملكون لكم نفعاً أو ضراً؟ وهذا إلزام صحيح .

ثم قال تعالى { قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور } وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر كالأعمى والبصير ، والهدى والضلالة كالظلمات والنور ، فالمؤمن في هُداه كالبصير يمشي في النور ، والكافر في ضلاله كالأعمى يمشي في الظلمات ، وهما لا يستويان ، فكذلك المؤمن والكافر لا يتسويان ، وهذا من أصح مثل ضربه الله تعالى وأوضح تشبيه .

ثم قال تعالى : { أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم } ومعناه أنه لما لم يخلق آلهتهم التي عبدوها خلقاً كخلق الله فيتشابه عليهم خلقُ آلهتهم بخلق الله فلما اشتبه عليهم حتى عبدوها كعبادة الله تعالى؟

{ قل الله خالق كل شيء } فلزم لذلك أن يعبدوه كل شيء .

This file was downloaded from QuranicThought.com

{ وهو الواحد القهار } .

وفي قوله { فتشابه الخلق عليهم } تأويلان :

أحدهما : فتماثل الخلق عليهم .

الثاني : فأشكل الخلق عليهم ، ذكرهما ابن شجرة .

(307/2)

أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (17)

قوله عز وجل : { أنزل من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها } فيه وجهان :

أحدهما : يعني بما قدر لها من قليل أو كثير .

الثاني : يعني الصغير من الأودية سال بقدر صغره ، والكبير منها سال بقدر كبره .

وهذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن وما يدخل منه في القلوب ، فشبه القرآن بالمطر لعموم خيره وبقاء نفعه ، وشبه القلوب بالأودية يدخل فيها من القرآن مثل ما يدخل في الأودية من الماء بحسب سعتها وضيقها .

قال ابن عباس : { أنزل من السماء ماءً } أي قرآناً { فسالت أودية بقدرها } قال : الأودية قلوب العباد .

{ فاحتمل السيل زبداً رابياً } الرابي : المرتفع . وهو مثل ضربه الله تعالى للحق والباطل ، فالحق ممثل بالماء الذي يبقى في الأرض فينتفع به ، والباطل ممثل بالزبد الذي يذهب جُفاءً لا ينتفع به .

ثم ضرب مثلاً ثانياً بالنار فقال { ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية } يعني الذهب والفضة .

{ أو متاع } يعني الصُفر والنحاس .

{ زبد مِثله . . . } يعني أنه إذا سُبِك بالنار كان له خبث كالزبد الذي على الماء يذهب فلا ينتفع به كالباطل ، ويبقى صفوة فينتفع به كالحق .

وقوله تعالى : { . . . فيذهب جفاءً } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني منشقاً قاله ابن جرير .

الثاني : جافياً على وجه الأرض ، قاله ابن عيسى .

الثالث : مرمياً ، قاله ابن إسحاق .

وحكى أبو عبيدة أنه سمع رؤبة يقرأ : جفالاً . قال أبو عبيدة : يقال أجفلت القدر إذا قَذَفَت بزبدها .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

(308/2)

لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (18) أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (19)

قوله عز وجل : { للذين استجابوا لربهم الحسنى } فيها تأويلان :

أحدهما : الجنة ، رواه أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم .

الثاني : أنها الحياة والرزق ، قاله مجاهد .

ويحتمل تأويلاً ثالثاً : أن تكون مضاعفة الحسنات .

{ والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثلَهُ معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب } .

في { سوء الحساب } أربعة تأويلات :

أحدها : أن يؤاخذوا بجميع ذنوبهم فلا يعفى لهم عن شيء منها ، قاله إبراهيم النخعي . وقالت عائشة رضي الله عنها : من نوقش الحساب هلك .

الثاني : أنه المناقشة في الأعمال ، قاله أبو الجوزاء .

الثالث : أنه التقريع والتوبيخ ، حكاه ابن عيسى .

الرابع : هو أن لا تقبل حسناتهم فلا تغفر سيئاتهم .

ويحتمل خامساً : أن يكون سوء الحساب ما أفضى إليه حسابهم من السوء وهو العقاب .

(309/2)

الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (20) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (21) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (22) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (23) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (24)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله عز وجل : { والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها الرحم التي أمرهم الله تعالى بوصلها .

{ ويخشون ربهم } في قطعها { ويخافون سُوءَ الحساب } في المعاقبة عليها ، قاله قتادة .

الثاني : صلة محمد صلى الله عليه وسلم ، قاله الحسن .

الثالث : الإيمان بالنبيين والكتب كلها ، قاله سعيد بن جبير .

ويحتمل رابعاً : أن يصلوا الإيمان بالعمل .

{ ويخشون ربهم } فيما أمرهم بوصله .

{ ويخافون سوءَ الحساب } في تركه .

قوله عز وجل : { ويدرءُون بالحسنة السيئة } فيه سبعة تأويلات :

أحدها : يدفعون المنكر بالمعروف ، قاله سعيد بن جبير .

الثاني : يدفعون الشر بالخير ، قاله ابن زيد .

الثالث : يدفعون الفحش بالسلام ، قاله الضحاك .

الرابع : يدفعون الظلم بالعفو ، قاله جويبر .

الخامس : يدفعون سفه الجاهل بالحلم ، حكاه ابن عيسى .

السادس : يدفعون الذنب بالتوبة ، حكاه ابن شجرة .

السابع : يدفعون المعصية بالطاعة .

قوله عز وجل : { سلام عليكم بما صبرتم } فيه ستة تأويلات :

أحدها : معناه بما صبرتم على أمر الله تعالى ، قاله سعيد بن جبير .

الثاني : بما صبرتم على الفقر في الدنيا ، قاله أبو عمران الجوني .

الثالث : بما صبرتم على الجهاد في سبيل الله ، وهو مأثور عن عبدالله بن عمر .

الرابع : بما صبرتم عن فضول الدنيا ، قاله الحسن ، وهو معنى قول الفضيل بن عياض .

السادس : بما صبرتم عما تحبونه حين فقدتموه ، قاله ابن زيد .

ويحتمل سابعاً : بما صبرتم على عدم اتباع الشهوات .

{ فنعم عقبى الدار } فيه وجهان :

أحدهما : فنعم عقبى الجنة عن الدنيا ، قاله أبو عمران الجوني .

الثاني : فنعم عقبى الجنة من النار ، وهو مأثور .

(310/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (25) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ (26) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آَيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ (27)

قوله تعالى : { ما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع } وفيه وجهان :

أحدهما : أي قليل ذاهب ، قاله مجاهد .

الثاني : زاد الراعي ، قاله ابن مسعود . ويحتمل

ثالثاً : وما جعلت الحياة الدنيا إلا متاعاً يتزود منها إلى الآخرة من التقوى والعمل الصالح .

(311/2)

الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (28) الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآَبٍ (29)

قوله عز وجل : { والذين ءامنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله } فيه أربعة أوجه :

أحدها : بذكر الله بأفواههم ، قاله قتادة .

الثاني : بنعمة الله عليهم .

الثالث : بوعد الله لهم ، ذكره ابن عيسى .

الرابع : بالقرآن ، قاله مجاهد .

{ ألا بذكر الله تطمئن القلوب } يحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها : بطاعة الله .

الثاني : بثواب الله .

الثالث : بوعد الله تعالى لهم .

قوله عز وجل : { والذين ءامنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب } فيه تسعة تأويلات :

أحدها : أن طوبى اسم من أسماء الجنة ، قاله مجاهد .

الثالث : معنى طوبى لهم حسنى لهم ، قاله قتادة .

الرابع : معناه نِعَم مالهم ، قاله عكرمة .

الخامس : معناه خير لهم ، قاله إبراهيم .

السادس : معناه غبطة لهم ، قاله الضحاك .

السابع : معناه فرح لهم وقرة عين ، قاله ابن عباس .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثامن : العيش الطيب لهم ، قاله الزجاج .

التاسع : أن طوبى فُعلى من الطيب كما قيل أفضل وفضلى ، ذكره ابن عيسى .

وهذه معان أكثرها متقاربة .

وفيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها كلمة حبشية ، قاله ابن عباس .

الثاني : كلمة هندية ، قاله عبدالله بن مسعود .

الثالث : عربية ، قاله الجمهور .

(312/2)

كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ (30)

قوله تعالى : { . . . وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي } قال قتادة وابن جريج نزلت في قريش يوم الحديبية حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتب القضية بينه وبينهم ، فقال للكاتب : « اكتب بسم الله الرحمن الرحيم » فقالوا ما ندري ما الرحمن وما نكتب إلا : باسمك اللهم . وحكي عن ابن إسحاق أنهم قالوا : قد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا الذي تأتي به رجل من أهل اليمامة يقال له الرحمن ، وإنا والله لن نؤمن به أبداً ، فأنزل الله تعالى { وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو } يعني أنه إله واحد وإن اختلفت أسماؤه .

{ عليه توكلت وإليه متاب } قال مجاهد يعني بالمتاب التوبة .

ويحتمل ثانياً : وإليه المرجع .

(313/2)

وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (31)

قوله عز وجل : { ولو أن قرآناً سُيِّرت به الجبال أو قطعت به الأرض } الآية . وسبب ذلك ما حكاه مجاهد وقتادة أن كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : إن يسرَّك أن نتبعك فسيِّر جبالنا

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

حتى تتسع لنا أرضنا فإنها ضيقة ، وقرب لنا الشام فإننا نتَّجر إليها ، وأخرج لنا الموتى من القبور نكلمها ، فأنزل الله تعالى . { ولو أن قرآناً سيرت به الجبال } أي أُخرت . { أو قطعت به الأرض } أي قربت .

{ أو كُلِّم به الموْتَى } أي أُحيوا .

وجواب هذا محذوف وتقديره لكان هذا القرآن ، لكنه حذف إيجازاً لما في ظاهر الكلام من الدلالة على المضمر المحذوف .

ثم قال تعالى : { بل للهِ الأمر جميعاً } أي هو المالك لجميع الأمور الفاعل لما يشاء منها .

{ أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً } وذلك أن المشركين لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سألوه استراب المؤمنون إليه فقال الله تعالى { أفلم ييأس الذين آمنوا } .

وفيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : معناه أفلم يتبين الذين آمنوا ، قاله عطية ، وهي في القراءة الأولى : أفلم يتبين الذين آمنوا . وقيل لغة جرهم { أفلم ييأس } أي يتبين .

الثاني : أفلم يعلم ، قاله ابن عباس والحسن ومجاهد ، ومنه قول رباح ابن عدي :

ألم ييأس الأقوام أنِّي أنا ابْنُهُ ... وإن كنتُ عن أرض العشيرة نائيا

الثالث : أفلم ييأس الذين آمنوا بانقطاع طمعهم .

وفيما يئسوا منه على هذا التأويل وجهان :

أحدهما : ييأسوا مما سأله المشركون ، قاله الفراء .

الثاني : يئسوا أن يؤمن هؤلاء المشركون ، قاله الكسائي .

{ أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً } فيه وجهان :

أحدهما : لهداهم إلى الإيمان .

الثاني : لهداهم إلى الجنة .

{ ولا يزال الذين كفروا تصيبهُم بما صنعوا قارعة } فيها تأويلان :

أحدهما : ما يقرعهم من العذاب والبلاء ، قاله الحسن وابن جرير .

الثاني : أنها الطلائع والسرايا التي كان ينفذها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قاله عكرمة .

{ أو تحل قريباً من دارهم } فيه وجهان :

أحدهما : أو تحل القارعة قريباً من دارهم ، قاله الحسن .

الثاني : أو تحل أنت يا محمد قريباً من دارهم ، قاله ابن عباس وقتادة

{ حتى يأتي وَعْدُ الله } فيه تأويلان :

أحدهما : فتح مكة ، قاله ابن عباس .

الثاني : القيامة ، قاله الحسن .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (32) أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (33)

قوله عز وجل : { أفمن هو قائم على كل نفسٍ بما كسبت } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم الملائكة الذين وكلوا ببني آدم ، قاله الضحاك .

الثاني : هو الله القائم على كل نفس بما كسبت ، قاله قتادة .

الثالث : أنها نفسه .

وفي قوله تعالى : { قائم } وجهان :

أحدهما : يعني والياً ، كما قال تعالى { قائماً بالقسط } أي والياً بالعدل .

الثاني : يعني عالماً بما كسبت ، قال الشاعر :

فلولا رجالٌ من قريش أعزةٌ ... سرقتم ثياب البيت والله قائم

ويحتمل { بما كسبت } وجهين :

أحدهما : ما كسبت من رزق تفضلاً عليها فيكون خارجاً مخرج الامتنان .

الثاني : ما كسبت من عمل حفظاً عليها ، فيكون خارجاً مخرج الوعد والوعيد

{ وجعلوا لله شركاء } يعني أصناماً جعلوها آلهة .

{ قل سموهم } يحتمل وجهين :

أحدهما : قل سموهم آلهة على وجه التهديد .

الثاني : يعني قل صفوهم ليعلموا أنهم لا يجوز أن يكونوا آلهة .

{ أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض } أي تخبرونه بما لا يعلم أن في الأرض إلهاً غيره .

{ أم بظاهر مِن القول } فيها أربعة تأويلات :

أحدها : معناه بباطل من القول ، قاله قتادة ، ومنه قول الشاعر :

أعَيّرتنا ألبانها ولحومها ... وذلك عارٌ يا ابن ريطة ظاهر

أي بالحل .

الثاني : بظن من القول ، وهو قول مجاهد .

الثالث : بكذب من القول ، قاله الضحاك .

الرابع : أن الظاهر من القول هو القرآن ، قاله السدي .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ويحتمل تأويلاً خامساً : أن يكون الظاهر من القول حجة يظهرونها بقولهم ، ويكون معنى الكلام : أتخبرونه بذلك مشاهدين أم تقولون محتجّين .

(315/2)

لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآَخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (34) مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ (35)

قوله عز وجل : { مثل الجنة التي وُعِدَ المتقون } فيه قولان :

أحدهما : يشبه الجنة ، قاله علي بن عيسى .

الثاني : نعت الجنة لأنه ليس للجنة مثل ، قاله عكرمة .

{ تجري من تحتها الأنهار أكُلُها دائم } فيه وجهان :

أحدهما : ثمرها غير منقطع ، قاله القاسم بن يحيى .

الثاني : لذتها في الأفواه باقية ، قاله إبراهيم التيمي .

ويحتمل ثالثاً : لا تمل من شبع ولا مرباد لمجاعة .

{ وظلها } يحتمل وجهين :

أحدهما : دائم البقاء .

الثاني : دائم اللذة .

(316/2)

وَالَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآَبِ (36) وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ (37)

قوله عز وجل : { والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك } فيهم ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فرحوا بما أنزل عليه من القرآن ، قاله قتادة وابن زيد .

الثاني : أنهم مؤمنو أهل الكتاب ، قاله مجاهد .

الثالث : أنهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى فرحوا بما أنزل عليه من تصديق كتبهم ، حكاه ابن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

عيسى .

{ ومِن الأحزاب من ينكر بعضه } فيهم قولان :

أحدهما : أنهم اليهود والنصارى والمجوس ، قاله ابن زيد .

الثاني : أنهم كفار قريش .

وفي إنكارهم بعضه وجهان :

أحدهما : أنهم عرفوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبهم وأنكروا نبوته .

الثاني : أنهم عرفوا صِدْقه وأنكروا تصديقه .

(317/2)

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (38) يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (39)

قوله عز وجل : { ولقد أرسلنا رُسُلاً من قبلك وجعلنا لهم أزوجاً وذرية } يعني بالأزواج النساء ، وبالذرية الأولاد . وفيه وجهان :

أحدهما : معناه أن من أرسلناه قبلك من المرسلين بشر لهم أزواج وذرية كسائر البشر ، فلمَ أنكروا رسالتك وأنت مثل من قبلك .

الثاني : أنه نهاه بذلك عن التبتل ، قاله قتادة .

وقيل إن اليهود عابت على النبي صلى الله عليه وسلم الأزواج ، فأنزل الله تعالى إلى ذلك فيهم يعلمهم أن ذلك سُنَّة الرسل قبله .

{ وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله } قيل إن مشركي قريش سألوه آيات قد تقدم ذكرها في هذه السورة فأنزل الله تعالى ذلك فيهم .

{ ولكل أجل كتابٌ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : معناه لكل كتاب نزل من السماء أجل . وهو من المقدِّم والمؤخر ، قاله الضحاك .

الثاني : معناه لكل أمر قضاه الله تعالى كتاب كتبه فيه ، قاله ابن جرير .

الثالث : لكل أجل من آجال الخلق كتاب عند الله تعالى ، قاله الحسن .

ويحتمل رابعاً : لكل عمل خَبر .

قوله عز وجل : { يمحو الله ما يشاء ويثبت } فيه سبعة تأويلات :

أحدها : يمحو الله ما يشاء من أمور عباده فيغيره إلا الشقاء والسعادة فإنهما لا يغيران ، قاله ابن عباس .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثاني : يمحو الله ما يشاء ويثبت ما يشاء في كتاب سوى أُم الكتاب ، وهما كتابان أحدهما : أم الكتاب لا يغيره ولا يمحو منه شيئاً كما أراد ، قاله عكرمة .

الثالث : أن الله عز وجل ينسخ ما يشاء من أحكام كتابه ، ويثبت ما يشاء منها فلا ينسخه ، قاله قتادة وابن زيد .

الرابع : أنه يمحو مَنْ قد جاء أجلُه ويثبت من لم يأت أجلُه ، قاله الحسن .

الخامس : يغفر ما يشاء من ذنوب عباده ، ويترك ما يشاء فلا يغفره ، قاله سعيد بن جبير .

السادس : أنه الرجل يقدم الطاعة ثم يختمها بالمعصية فتمحو ما قد سلف ، والرجل يقدم المعصية ثم يختمها بالطاعة فتمحو ما قد سلف ، وهذا القول مأثور عن ابن عباس أيضاً .

السابع : أن الحفظة من الملائكة يرفعون جميع أقواله وأفعاله ، فيمحو الله عز وجل منها ما ليس فيه ثواب ولا عقاب ، ويثبت ما فيه الثواب والعقاب ، قاله الضحاك .

{ وعنده أم الكتاب } فيه ستة تأويلات :

أحدها : الحلال والحرام ، قاله الحسن .

الثاني : جملة الكتاب ، قاله الضحاك .

الثالث : هو علم الله تعالى بما خلق وما هو خالق ، قاله كعب الأحبار .

الرابع : هو الذكر ، قاله ابن عباس .

الخامس : أنه الكتاب الذي لا يبدل ، قاله السدي .

السادس : أنه أصل الكتاب في اللوح المحفوظ ، قاله عكرمة .

(318/2)

وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ (40) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (41)

قوله عز وجل : { أوَلم يروا أنا نأتي الأرض ننقُصها من أطرافها } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : بالفتوح على المسلمين من بلاد المشركين ، قاله قتادة .

الثاني : بخراجها بعد العمارة ، قاله مجاهد .

الثالث : بنقصان بركتها وتمحيق ثمرتها ، قاله الكلبي والشعبي .

الرابع : بموت فقهائها وخيارها ، قاله ابن عباس .

ويحتمل خامساً : أنه بجور ولاتها .

(319/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ (42) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ (43)

قوله عز وجل : { ويقول الذين كفروا لست مُرْسلاً } قال قتادة : هم مشركو العرب .

{ قلْ كفى بالله شهيداً بيني وبينكم } أي يشهد بصدقي وكذبكم .

{ ومن عنده علم الكتاب } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم عبدالله بن سلام وسلمان وتميم الداري ، قاله قتادة .

الثاني : أنه جبريل ، قاله سعيد بن جبير .

الثالث : هو الله تعالى ، قاله الحسن ومجاهد والضحاك .

وكانوا يقرأون { ومِن عنده علم الكتاب } أي من عِنْد الله علم الكتاب ، وينكرون على من قال هو عبد الله بن سلام وسلمان لأنهم يرون السورة مكية ، وهؤلاء أسلموا بالمدينة ، والله تعالى أعلم بالصواب .

(320/2)

الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (1) اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (2) الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (3)

{ الر كتاب أنزلناه إليك } يعني القرآن .

{ لتُخرِجَ الناسَ مِن الظلماتِ إلى النُّور } فيه أربعة أوجه :

أحدها : من الشك إلى اليقين .

الثاني : من البدعة إلى السنّة .

الثالث : من الضلالة إلى الهدى

الرابع : من الكفر إلى الإيمان

{ بإذن ربهم } فيه وجهان :

أحدهما : بأمر ربهم ، قاله الضحاك .

الثاني : بعلم ربهم .

{ إلى صراط العزيز الحميد } فروى مِقْسم عن ابن عباس قال : كان قوم آمنوا بعيسى ، وقوم كفروا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

به ، فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم آمن به الذين كفروا بعيسى ، وكفر به الذين آمنوا بعيسى ، فنزلت هذه الآية .

قوله عز وجل : { الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة } فيه وجهان :

أحدهما : يختارونها على الآخرة ، قاله أبو مالك .

الثاني : يستبدلونها من الآخرة ، ذكره ابن عيسى ، والاستحباب هو التعرض للمحبة .

ويحتمل ما يستحبونه من الحياة الدنيا على الآخرة وجهين :

أحدهما : يستحبون البقاء في الحياة الدنيا على البقاء في الآخرة .

الثاني : يستحبون النعيم فيها على النعيم في الآخرة .

{ ويصدون عن سبيل الله } قال ابن عباس : عن دين الله .

ويحتمل : عن محمد صلى الله عليه وسلم .

{ ويبغونها عِوَجاً } فيه وجهان :

أحدهما : يرجون بمكة غير الإسلام ديناً ، قاله ابن عباس .

الثاني : يقصدون بمحمد صلى الله عليه وسلم هلاكاً ، قاله السدي .

ويحتمل وجهاً ثالثاً : أن معناه يلتمسون الدنيا من غير وجهها لأن نعمة الله لا تستمد إلا بطاعته دون معصيته .

والعِوَج بكسر العين : في الدين والأمر والأرض وكل ما لم يكن قائماً . والعوج بفتح العين : في كل ما كان قائماً كالحائط والرمح .

(321/2)

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (4) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (5)

قوله عز وجل : { ولقد أرسلنا موسى بآياتنا } أي بحُججنا وبراهيننا وقال مجاهد هي التسع الآيات :

{ أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور } يحتمل وجهين :

أحدهما : من الضلالة إلى الهدى . الثاني : من ذل الاستعباد إلى عز المملكة . { وذكّرهم بأيام الله } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : معناه وعظهم بما سلف من الأيام الماضية لهم ، قاله ابن جرير .

الثاني : بالأيام التي انتقم الله فيها من القرون الأولى ، قاله الربيع وابن زيد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الثالث : أن معنى أيام الله أن نعم الله عليهم ، قاله مجاهد وقتادة ، وقد رواه أبيّ بن كعب مرفوعاً .

وقد تسمَّى النعم بالأيام ، ومنه قول عمرو بن كلثوم :

وأيام لنا غُرٍّ طِوالٍ ... عصينا المَلْك فيها أن نَدِينا

ويحتمل تأويلاً رابعاً : أن يريد الأيام التي كانوا فيها عبيداً مستذلين لأنه أنذرهم قبل استعمال النعم عليهم .

{ إنَّ في ذلك لآيات لكُلِّ صبَّارٍ شكورٍ } الصبار : الكثير الصبر ، والشكور : الكثير الشكر ، قال قتادة : هو العبد إذا أعطي شكر ، وإذا ابتلي صبر . وقال الشعبي : الصبر نصف الإيمان ، والشكر نصف ، وقرأ { إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور } .

وتوارى الحسن عن الحجاج تسع سنين ، فلما بلغه موته قال : اللهم قد أمته فأمت سنته وسجد شكراً وقرأ { إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور } .

وإنما خص بالآيات كل صبار شكور ، وإن كان فيه آيات لجميع الناس لأنه يعتبر بها ويغفل عنها .

(322/2)

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (6) وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (7) وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ (8)

قوله عز وجل : { . . . وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : نعمة من ربكم ، قاله ابن عباس والحسن .

الثاني : شدة البلية ، ذكره ابن عيسى .

الثالث : اختبار وامتحان ، قاله ابن كامل .

قوله عز وجل : { وإذ تأذن ربُّكم } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : معناه وإذ سمع ربكم ، قاله الضحاك .

الثاني : وإذا قال ربكم ، قاله أبو مالك .

الثالث : معناه وإذ أعلمكم ربكم ، ومنه الأذان لأنه إعلام ، قال الشاعر :

فلم نشعر بضوء الصبح حتى ... سَمِعْنا في مجالِسنا الأذينا

{ لئن شكرتم لأزيدنكم } فيه ثلاثة تأويلات :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدها : لئن شكرتم إنعامي لأزيدنكم من فضلي ، قاله الربيع .

الثاني : لئن شكرتم نعمتي لأزيدنكم من طاعتي ، قاله الحسن وأبو صالح .

الثالث : لئن وحّدتم وأطعتم لأزيدنكم ، قاله ابن عباس .

ويحتمل تأويلاً رابعاً : لئن آمنتم لأزيدنكم من نعيم الآخرة إلى نعيم الدنيا .

وسُئِل بعض الصلحاء على شكر الله تعالى ، فقال : أن لا تتقوى بنِعَمِهِ على معاصيه . وحكي أنَّ داود عليه السلام قال : أي ربِّ كيف أشكرك وشكري لك نعمة مجددة منك عليّ؟ قال : « يا داود الآن شكرتني » .

{ ولئن كفرتم إن عذابي لشديدٌ } وعد الله تعالى بالزيادة على الشكر ، وبالعذاب على الكفر .

(323/2)

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (9)

قوله عز وجل : { . . . والذين من بعدهم لا يَعْلمُهم إلا الله } فيها وجهان :

أحدهما : يعني بعد من قص ذكره من الأمم السالفة قرون وأمم لم يقصها على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعلمهم إلا الله عالم ما في السموات والأرض .

الثاني : ما بين عدنان وإسماعيل من الآباء . قال ابن عباس : بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أباً لا يعرفون .

وكان ابن مسعود يقرأ : لا يعلمهم إلا الله كذب النسّابون .

{ جاءَتهم رسلهم بالبينات } أي بالحجج .

{ فردُّوا أيديهم في أفواههم } فيه سبعة أوجه :

أحدها : أنهم عضوا على أصابعهم تغيظاً عليهم ، قاله ابن مسعود واستشهد أبو عبيدة بقول الشاعر :

لو أن سلمى أبصرت تخدُّدي ... ودقةً في عظم ساقي ويدي

وبعد أهلي وجفاءَ عُوَّدي ... عضت من الوجد بأطراف اليد

الثاني : أنهم لما سمعوا كتاب الله عجبوا منه ووضعوا أيديهم على أفواههم ، قاله ابن عباس .

الثالث : معناه أنهم كانوا إذا قال لهم نبيهم إني رسول الله إليكم ، أشاروا بأصابعهم إلى أفواههم بأن اسكت تكذيباً له ورداً لقوله ، قاله أبو صالح . الرابع : معناه أنهم كذبوهم بأفواههم ، قاله مجاهد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الخامس : أنهم كانوا يضعون أيديهم على أفواه الرسل رداً لقولهم ، قاله الحسن .

السادس : أن الأيدي هي النعم ، ومعناه أنهم ردوا نعمهم بأفواههم جحوداً لها .

السابع : أن هذا مثل أريد به أنهم كفوا عن قبول الحق ولم يؤمنوا بالرسل ، كما يقال لمن أمسك عن الجواب رَدّ في فيه .

(324/2)

قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (10) قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (11) وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (12)

قوله عزوجل : { قالت رسلهم أفي الله شك } فيه وجهان :

أحدهما : أفي توحيد الله شك؟ قاله قتادة .

الثاني : أفي طاعة الله شك؟

ويحتمل وجهاً ثالثاً : أفي قدرة الله شك؟ لأنهم متفقون عليها ومختلفون فيما عداها .

{ فاطر السموات والأرض } أي خالقهما ، لسهوهم عن قدرته .

{ يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم } أي يدعوكم إلى التوبة ليغفر ما تقدمها من معصية .

وفي قوله تعالى : { من ذنوبكم } وجهان :

أحدهما : أن { من } زائدة ، وتقديره ، ليغفر لكم ذنوبكم ، قاله أبو عبيدة .

الثاني : ليست زائدة ، ومعناه أن تكون المغفرة بدلاً من ذنوبكم ، فخرجت مخرج البدل .

{ ويؤخركم إلى أجل مسمى } يعني إلى الموت فلا يعذبكم في الدنيا .

قوله عز وجل : { قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشرٌ مثلكم } يحتمل وجهين :

أحدهما : أن ينكر قومهم أن يكونوا مثلهم وهم رسل الله إليهم .

الثاني : أن يكون قومهم سألوهم معجزات اقترحوها .

وفي قوله تعالى : { ولكن الله يمنّ على مَنْ يشاء من عباده } ثلاثة أوجه :

أحدها : بالنبوة .

الثاني : بالتوفيق والهداية .

الثالث : بتلاوة القرآن وفهم ما فيه ، قاله سهل بن عبدالله . { وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بإذن الله } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : بكتاب .

الثاني : بحجة .

الثالث : بمعجزة .

(325/2)

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (13) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (14) وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (15) مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (16) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (17)

قوله عز وجل : { ذلك لمن خاف مقامي } أي المقام بين يدّي ، وأضاف ذلك إليه لاختصاصه به : والفرق بين المقام بالفتح وبين المقام بالضم أنه إذا ضم فهو فعل الإقامة ، وإذا فتح فهو مكان الإقامة .

{ وخاف وعيد } فيه وجهان :

أحدهما : أنه العذاب .

والثاني : أنه ما في القرآن من زواجر .

{ واستفتحوا } فيه وجهان :

أحدهما : أن الرسل استفتحوا بطلب النصر ، قاله ابن عباس .

الثاني : أن الكفار استفتحوا بالبلاء ، قاله ابن زيد .

وفي الاستفتاح وجهان :

أحدهما : أنه الإبتداء .

الثاني : أنه الدعاء ، قاله الكلبي .

{ وخاب كلُّ جبار عنيد } في { خاب } وجهان :

أحدهما : خسر عمله .

الثاني : بطل أمله .

وفي { جبار } وجهان :

أحدهما : أنه المنتقم .

الثاني : المتكبر بطراً .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وفي { عنيد } وجهان .

أحدهما : أنه المعاند للحق .

الثاني : أنه المتباعد عن الحق ، قال الشاعر :

ولست إذا تشاجر أمْرُ قوم ... بأوَّلِ مَنْ يخالِفهُم عَنيدا

قوله عز وجل : { مِن ورائه جهنم } فيه أربعة أوجه :

أحدها : معناه من خلفه جهنم . قال أبو عبيدة : وراء من الأضداد وتقع على خلف وقدام . جميعاً .

الثاني : معناه أمامه جهنم ، ومنه قول الشاعر :

ومن ورائك يومٌ أنت بالغه ... لا حاضرٌ معجز عنه ولا بادي

الثالث : أن جهنم تتوارى ولا تظهر ، فصارت من وراء لأنها لا ترى حكاه ابن الأنباري .

الرابع : من ورائه جهنم معناه من بعد هلاكه جهنم ، كما قال النابغة :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبةً ... وليس وراءَ الله للمرءِ مذهب

أراد : وليس بعد الله مذهب .

{ ويسقى من ماءٍ صديد } فيه وجهان :

أحدهما : من ماء مثل الصديد كما يقال للرجل الشجاع أسد ، أي مثل الأسد .

الثاني : من ماء كرهته تصد عنه ، فيكون الصديد مأخوذاً من الصد .

قوله عز وجل : { . . . ويأتيه الموت مِنْ كل مكان } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : من كل مكان من جسده حتى من أطراف شعره ، قاله إبراهيم التيمي ، للآلام التي في كل موضع من جسده .

الثاني : تأتيه أسباب الموت من كل جهة ، عن يمينه وشماله ، ومن فوقه وتحته ، ومن قدامه وخلفه ، قاله ابن عباس .

الثالث : تأتيه شدائد الموت من كل مكان ، حكاه ابن عيسى .

{ وما هو بميتٍ } لتطاول شدائد الموت به وامتداد سكراته عليه ليكون ذلك زيادة في عذابه .

{ ومن ورائه عذاب غليظ } فيه الوجوه الأربعة الماضية . والعذاب الغليظ هو الخلود في جهنم .

(326/2)

مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (18)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قوله عز وجل : { مثل الذين كفروا بربّهم أعمالُهم كرمادٍ اشتدت به الريح في يوم عاصف } وهذا مثل ضربه الله تعالى لأعمال الكافر في أنه لا يحصل على شيء منها ، بالرماد الذي هو بقية النار الذاهبة لا ينفعه ، فإذا اشتدت به الريح العاصف : وهي الشديدة : فأطارته لم يقدر على جمعه ، كذلك الكافر في عمله .

وفي قوله { في يوم عاصف } ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه وصف اليوم بالعصوف وهو من صفة الريح ، لأن الريح تكون فيه ، كما يقال يوم بارد ، ويوم حار ، لأن البرد والحر يكونان فيه .

الثاني : أن المراد به في يوم عاصف الريح ، فحذف الريح لأنها قد ذكرت قبل ذلك .

الثالث : أن العصوف من صفة الريح المقدم ذكرها ، غير أنه لما جاء بعد اليوم ابتع إعرابه .

{ لا يقدرون مما كسَبَوا على شيءٍ } يحتمل وجهين :

أحدهما : لا يقدرون في الآخرة على شيء من ثواب ما عملوا من البر في الدنيا لإحباطه بالكفر .

الثاني : لا يقدرون على شيء مما كسبوه من عروض الدنيا ، بالمعاصي التي اقترفوها ، أن ينتفعوا به في الآخرة .

{ ذلك هو الضلال البعيد } وإنما جعله بعيداً لفوات استدراكه بالموت .

(327/2)

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (19) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (20) وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ (21)

قوله عز وجل : { وبرزوا لله جميعاً } أي ظهروا بين يديه تعالى في القيامة . { فقال الضعفاء } وهم الأتباع .

{ للذين استكبروا } وهم القادة المتبوعون .

{ إنا كُنّا لكم تبعاً } يعني في الكفر بالإجابة لكم .

{ فهل أنتم مغنون عَنّا مِن عذاب الله من شيء } أي دافعون عنا يقال أغنى عنه إذا دفع عنه الأذى ، وأغناه إذا أوصل إليه النفع .

{ قالوا لو هَدانا الله لهديناكم } فيه ثلاثة أوجه

أحدها : لو هدانا الله إلى الإيمان لهديناكم إليه .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الثاني : لو هدانا الله إلى طريق الجنة لهديناكم إليها .

الثالث : لو نجانا الله من العذاب لنجيناكم منه .

{ سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيصٍ } أي من منجى أو ملجأ ، قيل إن أهل النار يقولون : يا أهل النار إن قوماً جزعوا في الدنيا وبكوا ففازوا ، فيجزعون ويبكون . ثم يقولون : يا أهل النار إن قوماً صبروا في الدنيا ففازوا ، فيصبرون . فعند ذلك يقولون { سواءٌ علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص } .

(328/2)

وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (22) وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ (23)

قوله عزوجل : { وقال الشيطان لمّا قضي الأمر } يعني إبليس .

قال الحسن : يقف إبليس يوم القيامة خطيباً في جهنم على منبر من نار يسمعه الخلائق جميعاً .

{ إن الله وعدكم وعد الحق } يعني البعث والجنة والنار وثواب المطيع وعذاب العاصي .

{ ووعدتكم } أن ، لا بعث ولا جنة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب .

{ فأخلفتكم وما كان لي عليكم مِن سلطان إلاّ أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخيَّ } فيه وجهان :

أحدهما : معناه ما أنا بمنجيكم وما أنتم بمنجيَّ ، قاله الربيع بن أنس .

الثاني : ما أنا بمغيثكم وما أنتم بمغيثي ، قاله مجاهد . والمصرخ : المغيث . والصارخ : المستغيث . ومنه قول أمية بن أبي الصلت :

فلا تجزعوا إنّي لكم غير مُصْرِخ ... فليس لكم عندي غناءٌ ولا صبر

{ إني كفرتُ بما أشركتمون مِن قبل } فيه وجهان :

أحدهما : إني كفرت اليوم بما كنتم في الدنيا تدعونه لي من الشرك بالله تعالى ، قاله ابن بحر .

الثاني : إني كفرت قبلكم بما أشركتموني من بعد ، لأن كفر إبليس قبل كفرهم .

قوله عز وجل : { . . . تحيّتُهم فيها سلامٌ } فيها وجهان :

أحدهما : أن تحية أهل الجنة إذا تلاقوا فيها السلامه ، وهو قول الجمهور .

الثاني : أن التحية ها هنا الملك ، ومعناه أن ملكهم فيها دائم السلام ، مأخوذ من قولهم في التشهد :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

التحيات لله ، أي الملك لله ، ذكره ابن شجرة .

وفي المحيّي لهم بالسلام ثلاثة أوجه :

أحدها : أن الله تعالى يحييهم بالسلام .

الثاني : أن الملائكة يحيونهم بالسلام .

الثالث : أن بعضهم يحيي بعضاً بالسلام .

وتشبيه الكلمة الطيبة بها لأنها ثابتة في القلب كثبوت أصل النخلة في الأرض ، فإذا ظهرت عرجت إلى السماء كما يعلو فرع النخلة نحو السماء فكلما ذكرت نفعت ، كما أن النخلة إذا أثمرت نفعت .

(329/2)

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (25) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (26)

قوله عز وجل : { ألم تَرَ كَيْفَ ضرب اللهُ مثلاً كلمةً طيبةً كشجرةٍ طيبةٍ } في الكلمة الطيبة قولان :

أحدهما : أنها الإيمان ، قاله مجاهد وابن جريج .

الثاني : أنه عنى بها المؤمن نفسه ، قاله عطية العوفي والربيع بن أنس .

وفي الشجرة الطيبة قولان :

أحدهما : أنها النخلة ، وروى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمر وأنس بن مالك .

الثاني : أنها شجرة في الجنة ، قاله ابن عباس .

وحكى ابن أبي طلحة عن ابن عباس أن الكلمة الطيبة : الإيمان ، والشجرة الطيبة : المؤمن .

{ أصلها ثابت } يعني في الأرض .

{ وفرعها في السماء } أي نحو السماء .

{ تؤتي أكُلَها } يعني ثمرها .

{ كلَّ حين بإذن ربها } والحين عند أهل اللغة : الوقت . قال النابغة :

تناذرها الرّاقون من سُوءِ سُمِّها ... تُطلِّقُه حيناً وحيناً تُراجع

وفي { الحين } ها هنا ستة تأويلات :

أحدها : يعني كل سنة ، قاله مجاهد ، لأنها تحمل كل سنة .

الثاني : كل ثمانية أشهر ، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، لأنها مدة الحمل ظاهراً وباطناً .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
الثالث : كل ستة أشهر ، قاله الحسن وعكرمة ، لأنها مدة الحمل ظاهراً .

الرابع : كل أربعة أشهر ، قاله سعيد بن المسيب لأنها مدة يرونها من طلعها إلى جذاذها .

الخامس : كل شهرين ، لأنها مدة صلاحها إلى جفافها .

السادس : كل غدوة وعشية ، لأنه وقت اجتنائها ، قاله ابن عباس .

وفي قوله تعالى { في الحياة الدنيا وفي الآخرة } وجهان :

أحدهما : أن المراد بالحياة الدنيا زمان حياته فيها ، وبالآخرة المساءلة في القبر ، قاله طاوس وقتادة .

الثاني : أن المراد بالحياة الدنيا المساءلة في القبر أن يأتيه منكر ونكير فيقولان له : من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فيقول : إن اهتَدَى : ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم .

{ ويضلُّ اللهُ الظالمين } فيه وجهان :

أحدهما : عن حجتهم في قبورهم ، كما ضلوا في الحياة الدنيا بكفرهم .

الثاني : يمهلهم حتى يزدادوا ضلالاً في الدنيا .

{ ويفعل الله ما يشاء } فيه وجهان :

أحدهما : مِن إمهال وانتقام .

الثاني : من ضغطة القبر ومساءلة منكر ونكير .

وروى ابن إسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لو نجا أحد من ضمة القبر لنجا منه سعد بن معاذ ، ولقد ضم ضَمّةً

» . وقال قتادة : ذكر لنا أنّ عذاب القبر من ثلاثة : ثلثٌ من البول . وثلثٌ من الغيبة ، وثلثٌ من النميمة . وسبب نزول هذه الآية ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم لما وصف مساءَلة منكر ونكير وما يكون من جواب الميت قال عمر : يا رسول الله أيكون معي عقلي : ؟ قال : « نعم » قال . كُفيت إذن ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

قوله عز وجل : { ومثل كلمة خبيثة } فيها قولان : أحدهما : أنها الكفر .

الثاني : أنها الكافر نفسه .

{ كشجرة خبيثةٍ } فيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها شجرة الحنظل ، قاله أنس بن مالك .

الثاني : أنها شجرة لم تخلف ، قاله ابن عباس .

الثالث : أنها الكشوث .

{ اجتثت من فوق الأرض } أي اقتلعت من أصلها ، ومنه قول لقيط :

هو الجلاء الذي يجتث أصلكم ... فمن رأى مِثْل ذا يوماً ومَنْ سمعا

{ ما لها من قرار } فيه وجهان :

أحدهما : ما لها من أصل .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثاني : ما لها من ثبات . وتشبيه الكلمة الخبيثة بهذه الشجرة التي ليس لها أصل يبقى ، ولا ثمر يجتنى أن الكافر ليس له عمل في الأرض يبقى ، ولا ذكر في السماء يرقى .

(330/2)

يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (27)

قوله عز وجل : { يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت } فيه وجهان :

أحدهما : يزيدهم الله أدلة على القول الثابت .

الثاني : يديمهم الله على القول الثابت ، ومنه قول عبد الله بن رواحة .

يُثبِّتُ الله ما آتاكَ من حسنٍ ... تثبيتَ موسى ونصراً كالذي نصرا

وفي قوله : { بالقول الثابت } وجهان :

أحدهما : أنه الشهادتان ، وهو قول ابن جرير .

الثاني : أنه العمل الصالح .

ويحتمل ثالثاً : أنه القرآن .

(331/2)

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (28) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ (29) وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (30)

قوله عز وجل : { ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفراً } فيهم خمسة أقاويل :

أحدهما : أنهم قريش بدلوا نعمة الله عليهم لما بعث رسوله منهم ، كفراً به وجحوداً له ، قاله سعيد بن جبير ومجاهد .

الثاني : أنها نزلت في الأفجرين من قريش بني أميه وبني مخزوم فأما بنو أمية فمتعوا إلى حين ، وأما بنو مخزوم فأهلكوا يوم بدر ، قاله عليٌّ ، ونحوه عن عمر رضي الله عنهما .

الثالث : أنهم قادة المشركين يوم بدر ، قاله قتادة .

الرابع : أنه جبلة من الأيهم حين لُطم ، فجعل له عمر رضي الله عنه القصاص بمثلها ، فلم يرض وأنف فارتد متنصراً ولحق بالروم في جماعة من قومه ، قاله ابن عباس . ولما صار إلى بلاد الروم

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ندم وقال :

تنصَّرت الأشْرافُ من عار لطمةٍ ... وما كان فيها لو صبرت لها ضَرَرْ

تكنفني منها لجاجٌ ونخوةٌ ... وبعث لها العين الصحيحة بالعور

فيا ليتني أرْعَى المخاض ببلدتي ... ولم أنكِرِ القول الذي قاله عمر

الخامس : أنها عامة في جميع المشركين ، قاله الحسن .

ويحتمل تبديلهم نعمة الله كفراً وجهين :

أحدهما : أنهم بدلوا نعمة الله عليهم في الرسالة بتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم .

الثاني : أنهم بدلوا نعم الدنيا بنقم الآخرة .

{ وأحلوا قومهم دار البوار } فيها قولان :

أحدهما : أنها جهنم ، قاله ابن زيد .

الثاني : أنها يوم بدر ، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومجاهد . والبوار في كلامهم الهلاك ، ومنه قول الشاعر :

فلم أر مثلهم أبطال حربٍ ... غداة الحرب إن خيف البَوارُ

(332/2)

قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آَمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ (31)

قوله عز وجل : { قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصّلاة وينفقوا مما رزَقناهم سِرًّا وعلانية } فيه وجهان :

أحدهما : يعني بالسر ما خفي ، وبالعلانية ما ظهر ، وهو قول الأكثرين .

الثاني : أن السر التطوع ، والعلانية الفرض ، قاله القاسم بن يحيى .

ويحتمل وجهاً ثالثاً : أن السر الصدقات ، والعلانية النفقات .

{ مِنْ قبل أن يأتي يومٌ ، لا بَيْعٌ فيه ولا خلالٌ } فيه تأويلان :

أحدهما : معناه لا فِدية ولا شفاعة للكافر .

الثاني : أن معنى قوله { لا بيع } أي لا تباع الذنوب ولا تشتري الجنة . ومعنى قوله { ولا خِلال } أي لا مودة بين الكفار في القيامة لتقاطعهم .

ثم فيه وجهان :

أحدهما : أن الخلال جمع خلة ، مثل قِلال وقُلّة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الثاني : أنه مصدر من خاللت خِلالاً ، مثل قاتلت قِتالاً . ومنه قول لبيد :

خالت البرقة شركاً في الهدى ... خلة باقية دون الخلل

(333/2)

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (32) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (33) وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (34) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (35) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (36) رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (37)

قوله عز وجل : { رَبّنا إني أسكنت مِنْ ذُرِّيتي بوادٍ غير ذي زَرْعٍ } هذا قول إبراهيم عليه السلام .

وقوله { مِن ذريتي } يريد بهم إسماعيل وهاجر أُمه .

{ بوادٍ غير ذي زرع } يعني مكة أسكنها في بطحائها ، ولم يكن بها ساكن ، ثقة بالله وتوكلاً عليه .

{ عند بيتك المحرم } لأنه قبلة الصلوات فلذلك أسكنهم عنده . وأضاف البيت إليه لأنه لا يملكه غيره ، ووصفه بأنه محرَّم لأنه يحرم فيه ما يستباح في غيره من جماع واستحلال .

{ ربّنا ليقيموا الصلاة } يحتمل وجهين :

أحدهما : أن يكون سأل الله تعالى بذلك أن يهديهم إلى إقامة الصلاة .

الثاني : أن يكون ذكر سبب تركهم فيه أن يقيموا الصلاة .

{ فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم } في { أفئدة } وجهان :

أحدهما : أن الأفئدة جمع فؤاد وهي القلوب ، وقد يعبر عن القلب بالفؤاد ، قال الشاعر :

وإنّ فؤاداً قادَني بصبابةٍ ... إليك على طول الهوَى لصَبورُ

الثاني : أن الأفئدة جمع وفد ، فكأنه قال : فاجعل وفوداً من الأمم تهوي إليهم . وفي قوله : { تهوي إليهم } أربعة أوجه :

أحدها : أنه بمعنى تحن إليهم ،

الثاني : أنه بمعنى تنزل إليهم ، لأن مكة في واد والقاصد إليها نازل إليها ،

الثالث : ترتفع إليهم ، لأن ما في القلوب بخروجه منها كالمرتفع عنها .

الرابع : تهواهم . وقد قرىء تهْوَى .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

وفي مسألة إبراهيم عليه السلام أن يجعل الله أفئدةً من الناس تهوي إليهم قولان :

أحدهما : ليهووا السكنى بمكة فيصير بلداً محرّماً ، قاله ابن عباس .

الثاني : لينزعوا إلى مكة فيحجوا ، قاله سعيد بن جبير ومجاهد .

قال ابن عباس : لولا أنه قال من الناس لحجه اليهود والنصارى وفارس والروم .

{ وارزقهم من الثمرات } فيه وجهان :

أحدهما : يريد ثمرات القلوب بأن تحببهم إلى قلوب الناس فيزوروهم .

الثاني : ومن الظاهر من ثمرات النخل والأشجار ، فأجابه بما في الطائف من الثمار ، وما يجلب إلهم من الأمصار .

{ لَعَلَّهُمْ يشكرون } أي لكي يشكروك .

قوله عز وجل : { ربنا اغفر لي ولوالديَّ وللمؤمنين } وفي استغفاره لوالديه مع شركهما ثلاثة أوجه :

أحدهما : كانا حيين فطمع في إيمانهما . فدعا لهما بالاستغفار ، فلما ماتا على الكفر لم يستغفر لهما .

الثاني : أنه أراد آدم وحوّاء .

الثالث : أنه أراد ولديه إسماعيل وإسحاق . وكان إبراهيم يقرأ : { رب اغفر لي ولوالدي } يعني ابنيه ، وكذلك قرأ يحيى بن يعمر .

(334/2)

رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (38)
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (39) رَبِّ اجْعَلْنِي
مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (40) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ
(41) وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (42)
مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (43)

قوله عز وجل : { ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون } قال ميمون بن مهران : وعيد للظالم وتعزية للمظلوم .

قوله عز وجل : { مهطعين } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : معناه مسرعين قاله سعيد بن جبير والحسن وقتادة ، مأخوذ من أهطع يهطع إهطاعاً إذا أسرع ، ومنه قوله تعالى : { مهطعين إلى الداع } أي مسرعين . قال الشاعر :

بدجلة دارُهُم ولقد أراهم ... بدجلة مهطعين إلى السماع

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الثاني : أنه الدائم النظر لا يطرف ، قاله ابن عباس والضحاك .

الثالث : أنه المطرِق الذي لا يرفع رأسه ، قاله ابن زيد .

{ مقنعي رءُوسهم } وإقناع الرأس فيه تأويلان :

أحدهما : ناكسي رؤوسهم بلغة قريش ، قاله مؤرج السدوسي وقتادة .

الثاني : رافعي رؤوسهم ، وإقناع الرأس رفْعُه ، قاله ابن عباس ومجاهد ، ومنه قول الشاعر :

أنغض رأسه نحوي وأقنعا ... كأنما أبصَرَ شيئاً أطمعَا

{ لا يرتد إليهم طرفهم } أي لا يرجع إليهم طرفهم ، والطرف هو النظر وسميت العَيْن طرْفاً لأنها بها يكون ، قال جميل :

وأَقْصِرُ طَرْفي دُون جُمْل كرامةً ... لجُمْلٍ وللطرْفِ الذي أنا قاصِر

{ وأفئدتهم هواءٌ } والمراد بالأفئدة مواضع القلوب ، وهي الصدور .

وقوله : { هواء } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أنها تتردد في أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه فكأنها تهوي ، قاله سعيد بن جبير ومجاهد .

الثاني : أنها قد زالت عن أماكنها حتى بلغت الحناجر ، فلا تنفصل ولا تعود ، قاله قتادة .

الثالث : أنها المتخرمَة التي لا تعي شيئاً ، قاله مُرّة .

الرابع : أنها خالية من الخير ، وما كان خالياً فهو هواء ، قاله ابن عباس ومنه قول حسان :

ألا أبلِغ أبا سفيان عني ... فأنتَ مُجوَّف نخب هواء

(335/2)

وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ (44) وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ (45) وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (46)

قوله عز وجل : { وأنذر النّاس يَوْمَ يأتيهم العذاب } معناه وأنذرهم باليوم الذي يأتيهم فيه العذاب ، يعني يوم القيامة . وإنما خصه بيوم العذاب وإن كان يوم الثواب أيضاً لأن الكلام خرج مخرج التهديد للعاصي وإن تضمن ترغيباً للمطيع .

{ فيقول الذين ظلَموا ربّنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرُّسل } طلبوا رجوعاً إلى الدنيا حين ظهر لهم الحق في الآخرة ليستدركوا فارط ذنوبهم ، وليست الآخرة دار توبة فتقبل توبتهم ، كما

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ليست بدار تكليف فيستأنف تكليفهم . فأجابهم الله تعالى عن هذا الطلب فقال :

{ أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوالٍ } فيه وجهان :

أحدهما : ما لكم من انتقال عن الدنيا إلى الآخرة ، قاله مجاهد .

الثاني : ما لكم من زوال عن العذاب ، قاله الحسن .

قوله عز وجل : { وقد مكروا مكرهم } فيه قولان :

أحدهما : أنه عنى بالمكر الشرك ، قاله ابن عباس .

الثاني : أنه عنى به العتو والتجبّر ، وهي فيمن تجبر في ملكه وصعد مع النسرين في الهواء ، قاله علي رضي الله عنه . وقال ابن عباس : هو النمرود بن كنعان بن سنحاريب بن حام بن نوح بنى الصرح في قرية الرس من سواد الكوفة ، وجعل طوله خمسة آلاف ذراع ، وعرضه ثلاثة آلاف ذراع وخمسة وعشرين ذراعاً وصعد منه مع النسور ، فلما علم أنه لا سبيل إلى السماء اتخذه حصناً وجمع فيه أهله وولده ليتحصن فيه ، فأتى الله بنيانه من القواعد ، فتداعى الصرح عليهم ، فهلكوا جميعاً ، فهذا معنى قوله { وقد مكروا مكرهم } .

{ وعند الله مكرهم } فيه وجهان :

أحدهما : وعند الله مكرهم عالماً به لا يخفى عليه ، قاله علي بن عيسى .

الثاني : وعند الله مكرهم محفوظاً عليهم حتى يجازيهم عليه ، قاله الحسن وقتادة .

{ وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال } فيه قراءتان .

إحداهما : بكسر اللام الأولى وفتح الثانية ، ومعناها وما كان مكرهم لتزول منه الجبال ، احتقاراً له ، قاله ابن عباس والحسن .

الثانية : بفتح اللام الأولى وضم الثانية ، ومعناها وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال استعظاماً له .

قرأ عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عباس وأبيّ بن كعب رضي الله عنهم { وإن كاد مكرهم لتزول منه الجبال } .

وفي { الجبال } التي عنى زوالها بمكرهم قولان : أحدهما : جبال الأرض .

الثاني : الإسلام والقرآن ، لأنه لثبوته ، ورسوخه كالجبال .

(336/2)

فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (47) يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (48)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله عز وجل : { يوم تبدل الأرض غير الأرض } فيه قولان :

أحدهما : أنها تبدل بأرض غيرها بيضاء كالفضة ، لم تعمل عليها خطيئة ، قاله ابن مسعود . وقال ابن عباس : تبدل الأرض من فضة بيضاء .

الثاني : أنها هي هذه الأرض ، وإنما تبدل صورتها ويطهر دنسها ، قاله الحسن .

{ السمواتُ } فيها ستة أقاويل :

أحدها : أن السموات تبدل بغيرها كالأرض فتجعل السماء من ذهب ، والأرض من فضة ، قاله علي بن أبي طالب .

الثاني : أن السموات تبدل بغيرها كالأرض ، فتصير السموات جناناً والبحار نيراناً وتبدل الأرض بغيرها ، قاله كعب الأحبار .

الثالث : أن تبديل السموات تكوير شمسها وتكاثر نجومها ، قاله ابن عيسى .

الرابع : أن تبديلها أن تطوى كطي السجل للكتب ، قاله القاسم بن يحيى .

الخامس : أن تبديلها أن تنشق فلا تظل ، قاله ابن شجرة .

السادس : أن تبديلها اختلاف أحوالها ، تكون في حال كالمهل ، وفي حال كالوردة ، وفي حال كالدهان ، حكاه ابن الأنباري .

{ وبرزوا لله الواحد القهار } أي صاروا إلى حكم الله تعالى وأمره فروى الحسن قال : قالت عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله يوم تبدَّل الأرض غير الأرض أين الناس يومئذٍ؟ قال « إن هذا الشيء ما سألني عنه أحد ثم قال على الصراط يا عايشة

» .

(337/2)

وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (49) سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ (50) لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (51)

قوله عز وجل : { وترى المجرمين يومئذٍ مقرنين في الأصفاد } فيه قولان :

أحدهما : أن الأصفاد الأغلال ، واحدها صفد ، ومنه قول حسان :

ما بين مأسورٍ يشد صِفادُهُ ... صقرٍ إذا لاقى الكريهة حامي

الثاني : أنها القيود ، ومنه قول عمرو بن كلثوم :

فآبوا بالنهاب وبالسبايا ... وأُبنا بالملوكِ مُصفَّدينا

أي مقيّدين . وأما قول النابغة الذبياني :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
هذا الثناء فإن تسمع لقائله ... فلم أعرض ، أبيت اللعن ، بالصفدِ
فأراد بالصفد العطية ، وقيل لها صف لأنها تقيد المودة .
وفي المجرمين المقرنين في الأصفاد قولان :
أحدهما : أنهم الكفار يجمعون في الأصفاد كما اجتمعوا في الدنيا على المعاصي .
الثاني : أنه يجمع بين الكافر والشيطان في الأصفاد .
قوله عز وجل : { سرابيلهم مِن قطرانٍ } السرابيل : القمص ، واحدها سربال ، ومنه قول الأعشى :
عهدي بها في الحي قد سربلت ... صفراء مثل المهرة الضامر
وفي القطران ها هنا قولان :
أحدهما : أنه القطران الذي تهنأ به الجمال ، قاله الحسن ، وإنما جعلت سرابيلهم من قطران لإسراع النار إليها .
الثاني : أنه النحاس الحامي ، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير .
وقرأ عكرمة وسعيد بن جبير { من قطران } بكسر القاف وتنوين الراء وهمزآن لأن القطر النحاس ، ومنه قوله تعالى { آتوني أفرغ عليه قطراً } [الكهف : 96] والآني : الحامي ، ومنه قوله تعالى { وبين حَمِيمٍ آن } [الرحمن : 44] .

(338/2)

هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (52)

قوله عز وجل : { هذا بلاغ للناس } فيه قولان :
أحدهما : هذا الإنذار كاف للناس ، قاله ابن شجرة .
الثاني : هذا القرآن كافٍ للناس ، قاله ابن زيد .
{ ولينذروا به } فيه وجهان :
أحدهما : بالرسول .
الثاني : بالقرآن .
{ وليعلموا أنما هو إله واحدٌ } لما فيه من الدلائل على توحيده .
{ وليذكّرَ أولوا الألباب } فيه وجهان :
أحدهما : وليتعظ ، قاله الكلبي .
الثاني : ليسترجع يعني بما سمع من المواعظ . أولو الألباب ، أي ذوو العقول . وروى يمان بن رئاب أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

(339/2)

الر تِلْكَ آَيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآَنٍ مُبِينٍ (1) رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (2) ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (3)

{ ألر تلك أياتُ الكتاب وقرآن مبينٍ } فيه تأويلان :
أحدهما : أن الكتاب هو القرآن ، جمع له بين الاسمين .
الثاني : أن الكتاب هو التوراة والانجيل ، ثم قرنها بالقرآن بالقرآن المبين . وفي المراد بالمبين ثلاثة أوجه :
أحدها : المبين إعجازه حتى لا يعارض .
الثاني : المبين الحق من الباطل حتى لا يشكلا .
الثالث : المبين الحلال من الحرام حتى لا يشتبها .
قوله عز وجل : { رُبما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين } وفي زمان هذا التمني ثلاثة أقاويل :
أحدها : عند المعاينة في الدنيا حين يتبين لهم الهدى من الضلالة ، قاله الضحاك .
الثاني : في القيامة إذا رأوا كرامة المؤمنين وذل الكافرين .
الثالث : إذا دخل المؤمن الجنة ، والكافر النار .
وقال الحسن : إذا رأى المشركون المؤمنين وقد دخلوا الجنة وصاروا هم إلى النار تمنوا أنهم كانوا مسلمين .
وربما مستعملة في هذا الموضع للكثير ، وإن كانت في الأصل موضوعة للتقليل ، كما قال الشاعر :
ألا ربّما أهدت لك العينُ نظرة ... قصاراك مِنْها أنها عنك لا تجدي
وقال بعضهم هي للتقليل أيضاً في هذا الموضع ، لأنهم قالوا ذلك في بعض المواضع لا في كلها .

(340/2)

وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ (4) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (5)

قوله عز وجل : { وما أهلكنا من قرية } يعني من أهل قرية .
{ إلا ولها كتاب معلوم } يحتمل وجهين :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدهما : أجل مقدر .

الثاني : فرض محتوم .

قوله عز وجل : { ما تسبق من أمةٍ أجَلَها وما يَستأخرون } يحتمل وجهين :

أحدهما : لا يتقدم هلاكهم عن أجله ولا يتأخر عنه .

الثاني : لا يموتون قبل العذاب فيستريحوا ، ولا يتأخر عنهم فيسلموا .

وقال الحسن فيه تأويلاً ثالثاً : ما سبق من أمة رسولها وكتابها فتعذب قبلهما ولا يستأخر الرسول والكتاب عنها .

(341/2)

وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (6) لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (7) مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ (8) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9)

قوله عز وجل : { ما ننزل الملائكة إلا بالحق } فيه أربعة أوجه :

أحدها : إلا بالقرآن ، قاله القاسم .

الثاني : إلا بالرسالة ، قاله مجاهد .

الثالث : إلا بالقضاء عند الموت لقبض أرواحهم ، قاله الكلبي .

الرابع : إلا بالعذاب إذا لم يؤمنوا ، قاله الحسن .

{ وما كانوا إذاً منظرين } أي مؤخَّرين .

قوله عز وجل : { إنا نحن نزلنا الذكر } قال الحسن والضحاك يعني القرآن .

{ وإنا له لحافظون } فيه قولان :

أحدهما : وإنا لمحمد حافظون ممن أراده بسوء من أعدائه ، حكاه ابن جرير .

الثاني : وإنا للقرآن لحافظون .

وفي هذا الحفظ ثلاثة أوجه :

أحدها : حفظه حتى يجزى به يوم القيامة ، قاله الحسن .

الثاني : حفظه من أن يزيد فيه الشيطان باطلاً ، أو يزيل منه حقاً ، قاله قتادة .

الثالث : إنا له لحافظون في قلوب من أردنا به خيراً ، وذاهبون به من قلوب من أردنا به شراً .

(342/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ (10) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (11) كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (12) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ (13)

قوله عز وجل : { ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن الشيع الأمم ، قاله ابن عباس وقتادة .

الثاني : أن الشيع جمع شيعة ، والشيعة الفرقة المتآلفة المتفقة الكلمة ، فكأن الشيع الفرق ، ومنه قوله تعالى { أو يلبسكم شيَعاً } [الأنعام : 65] أي فرقاً ، وأصله مأخوذ من الشياع وهو الحطب الصغار يوقد به الكبار ، فهو عون النار .

الثالث : أن الشيع القبائل ، قاله الكلبي .

قوله عز وجل : { كذلك نسلكه في قلوب المجرمين } فيه أربعة أوجه :

أحدها : كذلك نسلك الاستهزاء في قلوب المجرمين ، وإن لم يعرفوا ، قاله قتادة .

الثاني : كذلك نسلك التكذيب في قلوب المجرمين ، قاله ابن جريج .

الثالث : كذلك نسلك القرآن في قلوب المجرمين ، وإن لم يؤمنوا ، قاله الحسن .

الرابع : كذلك إذا كذب به المجرمون نسلك في قلوبهم أن لا يؤمنوا به .

قوله عز وجل : { لا يؤمنون به } يحتمل وجهين :

أحدهما : بالقرآن أنه من عند الله .

الثاني : بالعذاب أن يأتيهم .

{ وقد خلت سنة الأولين } السنة : الطريقة ، قال عمر بن أبي ربيعة :

لها من الريم عيناه وسُنَّتُهُ ... ونحرُه السابق المختال إذ صَهَلا

فيه وجهان :

أحدهما : قد خلت سنة الأولين بالعذاب لمن أقام على تكذيب الرسل .

الثاني : بأن لا يؤمنوا برسلهم إذا عاندوا .

ويحتمل ثالثاً : بأن منهم مؤمناً وكافراً .

كما يحتمل رابعاً : من أقام على الكفر بالمعجزات بعد مجيء ما طلب من الآيات .

(343/2)

وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (14) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (15)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قوله عز وجل : { ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون } فيه وجهان :

أحدهما : فظل هؤلاء المشركون يعرجون فيه ، قاله الحسن وقتادة .

الثاني : فظلت الملائكة فيه يعرجون وهم يرونهم ، قاله ابن عباس والضحاك .

قوله عز وجل : { لقالوا إنما سكرت أبصارنا } في { سكرت } قراءتان :

إحداهما بتشديد الكاف ، والثانية بتخفيفها ، وفي اختلافهما وجهان :

أحدهما : معناهما واحد ، فعلى هذا ستة تأويلات :

أحدها : سُدّت ، قاله الضحاك .

الثاني : عميت ، قاله الكلبي .

الثالث : أخذت ، قاله قتادة .

الرابع : خدعت ، قاله جويبر .

الخامس : غشيت وغطيت ، قاله أبو عمرو بن العلاء ، ومنه قول الشاعر :

وطلعت شمسٌ عليها مغفر ... وجَعَلَتْ عين الحرورو تسكر

السادس : معناه حبست ، قاله مجاهد . ومنه قول أوس بن حجر :

فصرن على ليلة ساهرة ... فليست بطلقٍ ولا ساكرة

والوجه الثاني : أن معنى سكرت بالتشديد والتخفيف مختلف ، وفي اختلافهما وجهان :

أحدهما : أن معناه بالتخفيف سُحِرَتْ ، وبالتشديد : أخذت .

الثاني : أنه بالتخفيف من سُكر الشراب ، وبالتشديد مأخوذ من سكرت الماء .

{ بل نحن مسحورون } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أي سحرنا فلا نبصر .

الثاني : مضللون ، حكاه ثعلب .

الثالث : مفسدون .

(344/2)

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (16) وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (17) إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ (18) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (19) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (20)

قوله عز وجل : { ولقد جعلنا في السماء بروجاً } فيه خمسة أقاويل :

أحدها : أنها قصور في السماء فيها الحرس ، قاله عطية .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الثاني : أنها منازل الشمس والقمر ، قاله علي بن عيسى .

الثالث : أنها الكواكب العظام ، قاله أبو صالح ، يعني السبعة السيارة .

الرابع : أنها النجوم ، قاله الحسن وقتادة .

الخامس : أنها البروج الاثنا عشر .

وأصل البروج الظهور ، ومنه تبرجت المرأة إذا أظهرت نفسها .

{ وزيناها للناظرين } أي حسنّاها .

{ وحفظناها من كل شيطان رجيم } يعني السماء . وفي الرجيم ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه الملعون ، قاله قتادة .

الثاني : المرجوم بقول أو فعل ، ومنه قول الأعشى :

يظل رجيماً لريب المنون ... والسقم في أهله والحزن

الثالث : أنه الشتيم . زعم الكلبي أن السموات كلها لم تحفظ من الشياطين إلى زمن عيسى ، فلما بعث الله تعالى عيسى حفظ منها ثلاث سموات ، إلى مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فحفظ جميعها بعد بعثه وحرسها منهم بالشهب .

قوله عز وجل : { إلا من استرق السمع } ومسترق السمع من الشياطين يسترقه من أخبار الأرض دون الوحي ، لأن الله تعالى قد حفظ وحيه منهم .

ومن استراقهم له قولان :

أحدهما : أنهم يسترقونه من الملائكة في السماء .

الثاني : في الهواء عند نزول الملائكة من السماء . وفي حصول السمع قبل أخذهم بالشهاب قولان :

أحدهما : أن الشهاب يأخذهم قبل وصولهم إلى السمع ، فيصرفون عنه .

الثاني : أنه يأخذهم بعد وصول السمع إليهم .

وفي أخذهم بالشهاب قولان :

أحدهما : أنه يخرج ويحرق ولا يقتل ، قاله ابن عباس .

الثاني : أنه يقتل ، قاله الحسن وطائفة .

فعلى هذا القول في قتلهم بالشهب قبل إلقاء السمع إلى الجن قولان :

أحدهما : أنهم يقتلون قبل إلقائهم ما استرقوه من السمع إلى غيرهم ، فعلى هذا لا تصل أخبار السماء إلى غير الأنبياء ، قاله ابن عباس : ولذلك انقطعت الكهانة .

الثاني : أنهم يقتلون بعد إلقائهم ما استرقوه من السمع إلى غيرهم من الجن ، ولذلك ما يعودون إلى استراقه ، ولو لم يصل لانقطع الإستراق وانقطع الإحراق .

وفي الشهب التي يرجمون بها قولان :

أحدهما : أنها نور يمتد بشدة ضيائه فيحرقهم ولا يعود ، كما إذا أحرقت النار لم تعد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الثاني : أنها نجوم يرجمون بها وتعود إلى أماكنها ، قال ذو الرمة :

كأنه كوكب في إثر عفريةٍ ... مُسَوَّمٌ في سوادِ الليل منقضبُ

قوله عز وجل : { والأرض مددناها } أي بسطناها . قال قتادة . بسطت من مكة لأنها أم القرى . { وألقينا فيها رواسي } وهي الجبال .

{ وأنبتنا فيها من كل شيء موزون } فيه أربعة أقاويل :

أحدها : يعني مقدر معلوم ، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير . وإنما قيل { موزون } لأن الوزن يعرف به مقدار الشيء . قاله الشاعر :

قد كنت قبل لقائكم ذا مِرّةٍ ... عندي لكل مُخاصِم ميزانُه

الثاني : يعني به الأشياء التي توزن في أسواقها ، قاله الحسن وابن زيد .

(345/2)

الثالث : معناه مقسوم ، قاله قتادة .

الرابع : معناه معدود ، قاله مجاهد .

ويحتمل خامساً : أنه ما يوزن فيه الأثمان لأنه أجل قدراً وأعم نفعاً مما لا ثمن له .

قوله عز وجل : { وجعلنا لكم فيها معايش } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنها الملابس ، قاله الحسن .

الثاني : أنها المطاعم والمشارب التي يعيشون فيها ، ومنه قول جرير :

تكلفني معيشة آل زيدٍ ... ومَن لي بالمرقق والصنابِ

الثالث : أنها التصرف في أسباب الرزق مدة أيام الحياة ، وهو الظاهر .

{ ومن لستم له برازقين } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها الدواب والأنعام ، قاله مجاهد .

الثاني : أنها الوحوش ، قاله منصور .

الثالث : العبيد والأولاد الذين قال الله فيهم { نحن نرزقهم وإياكم } [الإسراء : 31] قاله ابن بحر .

(346/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (21) وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (22) وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ (23) وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (24) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (25)

قوله عز وجل : { وإن من شيء إلا عندنا خزائنه } يعني وإن من شيء من أرزاق الخلق إلا عندنا خزائنه وفيه وجهان :

أحدهما : يعني مفاتيحه لأن في السماء مفاتيح الأرزاق ، وهو معنى قول الكلبي .

الثاني : أنها الخزائن التي هي مجتمع الأرزاق . وفيها وجهان :

أحدهما : ما كتبه الله تعالى وقدره من أرزاق عباده .

الثاني : يعني المطر المنزل من السماء ، لأنه نبات كل شيء ، قال الحسن : المطر خزائن كل شيء .

{ وما ننزله إلا بقدر معلوم } قال ابن مسعود : ما كان عامٌ بأمطر من عام ولكن الله يقسمه حيث يشاء ، فيمطر قوماً ويحرم آخرين .

قوله عز وجل : { وأرسلنا الرياحَ لواقِحَ } فيه قولان :

أحدهما : لواقح السحاب حتى يمطر ، قاله الحسن وقتادة ، وكل الرياح لواقح . غير أن الجنوب ألقح وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ما هبت ريح جنوب إلا أنبع الله تعالى بها عيناً غدقة

» . الثاني : لواقح للشجر حتى يثمر ، قاله ابن عباس .

وقال أبو عبيدة : لواقح بمعنى ملاقح . وقال عبيد بن عمير : يرسل الله تعالى المبشرة فتقم الأرض قمّاً ، ثم يرسل المثيرة فتثير السحاب ، ثم يرسل المؤلفة فتؤلفه ، ثم يرسل اللواقح فتلقح الشجر .

قوله عز وجل : { فأنزلنا من السماء ماءً } يعني من السحاب مطراً .

{ فأسقيناكموه } أي مكناكم منه ، والفرق بين السقي والشرب أن السقي بذل المشروب ، والشرب : استعمال المشروب ، فصار الساقي باذلاً ، والشارب مستعملاً .

{ وما أنتم له بخازنين } فيه وجهان :

أحدهما : بخازني الماء الذي أنزلناه .

الثاني : بمانعي الماء الذي أنزلناه .

قوله عز وجل : { ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد عَلِمنا المستأخرين } فيه ثمانية تأويلات :

أحدها : أن المستقدمين الذين خلقوا ، والمستأخرين الذين لم يخلقوا ، قاله عكرمة .

الثاني : المستقدمين الذين ماتوا ، والمستأخرين الذين هم أحياء لم يموتوا ، قاله الضحاك .

الثالث : المستقدمين أول الخلق ، والمستأخرين آخر الخلق ، قاله الشعبي .

الرابع : المستقدمين أول الخلق ممن تقدم على أمة محمد ، والمستأخرين أمة محمد صلى الله عليه

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وسلم ، قاله مجاهد .

الخامس : المستقدمين في الخير ، والمستأخرين في الشر ، قاله قتادة .

السادس : المستقدمين في صفوف الحرب ، والمستأخرين فيها ، قاله سعيد بن المسيب .

السابع : المستقدمين من قتل في الجهاد ، والمستأخرين من لم يقتل ، قاله القرظي .

الثامن : المستقدمين في صفوف الصلاة ، والمستأخرين فيها .

روى عمر بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال : كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأةٌ من أحسن الناس ، لا والله ما رأيت مثلها قط ، فكان بعض الناس يستقدم في الصف الأول لئلا يراها ، ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر فإذا ركع نظر من تحت إبطه في الصف ، فأنزل الله تعالى في شأنها هذه الآية .

(347/2)

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (26) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (27)

قوله عز وجل : { ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حَمَإٍ مسنون } أما الإنسان ها هنا فهو آدم عليه السلام في قول أبي هريرة والضحاك .

أما الصلصال ففيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه الطين اليابس الذي لم تصبه نار ، فإذا نقرته صل فسمعت له صلصلة ، قاله ابن عباس وقتادة ، ومنه قول الشاعر :

وقاعٍ ترى الصَّلصال فيه ودونه ... بقايا بلالٍ بالقرى والمناكبِ

والصلصة : الصوت الشديد المسموع من غير الحيوان ، وهو مثل القعقعة في الثوب .

الثاني : أنه طين خلط برمل ، قاله عكرمة .

الثالث : أنه الطين المنتن ، قاله مجاهد ، مأخوذ من قولهم : صَلَّ اللحمُ وأصَلَّ إذا أنتن ، قال الشاعر :

ذاك فتى يبذل ذا قدرِهِ ... لا يفسد اللحم لديه الصلول

والحمأ : جمع حمأة وهو الطين الأسود المتغير .

وفي المسنون سبعة أقاويل :

أحدها : أن المسنون المنتن المتغير ، من قولهم قد أسن الماء إذا تغير ، قاله ابن عباس ، ومنه قول أبي قيس بن الأسلت :

سَقَتْ صداي رضاباً غير ذي أَسَنٍ ... كالمسكِ فُتَّ على ماءِ العناقيد

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثاني : أن المسنون المنصوب القائم ، من قولهم وجه مسنون ، قاله الأخفش .

الثالث : أن المسنون المصبوب ، من قولهم سنيثُ الماء على الوجه إذا صببته عليه ، قاله أبو عمرو بن العلاء ، ومنه الأثر المروي عن عمر أنه كان يسن الماء على وجهه ولا يشنُّه ، والشن تفريق الماء ، والسن صبه .

الرابع : أن المسنون الذي يحك بعضه بعضاً ، من قولهم سننت الحجر على الحجر إذا حككت أحدهما بالآخر ، ومنه سمي المسَنّ لأن الحديد يسن عليه ، قاله الفراء .

الخامس : أن المسنون المنسوب .

السادس : أنه الرطب ، قاله ابن أبي طلحة .

السابع : أنه المخلص من قولهم سن سيفك أي اجلهُ .

قوله عز وجل : { والجانَّ خلقناه من قبل من نار السموم } وفي الجان ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه إبليس ، قاله الحسن .

الثاني : أنهم الجن حكاه ابن شجرة .

الثالث : أنه أبو الجن قاله الكلبي فآدم أبو الإنس ، والجان : أبو الجن ، وإبليس أبو الشياطين .

قال ابن عباس : الجان أبو الجن وليسوا شياطين . والشياطين ولد إبليس لا يموتون إلا مع إبليس . والجن يموتون ، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر .

{ خلقناه من قبل } يعني من قبل آدم . قال قتادة : لأن آدم إنما خلق آخر الخلق .

وقوله تعالى : { من نار السّموم } فيه أربعة أقاويل :

أحدها : يعني من لهب النار ، قاله ابن عباس .

الثاني : يعني من نار الشمس ، قاله عمرو بن دينار .

الثالث : من حر السموم ، والسموم : الريح الحارة . ذكره ابن عيسى .

الرابع : أنه نار السموم نار الصواعق بين السماء وبين حجاب دونها ، قاله الكلبي وسمي سموماً لدخوله في مسام البدن .

(348/2)

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (28) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (29) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (30) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (31) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (32) قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (33) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (34) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الدِّينِ (35) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (36) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (37) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (38)

قوله عز وجل : { قال رَبِّ فأنظرني إلى يوم يبعثونَ } وهذا السؤال من إبليس لم يكن من ثقة منه بمنزلته عند الله تعالى وأنه أهل أن يجاب له دعاء ، ولكن سأل تأخير عذابه زيادة في بلائه كفعل الآيس من السلامة . وأراد بسؤاله الإنظار إلى يوم يبعثون أن لا يموت ، لأن يوم البعث لا موت فيه ولا بعده .

فقال الله تعالى : { فإنك من المنظرين } يعني من المؤجلين .

{ إلى يوم الوقت المعلوم } فلم يجبه إلى البقاء .

وفي الوقت المعلوم وجهان :

أحدهما : معلوم عند الله تعالى ، مجهول عند إبليس .

الثاني : إلى يوم النفخة الأولى يموت إبليس . وبين النفخة والنفخة أربعون سنة . فتكون مدة موت إبليس أربعين سنة ، وهو قول ابن عباس وسمي يوم الوقت المعلوم لموت جميع الخلائق فيه .

وليس هذا من الله تعالى إجابة لسؤاله ، لأن الإجابة تكرمة ، ولكن زيادة في بلائه ، ويعرف أنه لا يضر بفعله غير نفسه .

وفي كلام الله تعالى له قولان :

أحدهما : أنه كلمه على لسان رسول .

الثاني : أنه كلمه تغليظاً في الوعيد لا على وجه التكرمة والتقريب .

(349/2)

قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (39) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (40) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (41) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (42) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (43) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ (44)

قوله عز وجل : { قال ربِّ بما أغويتني } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : بما أضللتني ، قاله ابن عباس .

الثاني : بما خيبتني من رحمتك .

الثالث : بما نسبتني إلى الإغواء .

ويحتمل هذا من إبليس وجهين :

أحدهما : أنه يقوله على وجه القسم وتقديره : وحق إغوائك لي .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الثاني : أنه يقوله على وجه الجزاء ، وتقديره لأجل إغوائك لي .

{ لأزينن لهم في الأرض } يحتمل وجهين :

أحدهما : لأزينن لهم فعل المعاصي .

الثاني : لأشغلنهم بزينة الدنيا عن فعل الطاعة . { ولأغوينهم أجمعين } أي لأضلنهم عن الهدى .

{ إلاّ عبادك منهم المخلصين } وهم الذين أخلصوا العبادة من فساد أو رياء حكى أبو ثمامة أن الحواريين سألوا عيسى عليه السلام عن المخلص للّه ، فقال : الذي يعمل لله ولا يحب أن يحمده الناس .

قوله عز وجل : { قال هذا صراطٌ عليَّ مستقيم } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : معناه هذا صراط يستقيم بصاحبه حتى يهجم به على الجنة ، قاله عمر رضي الله عنه .

الثاني : هذا صراط إليَّ مستقيم ، قاله الحسن فتكون عليَّ بمعنى إليَّ .

الثالث : أنه وعيد وتهديد ، ومعناه أن طريقه إليَّ ومرجعه عليَّ ، كقول القائل لمن يهدده ويوعده : عليَّ طريقك ، قاله مجاهد .

الرابع : معناه هذا صراط ، عليّ استقامته بالبيان والبرهان . وقيل بالتوفيق والهداية . وقرأ الحسن وابن سيرين : { عليٌّ مستقيم } برفع الياء وتنوينها ، ومعناه رفيع مستقيم ، أي رفيع أن ينال ، مستقيم أن يمال .

(350/2)

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (45) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آَمِنِينَ (46) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (47) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ (48) نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (49) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (50)

قوله عز وجل : { ادخلوها بسلامٍ آمنين } في قوله { بسلام } ثلاثة أوجه :

أحدها : بسلامة من النار ، قاله القاسم ابن يحيى .

الثاني : بسلامة تصحبكم من كل آفة ، قاله علي بن عيسى .

الثالث : بتحية من الله لهم ، وهو معنى قول الكلبي .

{ آمنين } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : آمنين من الخروج منها .

الثاني : آمنين من الموت .

الثالث : آمنين من الخوف والمرض .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قوله عز وجل : { ونزعنا ما في صدورهم مِنْ غِلٍّ } فيه وجهان :

أحدهما : نزعنا بالإسلام ما في صدورهم من غل الجاهلية ، قاله علي بن الحسين .

الثاني : نزعنا في الآخرة ما في صدورهم من غل الدنيا ، قاله الحسن ، وقد رواه أبو سعيد الخدري مرفوعاً .

{ إخواناً عَلَى سُرُرٍ متقابلين } في السرر وجهان :

أحدهما : أنه جمع أسرة هم عليها .

الثاني : أنه جمع سرورهم فيه .

وفي { متقابلين } خمسة أوجه :

أحدها : متقابلين بالوجوه يرى بعضهم بعضاً فلا يصرف طرفه عنه تواصلاً وتحابياً ، قاله مجاهد .

الثاني : متقابلين بالمحبة والمودة ، لا يتفاضلون فيها ولا يختلفون ، قاله علي بن عيسى .

الثالث : متقابلين في المنزلة لا يفضل بعضهم فيها على بعض لاتفاقهم على الطاعة واستهوائهم في الجزاء ، قاله أبو بكر بن زياد .

الرابع : متقابلين في الزيارة والتواصل ، قاله قتادة .

الخامس : متقابلين قد أقبلت عليهم الأزواج وأقبلوا عليهم بالود ، حكاه القاسم .

قيل إن هذه الآية نزلت في العشرة من قريش . وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال : إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير منهم .

قوله عز وجل : { نَبِّىء عبادي أني أنا الغفور الرحيم } سبب نزولها ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه وهم يضحكون ، فقال : « تضحكون وبين أيديكم الجنة والنار » فشق ذلك عليهم ، فأنزل الله تعالى : { نَبِّىء عبادي أني أنا الغفور الرحيم }

.

(351/2)

وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (51) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ (52) قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (53) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (54) قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ (55) قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (56)

قوله عز وجل : { قالوا لا توجل } أي لا تخف ، ومنه قول معن بن أوس :

لعمرك ما أدري وأني لأوجل ... على أينا تعدو المنيةُ أوّلُ

{ إنّا نبشّرك بغلامٍ عليم } أي بولد هو غلام في صغره ، عليم في كبره ، وهو إسحاق .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

لقوله تعالى { فضحكت فبشرناها بإسحاق } .

وفي { عليم } تأويلان :

أحدهما : حليم ، قاله مقاتل .

الثاني : عالم ، قاله الجمهور .

فأجابهم عن هذه البشرى مستفهماً لها متعجباً منها { قال أبَشّرتموني على أن مسنيَ الكبر } أي علو السن عند الإياس من الولد .

{ فبم تبشرونَ } فيه وجهان :

أحدهما : أنه قال ذلك استفهاماً لهم ، هل بشروه بأمر الله؟ ليكون أسكن لنفسه .

الثاني : أنه قال ذلك تعجباً من قولهم ، قاله مجاهد .

{ قالوا بشرناك بالحقّ } أي بالصدق ، إشارة منهم إلى أنه عن الله تعالى .

{ فلا تكن مِنَ القانطين } أي من الآيسين من الولد .

(352/2)

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (57) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (58) إِلَّا آَلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (59) إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ (60)

قوله عز وجل : { قالوا إنا أُرسلنا إلى قومٍ مجرمين إلاّ آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين } آل لوط اتباعه ومؤمنو قومه ، سمّاهم آلَهُ لنصرتهم له ، وإيمانهم به ، فاستثناهم من المجرمين المأمور بهلاكهم ، فخرجوا بالاستثناء منهم .

ثم قال تعالى { إلاّ امْرأته } فكانت مستثناة من آل لوط ولاحقة بالمجرمين ، لأن كل استثناء يعود إلى ما تقدمه فيخالفه في حكمه . فإن عاد إلى إثبات كان الاستثناء نفياً ، وإن عاد إلى نفي كان الاستثناء إثباتاً ، فصارت امرأة لوط ملحقة بالمجرمين المهلكين .

ومثال هذا في الإقرار أن يقول له : عليّ عشرة إلا سبعة إلا أربعة ، فيكون عليه سبعة لأن الأربعة استثناء يرجع إلى السبعة التي قبلها ، فصار الباقي منها ثلاثة . وتصير الثلاثة الباقية هي الاستثناء الراجع إلى العشرة ، فيبقى منها سبعة .

وهكذا في الطلاق لو قال لزوجته : أنت طالق ثلاثاً أو اثنتين إلا واحدة طلقت ثنتين لأن الواحدة ترجع إلى الثنتين ، فتبقى منها واحدة فتصير الواحدة هي القدر المستثنى من الثلاثة فيصير الباقي منها ثنتين وهكذا حكم قوله : { إلا امرأته } . { قدرنا } فيه وجهان :

أحدهما : معناه قضينا ، قاله النخعي .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثاني : معناه كتبنا ، قاله علي بن عيسى .

{ إنها لَمِنَ الغابرين } فيه وجهان :

أحدهما : أي من الباقين في العذاب مع المجرمين .

الثاني : من الماضين بالعذاب .

(353/2)

فَلَمَّا جَاءَ آَلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (61) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (62) قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ
(63) وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (64) فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ
أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (65) وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ (66)

قوله عز وجل : { فأسرِ بأهلك بقطع مِن الليل } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : بآخر الليل ، قاله الكلبي .

الثاني : ببعض الليل ، قاله مقاتل .

الثالث : بظلمة الليل ، قاله قطرب ، ومنه قول الشاعر :

ونائحةٍ تنوحُ بقطع ليلٍ ... على رَجُلٍ بقارعةِ الصعيد

قوله عز وجل : { وقضينا إليه ذلك الأمر } أي أوحينا إليه ذلك الأمر .

{ أنّ دابر هؤلاء مقطوع مصبحين } فيه وجهان :

أحدهما : آخرهم .

الثاني : أصلهم .

{ مقطوع مصبحين } أي يستأصلون بالعذاب عند الصباح .

(354/2)

وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ (67) قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ (68) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ
(69) قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ (70) قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (71) لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي
سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (72)

قوله عز وجل : { لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون } لعمرك : قسم فيه أربعة أوجه :

أحدها : معناه وعيشك ، وهذا مروي عن ابن عباس .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
الثاني : معناه وعملك ، قاله قتادة .

الثالث : معناه وحياتك ، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً وقال : ما أقسم الله تعالى بحياة غيره .

الرابع : وحقك ، يعني الواجب على أمتك ، والعمر الحق ، ومنه قولهم : لعمر الله ، أي وحق الله .

وفي { سكرتهم } وجهان :

أحدهما : في ضلالتهم ، قاله قتادة .

الثاني : في غفلتهم ، قاله الأعمش .

وفي { يعمهون } أربعة أوجه :

أحدها : معناه يترددون ، قاله ابن عباس ومجاهد وأبو العالية وأبو مالك .

الثاني : يتمارون ، قاله السدي .

الثالث : يلعبون ، قاله الأعمش .

الرابع : يمنعون ، قاله الكلبي .

(355/2)

فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (73) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (74) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ (75) وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ (76) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (77)

قوله تعالى : { إنَّ في ذلك لآياتٍ للمتوسمين } فيه خمسة أوجه :

أحدها : للمتفرسين ، قاله مجاهد . وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » ثم تلا هذه الآية . . .

الثاني : للمعتبرين ، قاله قتادة .

الثالث : للمتفكرين ، قاله ابن زيد .

الرابع : للناظرين ، قاله الضحاك . قال زهير بن أبي سلمى :

وفيهن ملهى للصديق ومنظر ... أنيقٌ لعَيْنِ الناظر المتوسم

الخامس : للمبصرين ، قاله أبو عبيدة . قال الحسن : هم الذين يتوسمون الأمور فيعلمون أن الذي أهلك قوم لوط قادر على أن يهلك الكفار ، ومنه قول عبدالله بن رواحة للنبي صلى الله عليه وسلم :

إني توسمت فيك الخير أعرِفُه ... والله يعلم أني ثابت البصر

قوله عز وجل : { وإنها لبسبيل مقيم } فيه تأويلان :

أحدهما : لهلاك دائم ، قاله ابن عباس .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثاني : لبطريق معلم ، قاله مجاهد . يعني بقوله { وانما } أهل مدائن قوم لوط وأصحاب الأيكة قوم شعيب .

(356/2)

وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ (78) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ (79)

قوله عز وجل : { وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين } يعني في تكذيب رسول الله إليهم وهو شعيب ، لأنه بعثَ إلى أمتين ، أصحاب الأيكة وأهل مدين . فأما أهل مدين فأهلكوا بالصيحة ، وأما أصحاب الأيكة فأهلكوا بالظلة التي احترقوا بنارها ، قاله قتادة .

وفي { الأيكة } ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها الغيضة ، قاله مجاهد .

الثاني : أنه االشجر الملتف ، وكان أكثر شجرهم الدوم وهو المقل ، وهذا قول ابن جرير ، ومنه قول النابغة الذبياني :

تجلو بِقادِمَتَي حمامةِ أيكة ... بَرَداص أُسفَّ لثاثُهُ الإثمِدِ

الثالث : أن الأيكة اسم البلد ، وليكة اسم المدينة بمنزلة بكة من مكة ، حكاه ابن شجرة .

قوله عز وجل : { فانتقمنا منهم وانهما لبإمامٍ مبينٍ } فيه تأويلان :

أحدهما : لبطريق واضح ، قاله قتادة . وقيل للطريق إمام لأن المسافر يأتم به حتى يصل إلى مقصده .

الثاني : لفي كتاب مستبين ، قاله السدي . وإنما سمي الكتاب إماماً لتقدمه على سائر الكتب ، وقال مؤرج : هو الكتاب بلغة حِمْيَر .

ويعني بقوله { وإنهما } أصحاب الأيكة وقوم لوط .

(357/2)

وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ (80) وَآَتَيْنَاهُمْ آَيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (81) وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آَمِنِينَ (82) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ (83) فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (84)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله عز وجل : { ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين } وهم ثمود قوم صالح . وفي { الحجر } ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه الوادي ، قاله قتادة .

الثاني : أنها مدينة ثمود ، قاله ابن شهاب .

الثالث : ما حكاه ابن جرير أن الحجر أرض بين الحجاز والشام .

وروى جابر بن عبدالله أن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ في غزاة تبوك بالحجر ، فقال : « هؤلاء قوم صالح أهلكهم الله إلاّ رجلاً كان في حَرَم الله ، منعه حرمُ الله من عذاب الله » . قيل : يا رسول الله من هو؟ قال : « أبو رغال

» . قوله عز وجل : { وكانوا ينحتون مِنَ الجبال بيوتاً آمنين } فيه أربعة أوجه :

أحدها : آمنين أن تسقط عليهم .

الثاني : آمنين من الخراب .

الثالث : آمنين من العذاب .

الرابع : آمنين من الموت .

(358/2)

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآَتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (85) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (86)

قوله عز وجل : { فاصفح الصفح الجميل } فيه أربعة أوجه :

أحدها : أنه الإعراض من غير جزع .

الثاني : أنه صفح المنكر عليهم بكفرهم ، المقيم على وعظهم ، قاله ابن بحر .

الثالث : أنه العفو عنهم بغير توبيخ ولا تعنيف .

الرابع : أنه الرضا بغير عتاب ، قاله علي بن أبي طالب .

وفيه قولان :

أحدهما : أنه أمر بالصفح عنهم في حق الله تعالى ، ثم نسخ بالسيف ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ، « لقد أتيتكم بالذبح ، وبعثت بالحصاد ولم أبعث بالزراعة » قاله عكرمة ومجاهد .

الثاني : أنه أمره بالصفح في حق نفسه فيما بينه وبينهم ، قاله الحسن .

(359/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَلَقَدْ آَتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآَنَ الْعَظِيمَ (87) لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (88)

قوله عز وجل : { ولقد آتيناك سبعاً مِن المثاني والقرآن العظيم } فيه خمسة أقاويل :

أحدها : أن السبع المثاني هي الفاتحة ، سميت بذلك لأنها تثنى كلما قرىء القرآن وصُلّي ، قاله الربيع بن أنس وأبو العالية والحسن . وقيل : لأنها يثني فيها الرحمن الرحيم ، ومنه قول الشاعر :

نشدتكم بمنزل القرآن ... أمّ الكتاب السّبع من مثاني

ثُنِّين مِن آيٍ مِن القرآن ... والسبع سبع الطول الدواني

الثاني : أنها السبع الطوَل : البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس ، قاله ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد .

قال ابن عباس : سميت المثاني لما تردد فيها من الأخبار والأمثال والعبر وقيل : لأنها قد تجاوزت المائة الأولى إلى المائة الثانية . قال جرير :

جزى الله الفرزدق حين يمسي ... مضيعاً للمفصل والمثاني

الثالث : أن المثاني القرآن كله ، قاله الضحاك ، ومنه قول صفية بنت عبد المطلب ترثي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فقد كان نوراً ساطعاً يهتدى به ... يخص بتنزيل المثاني المعظم

الرابع : أن المثاني معاني القرآن السبعة أمر ونهي وتبشير وإنذار وضرب أمثال وتعديد نعم وأنباء قرون ، قاله زياد بن أبي مريم .

الخامس : أنه سبع كرامات أكرمه الله بها ، أولها الهدى ثم النبوة ، ثم الرحمةِ ثم الشفقة ثم المودة ثم الألفة ثم السكينة وضم إليها القرآن العظيم ، قاله جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما .

قوله عز وجل : { لا تمدن عينيك إلى ما متّعنا به أزواجاً منهم } يعني ما متعناهم به من الأموال .

وفي قوله : { أزواجاً منهم } ثلاثة أوجه :

أحدها : أنهم الأشباه ، قاله مجاهد .

الثاني : أنهم الأصناف قاله أبو بكر بن زياد .

الثالث : أنهم الأغنياء ، قاله ابن أبي نجيح .

{ ولا تحزن عليهم } فيه وجهان :

أحدهما : لا تحزن عليهم بما أنعمت عليهم في دنياهم .

الثاني : لا تحزن بما يصيرون إليه من كفرهم .

{ واخفض جناحك للمؤمنين } فيه وجهان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدهما : اخضع لهم ، قاله سعيد بن جبير .

الثاني : معناه أَلِنْ جانبك لهم ، قال الشاعر :

وحسبك فتيةٌ لزعيم قومٍ ... يمدّ على أخي سُقْم جَناحا

وروى أبو رافع أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل به ضيف فلم يلق عنده أمراً يصلحه ، فأرسل إلى رجل من اليهود يستسلف منه دقيقاً إلى هلال رجب ، فقال : لا إلاّ برهن ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أما والله إني لأمينٌ في السماء وأمين في الأرض ، ولو أسلفني أو باعني لأدّيتُ إليه » فنزلت عليه { لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم }

.

(360/2)

وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ (89) كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (90) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (91) فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (93)

قوله عز وجل : { كما أنزلنا على المقتسمين } فيهم سبعة أقاويل :

أحدها : أنهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى اقتسموا القرآن فجعلوه أعضاءً أي أجزاءً فآمنوا ببعض منها وكفروا ببعض ، قاله ابن عباس .

الثاني : أنهم أهل الكتاب اقتسموا القرآن استهزاءً به ، فقال بعضهم : هذه السورة لي ، وهذه السورة لك ، فسموا مقتسمين ، قاله عكرمة .

الثالث : أنهم أهل الكتاب اقتسموا كتبهم ، فآمن بعضهم ببعضها ، وآمن آخرون منهم بما كفر به غيرهم وكفروا بما آمن به غيرهم ، فسماهم الله تعالى مقتسمين ، قاله مجاهد .

الرابع : أنهم قوم صالح تقاسموا على قتله ، فسموا مقتسمين ، كما قال تعالى { قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله } [النمل : 49] قاله ابن زيد .

الخامس : أنهم قوم من كفار قريش اقتسموا طرق مكة ليتلقوا الواردين إليها من القبائل فينفروهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه ساحر أو شاعر أو كاهن أو مجنون ، حتى لا يؤمنوا به ، فأنزل الله تعالى عليهم عذاباً فأهلكهم ، قاله الفراء .

السادس : أنهم قوم من كفار قريش قسموا كتاب الله ، فجعلوا بعضه شعراً وبعضه كهانة وبعضه أساطير الأولين ، قاله قتادة .

السابع : أنهم قوم أقسموا أيماناً تحالفوا عليها ، قاله الأخفش .

وقيل إنهم العاص بن وائل وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام وأبو البختري بن هشام

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والنضر بن الحارث ، وأمية بن خلف ومنبه بن الحجاج .

قوله عز وجل : { الذين جعلوا القرآن عضين } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : يعني فرقاً ، فجعلوا بعضه شعراً ، وبعضه سحراً ، وبعضه كهانة ، وبعضه أساطير الأولين ، فجعلوه أعضاء كما يعضّى الجزور و { عضين } جمع عضو ، مأخوذ من عضَّيت الشيء تعضية إذا فرقته كما قال رؤبة بن العجاج :

وليس دينُ الله بالمعضى ... يعني بالمفرَّق ، قاله ابن عباس والضحاك .

الثاني : أن العضين جمع عضه وهو البهت ، ومن قولهم : عضهتُ الرجل أعضهه عضهاً إذا بهتّه ، لأنهم بهتوا كتاب الله تعالى فيما رموه به ، قاله قتادة . ومنه قول الشاعر :

إن العضيهة ليستْ فعل أحرار ... الثالث : أن العضين المستهزئون ، لأنه لما ذكر في القرآن البعوض والذباب والنمل والعنكبوت قال أحدهم : أنا صاحب البعوض ، وقال آخر : أنا صاحب الذباب وقال آخر : أنا صاحب النمل . وقال آخر : أنا صاحب العنكبوت ، استهزاء منهم بالقرآن ، قاله الشعبي والسدي .

الرابع : أنه عنى بالعضه السحر ، لأنهم جعلوا القرآن سحراً ، قاله مجاهد ، قال الشاعر :

لك من عضائهن زمزمة ... يعني من سحرهن . وقال عكرمة : العضه السحر بلسان قريش يقولون للساحرة العاضهة ، ومنه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لعن العاضهة والمستعضهه ، يعني الساحرة والمستسحرة .

وفي اشتقاق العضين وجهان :

أحدهما : أنه مشتق من الأعضاء ، وهو قول عبيدة .

الثاني : أنه مشتق من العضه وهو السحر ، وهو قول الفراء .

قوله عز وجل : { فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : يعني عما كانوا يعبدون ، قاله أبو العالية .

الثاني : عما كانوا يعبدون ، وماذا أجابوا المرسلين ، رواه الربيع بن أنس .

(361/2)

فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (94) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (95) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (96) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (97) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (98) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (99)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قوله عز وجل : { فاصدع بما تؤمر } فيه ستة تأويلات :

أحدها : فامضِ بما تؤمر ، قاله ابن عباس .

الثاني : معناه فاظهر بما تُؤمر ، قاله الكلبي . قال الشاعر :

ومَن صادعٌ بالحق يعدك ناطقٌ ... بتقوى ومَن إن قيل بالجوْر عيّرا

الثالث : يعني إجهر بالقرآن في الصلاة ، قاله مجاهد .

الرابع : يعني أعلن بما يوحى إليك حتى تبلغهم ، قاله ابن زيد .

الخامس : معناه افرق بين الحق والباطل ، قاله ابن عيسى .

السادس : معناه فرق القول فيهم مجتمعين وفرادى ، حكاه النقاش .

وقال رؤية : ما في القرآن أعْرَبُ من قوله { فاصدع بما تؤمر } { وأعرض عن الجاهلين } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه منسوخ بقوله تعالى { فاقتلوا المشركين } [التوبة : 5] قاله ابن عباس .

الثاني : أعرض عن الاهتمام باستهزائهم .

الثالث : معناه بالاستهانة بهم ، قاله ابن بحر .

ثم فيه وجهان :

أحدهما : اصدع الحق بما تؤمر من اظهاره .

الثاني : اصدع الباطل بما تؤمر من إبطاله .

قوله تعالى : { إنّا كفيناكَ المستهزئينَ } وهم خمسة : الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، وأبو زمعة ، والأسود بن عبد يغوث ، والحراث بن الطلاطلة . أهلكهم الله جميعاً قبل بدر لاتسهزائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وسبب هلاكهم ما حكاه مقسم وقتادة أن الوليد بن المغيرة ارتدى فعلق سهم بردائه ، فذهب فجلس فقطع أكحله فنزف فمات . وأما العاص بن وائل فوطىء على شوكة ، فتساقط لحمه عن عظامه ، فمات ، وأما أبو زمعة فعمى . وأما الأسود بن عبد يغوث فإنه أتى بغصن شوك فأصاب عينيه ، فسالت حدقتاه على وجهه ، فكان يقول : [دعا] عليّ محمد فاستجيب له ، ودعوت عليه فاستجيب لي ، دعا عليّ أن أعمى فعميت ، ودعوت عليه أن يكون طريداً بيثرب ، فكان كذلك ، وأما الحارث بن الطلاطلة فإنه استسقى بطنه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل [حين] نزل عليه بقوله تعالى : { إنا كفيناك المستهزئين } « دع لي خالي » يعني الأسود بن الطلاطلة فقال له : كفيت .

قوله عز وجل : { ولقد نعلم أنّك يضيق صدرك } أي قلبك لأن الصدر محل القلب .

{ بما يقولون } يعني من الاستهزاء ، وقيل من الكذب بالحق .

{ فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين } فيه وجهان :

أحدهما : الخاضعين .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الثاني : المصلين .

{ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين } فيه وجهان :

أحدهما : الحق الذي لا ريب فيه من نصرك على أعدائك ، قاله شجرة .

الثاني : الموت الذي لا محيد عنه ، قاله الحسن ومجاهد وقتادة .

(362/2)

أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (1)

قوله تعالى : { أتى أمرُ الله فلا تستعجلوهُ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه بمعنى سيأتي أمر الله تعالى .

الثاني : معناه دنا أمر الله تعالى .

الثالث : أنه مستعمل على حقيقة إتيانه في ثبوته واستقراره . وفي { أمر } أربعة أقاويل : أحدها : أنه إنذار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قاله أبو مسلم .

الثاني : أنه فرائضه وأحكامه ، قاله الضحاك .

الثالث : أنه وعيد أهل الشرك ونصرة الرسول صلى الله عليه وسلم قاله ابن جريج .

الرابع : أنه القيامة ، وهو قول الكلبي . وروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال لما نزلت : { أتى أمر الله } رفعوا رؤوسهم فنزل { فلا تستعجلوه } أي فلا تستعجلوا وقوعه .

وحكى مقاتل بن سليمان أنه لما قرأ جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم { أتى أمر الله } نهض رسول الله خوفاً من حضورها حتى قرأ { فلا تستعجلوه } .

ويحتمل وجهين :

أحدهما : فلا تستعجلوا التكذيب فإنه لن يتأخر .

الثاني : فلا تستعجلوا أن يتقدم قبل وقته ، فإنه لن يتقدم .

(363/2)

يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (2)

قوله عز وجل : { ينزل الملائكة بالروحِ من أمره على من يشاء من عبادِهِ } فيه خمسة تأويلات :

أحدها : أن الروح ها هنا الوحي ، وهو النبوة ، قاله ابن عباس .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الثاني : أنه كلام الله تعالى وهو القرآن ، قاله الربيع ابن أنس .

الثالث : أنه بيان الحق الذي يجب اتباعه ، قاله ابن عيسى .

الرابع : أنها أرواح الخلق . قال مجاهد لا ينزل ملك إلا ومعه روح .

الخامس : أن الروح الرحمة ، قاله الحسن وقتادة .

ويحتمل تأويلاً سادساً : أن يكون الروح الهداية ، لأنها تحيا بها القلوب كما تحيي الروح الأبدان .

(364/2)

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (3) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (4) وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (5) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (6) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (7)

قوله تعالى : { خَلَقَ الإنسان من نطفةٍ فإذا هو خصيم مبين } .

الخصيم المحتج في الخصومة ، والمبين هو المفصح عما في ضميره . وفي صفته بذلك ثلاثة أوجه :

أحدها : تعريف قدرة الله تعالى في إخراجه من النطفة المهينة إلى أن صار بهذه الحال في البيان والمكنة .

الثاني : ليعرفه نعم الله تعالى عليه في إخراجه إلى هذه الحال بعدما خلقه من نطفة مهينة .

الثالث : يعرفه فاحش ما ارتكب من تضييع النعمة بالخصومة في الكفر ، قاله الحسن . وذكر الكلبي أن هذه الآية نزلت في أُبي بن خلف الجمحي حين أخذ عظاماً نخرة فذراها وقال : أنُعادُ إذا صرنا هكذا .

قوله عز وجل : { والأنعام خلقها لكم فيها دفءٌ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه اللباس ، قاله ابن عباس .

الثاني : ما ستدفىء به من أصوافها وأوبارها وأشعارها ، قاله الحسن .

الثالث : أن الدفء صغار أولادها التي لا تركب ، حكاه الكلبي . { ومنافِعُ } فيها وجهان :

أحدهما : النسل ، قاله ابن عباس .

الثاني : يعني الركوب والعمل . { ومنها تأكلون } يعني اللبن واللحم . قوله عز وجل : { ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون } يحتمل وجهين :

أحدهما : أن الرواح من المراعي إلى الأفنية ، والسراح انتشارها من الأفنية إلى المراعي .

الثاني : أنه على عموم الأحوال في خروجها وعودها من مرعى أو عمل أو ركوب وفي الجمال بها

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وجهان :

أحدهما : قول الحسن إذا رأوها : هذه نَعَمُ فلان ، قاله السدي .

الثاني : توجه الأنظار إليها ، وهو محتمل .

وقد قدم الرواح على السراح وإن كان بعده لتكامل درها ولأن النفس به أسَرُّ . { وتحمل أثقالكم إلى بلدٍ لم تكونوا بالغيه إلا بِشِقِّ الأنفس } في البلد قولان :

أحدهما : أنه مكة لأنها من بلاد الفلوات .

الثاني : أنه محمول على العموم في كل بلد مسلكه على الظهر .

{ إلا بشق الأنفس } فيه وجهان :

أحدهما : أنكم لولاها ما بلغتموه إلا بشق الأنفس .

الثاني : أنكم مع ركوبها لا تبلغونه إلا بشق الأنفس ، فكيف بكم لو لم تكن .

وفي شق الأنفس وجهان :

أحدهما : جهد النفس ، مأخوذ من المشقة .

الثاني : أن الشق النصف فكأنه يذهب بنصف النفس .

(365/2)

وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (8)

قوله تعالى : { . . . ويخلق ما لا تعلمون } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : ما لا تعلمون من الخلق ، وهو قول الجمهور .

الثاني : في عين تحت العرش ، قاله ابن عباس .

الثالث : ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها أرض بيضاء مسيرة الشمس ثلاثين يوماً . مشحونة خلقاً لا يعلمون أن الله يعصى في الأرض ، قالوا : يا رسول الله فأين إبليس عنهم؟ قال « لا يعلمون أن الله خلق إبليس » ثم تلا { ويخلق ما لا تعلمون }

.

(366/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (9) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (10) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (11) وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (12) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (13)

{ وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر } يحتمل وجهين :

أحدهما : وعلى الله قصد الحق في الحكم بين عباده ومنهم جائر عن الحق في حكمه .

الثاني : وعلى الله أن يهدي إلى قصد الحق في بيان السبيل ، ومنهم جائر عن سبيل الحق ، أي عادل عنه لا يهتدي إليه . وفيهم قولان : أحدهما : أنهم أهل الأهواء المختلفة ، قاله ابن عباس .

الثاني : ملل الكفر .

(367/2)

وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (14) وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (15) وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (16) أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (17) وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (18)

قوله عز وجل : { وَتَرَى الفلك مواخِرَ فيه } فيه خمسة أوجه :

أحدها : أن المواخر المواقر ، قاله الحسن .

الثاني : أنها التي تجري فيه معترضة ، قاله أبو صالح .

الثالث : أنها تمخر الريح من السفن ، قاله مجاهد : لأن المخر في كلامهم هبوب الريح .

الرابع : أنها تجري بريح واحدة مقبلة ومدبرة ، قاله قتادة .

الخامس : أنها التي تشق الماء من عن يمين وشمال ، لأن المخر في كلامهم شق الماء وتحريكه قاله ابن عيسى .

{ ولتبتغوا من فضله } يحتمل وجهين :

أحدهما : بالتجارة فيه .

الثاني : بما تستخرجون من حليته ، وتأكلونه من لحومه .

قوله عز وجل : { وعلاماتٍ وبالنجم هم يهتدون } في العلامات ثلاثة أقاويل : أحدها : أنها معالم الطريق بالنهار ، وبالنجوم يهتدون بالليل ، قاله ابن عباس .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثاني : أنها النجوم أيضاً لأن من النجوم ما يهتدي بها ، قاله مجاهد وقتادة والنخعي .

الثالث : أن العلامات الجبال . وفي { النجم } قولان :

أحدهما : أنه جمع النجوم الثابتة ، فعبر عنها بالنجم الواحد إشارة إلى الجنس .

الثاني : أنه الجدي وحده لأنه أثبت النجوم كلها في مركزه .

وفي المراد بالاهتداء بها قولان :

أحدهما : أنه أراد الاهتداء بها في جميع الأسفار ، قاله الجمهور .

الثاني : أنه أراد الاهتداء به في القِبلة . قال ابن عباس : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى { وبالنجم هم يهتدون } قال « هو الجدي يا ابن عباس عليه قبلتكم ، وبه تهتدون في بركم وبحركم

» . قوله عز وجل : { وإن تعدوا نعمة اللهِ لا تحصوها } فيه وجهان :

أحدهما : لا تحفظوها ، قال الكلبي . الثاني : لا تشكروها وهو مأثور . ويحتمل المقصود بهذا الكلام وجهين :

أحدهما : أن يكون خارجاً مخرج الامتنان تكثيراً لنعمته أن تحصى .

الثاني : أنه تكثير لشكره أن يؤدى . فعلى الوجه الأول يكون خارجاً مخرج الامتنان . وعلى الوجه الثاني خارجاً مخرج الغفران .

(368/2)

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (19) وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (20) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (21) إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (22) لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ (23) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (24)

قوله عز وجل : { وَإِذَا قيل لهم ماذا أنزل ربُّكم } يعني وإذا قيل لمن تقدم ذِكره ممن لا يؤمن بالآخرة وقلوبهم منكرة بالبعث .

{ مَّاذَا أنزل ربكم } يحتمل القائل ذلك لهم وجهين :

أحدهما : أنه قول بعض لبعض ، فعلى هذا يكون معناه ماذا نسب إلى إنزال ربكم ، لأنهم منكرون لنزوله من ربهم .

والوجه الثاني : أنه من قول المؤمنين لهم اختباراً لهم ، فعلى هذا يكون محمولاً على حقيقة نزوله منه .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

{ قالوا أساطير الأولين } وهذا جوابهم عما سئلوا عنه ويحتمل وجهين :

أحدهما : أي أحاديث الأولين استرذالاً له واستهزاءَ به .

الثاني : أنه مثل ما جاء به الأولون ، تكذيباً له ولجميع الرسل .

(369/2)

لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (25)

قوله عز وجل : { ليحملوا أوزارهم } أي أثقال كفرهم وتكذيبهم .

{ كاملة يوم القيامة } يحتمل وجهين :

أحدهما : أنها لم تسقط بالتوبة .

الثاني : أنها لم تخفف بالمصائب .

{ ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علمٍ } يعني أنه قد اقترن بما حملوه من أوزارهم ما يتحملونه من أوزار من أضلوهم .

ويحتمل وجهين : أحدهما : أن المضل يتحمل أوزار الضال بإغوائه .

الثاني : أن الضال يتحمل أوزار المضل بنصرته وطاعته .

ويحتمل قوله تعالى { بغير علمٍ } وجهين :

أحدهما : بغير علم المضلّ بما دعا إليه .

الثاني : بغير علم الضال بما أجاب إليه .

ويحتمل المراد بالعلم وجهين :

أحدهما : يعني أنهم يتحملون سوء أوزارهم لأنه تقليد بغير استدلال ولا شبهة .

الثاني : أراد أنهم لا يعلمون بما تحملوه من أوزار الذين يضلونهم .

{ ألا ساءَ ما يزرون } يحتمل وجهين :

أحدهما : يعني أنهم يتحملون سوء أوزارهم .

الثاني : معناه أنه يسوؤهم ما تحملوه من أوزارهم . فيكون على الوجه الأول معجلاً في الدنيا ، وعلى الوجه الآخر مؤجلاً في الآخرة .

(370/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (26) ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ (27)

قوله عز وجل : { قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد } فيه قولان :

أحدهما : أنه هدم بنيانهم من قواعدها وهي الأساس .

الثاني : أنه مثل ضربه الله تعالى لاستئصالهم .

{ فخرّ عليهم السقف من فوقهم } فيه وجهان :

أحدهما : فخرّ أعالي بيوتهم وهم تحتها ، فلذلك قال { من فوقهم } وإن كنا نعلم أن السقف عال إلا أنه لا يكون فوقهم إذ لم يكونوا تحته ، قاله قتادة .

الثاني : يعني أن العذاب أتاهم من السماء التي هي فوقهم ، قاله ابن عباس .

وفي الذين خر عليهم السقف من فوقهم ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه النمرود بن كنعان وقومه حين أراد صعود السماء وبنى الصرح . فهدمه الله تعالى عليه ، قاله ابن عباس وزيد بن أسلم .

الثاني : أنه بختنصر وأصحابه ، قاله بعض المفسرين .

الثالث : يعني المقتسمين الذين ذكرهم الله تعالى في سورة الحجر ، قاله الكلبي .

(371/2)

الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (28) فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (29) وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (30) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (31) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (32)

قوله عز وجل : { الَّذِين تتوفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم } قال عكرمة : نزلت هذه الآية في قوم أسلموا بمكة ولم يهاجروا ، فأخرجتهم قريش إلى بدر كرها ، فقتلوا ، فقال الله { الذين تتوفاهم الملائكة } يعني بقبض أرواحهم . { ظالمي أنفسهم } في مقامهم بمكة وتركهم الهجرة . { فألقوا السّلَمَ } يعني في خروجهم معهم وفيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه الصلح ، قاله الأخفش .

الثاني : الاستسلام ، قاله قطرب .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثالث : الخضوع ، قاله مقاتل . { ما كنا نعمل من سوء } يعني من كفر .

{ بَلَى إن الله عليمٌ بما كنتم تعملون } يعني إن أعمالهم أعمال الكفار .

قوله عز وجل : { . . . ولدار الآخرة خيرٌ } يحتمل وجهين :

أحدهما : أن الجنة خير من النار ، وهذا وإن كان معلوماً فالمراد به تبشيرهم بالخلاص منها .

الثاني : أنه أراد أن الآخرة خير من دار الدنيا ، قاله الأكثرون .

{ ولنعم دار المتقين } فيه وجهان :

أحدهما : ولنعم دار المتقين الآخرة . الثاني : ولنعم دار المتقين الدنيا ، قال الحسن : لأنهم نالوا بالعمل فيها ثواب الآخرة ودخول الجنة . قوله تعالى : { الذين تتوفاهم الملائكة طيبين } قيل معناه صالحين .

ويحتمل طيبي الأنفس ثقة بما يلقونه من ثواب الله تعالى .

ويحتمل وجهاً ثالثاً أن تكون وفاتهم وفاة طيبة سهلة لا صعوبة فيها ولا ألم بخلاف ما تقبض عليه روح الكافر .

{ يقولون سلام عليكم } يحتمل وجهين :

أحدهما : أن يكون السلام عليهم إنذاراً لهم بالوفاة .

الثاني : أن يكون تبشيراً لهم بالجنة ، لأن السلام أمان .

{ ادخلوا الجنة } يحتمل وجهين :

أحدهما : أن يكون معناه أبشروا بدخول الجنة .

الثاني : أن يقولوا ذلك لهم في الآخرة .

{ بما كنتم تعملون } يعني في الدنيا من الصالحات .

(372/2)

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (33) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (34) وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (35) وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (36) إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (37) وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (38) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

كَاذِبِينَ (39) إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (40) وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (41) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (42)

قوله عز وجل : { والذين هاجروا في الله من بَعْدِ ما ظُلِموا } يعني من بعد ما ظلمهم أهل مكة حين أخرجوهم إلى الحبشة بعد العذاب والإبعاد .

{ لنبوئنهم في الدنيا حسنة } فيه أربعة أقاويل : أحدها : نزول المدينة ، قاله ابن عباس والشعبي وقتادة .

الثاني : الرزق الحسن ، قاله مجاهد .

الثالث : أنه النصر على عدوهم ، قاله الضحاك .

الرابع : أنه لسان صدق ، حكاه ابن جرير . ويحتمل قولاً خامساً : أنه ما استولوا عليه من فتوح البلاد وصار لهم فيها من الولايات .

ويحتمل قولاً سادساً : أنه ما بقي لهم في الدنيا من الثناء ، وما صار فيها لأولادهم من الشرف .

وقال داود بن إبراهيم : نزلت هذه الآية في أبي جندل بن سهل ، وقال الكلبي : نزلت في بلال وعمار وصهيب وخباب بن الأرتّ عذبهم أهل مكة حتى قالوا لهم ما أرادوا في الدنيا ، فلما خلوهم هاجروا إلى المدينة .

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا دفع إلى المهاجرين العطاء قال : هذا ما وعدكم الله في الدنيا ، وما خولكم في الآخرة أكثر ، ثم تلا عليهم هذه الآية :

(373/2)

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (43) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (44)

قوله عز وجل : { وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم } هذا خطابٌ لمشركي قريش .

{ فاسألوا أهل الذكر إن كنت لا تعلمون } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن أهل الذكر العلماء بأخبار من سلف من القرون الخالية الذين يعلمون أن الله تعالى ما بعث رسولاً إلا من رجال الأمة ، وما بعث إليهم ملكاً .

الثاني : أنه عنى بأهل الذكر أهل الكتاب خاصة ، قاله ابن عباس ومجاهد .

الثالث : أنهم أهل القرآن ، قاله ابن زيد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله تعالى : { . . . وأنزلنا إليك الذِّكر لتبين للناس ما نُزِّلَ إليهم } تأويلان :

أحدهما : أنه القرآن . الثاني : أنه العلم .

(374/2)

أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (45) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (46) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (47)

قوله عز وجل : { أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين } فيه أربعة أوجه :

أحدها : في إقبالهم وإدبارهم ، قاله ابن بحر .

الثاني : في اختلافهم ، قاله ابن عباس . الثالث : بالليل والنهار ، قاله ابن جريج .

الرابع : في سفرهم .

{ أو يأخذهم على تخوفٍ } فيه ستة أوجه :

أحدها : يعني على تنقص بأن يهلك واحد بعد واحد فيخافون الفناء ، قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك .

الثاني : على تقريع بما قدموه من ذنوبهم ، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً .

الثالث : على عجل ، وهذا قول الليث .

الرابع : أن يهلك القرية فتخاف القرية الأخرى ، قاله الحسن .

الخامس : أن يعاقبهم بالنقص من أموالهم وثمارهم ، قاله الزجاج . { فإن ربكم لرءُوف رحيم } أي لا يعاجل بل يمهل .

(375/2)

أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ (48) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (49) يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (50)

قوله عز وجل : { أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظِلالُهُ } فيه أربعة أوجه :

أحدها : يرجع ظلاله ، لأن الفيء الرجوع ، ولذلك كان اسماً للظل بعد الزوال لرجوعه .

الثاني : معناه تميل ظلاله ، قاله ابن عباس .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الثالث : تدور ظلاله ، قاله ابن قتيبة .

الرابع : تتحول ظلاله ، قاله مقاتل .

{ عن اليمين والشمائل } فيه وجهان :

أحدهما : يعني تارة إلى جهة اليمين ، وتارة إلى جهة الشمال ، قاله ابن عباس . لأن الظل يتبع الشمس حيث دارت .

الثاني : أن اليمين أول النهار ، والشمال آخر النهار ، قاله قتادة والضحاك .

{ سجداً لله } فيه ثلاث تأويلات :

أحدهما : أن ظل كل شيء سجوده ، قاله قتادة .

الثاني : أن سجود الظلال سجود أشخاصها ، قاله الضحاك .

الثالث : أن سجود الظلال كسجود الأشخاص تسجد لله خاضعة ، قاله الحسن . ومجاهد .

وقال الحسن : أما ظلك فيسجد لله ، وأما أنت فلا تسجد لله ، فبئس والله ما صنعت .

{ وهم داخرون } أي صاغرون خاضعون ، قال ذو الرمة :

فلم يبق إلا داخرٌ في مخيس ... ومنحجر في غير أرضك حُجر

قوله عز وجل : { ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة } أما سجود ما في السموات فسجود خضوع وتعبد ، وأما سجود ما في الأرض من دابة فيحتمل وجهين :

أحدهما : أن سجوده خضوعه لله تعالى .

الثاني : أن ظهور ما فيه من قدرة الله يوجب على العباد السجود لله سبحانه .

وفي تخصيص الملائكة بالذكر ، وإن دخلوا في جملة من في السموات والأرض وجهان :

أحدهما : أنه خصهم بالذكر لاختصاصهم بشرف المنزلة فميزهم من الجملة بالذكر وإن دخلوا فيها .

الثاني : لخروجهم من جملة من يدب ، لما جعل الله تعالى لهم من الأجنحة فلم يدخلوا في الجملة ، فلذلك ذكروا .

وجواب ثالث : أن في الأرض ملائكة يكتبون أعمال العباد لم يدخلوا في جملة ملائكة السماء فلذلك أفردهم بالذكر .

{ وهم لا يستكبرون } يحتمل وجهين :

أحدهما : لا يستكبرون عن السجود لله تعالى .

الثاني : لا يستكبرون عن الخضوع لقدرة الله .

{ يخافون رَبَّهم من فوقهم } فيه وجهان :

أحدهما : يعني عذاب ربهم من فوقهم لأن العذاب ينزل من السماء .

الثاني : يخافون قدرة الله التي هي فوق قدرتهم وهي في جميع الجهات .

{ ويفعلون ما يؤمرون } فيه وجهان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدهما : من العبادة ، قاله ابن عباس .

الثاني : من الانتقام من العصاة .

(376/2)

وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (51) وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ (52) وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ
(53) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (54) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (55)

قوله تعالى : { . . . وله الدين واصباً }

في { الدين } ها هنا قولان :

أحدهما : أنه الإخلاص ، قاله مجاهد .

الثاني : أنه الطاعة ، قاله ابن بحر .

وفي قوله تعالى : { واصباً } أربعة تأويلات :

أحدها : واجباً ، قاله ابن عباس .

الثاني : خالصاً ، حكاه الفراء والكلبي .

الثالث : مُتعِباً ، والوصب : التعب والإعياء ، قال الشاعر :

لا يشتكي الساق مِن أين ولا وصَبٍ ... ولا يزال أمام القوم يقتَفِرُ

الرابع : دائماً ، قاله الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك ، ومنه قوله تعالى { ولهم عذاب واصب } [الصافات : 9] أي دائم ، وقال الدؤلي :

لا أبتغي الحمد القليل بقاؤه ... يوماً بذم الدهر أجمع واصبا

قوله عز وجل : { . . . ثم إذا مَسّكُم الضُّرُّ فإليه تجأرون }

في { الضر } ها هنا ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه القحط ، قاله مقاتل .

الثاني : الفقر ، قاله الكلبي .

الثالث : السقم ، قاله ابن عباس .

{ فإليه تجأرون } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : تضجون ، قاله ابن قتيبة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثاني : تستغيثون .

الثالث : تضرعون بالدعاء ، وهو في اللغة الصياح مأخوذ من جؤار الثور وهو صياحه .

(377/2)

وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ (56) وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ (57) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (59) لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (60)

قوله عز وجل : { وإذا بُشِّر أحَدُهُم بالأنثى ظلَّ وجهُهُ مسوداً وهو كظيمٌ } في قوله { مسودّاً } ثلاثة أوجه :

أحدها : مسود اللون ، قاله الجمهور . الثاني : متغير اللون بسواد أو غيره ، قاله مقاتل . الثالث : ان العرب تقول لكل من لقي مكروهاً قد اسودّ وجهه غماً وحزناً ، قاله الزجاج .

ومنه : سَوَّدْت وجه فلان ، إذا سُؤتَه .

{ وهو كظيم } فيه ثلاثة أوجه : أحدها : أن الكظيم الحزين ، قاله ابن عباس .

الثاني : أنه الذي يكظم غيظه فلا يظهر ، قاله الأخفش .

الثالث : أنه المغموم الذي يطبق فاه فلا يتكلم من الفم ، مأخوذ من الكظامة وهو سد فم القربة ، قاله ابن عيسى .

{ . . . أيمسكُهُ على هُونٍ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : هو الهوان بلغة قريش ، قاله اليزيدي .

الثاني : هو القليل بلغة تميم ، قاله الفراء .

الثالث : هو البلاء والمشقة ، قاله الكسائي . قالت الخنساء :

نهينُ النفوس وهون النفو ... س يوم الكريهة أبقى لها

{ أم يدُسُّهُ في التراب } فيه وجهان :

أحدهما : أنها الموءُودة التي تدس في التراب قتلاً لها .

الثاني : أنه محمول على إخفائه عن الناس حتى لا يعرفوه كالمدسوس في التراب لخفائه عن الأبصار . وهو محتمل .

قوله عز وجل : { للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء } يحتمل وجهين :

أحدهما : صفة السوء من الجهل والكفر .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الثاني : وصفهم الله تعالى بالسوء من الصاحبة والولد .

{ ولله المَثَلُ الأعلى } فيه وجهان :

أحدهما : الصفة العليا بأنه خالق ورزاق وقادر ومُجازٍ . الثاني : الإخالص والتوحيد ، قاله قتادة .

(378/2)

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (61) وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ (62)

قوله عز وجل : { ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم } يعني في الدنيا بالانتقام لأنه يمهلهم في الأغلب من أحوالهم .

{ ما ترك عليها من دابّةٍ } يعني بهلاكهم بعذاب الاستئصال من أخذه لهم بظلمهم . { ولكن يؤخرهم إلى أجلٍ مسمى } فيه وجهان :

أحدهما : إلى يوم القيامة .

الثاني : تعجيله في الدنيا . فإن قيل : فكيف يعمهم بالهلاك مع أن فيهم مؤمناً ليس بظالم؟ فعن ذلك ثلاثة أجوبة :

أحدها : أنه يجعل هلاك الظالم انتقاماً وجزاء ، وهلاك المؤمن معوضاً بثواب الآخرة .

الثاني : ما ترك عليها من دابة من أهل الظلم .

الثالث : يعني أنه لو أهلك الآباء بالكفر لم يكن الأبناء ولا نقطع النسل فلم يولد مؤمن .

قوله عز وجل : { ويجعلون لله ما يكرهون } يعني من البنات . { وتصف ألسنتهم الكذب أنّ لهم الحُسنَى } فيه وجهان :

أحدهما : أن لهم البنين مع جعلهم لله ما يكرهون من البنات ، قاله مجاهد .

الثاني : معناه أن لهم من الله الجزاء الحسن ، قاله الزجاج . { لا جرم أن لهم النار } فيه أربعة أوجه :

أحدها : معناه حقاً أن لهم النار . الثاني : معناه قطعاً أن لهم النار .

الثالث : اقتضى فعلهم أن لهم النار .

الرابع : معناه بلى إن لهم النار ، قاله ابن عباس .

{ وأنهم مفرطون } فيه خمسة تأويلات :

أحدها : معناه منسيون ، قاله مجاهد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثاني : مضيّعون ، قاله الحسن .

الثالث : مبعدون في النار ، قاله سعيد بن جبير .

الرابع : متروكون في النار ، قاله الضحاك .

الخامس : مقدَّمون إلى النار ، قاله قتادة . ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : « أنا فَرَطكم على الحوض » أي متقدمكم ، وقال القطامي :

فاستعجلونا وكانوا من صحابتنا ... كما تعجّل فرّاطٌ لوُرّادِ

والفرّاط : المتقدمون في طلب الماء ، والورّاد : المتأخرون .

وقرأ نافع { مُفْرِطون } بكسر الراء وتخفيفها ، ومعناه مسرفون في الذنوب ، من الإفراط فيها .

وقرأ الباقون من السبعة { مفرطون } أي معجلون إلى النار متروكون فيها .

وقرأ أبو جعفر القارىء { مفرِّطون } بكسر الراء وتشديدها ، ومعناه من التفريط في الواجب .

(379/2)

تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (63)
وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (64) وَاللَّهُ أَنْزَلَ
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (65) وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ
لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ (66) وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ
وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (67)

قوله عز وجل : { وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بُطونه } أي نبيح لكم شرب ما في بطونه ، فعبر عن الإباحة بالسقي .

{ مِن بين فرثٍ ودمٍ لبناً خالصاً } فيه وجهان :

أحدهما : خالصاً من الفرث والدم .

الثاني : أن المراد من الخالص هنا الأبيض ، قاله ابن بحر ومنه قول النابغة :

يصونون أجساداً قديمها نعيمُها ... بخالصةِ الأردان خُضْر المناكب

فخالصة الأردان أي بيض الأكمام ، وخضر المناكب يعني من حمائل السيوف . { سائغاً للشاربين } فيه وجهان :

أحدهما : حلال للشاربين .

الثاني : معناه لا تعافه النفس . وقيل : إنه لا يغص أحد باللبن . قوله عز وجل : { ومن ثَمَرات النخيل والأعناب تتخذون منه سَكراً ورزقاً حسَناً } فيها أربعة تأويلات :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدها : أن السكر الخمر ، والرزق الحسن التمر والرطب والزبيب . وأنزلت هذه الآية قبل تحريم الخمر ثم حرمت من بعد . قال ابن عباس : السَّكر ما حرم من شرابه ، والرزق الحسن ما حل من ثمرته ، وبه قال مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير ومن ذلك قول الأخطل :

بئس الصُّحاة وبئس الشرب شربهم ... إذا جرى فيهم المزاءُ والسكُرُ

والسكر : الخمر ، والمزاء : نوع من النبيذ المسكر .

واختلف من قال بهذا هل خرج مخرج الإباحة أو مخرج الخبر على وجهين :

أحدهما : أنه خرج مخرج الإباحة ثم نسخ . قاله قتادة .

الثاني : أنه خرج مخرج الخبر أنهم يتخذون ذلك وإن لم يحل ، قاله ابن عباس .

الثاني : أن السّكَر : النبيذ المسكر ، والرزق الحسن التمر والزبيب ، قاله الشعبي والسدي . وجعلها أهل العراق دليلاً على إباحة النبيذ .

الثالث : أن السكر : الخل بلغة الحبشة ، الرزق الحسن : الطعام .

الرابع : أن السكر ما طعم من الطعام وحل شربه من ثمار النخيل والأعناب وهو الرزق الحسن ، وبه قال أبو جعفر الطبري وأنشد قول الشاعر :

وَجَعلت عيب الأكرمين سكرا ...

(380/2)

وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (68) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (69)

قوله عز وجل : { وأوحى ربك إلى النحل } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن الوحي إليها هو إلهاماً ، قاله ابن عباس ومجاهد .

الثاني : يعني أنه سخرها ، حكاه ابن قتيبة .

الثالث : أنه جعل ذلك في غرائزها بما يخفى مثله على غيرها ، قاله الحسن .

{ أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشُون } فذكر بيوتها لما ألهمها وأودعه في غرائزها من صحة القسمة وحسن المنعة .

{ ومما يعرشون } فيه تأويلان :

أحدهما : أنه الكرم ، قاله ابن زيد .

الثاني : ما يبنون ، قاله أبو جعفر الطبري .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

{ ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك } أي طرق ربك .

{ ذللاً } فيه أربعة أوجه : أحدها : مذللة ، قاله أبو جعفر الطبري .

الثاني : مطيعة ، قاله قتادة .

الثالث : أي لا يتوعر عليها مكان تسلكه ، قاله مجاهد .

الرابع : أن الذلل من صفات النحل وأنها تنقاد وتذهب حيث شاء صاحبها لأنها تتبع أصحابها حيث ذهبوا ، قاله ابن زيد .

{ يخرج من بطونها شرابٌ } يعني العسل .

{ مختلف ألوانُهُ } لاختلاف أغذيتها . { فيه شفاءٌ للناس } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن ذلك عائد إلى القرآن ، وأن في القرآن شفاء للناس أي بياناً للناس ، قاله مجاهد .

الثاني : أن ذلك عائد إلى الاعتبار بها أن فيه هدى للناس ، قاله الضحاك .

الثالث : أن ذلك عائد إلى العسل ، وأن في العسل شفاء للناس ، قاله ابن مسعود وقتادة . روى قتادة قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر أن أخاه اشتكى بطنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اذهب فاسق أخاك عسلاً » ثم جاء فقال : ما زاده إلا شدة . فقال النبي صلى الله عليه وسلم « اذهب فاسق أخاك عسلاً » . ثم جاء فقال له : ما زاده إلا شدة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اذهب فاسق أخاك عسلاً ، صدق الله وكذب بطن أخيك ، فسقاه فكأنه نشط من عِقال

»

(381/2)

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (70)

قوله عز وجل : { ومنكم من يرد إلى أرذل العُمرِ } فيه أربعة أقاويل : أحدها : أوضعه وأنقصة ، قاله الجمهور .

الثاني : أنه الهرم ، قاله الكلبي .

الثالث : ثمانون سنة ، حكاه قطرب .

الرابع : خمس وسبعون سنة ، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه . { لكيلا يعلم بعد علْمٍ شيئاً } يعني أنه يعود جاهلاً لا يعلم شيئاً كما كان في حال صغره .

أو لأنه قد نسي ما كان يعلم ، ولا يستفيد ما لا يعلم .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ويحتمل وجهاً ثالثاً : أن يكون معناه لكي لا يعمل بعد علم شيئاً ، فعبر عن العمل بالعلم لافتقاره إليه ، لأن تأثير الكبر في عمله أبلغ من تأثيره في علمه .

(382/2)

وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (71)

قوله عز وجل : { والله فضل بعضكم على بعض في الرزق } فيه ثلاثة أوجه :
أحدها : أنه أغنى وأفقر ، ووسّع وضيّق .
الثاني : في القناعة والرغبة .
الثالث : في العلم والجهل . قال الفضيل بن عياض : أجلُّ ما رزق الإنسان معرفة تدله على ربه ، وعقل يدله على رشده .
وفي التفضيل وجهان :
أحدهما : أنه فضل السادة على العبيد ، قاله ابن قتيبة ومن يرى أن التفضيل في المال .
الثاني : أنه فضل الأحرار بعضهم على بعض ، قاله الجمهور .
{ فما الذين فُضِّلُوا برادِّي رزقهم على ما ملكت أيمانُهم فهم فيه سواء } فيه وجهان :
أحدهما : أن عبيدهم لما لم يشركوهم في أموالهم لم يجز لهم أن يشاركوا الله تعالى في ملكه ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة ، وفي هذا دليل على أن العبد لا يملك .
الثاني : أنهم وعبيدهم سواء في أن الله تعالى رزق جميعهم ، وأنه لا يقدر أحد على رزق عبده إلا أن يرزقه الله تعالى إياه كما لا يقدر أن يرزق نفسه ، حكاه ابن عيسى .
{ أفبنعمة الله يجحدون } وفيه وجهان : أحدهما : بما أنعم الله عليهم من فضله ورزقه ينكرون .
الثاني : بما أنعم الله عليهم من حججه وهدايته يضلون .

(383/2)

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (72)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قوله عز وجل : { واللّهُ جَعَلَ لكُم مِن أنفسِكم أزواجاً } فيه وجهان : أحدهما : يعني جعل لكم من جنسكم مثلكم ، فضرب المثل من أنفسكم ، قاله ابن بحر . الثاني : يعني آدم خلق منه حوّاء ، قاله الأكثرون . { وجعل لكم مِن أزواجكم بنين وحفدة } وفي الحفدة خمسة أقاويل :

أحدها : أنهم الأصهار أختان الرجل على بناته ، قاله ابن مسعود وأبو الضحى . وسعيد بن جبير وإبراهيم ، ومنه قول الشاعر :

ولو أن نفسي طاوعتني لأصبحت ... لها حَفَدٌ مما يُعَدّث كثيرُ

ولكنها نفس عليَّ أبيّة ... عَيُوفٌ لأَصهارِ للئام قَذور

الثاني : أنهم أولاد الأولاد ، قاله ابن عباس .

الثالث : أنهم بنو امرأة الرجل من غيره ، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً .

الرابع : أنهم الأعوان ، قاله الحسن .

الخامس : أنهم الخدم ، قاله مجاهد وقتادة وطاووس ، ومنه قول جميل :

حفد الولائدُ حولهم وأسلمت ... بأكفهن أزِمّةَ الأجمال

وقال طرفة بن العبد :

يحفدون الضيف في أبياتهم ... كرماً ذلك منهم غير ذل

وأصل الحفد الإسراع ، والحفدة جمع حافد ، والحافد هو المسرع في العمل ، ومنه قولهم في القنوت وإليك نسعى ونحفد ، أي نسرع إلى العمل بطاعتك ، منه قول الراعي :

كلفت مجهولها نوقاً ثمانية ... إذا الحداة على أكسائها حفدوا

وذهب بعض العلماء في تفسير قوله تعالى { بنين وحفدة } البنين الصغار والحفدة الكبار . { ورزقكم من الطيبات } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : من الفيىء والغنيمة .

الثاني : من المباحات في البوادي .

الثالث : ما أوتيه عفواً من غير طلب ولا تعب .

{ أفبالباطِل يؤمنون } فيه وجهان :

أحدهما : بالأصنام .

الثاني : يجحدون البعث والجزاء .

{ وبنعمة الله يكفرون } فيها وجهان :

أحدهما : بالإسلام .

الثاني : بما رزقهم الله تعالى من الحلال آفة من أصنامهم . حكاه الكلبي .

(384/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ (73) فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (74) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (75)

قوله عز وجل : { ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء } فيه وجهان :

أحدهما : أنه لا يملك ما لم يؤذن وإن كان باقياً معه .

الثاني : أن لسيده انتزاعه من يده وإن كان مالكاً له . { ومَن رزقناه مِنا رزقاً حسناً } يعني الحُرّ ، وفيه وجهان :

أحدهما : ملكه ما بيده .

الثاني : تصرفه في الاكتساب على اختياره .

وفي هذا المثل قولان :

أحدهما : أنه مثل ضربه الله للكافر لأنه لا خير عنده ، ومن رزقناه منا رزقاً حسناً هو المؤمن ، لما عنده من الخير ، وهذا معنى قول ابن عباس وقتادة .

الثاني : أنه مثل ضربه الله تعالى لنفسه والأوثان ، لأنها لا تملك شيئاً ، وإنهم عدلوا عن عبادة الله تعالى الذي يملك كل شيء ، قاله مجاهد .

(385/2)

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (76)

قوله عز وجل : { وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكمُ لا يقدر على شيء وهو كَلٌّ على مولاه أينما يوجهه لا يأْتِ بخير هل يستوي هو ومن يأمُرُ بالعدل وهو على صراط مستقيم } اختلف المفسرون في المثل المضروب بهذه الآية على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه مثل ضربه الله تعالى لنفسه وللوثن ، فالأبكم الذي لا يقدر على شيء هو الوثن ، والذي يأمر بالعدل هو الله تعالى ، وهذا معنى قول قتادة .

الثاني : أنه مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر ، فالأبكم : الكافر ، والذي يأمر بالعدل : المؤمن ، قاله ابن عباس .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثالث : أن الأبكم : عبد كان لعثمان بن عفان رضي الله عنه كان يعرض عليه الإسلام فيأبى .
ومن يأمر بالعدل : عثمان ، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً .

(386/2)

وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (77) وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (78) أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (79)

قوله عزوجل : { ولله غيب السموات والأرض } يحتمل خمسة أوجه :
أحدها : ولله علم غيب السموات والأرض ، لأنه المنفرد به دون خلقه .
الثاني : أن المراد بالغيب إيجاد المعدومات وإعدام الموجودات .
الثالث : يعني فعل ما كان وما يكون ، وأما الكائن في الحال فمعلوم .
الرابع : أن غيب السماء الجزاء بالثواب العقاب . وغيب الأرض القضاء بالأرزاق والآجال .
{ وما أمْرُ الساعة إلاَّ كلمح البصر أو هو أقرب } لأنه بمنزلة قوله : { كن فيكون } وإنما سماها ساعة لأنها جزء من يوم القيامة وأجزاء اليوم ساعاته . وذكر الكلبي ومقاتل : أن غيب السموات هو قيام الساعة .
قال مقاتل : وسبب نزولها أن كفار قريش سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قيام الساعة استهزاء بها ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

(387/2)

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ (80) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (81) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (82) يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ (83)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
قوله عز وجل : { والله جعل لكم مما خلق ظلالاً } فيه وجهان :
أحدهما : البيوت ، قاله الكلبي .
الثاني : الشجر ، قاله قتادة .
{ وجعل لكم من الجبال أكناناً } الأكنان : جمع كِنّ وهو الموضع الذي يستكن فيه ، وفيه وجهان :
أحدهما أنه ظل الجبال .
الثاني : أنه ما فيها من غار أو شَرَف .
{ وجعل لكم سرابيل تقيكم الحرّ } يعني ثياب القطن والكتان والصوف .
{ وسرابيل تقيكم بأسكم } يعني الدروع التي تقي البأس ، وهي الحرب .
قال الزجاج : كل ما لبس من قميص ودروع فهو سربال .
فإن قيل : فكيف قال : { وجعل لكم من الجبال أكناناً } ولم يذكر السهل وقال { تقكيم الحر } ولم يذكر البرد؟
فعن ذلك ثلاثة أجوبة :
أحدها : أن القوم كانوا أصحاب جبال ولم يكونوا أصحاب سهل ، وكانوا أهل حر ولم يكونوا أهل برد ، فذكر لهم نعمه عليه مما هو مختص بهم ، قاله عطاء .
الثاني : أنه اكتفى بذكر احدهما عن ذكر الآخر ، إذ كان معلوماً أن من اتخذ من الجبال أكناناً اتخذ من السهل ، واسرابيل التي تقي الحر تقي البرد ، قاله الفراء ، ومثله قول الشاعر :
وما أدري إذا يممتُ أرضاً ... أريد الخير أيهما يليني .
فكنى عن الشر ولم يذكره لأنه مدلول عليه .
الثالث : أنه ذكر الجبال لأنه قدم ذكر السهل بقوله تعالى : { والله جعل لكم من بيوتكم سكناً } وذكر الحرَّ دون البرد تحذيراً من حر جهنم وتوقياً لاستحقاقها بالكف عن المعاصي .
{ كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون } أي تؤمنون بالله إذا عرفتم نعمه عليكم . وقرأ ابن عباس { لعلكم تسلمون } بفتح التاء أي تسلمون من الضرر ، فاحتمل أن يكون عنى ضرر الحر والبرد واحتمل أن يكون ضرر القتال والقتل ، واحتمل أن يريد ضرر العذاب في الآخرة إن اعتبرتم وآمنتم .
قوله عز وجل : { يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها } فيه خمسة تأويلات :
أحدها : أنه عنى النبي صلى الله عليه وسلم يعرفون نبوته ثم ينكرونها ويكذبونه ، قاله السدي .
الثاني : أنهم يعرفون منا عدد الله تعالى عليهم في هذه السورة من النعم وأنها من عند الله وينكرونها بقولهم أنهم ورثوا ذلك عن آبائهم ، قاله مجاهد .
الثالث : أن انكارها أن يقول الرجل : لولا فلان ما كان كذا وكذا ولولا فلانٌ ما أصبت كذا ، قاله عون بن عبد الله .
الرابع : أن معرفتهم بالنعمة إقرارهم بأن الله رزقهم ، وإنكارهم قولهم : رزقنا ذلك بشفاعة آلهتنا .
الخامس : يعرفون نعمة الله بتقلبهم فيها ، وينكرونها بترك الشكر عليها .
This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويحتمل سادساً : يعرفونها في الشدة ، وينكرونها في الرخاء .

ويحتمل سابعاً يعرفونها بأقوالهم ، وينكرونها بأفعالهم . قال الكلبي : هذه السورة تسمى سورة النعم ، لما ذكر الله فيها من كثرة نعمه على خلقه .

{ وأكثرهم الكفارون } فيه وجهان :

أحدهما : معناه وجميعهم كافرون ، فعبر عن الجميع بالأكثر ، وهذا معنى قول الحسن .

الثاني : أنه قال { وأكثرهم الكافرون } لأن فيهم من جرى عليه حكم الكفر تبعاً لغيره كالصبيان والمجانين ، فتوجه الذكر إلى المكلفين .

(388/2)

وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (84) وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (85) وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ (86) وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (87) الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ (88)

قوله عز وجل : { وألقوا إلى الله يومئذ السلم } يحتمل وجهين :

أحدهما : استسلامهم لعذابه ، وخضوعهم لعزه .

الثاني : إقرارهم بما كانوا ينكرون من طاعته .

{ وضَلَّ عنهم ما كانوا يفترون } يحتمل وجهين :

أحدهما : وبطل ما كانوا يأملون .

الثاني : خذلهم ما كانوا به يستنصرون .

قوله عز وجل : { الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زِدناهُم عذاباً فوق العذاب } فيه وجهان :

أحدهما : أن الزيادة هي عذاب الدنيا مع ما يستحق من عذاب الآخرة .

الثاني : أن أحد العذابين على كفرهم ، والعذاب الآخر على صدهم عن سبيل الله ومنعهم لغيرهم من الإيمان .

{ بما كانوا يفسدون } في الدنيا بالمعاصي .

(389/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (89)

قوله عز وجل : { ويوم نبعث في كل أمةٍ شهيداً عليهم من أنفسهم } وهم الأنبياء شهداء على أممهم يوم القيامة وفي كل زمان شهيد وإن لم يكن نبياً . وفيهم قولان :

أحدهما : أنهم أئمة الهدى الذين هم خلفاء الأنبياء .

الثاني : أنهم العلماء الذين حفظ الله بهم شرائع أنبيائه .

{ وجئنا بك شهيداً على هؤلاء } يعني محمداً صلى الله عليه وسلم شهيداً على أمته .

(390/2)

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (90)

قوله عز وجل : { إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان . . . } الآية . في تأويل هذه الآية ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن العدل : شهادة أن لا إله إلا الله ، والإحسان : الصبر على أمره ونهيه وطاعة الله في سره وجهره { وإيتاء ذي القربى } صلة الرحم ، { وينهى عن الفحشاء } يعني الزنى ، { والمنكر } القبائح . { والبغي } الكبر والظلم حكاه ابن جرير الطبري .

الثاني : أن العدل : القضاء بالحق ، والإحسان : التفضل بالإنعام ، وإيتاء ذي القربى : ما يستحقونه من النفقات . وينهى عن الفحشاء ما يستتر بفعله من القبائح . والمنكر : ما يتظاهر به منها فينكر . والبغي : منا يتطاول به من ظلم وغيره ، وهذا معنى ما ذكره ابن عيسى .

الثالث : أن العدل ها هنا استواء السريرة والعلانية في العمل لله . والإحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته . والفحشاء والمنكر : أن تكون علانيته أحسن من سريرته ، قاله سفيان بن عيينة . فأمر بثلاث ونهى عن ثلاث .

{ يعظكم لعلكم تذكرون } يحتمل وجهين : أحدهما : تتذكرون ما أمركم به وما نهاكم عنه .

الثاني : تتذكرون ما أعده من ثواب طاعته وعقاب معصيته .

(391/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (91) وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (92)

قوله عز وجل : { وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم } يحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه النذور .

الثاني : ما عاهد الله عليه من عهد في طاعة الله .

الثالث : أنه التزام أحكام الدين بعد الدخول فيه .

{ ولا تنقضوا الأيمان بَعْدَ توكيدها } يحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها : لا تنقضوها بالامتناع بعد توكيدها بالالتزام .

الثاني : لا تنقضوها بالعذر بعد توكيدها بالوفاء .

الثالث : لا تنقضوها بالحنث بعد توكيدها بالبِرّ .

وفي هذه الآية ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها نزلت في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم . الثاني : أنها نزلت في الحلف الذي كان في الجاهلية بين أهل الشرك ، فجاء الإسلام بالوفاء به .

الثالث : أنها نزلت في كل عقد يمين عقده الإنسان على نفسه مختاراً يجب عليه الوفاء به ما لم تدع ضرورة إلى حله .

وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « فليأت الذي هو خير » محمول على الضرورة دون المباح .

وأهل الحجاز يقولون . وكّدت هذه اليمين توكيداً ، وأهل نجد يقولون أكدتها تأكيداً .

قوله عز وجل : { ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً } وهذا مثل ضربه الله تعالى لمن نقض عهده ، وفيه قولان :

أحدها : أنه عنى الحبْل ، فعبر عنه بالغزل ، قاله مجاهد .

الثاني : أنه عنى الغزل حقيقة .

{ من بعد قوة } فيه قولان :

أحدهما : من بعد إبرام . قاله قتادة .

الثاني : أن القوة ما غزل على طاق ولم يثن .

{ أنكاثاً } يعني أنقاضاً ، واحده نكث ، وكل شيء نقض بعد الفتل أنكاثٌ .

وقيل أن التي نقضت غزلها من بعد قوة امرأة بمكة حمقاء ، قال الفراء : إنها ريطة بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرّة ، سميت جعدة لحمقها ، كانت تغزل الصوف ثم تنقضه بعدما تبرمه ، فلما كان هذا الفعل لو فعلتموه سفهاً تنكرونه كذلك نقض العهد الذي لا تنكرونه .

{ تتخذون أيمانكُمْ دَخَلاً بينكُمْ } فيه ستة تأويلات :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدها : أن الدخل الغرور .

الثاني : أن الدخل الخديعة .

الثالث : أنه الغل والغش .

الرابع : أن يكون داخل القلب من الغدر غير ما في الظاهر من لزوم الوفاء .

الخامس : أنه الغدر والخيانة ، قاله قتادة .

السادس : أنه الحنث في الأيمان المؤكدة .

{ أن تكون أمة هي أربى من أمة } أن أكثر عدداً وأزيد مدداً ، فتطلب بالكثرة أن تغدر بالأقل بأن تستبدل بعهد الأقل عهد الأكثر . وأربى : أفعل الربا ، قال الشاعر :

أسمر خطيّاً كأنّ كعوبه ... نوى القسب أو أربى ذراعاً على عشر

(392/2)

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (93) وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (94) وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (95) مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (96)

قوله عز وجل : { ما عندكم ينفد وما عند الله باقٍ } فيه وجهان :

أحدهما : يريد به أن الدنيا فانية ، والآخرة باقية .

الثاني : أن طاعتكم تفنى وثوابها يبقى .

(393/2)

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97)

قوله عز وجل : { مَن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينهُ حياةً طيبة } فيها خمسة تأويلات :

أحدها : أنها الرزق الحلال ، قاله ابن عباس . الثاني : أنها القناعة ، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه والحسن البصري .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الثالث : أن يكون مؤمناً بالله عاملاً بطاعته ، قاله الضحاك .

الرابع : أنها السعادة ، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً .

الخامس : أنها الجنة ، قاله مجاهد وقتادة . ويحتمل سادساً : أن تكون الحياة الطيبة العافية والكفاية . ويحتمل سابعاً : أنها الرضا بالقضاء . { ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون } يحتمل وجهين :

أحدهما : أن يجازى على أحسن الأعمال وهي الطاعة ، دون المباح منها . الثاني : مضاعفة الجزاء وهو الأحسن ، كما قال تعالى { من جاءَ بالحسنة فله عشر أمثالها } [الأنعام : 160] .

(394/2)

فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (98) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (99) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (100)

قوله عز وجل : { فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : فإذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله تعالى ، قاله الزجاج .

الثاني : فإذا كنت قارئاً فاستعذ بالله .

الثالث : أنه من المؤخر الذي معناه مقدم ، وتقديره : فإذا استعذت بالله من الشيطان الرجيم فاقرأ القرآن .

والاستعاذة هي استدفاع الأذى بالأعلى من وجه الخضوع والتذلل والمعنى فاستعذ بالله من وسوسة الشيطان عند قراءتك لتسلم في التلاوة من الزلل ، وفي التأويل من الخطأ . وقد ذكرنا في صدر الكتاب معنى الرجيم .

قوله عز وجل : { إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : ليس له قدرة على أن يحملهم على ذنب لا يغفر ، قاله سفيان .

الثاني : ليس له حجة على ما يدعوهم إليه من المعاصي ، قاله مجاهد .

الثالث : ليس له عليهم سلطان لاستعاذتهم باللَّه منه ، لقوله تعالى { وإمّا ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم } [فصلت : 36] .

الرابع : أنه ليس له عليهم سلطان بحال لأن الله تعالى صرف سلطانه عنهم حين قال عدو الله إبليس { ولأغوينهم أجميعن إلا عبادَك منهم المخلصين } [الحجر : 39-40] فقال الله تعالى { إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين } [الحجر : 42] وفي معنى السلطان وجهان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدهما : الحجة ، ومنه سمي الوالي سلطاناً لأنه حجة الله تعالى في الأرض .

الثاني : أنها القدرة ، مأخوذ من السَّلْطَة ، وكذلك سمي السلطان سلطاناً لقدرته . { إنما سلطانه على الذين يتولونه } يعني يتبعونه .

{ والذين هُمْ به مشركون } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : والذين هم بالله مشركون ، قاله مجاهد . الثاني : والذين أشركوا الشيطان في أعمالهم ، قاله الربيع بن أنس .

الثالث : والذين هم لأجل الشيطان وطاعته مشركون ، قاله ابن قتيبة .

(395/2)

وَإِذَا بَدَّلْنَا آَيَةً مَكَانَ آَيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (101) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (102)

قوله عز وجل : { وإِذا بدّلنا آيةً مكان آيةٍ } فيه وجهان :

أحدهما : شريعة تقدمت بشريعة مستأنفة ، قاله ابن بحر .

الثاني : وهو قول الجمهور أي نسخنا آية بآية ، إما نسخ الحكم والتلاوة وإما نسخ الحكم مع بقاء التلاوة .

{ والله أعلم بما ينزل } يعني أعلم بالمصلحة فيه ينزله ناسخاً ويرفعه منسوخاً . { قالوا إنما مفْتَرٍ } أي كاذب .

{ بل أكثرهم لا يعلمون } فيه وجهان : أحدهما : لا يعلمون جواز النسخ . الثاني : لا يعلمون سبب ورود النسخ .

(396/2)

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (103) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآَيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (104) إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآَيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ (105)

قوله عز وجل : { ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمُه بشرٌ } اختلف في اسم من أراده المشركون فيما ذكروه من تعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أربعة أقاويل :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدها : أنه بلعام وكان قيناً بمكة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل عليه يعلمه ، فاتهمته قريش أنه كان يتعلم منه ، قاله مجاهد .

الثاني : أنه كان عبداً أعجمياً لامرأة بمكة ، يقال له أبو فكيهة ، كان يغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقرأ عليه ويتعلم منه ، فقالوا لمولاته احبسيه فحبستْه ، وقالت له : اكنس البيت وكل كناسته ، ففعل وقال : والله ما أكلت أطيب منه ولا أحلى ، وكان يسأل مولاته بعد ذلك أن تحبسه فلا تفعل .

الثالث : أنهما غلامان لبني الحضرمي ، وكانا من أهل عين التمر صيقلين يعملان السيوف اسم أحدها يسار ، والآخر جبر ، وكانا يقرآن التوراة ، وكان رسول الله ربما جلس إليهما ، قاله حصين بن عبد الله بن مسلم .

الرابع : أنه سلمان الفارسي ، قاله الضحاك .

{ لسان الذي يلحدون إليه أعجمي } في يلحدون تأويلان : أحدهما : يميلون إليه .

الثاني : يعترضون به ، يعني أن لسان من نسبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى التعلم منه أعجمي .

{ وهذا لسانٌ عربيٌ مبين } يعني باللسان القرآن لأنه يقرأ باللسان ، والعرب تقول : هذا لسان فلان ، تريد كلامه ، قال الشاعر :

لسان السوء تهديها إلينا ... وخُنْتَ وما حسبتُك أن تخونا

(397/2)

مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (106) ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآَخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (107) أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (108) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآَخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (109)

قوله عز وجل : { مَن كفر بالله من بعد إيمانه } ذكر الكلبي أنها نزلت في عبد الله بن أبي سرح ومقيس بن صبابة وعبد الله بن خطل وقيس بن الوليد بن المغيرة ، كفروا بعد إيمانهم ثم قال تعالى : { إلا من أُكره وقلبُه مطمئن بالإيمان } قال الكلبي : نزل ذلك في عمار بن ياسر وأبويه ياسر وسُمية وبلال وصهيب وخبّاب ، أظهروا الكفر بالإكراه وقلوبهم مطمئنة بالإيمان .

ثم قال تعالى : { ولكن من شرح بالكُفْر صدراً } وهم من تقدم ذكرهم ، فإذا أكره على الكفر فأظهره بلسانه وهو معتقد الإيمان بقلبه ليدفع عن نفسه بما أظهر ، ويحفظ دينه بما أضمر فهو على إيمانه

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

، ولو لم يضمره لكان كافراً .

وقال بعض المتكلمين : إنما يجوز للمكرَه إظهارُ الكفر عل وجه التعريض دون التصريح الباتّ . لقبح التصريح بالتكذيب وخطره في العرف والشرع ، كقوله إن محمداً كاذب في اعتقادكم ، أو يشير لغيره ممن يوافق اسمه لاسمه إذا عرف منه الكذب ، وهذا لعمري أولى الأمرين ، ولم يَصِرِ المكرَه بالتصريح كافر .

(398/2)

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (110)
يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (111) وَضَرَبَ اللَّهُ
مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ
الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (112) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ
ظَالِمُونَ (113)

قوله تعالى : { وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنةً مطمئنةً } يريد بالقرية أهلها { آمنة } يعني من الخوف . { مطمئنة } بالخصب والدعة .

{ يأتيها رِزقُها } فيه وجهان :

أحدهما : أقواتها .

الثاني : مرادها . { رغداً } فيه وجهان :

أحدهما : طيباً .

الثاني : هنيئاً .

{ من كُلِّ مكانٍ } يعني منها بالزراعة ، ومن غيرها بالتجارة ، ليكون اجتماع الأمرين لهم أوفر لسكنهم وأعم في النعمة عليها .

{ فكفرت بأنعم الله } يحتمل وجهين .

أحدهما : بترك شكره وطاعته .

الثاني : بأن لا يؤدوا حقها من مواساة الفقراء وإسعاف ذوي الحاجات .

وفي هذه القرية التي ضربها الله تعالى مثلاً أقاويل :

أحدها : أنها مكة ، كان أمنها أن أهلها آمنون لا يتفاوزون كالبوادي .

{ فأذاقها اللهُ لباسَ الجوع والخوف } وسماه لباساً لأنه قد يظهر عليهم من الهزال وشحوبة اللون وسوء الحال ما هو كاللباس ، وقيل إن القحط بلغ بهم إلى أن أكلوا القد والعلهز وهو الوبر يخلط

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

بالدم ، والقِد أديم يؤكل ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة .

الثاني : أنها المدينة آمنت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم كفرت بأنعم الله بقتل عثمان بن عفان وما حدث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بها من الفتن ، وهذا قول عائشة وحفصة رضي الله عنهما .

الثالث : أنه مثل مضروب بأي قرية كانت على هذه الصفة من سائر القرى .

(399/2)

فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (114) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (115) وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (116) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (117) وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (118) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (119)

قوله عز وجل : { ثم إنّ ربّك للذين عملوا السُّوء بجهالةٍ } فيه وجهان :

أحدها : بجهالة أنها سوء .

الثاني : بجهالة لغلبة الشهوة عليهم مع العلم بأنها سوء .

ويحتمل ثالثاً : أنه الذي يعجل بالإقدام عليها ويعد نفسه بالتوبة .

{ ثم تابوا مِنْ بعد ذلك وأصْلَحوا } لأنه مجرد التوبة من السالف إذا لم يصلح عمله في المستأنف لا يستحق ولا يستوجب الثواب .

(400/2)

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (120) شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (121) وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (122) ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (123)

قوله عز وجل : { إنّ إبراهيم كان أمّةً } فيه ثلاثة تأويلات : أحدها : يُعلّم الخير ، قاله ابن مسعود وإبراهيم النخعي . قال زهير :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فأكرمه الأقوام من كل معشر ... كرام فإن كذبتني فاسأل الأمم

يعني العلماء .

الثاني : أمة يقتدى به ، قاله الضحاك . وسمي أمة لقيام الأمة به . الثالث : إمام يؤتم به ، قاله الكسائي وأبو عبيدة . { قانتاً لله } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : مطيعاً لله ، قاله ابن مسعود .

الثاني : إن القانت هو الذي يدوم على العبادة لله .

الثالث : كثير الدعاء لله عز وجل .

{ حنيفاً } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : مخلص ، قاله مقاتل .

الثاني : حاجّا ، قاله الكلبي .

الثالث : أنه المستقيم على طريق الحق ، حكاه ابن عيسى .

{ ولم يَكُ من المشركين } فيه وجهان :

أحدهما : لم يك من المشركين بعبادة الأصنام .

الثاني : لم يك يرى المنع والعطاء إلا من اللَّه .

{ وآتيناه في الدنيا حسنة } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أن الحسنة النبوة ، قاله الحسن .

الثاني : لسان صدق ، قاله مجاهد .

الثالث : أن جميع أهل الأديان يتولونه ويرضونه ، قاله قتادة .

الرابع : أنها تنوية الله بذكره في الدنيا بطاعته لربه . حكاه ابن عيسى .

ويحتمل خامساً : أنه بقاء ضيافته وزيارة الأمم لقبره .

{ وإنه في الآخرة لمن الصالحين } فيه وجهان :

أحدهما : في منازل الصالحين في الجنة .

الثاني : من الرسل المقربين .

قوله عز وجل : { ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً } فيه قولان :

أحدهما : اتباعه في جميع ملته إلا ما أمر بتركه ، وهذا قول بعض أصحاب الشافعي ، وهذا دليل على جواز الأفضل للمفضول لأن النبي صلى الله عليه وسلم أفضل الأنبياء .

الثاني : اتباعه في التبرؤ من الأوثان والتدين بالإسلام ، قاله أبو جعفر الطبري .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (124)

قوله عز وجل : { إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه } وهم اليهود وفي اختلافهم في السبت ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن بعضهم جعله أعظم الأيام حُرْمَةً لأن الله فرغ من خلق الأشياء فيه .

الثاني : أن بعضهم جعل الأحد أعظم حُرمة منه لأن الله ابتدأ خلق الأشياء فيه .

الثالث : أنهم عدلوا عما أمروا به من تعظيم الجمعة تغليباً لحرمة السبت والأحد ، قاله مجاهد وابن زيد .

(402/2)

ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (125)

قوله عز وجل : { ادعُ إلى سبيل ربِّك } يعني إلى دين ربك وهو الإسلام .

{ بالحكمة } فيها تأويلان :

أحدهما : بالقرآن ، قاله الكلبي .

الثاني : بالنبوة ، وهو محتمل .

{ والموعظة الحسنة } فيها تأويلان :

أحدهما : بالقرآن في لين من القول ، قاله الكلبي .

الثاني : بما فيه من الأمر والنهي ، قاله مقاتل .

{ وجادلْهُم بالتي هي أحسنُ } فيه أربعة أوجه :

أحدها : يعني بالعفو .

الثاني : بأن توقظ القلوب ولا تسفه العقول . الثالث : بأن ترشد الخلف ولا تذم السلف .

الرابع : على قدر ما يحتملون . روى نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أمرنا معاشر الأنبياء أن نكلم الناس على قدر عقولهم » .

(403/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (126) وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (127) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (128)

قوله عز وجل : { وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عُوقبتم به } فيها قولان :
أحدهما : أنها نزلت في قتلى أحُد حين مثلت بهم قريش .
واختلف قائل ذلك في نسخه على قولين :
أحدهما : أنها منسوخة بقوله تعالى : { واصبر وما صبرك إلا بالله }
الثاني : أنها ثابتة غير منسوخة فهذا أحد القولين .
والقول الثاني : أنها نزلت في كل مظلوم ان يقتص من ظالمه ، قاله ابن سيرين ومجاهد { واصبر } فيه وجهان :
أحدهما : اصبر على ما أصابك من الأذى ، وهو محتمل .
الثاني : واصبر بالعفو عن المعاقبة بمثل ما عاقبوا من المثلة بقتلى أُحد ، قاله الكلبي .
{ وما صبر إلا بالله } يحتمل وجهين :
أحدهما : وما صبر إلا بمعونة الله .
الثاني : وما صبرك إلا لوجه الله .
{ ولا تحزن عليهم } فيه وجهان :
أحدهما : إن لم يقبلوا .
الثاني : إن لم يؤمنوا .
{ ولا تك في ضيقٍ مما يمكرون } قرأ بن كثير { ضيق } بالكسر وقرأ الباقون بالفتح . وفي الفرق بينهما قولان :
أحدهما : أنه بالفتح ما قل ، وبالكسر ما كثر ، قاله أبو عبيدة .
الثاني : أنه بالفتح ما كان في الصدر ، وبالكسر ما كان في الموضع الذي يتسع ويضيق ، قاله الفراء .
قوله عز وجل : { إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون } اتقوا يعني فيما حرم الله عليهم . والذين هم محسنون فيما فرضه الله تعالى ، فجمع في هذه الآية اجتناب المعاصي وفعل الطاعات . وقوله : { مع الذين اتقوا } أي ناصر الذي اتقوا . وقال بعض أصحاب الخواطر : من اتقى الله في أفعاله أحْسَنَ إليه في أحواله ، والله أعلم .

(404/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آَيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (1)

قوله عز وجل : { سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى } أما قوله { سبحان } ففيه تأويلان :

أحدهما : تنزيه الله تعالى من السوء ، وقيل بل نزه نفسه أن يكون لغيره في إسراء عبده تأثير .

الثاني : معناه برأه الله تعالى من السوء ، وقد قال الشاعر :

أقول لمّا جاءني فَخْرُه ... سبحان مِنْ علقمةَ الفاخِرِ

وهو ذكر تعظيم لله لا يصلح لغيره ، وإنما ذكره الشاعر على طريق النادر ، وهو من السبح في التعظيم وهو الجري فيه إلى أبعد الغايات . وذكر أبان بن ثعلبة أنها كلمة بالنبطية « شبهانك » .

وقد ذكر الكلبي ومقاتل : إن { سبحان } في هذا الموضع بمعنى عجب ، وتقدير الآية : عجب من الذي أسرى بعبده ليلاً ، وقد وافق على هذا التأويل سيبويه وقطرب ، وجعل البيت شاهداً عليه ، وأن معناه عجبٌ من علقمة الفاخر . ووجه هذا التأويل أنه إذا كان مشاهدة العجب سبباً للتسبيح صار التسبيح تعجباً فقيل عجب ، ومثله قول بشار :

تلقي بتسبيحةٍ مِنْ حيثما انصرفت ... وتستفزُّ حشا الرائي بإرعاد

وقد جاء التسبيح في الكلام على أربعة أوجه :

أحدها : أن يستعمل في موضع الصلاة ، من ذلك قوله تعالى : { فلولا أنه كان من المسبِّحينَ } [الصافات : 143] أي من المصلين .

الثاني : أن يستعمل في الاستثناء ، كما قال بعضهم في قوله تعالى : { ألم أقل لكم لولا تسبحون } [القلم : 28] أي لولا تستثنون .

الثالث : النور ، للخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لأحرقت سبحات وجهه » أي نور وجهه .

الرابع : التنزيه ، روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن التسبيح فقال : « تنزيه الله تعالى عن السوء

» . وقوله تعالى : { أسرى بعبده } أي بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، والسُّرى : سير الليل ، قال الشاعر :

وليلة ذا ندًى سَرَيت ... ولم يلتني مِنْ سُراها ليت

وقوله { من المسجد الحرام } فيه قولان :

أحدهما : يعني من الحرم ، والحرم كله مسجد . وكان صلى الله عليه وسلم حين أُسرى به نائماً في

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

بيت أم هانيء بنت أبي طالب ، روى ذلك أبو صالح عن أم هانيء .
الثاني : أنه أسرى به من المسجد ، وفيه كان حين أسري به روى ذلك أنس بن مالك . ثم اختلفوا في كيفية إسرائه على قولين :
أحدهما : أنه أسريَ بجسمه وروحه ، روى ذلك ابن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو هريرة وحذيفة بن اليمان .
واختلف قائلو ذلك هل دخل بيت المقدس وصلى فيه أم لا ، فروى أبو هريرة أنه صلى فيه بالأنبياء ، ثم عرج به إلى السماء ، ثم رجع به الى المسجد الحرام فصلى فيه صلاة الصبح من صبيحة ليلته .
وروى حذيفة بن اليمان أنه لم يدخل بيت المقدس ولم يُصلّ فيه ولا نزل عن البراق حتى عرج به ، ثم عاد إلى ملكه .

(405/2)

والقول الثاني : أن النبي صلى الله عليه السلام أسري بروحه ولم يسر بجسمه ، روى ذلك عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما فُقِدَ جَسَدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن الله أسرى بروحه .
وروي عن معاوية قال : كانت رؤيا من الله تعالى صادقة ، وكان الحسن يتأول قوله تعالى { وما جَعَلنا الرؤيا التي أريناك إلاّ فتنةً للناس } [الإسراء : 60] أنها في المعراج ، لأن المشركين كذبوا ذلك وجعلوا يسألونه عن بيت المقدس وما رأى في طريقه فوصفه لهم ، ثم ذكر لهم أنه رأى في طريقه قعباً مغطى مملوءاً ماء ، فشرب الماء ثم غطاه كما كان ، ثم ذكر لهم صفة إبل كانت لهم في طريق الشام تحمل متاعاً ، وأنها تقدُم يوم كذا مع طلوع الشمس ، يقدمها جمل أورق؛ فخرجوا في ذلك اليوم يستقبلونها ، فقال قائل منهم : هذه والله الشمس قد أشرقت ولم تأت ، وقال آخر : هذه والله العير يقدُمها جمل أورق كما قال محمد . وفي هذا دليل على صحة القول الأول أنه أسرى بجسمه وروحه .
وقوله تعالى : { إلى المسجد الأقصى } يعني بيت المقدس ، وهو مسجد سليمان بن داود عليهما السلام وسمي الأقصى لبعد ما بينه وبين المسجد الحرام .
ثم قال تعالى : { الذي باركنا حوله } فيه قولان :
أحدهما : يعني بالثمار ومجاري الأنهار .
الثاني : بمن جعل حوله من الأنبياء والصالحين ولهذا جعله مقدساً . وروى معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يقول الله تعالى : يا شام أنت صفوتي من بلادي وأنا سائق إليك

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

صفوتي من عبادي

» . { لنريه من آياتنا } فيه قولان :

أحدهما : أن الآيات التي أراه في هذا المسرى أن أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في ليلة ، وهي مسيرة شهر .

الثاني : أنه أراه في هذا المسرى آيات .

وفيها قولان :

أحدهما : ما أراه من العجائب التي فيها اعتبار .

الثاني : من أري من الأنبياء حتى وصفهم واحداً واحداً .

{ إنه هو السميع البصير } فيه وجهان :

أحدهما : أنه وصف نفسه في هذه الحال بالسميع والبصير ، وإن كانتا من صفاته اللازمة لذاته في الأحوال كلها لأنه حفظ رسوله عند إسرائه في ظلمة الليل فلا يضر ألا يبصر فيها ، وسمع دعاءه فأجابه إلى ما سأل ، فلهذين وصف الله نفسه بالسميع البصير .

الثاني : أن قومه كذبوه عن آخرهم بإسرائه ، فقال : السميع يعني لما يقولونه من تصديق أو تكذيب ، البصير لما يفعله من الإسراء والمعراج .

(406/2)

وَآَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا (2) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (3)

قوله عز وجل : { وآتينا موسى الكتاب } يعني التوراة .

{ وجعلناه هدًى لبني إسرائيل } يحتمل وجهين :

أحدهما : أن موسى هدى لبني إسرائيل .

الثاني : أن الكتاب هدى لبني إسرائيل .

{ ألاّ تتخذوا من دوني وكيلاً } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : شريكاً ، قاله مجاهد .

الثاني : يعني ربّاً يتوكلون عليه في أمورهم ، قاله الكلبي .

الثالث : كفيلاً بأمورهم ، حكاه الفراء .

قوله عز وجل : { ذرية من حملنا مع نوح } يعني موسى وقومه من بني إسرائيل ذرية من حملهم الله تعالى مع نوح في السفينة وقت الطوفان .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

{ إنّه كان عبداً شكوراً } يعني نوحاً ، وفيه قولان :

أحدهما : أنه سماه شكوراً لأنه كان يحمد الله تعالى على طعامه ، قاله سلمان .

الثاني : أنه كان يستجد ثوباً إلا حمد الله تعالى عند لباسه ، قاله قتادة .

ويحتمل وجهين :

أحدهما : أن نوحاً كان عبداً شكوراً فجعل الله تعالى موسى من ذريته .

الثاني : أن موسى كان عبداً شكوراً إذ جعله تعالى من ذرية نوح .

(407/2)

وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (4) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (5) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (6) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (7) عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (8)

قوله تعالى : { وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب } .

معنى قضينا ها هنا : أخبرنا .

ويحتمل وجهاً ثانياً : أن معناه حكمنا ، قاله قتادة .

ومعنى قوله : { وقضينا إلى بني إسرائيل } أي قضينا عليهم .

{ لتفسدن في الأرض مرتين } الفاسد الذي فعلوه قتلهم للناس ظلماً وتغلبهم على أموالهم قهراً ، وإخراب ديارهم بغياً . وفيمن قتلوه من الأنبياء في الفساد الأول قولان :

أحدهما : أنه زكريا قاله ابن عباس .

الثاني : أنه شعياً ، قاله ابن إسحاق ، وأن زكريا مات حتف أنفه .

أما المقتول من الأنبياء في الفساد الثاني فيحيى بن زكريا في قول الجميع قال مقاتل : وإن كان بينهما مائتا سنة وعشر .

{ فإذا جاء وعْد أولاهما } يعني أولى المرتين من فسادهم .

{ بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأسٍ شديدٍ } في قوله بعثنا وجهان :

أحدهما : خلينا بينكم وبينهم خذلاناً لكم بظلمكم ، قاله الحسن .

الثاني : أمرنا بقتالكم انتقاماً منكم .

وفي المبعوث عليهم في هذه المرة الأولى خمسة أقاويل :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدها : جالوت وكان ملكهم طالوت إلى أن قتله داود عليه السلام ، قاله ابن عباس وقتادة .

الثاني : أنه بختنصر ، وهو قول سعيد بن المسيب .

الثالث : أنه سنحاريب ، قاله سعيد بن جبير .

الرابع : أنهم العمالقة وكانوا كفاراً ، قاله الحسن .

الخامس : أنهم كانوا قوماً من أهل فارس يتجسسون أخبارهم ، وهو قول مجاهد .

{ . . . فجاسوا خلال الديار } فيه خمسة تأويلات :

أحدها : يعني مشوا وترددوا بين الدور والمساكن ، قال ابن عباس وهو أبلغ في القهر .

الثاني : معناه فداسوا خلال الديار ، ومنه قول الشاعر :

إِلَيْكَ جُسْتُ اللَّيْلَ بِالمَطِيِّ ... الثالث : معناه فقتولهم بين الدور والمساكن ، ومنه قول حسان بن ثابت :

ومِنَّا الَّذِي لاقَى بِسَيْفِ مُحَمَّدٍ ... فَجَاس بِهِ الأَعْدَاءَ عَرْضَ العَسَاكِر

الرابع : معناه فتشوا وطلبوا خلال الديار ، قاله أبو عبيدة .

الخامس : معناه نزلوا خلال الديار ، قاله قطرب ، ومنه قول الشاعر :

فَجُسنا ديارهم عَنْوَةً ... وأبنا بساداتهم موثَقينا

قوله عز وجل : { ثم رددنا لكم الكرة عليهم } يعني الظفر بهم ، وفي كيفية ذلك ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن بني إسرائيل غزوا ملك بابل واستنقذوا ما فيه يديه من الأسرى والأموال . الثاني : أن ملك بابل أطلق من في يده من الأسرى ، وردّ ما في يده من الأموال .

الثالث : أنه كان بقتل جالوت حين قتله داود .

{ وأمددناكم بأموالٍ وبنين } بتجديد النعمة عليهم .

{ وجعلناكم أكثر نفيراً } فيه وجهان :

أحدهما : أكثر عزاً وجاهاً منهم .

الثاني : أكثر عدداً ، وكثرة العدد تنفر عدوهم منهم ، قال تُبع بن بكر :

فأكرِم بقحْطَانَ مِن وَالِدٍ ... وحِمْيَرَ أَكْرِم بقَوْمٍ نَفِيراً

قال قتادة : فكانوا بها مائتي سنة وعشر سنين ، وبعث فيهم أنبياء .

قوله عز وجل : { إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم } لأن الجزاء بالثواب يعود إليها ، فصار ذلك إحساناً لها .

{ وإن أسأتُم فلها } أي فإليها ترجع الإساءة لما يتوجه إليها من العقاب ، فرغَّب في الإحسان وحذر من الإساءة .

ثم قال تعالى : { فإذا جاءَ وعْدُ الآخرة ليسوءُوا وجُوهكم } يعني وعد المقابلة على فسادهم في المرة الثانية . وفيمن جاءهم فيها قولان : أحدهما : بختنصّر ، قاله مجاهد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

(408/2)

الثاني : أنه انطياخوس الرومي ملك أرض نينوى ، وهو قول مقاتل ، وقيل إنه قتل منهم مائة ألف وثمانين ألفاً ، وحرق التوراة وأخرب بيت المقدس ، ولم يزل على خرابه حتى بناه المسلمون .

{ وليدخلوا المسجد كما دَخلوه أوّل مرّة } يعني بيت المقدس .

{ وليتبروا ما علوا تتبيراً } فيه تأويلان :

أحدهما : أنه الهلاك والدمار .

الثاني : أنه الهدم والإخراب ، قاله قطرب ، ومنه قول لبيد :

وما النَّاسُ إلا عَامِلان فَعَامِلٌ ... يُتَبِّرُ مَا يَبْنِي وَآخَرُ رَافِعٌ

قوله عز وجل : { عسى ربُّكم أن يرحمكم } يعني مما حل بكم من الانتقام منكم .

{ وإن عدتم عدنا } فيه تأويلان : أحدهما : إن عدتم إلى الإساءة عدنا إلى الانتقام ، فعادوا . قال ابن عباس وقتادة : فبعث الله عليهم المؤمنين يذلونهم بالجزية والمحاربة إلى يوم القيامة .

الثاني : إن عدتم إلى الطاعة عدنا إلى القبول ، قاله بعض الصالحين .

{ وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً } فيه تأويلان :

أحدهما : يعني فراشاً ومهاداً ، قاله الحسن : مأخوذ من الحصير المفترش .

الثاني : حبساً يحبسون فيه ، قاله قتادة ، مأخوذ من الحصر وهو الحبس . والعرب تسمي الملك حصيراً لأنه بالحجاب محصور ، قال لبيد :

ومقامَةٍ غُلْبِ الرِّقَابِ كَأَنَّهُمْ ... جِنٌّ لَدَى بَابِ الحَصِيرِ قِيَامُ

(409/2)

إِنَّ هَذَا الْقُرْآَنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (9) وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (10)

قوله عز وجل : { إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم } فيها تأويلان :

أحدهما : شهادة أن لا إله إلا الله ، قاله الكلبي والفراء .

الثاني : ما تضمنه من الأوامر والنواهي التي هي أصوب ، قاله مقاتل .

(410/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا (11)

قوله عز وجل : { ويدعو الإنسان بالشر دُعاءَه بالخير } فيه وجهان من التأويل :
أحدها : أن يطلب النفع في العاجل بالضر العائد عليه في الآجل .
الثاني : أن يدعوا أحدهم على نفسه أو ولده بالهلاك ، ولو استجاب دعاءه بهذا الشر كما استجاب له بالخير لهلك .
{ وكان الإنسان عجولاً } فيه تأويلان :
أحدهما : عجولاً في الدعاء على نفسه وولده وما يخصه ، وهذا قول ابن عباس وقتادة ومجاهد .
الثاني : أنه عنى آدم حين نفخ فيه الروح ، حتى بلغت الى سُرّته فأراد أن ينهض عجلاً ، وهذا قول إبراهيم والضحاك .

(411/2)

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا (12)

قوله عز وجل : { وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل } فيه قولان :
أحدهما : أنها ظلمة الليل التي لا نبصر فيها الطرقات كما لا نبصر ما محي من الكتاب ، وهذا من أحسن البلاغة ، وهو معنى قول ابن عباس .
الثاني : أنها اللطخة السوداء التي في القمر ، وهذا قول علي وقتادة ليكون ضوء القمر أقل من ضوء الشمس فيميز به الليل من النهار .
{ وجعلنا آية النهار مبصرة } فيه قولان :
أحدهما : أنها الشمس مضيئة للأبصار .
الثاني : موقظة .

(412/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (13) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (14)

قوله عز وجل : { وكل إنسان ألزمنا طائره في عنقه } فيه قولان :

أحدهما : ألزمناه عمله من خير أو شر مثل ما كانت العرب تقوله سوانح الطير وبوارحه ، والسانح : الطائر يمر ذات اليمين وهو فأل خير ، والبارح : الطائر يمر ذات الشمال وهو فأل شر ، وأضيف إلى العنق .

الثاني : أن طائره حظه ونصيبه ، من قول العرب : طار سهم فلان إذا خرج سهمه ونصيبه منه ، قاله أبو عبيدة .

{ ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً } يعني كتاب طائره الذي في عنقه من خير أو شر .

ويحتمل نشر كتابه الذي يلقاه وجهين :

أحدهما : تعجيلاً للبشرى بالحسنة ، والتوبيخ بالسيئة .

الثاني : إظهار عمله من خير أو شر .

{ اقرأ كتابك } يحتمل وجهين :

أحدهما : لما في قراءته من زيادة التقريع والتوبيخ .

والثاني : ليكون إقراره بقراءته على نفسه .

{ كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً } فيه قولان :

أحدهما : يعني شاهداً .

والثاني : يعني حاكماً بعملك من خير أو شر . ولقد أنصفك من جعلك حسيباً على نفسك بعملك .

(413/2)

مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (15)

قوله عز وجل : { مَن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه } يعني لما يحصل له من ثواب طاعته .

{ ومَن ضلّ فإنما يضل عليها } يعني لما يحصل عليه من عقاب معصيته .

{ ولا تزر وازرةٌ وزر أخرى } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : لا يؤاخذ أحد بذنب غيره .

الثاني : لا يجوز لأحد أن يعصى لمعصية غيره .

الثالث : لا يأثم أحد بإثم غيره .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويحتمل رابعاً : أن لا يتحمل أحد ذنب غيره ويسقط مأثمه عن فاعله .

{ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً } فيه وجهان :

أحدهما : وما كنا معذبين على الشرائع الدينية حتى نبعث رسولاً مبيناً ، وهذا قول من زعم أن العقل تقدم الشرع .

الثاني : وما كنا معذبين على شيء من المعاصي حتى نبعث رسولاً داعياً ، وهذا قول من زعم أن العقل والشرع جاءا معاً .

وفي العذاب وجهان :

أحدهما : عذاب الآخرة . وهو ظاهر قول قتادة .

الثاني : عذاب بالاستئصال في الدنيا ، وهو قول مقاتل .

(414/2)

وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (16)

قوله عز وجل : { وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها . . } الآية في قوله { وإذا أردنا أن نهلك قرية } ثلاثة أقاويل :

أحدها : معناه إذا أردنا أن نحكم بهلاك قرية .

والثاني : معناه وإذا أهلكنا قرية ، وقوله { أردنا } صلة زائدة كهي في قوله تعالى : { جداراً يريد أن ينقض } [الكهف : 77]

الثالث : أنه أراد بهلاك القرية فناء خيارها وبقاء شرارها .

{ أمرنا مترفيها } الذي عليه الأئمة السبعة من القراء أن أمرنا مقصور مخفف ، وفيه وجهان :

أحدهما : أمرنا متفريها بالطاعة ، لأن الله تعالى لا يأمر إلا بها ، { ففسقوا فيها } أي فعصوا بالمخالفة ، قاله ابن عباس .

الثاني : معناه : بعثنا مستكبريها ، قاله هارون ، وهي في قراءة أبيٍّ : بعثنا أكابر مجرميها .

وفي قراءة ثانية { أمّرنا مترفيها } بتشديد الميم ، ومعناه جعلناهم أمراء مسلطين ، قاله أبو عثمان النهدي .

وفي قراءة ثالثة { آمَرْنا مُترفيها } ممدود ، ومعناه أكثرنا عددهم ، من قولهم آمر القوم إذا كثروا ، لأنهم مع الكثرة يحتاجون إلى أمير يأمرهم وينهاهم ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم « خير المال مهرة أو سُكة مأبورة » أي كثيرة النسل ، وقال لبيد :

إن يغبطوا يهبطوا وإن أمِروا ... يوماً يصيروا إلى الإهلاك والنكد

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وهذا قول الحسن وقتادة .

وفي { مترفيها } ثلاثة تأويلات :

أحدها جباروها ، قاله السن .

الثاني : رؤساؤها ، قاله علي بن عيسى .

الثالث : فساقها ، قاله مجاهد .

(415/2)

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (17) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (18) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (19)

قوله عز وجل : { وكم أهلكنا من القرون من بعد نُوح } واختلفوا في مدة القرن على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه مائة وعشرون سنة ، قاله عبد الله بن أبي أوفى .

الثاني : أنه مائة سنة ، قاله عبد الله بن بُسْر المازني . الثالث : أنه أربعون سنة ، روى ذلك محمد بن سيرين عن النبي صلى الله عليه وسلم .

(416/2)

كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (20) انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (21)

قوله عز وجل : { كُلاًّ نُمِدُّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربِّكَ } يعني البر والفاجر من عطاء ربك في الدنيا دون الآخرة .

{ وما كان عطاء ربك محظوراً } فيه تأويلان :

أحدهما : منقوصاً ، قاله قتادة .

الثاني : ممنوعاً ، قاله ابن عباس .

(417/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا (22) وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (24)

قوله عز وجل : { وقضى ربُّك ألاّ تبعدوا إلاّ إياه } معناه وأمر ربك ، قاله ابن عباس والحسن وقتادة . وكان ابن مسعود وأبيّ بن كعب يقرآن { ووصى ربك } قاله الضحاك ، وكانت في المصحف : { ووصى ربك } لكن ألصق الكاتب الواو فصارت { وقضى ربك } .

{ وبالوالدين أحساناً } معناه ووصى بالوالدين إحساناً ، يعني أن يحسن إليهما بالبر بهما في الفعل والقول .

{ إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما } فيه وجهان :

أحدهما : يبلغن كبرك وكما عقلك .

الثاني : يبلغان كبرهما بالضعف والهرم .

{ فلا تقل لهما أفٍّ } يعني حين ترى منهما الأذى وتميط عنهما الخلا ، وتزيل عنهما القذى فلا تضجر ، كما كانا يميطانه عنك وأنت صغير من غير ضجر .

وفي تأويل { أف } ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه كل ما غلظ من الكلام وقبح ، قاله مقاتل .

الثاني : أنه استقذار الشيء وتغير الرائحة ، قاله الكلبي .

الثالث : أنها كلمة تدل على التبرم والضجر ، خرجت مخرج الأصوات المحكية . والعرب أف وتف ، فالأف وسخ الأظفار ، والتُّف ما رفعته من الأرض بيدك من شيء حقير .

{ وقل لهما قولاً كريماً } فيه وجهان :

أحدهما : ليناً .

والآخر : حسناً . قال ابن عباس : نزلت هذه الآية والآية التي بعدها في سعد بن أبي وقاص .

(418/2)

رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا (25)

قوله عز وجل : { . . . إنه كان للأوّابين غفوراً } فيهم خمسة أقاويل :

أحدها : أنهم المحسنون ، وهذا قول قتادة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والثاني : أنهم الذين يصلّون بين المغرب والعشاء ، وهذا قول ابن المنكدر يرفعه .

الثالث : هم الذي يصلون الضحى ، وهذا قول عون العقيلي .

والرابع : أنه الراجع عن ذنبه الذي يتوب ، وهذا قول سعيد بن جبير ومجاهد .

والخامس : أنه الذي يتوب مرة بعد مرة ، وكلما أذنب بادر بالتوبة وهذا قول سعيد بن المسيب .

(419/2)

وَآَتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (26) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (27) وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا (28)

قوله عز وجل : { وإما تعرضَنَّ عنهم ابتغاء رحمةٍ من ربّك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً } فيه تأويلان : أحدهما : معناه إذا أعرضت عمن سألك ممن تقدم ذكره لتعذره عندك { ابتغاء رحمة من ربك ترجوها } أي انتظاراً للزرق منه { فقل لهم قولاً ميسوراً } أي عِدْهم خيراً ورد عليهم رداً جميلاً ، وهذا قول الحسن ومجاهد . الثاني : معناه إذا أعرضت عمن سألك حذراً أن ينفقه في معصية فمنعته ابتغاء رحمة له فقل لهم قولاً ميسوراً ، أي ليناً سهلاً ، وهذا قول ابن زيد .

(420/2)

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا (29) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (30)

قوله عز وجل : { إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر } أي ويقتر ويقلل .

{ إنه كان بعباده خبيراً بصيراً } يحتمل وجهين :

أحدهما : خبيراً بمصالحهم بصيراً بأمورهم .

والثاني : خبيراً بما أضمروا بصيراً بما عملوا .

(421/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (31) وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (32)

قوله عز وجل : { ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاقٍ } يعني وأد البنات أحياء خيفة الفقر .

{ نحن نرزقهم وإياكُم إنّ قتلهم كان خطئاً كبيراً }

والخِطءُ العدول عن الصواب بعمد ، والخطأ العدول عنه بسهو ، فهذا الفرق بين الخِطْءِ والخطأ ، وقد قال الشاعر :

الخِطْءُ فاحشةٌ والبِرُّ نافِلةٌ ... كعَجْوةٍ غرسَتْ في الأرض تؤتَبَرُ

الثاني : أن الخطء ما كان إثماً ، والخطأ ما لا إثم فيه ، وقرأ الحسن خطاء بالمد .

(422/2)

وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (33)

قوله عز وجل : { ولا تقتلوا النفس التي حَرَّم الله إلاَّ بالحق } يعني إلا بما تستحق به القتل .

{ ومَن قُتِل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه القود ، قاله قتادة .

الثاني : أنه الخيار بين القود أو الدية أو العفو ، وهذا قول ابن عباس والضحاك .

الثالث : فقد جعلنا لوليه سلطاناً ينصره وينصفه في حقه .

{ فلا يُسْرِف في القَتل } فيه قولان :

أحدهما : فلا يسرف القاتل الأول في القتل تعدياً وظلماً ، إن وليّ المقتول كان منصوراً ، قاله مجاهد .

الثاني : فلا يسرف وليّ المقتول في القتل .

وفي إسرافه أربعة أوجه :

أحدها : أن يقتل غير قاتله ، وهذا قول طلق بن حبيب .

الثاني : أن يمثل إذا اقتص ، قاله ابن عباس .

الثالث : أن يقتل بعد أخذ الدية ، قاله يحيى .

الرابع : أن يقتل جماعة بواحد ، قاله سعيد بن جبير وداود .

{ إنه كان منصوراً } فيه وجهان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدهما : أن الولي كان منصوراً بتمكينة من القود ، قاله قتادة . الثاني : أن المقتول كان منصوراً بقتل قاتله ، قاله مجاهد .

(423/2)

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (34) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (35)

قوله عز وجل : { ولا تقربوا مال اليتيم إلاّ بالتي هي أحسن } وإنما خص اليتيم بالذكر لأنه إلى ذلك أحوج ، والطمع في ماله أكثر . وفي قوله { إلاّ بالتي هي أحسن } قولان :

أحدهما : حفظ أصوله وتثمير فروعه ، وهو محتمل .

الثاني : أن التي هي أحسن التجارة له بماله .

{ حتى يَبْلُغَ أَشدَّه } وفي الأشد وجهان : أحدهما : أنه القوة .

الثاني : المنتهى .

وفي زمانه ها هنا قولان :

أحدهما : ثماني عشرة سنة .

والثاني : الاحتلام مع سلامة العقل وإيناس الرشد .

{ وأوفوا بالعهد } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنها العقود التي تنعقد بين متعاقدين يلزمهم الوفاء بها ، وهذا قول أبي جعفر الطبري .

الثاني : أنه العهد في الوصية بمال اليتيم يلزم الوفاء به .

الثالث : أنه كل ما أمر الله تعالى به أو نهى فهو من العهد الذي يلزم الوفاء به .

{ إن العهد كان مسئولاً } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن العهد كان مطلوباً ، قاله السدي .

الثاني : أن العهد كان مسئولا عنه الذي عهد به ، فيكون ناقض العهد هو المسئول .

الثالث : أن العهد نفسه هو المسئول بم نقِضت ، كما تُسأل الموءُودة بأي ذنب قتلت .

قوله عز وجل : { . . . وزنُوا بالقسطاس المستقيم } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه القبان . قاله الحسن .

الثاني : أنه الميزان صغر أو كبر ، وهذا قول الزجاج .

الثالث : هو العدل .

واختلف من قال بهذا على قولين :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدهما : أنه رومي ، قاله مجاهد .

الثاني : أنه عربي مشتق من القسط ، قاله ابن درستويه .

{ ذلك خيرٌ وأحسنُ تأويلاً } فيه وجهان :

أحدهما : أحسن باطناً فيكون الخير ما ظهر ، وحسن التأويل ما بطن .

الثاني : أحسن عقابة ، تأويل الشيء عاقبته .

(424/2)

وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (36)

قوله عز وجل : { ولا تقف ما ليس لك به عِلْمٌ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : معناه لا تقل ما ليس لك به علم فلا تقل رأيت ، ولم تر ، ولا سمعت ، ولم تسمع ، ولا علمت ولم تعلم . وهذا قول قتادة .

الثاني : معناه ولا ترم أحد بما ليس لك به علم ، وهذا قول ابن عباس . ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : « نحن بني النضر كنانة لا نقْفُو أمنا ولا ننتفي من أبينا

» . الثالث : أنه من القيافة وهو اتباع الأثر ، وكأنه يتبع قفا المتقدم ، قال الشاعر :

ومِثْلُ الدُّمى شُمُّ العَرَنِينِ سَاكِنٌ ... بِهِنَّ الْحَيَاءُ لا يُشِعْنَ التَّقَافِيَا

أي التقاذف .

{ إن السمع والبصر والفؤاد كلُّ أُولئك كان عنه مسئولاً } يحتمل وجهين :

أحدهما : أن يكون الإنسان هو المسئول عن السمع والبصر والفؤاد لأنه يعمل بها إلى الطاعة والمعصية .

الثاني : أن السمع والبصر والفؤاد تُسأل عن الإنسان ليكونوا شهوداً عليه ، وله ، بما فعل من طاعة وما ارتكب من معصية ، ويجوز أن يقال أولئك لغير الناس ، كما قال جرير :

ذُمّ المنازِلِ بَعْدَ منزلِةِ اللِّوى ... والْعَيْشَ بَعْدَ أُولَئِكَ الأَيَّامِ

(425/2)

وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (37) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (38)

This file was downloaded from QuranicThought.com

قوله عز وجل : { ولا تمش في الأرض مَرَحاً } فيه خمسة أوجه :

أحدها : أن المرح شدة الفرح بالباطل .

الثاني : أنه الخيلاء في المشي ، قاله قتادة .

الثالث : أنه البطر والأشر .

الرابع : أنه تجاوز الإنسان قدره .

الخامس : التكبر في المشي .

{ إنّك لن تخرِقَ الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً } فيه وجهان :

أحدهما : إنك لن تخرق الأرض من تحت قدمك ولن تبلغ الجبال طولاً بتطاولك زجراً له عن تجاوزه الذي لا يدرك به غرضاً .

الثاني : أنه مثل ضربه الله تعالى له ، ومعناه كما أنك لن تخرق الأرض في مشيك ، ولن تبلغ الجبال طولاً فإنك لا تبلغ ما أردت بكبرك وعجبك ، إياساً له من بلوغ إرادته .

(426/2)

ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا (39) أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا (40) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآَنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا (41)

قوله عز وجل : { ولقد صرفنا في هذا القرآن } فيه وجهان :

أحدهما : كررنا في هذا القرآن من المواعظ والأمثال .

الثاني : غايرنا بين المواعظ باختلاف أنواعها .

{ ليذكروا } فيه وجهان :

أحدهما : ليذكروا الأدلة . الثاني : ليهتدوا إلى الحق .

{ وما يزيدهم الا نفوراً } فيه وجهان :

أحدهما : نفوراً عن الحق والاتباع له .

الثاني : عن النظر والاعتبار . وفي الكلام مضمر محذوف ، وتقديره ولقد صرفنا الأمثال في هذا القرآن .

(427/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آَلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا (42) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (43)

قوله عز وجل : { قل لو كان مَعَهُ آلهةٌ كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً } فيه وجهان :

أحدهما : لطلبوا إليه طريقاً يتصلون به لأنهم شركاء؛ قاله سعيد بن جبير .

الثاني : ليتقربوا إليه لأنهم دونه ، قاله قتادة .

(428/2)

تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (44)

قوله عز وجل : { وإن من شيءٍ إلاّ يُسَبِّحُ بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : وإن من شيء من الأحياء الا يسبح بحمده ، فأما ما ليس بحي فلا ، قاله الحسن .

الثاني : إن جميع المخلوقات تسبح له من حي وغير حي حتى صرير الباب ، قاله إبراهيم .

الثالث : أن تسبيح ذلك ما يظهر فيه من لطيف صنعته وبديع قدرته الذي يعجز الخلق عن مثله فيوجب ذلك على من رآه تسبيح الله وتقديسه ، كما قال الشاعر :

تُلْقِي بِتَسْبِيحَةٍ مِنْ حَيْثُما انْصَرَفَتْ ... وتَسْتَقِرُّ حَشَا الرَّائِي بإِرْعَادِ
كَأَنَّمَا خُلِقَتْ مِن قِشْرِ لُؤْلُؤَةٍ ... فَكُلُّ أَكْنَافِها وَجْهٌ لِمِرْصَادِ

(429/2)

وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآَنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا (45) وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آَذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآَنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا (46)

قوله عز وجل : { وإذا قرأت القرآن جلعنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً } فيه وجهان :

أحدهما : أي جعلنا القرآن حجاباً ليسترك عنهم إذا قرأته .

الثاني : جعلنا القرآن حجاباً يسترهم عن سماعه إذا جهرت به . فعلى هذا فيه ثلاثة أوجه :

This file was downloaded from QuranicThought.com

أحدها : أنهم لإعراضهم عن قراءتك كمن بينك وبينهم حجاباً في عدم رؤيتك . قاله الحسن .

والثاني : أن الحجاب المستور أن طبع الله على قلوبهم حتى لا يفقهوه ، قاله قتادة .

الثالث : أنها نزلت في قوم كانوا يؤذونه في الليل إذا قرأ ، فحال الله بينه وبينهم من الأذى ، قاله الزجاج .

{ مستوراً } فيه وجهان :

أحدهما : أن الحجاب مستور عنكم لا ترونه .

الثاني : أن الحجاب ساتر عنكم ما وراءه ، ويكون مستور بمعنى ساتر ، وقيل إنها نزلت في بني عبد الدار .

(430/2)

نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (47) انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (48)

قوله عز وجل : { نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى } في هذه النجوى قولان :

أحدهما : أنه ما تشاوروا عليه في أمر النبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة .

الثاني : أن هذا في جماعة من قريش منهم الوليد بن المغيرة كانوا يتناجون بما ينفّرون به الناس عن اتباعه صلى الله عليه وسلم . قال قتادة : وكانت نجواهم أنه مجنون ، وأنه ساحر ، وأنه يأتي بأساطير الأولين .

{ إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجُلاً مسحوراً } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه سحر فاختلط عليه أمره ، يقولون ذلك تنفيراً عنه .

الثاني : أن معنى مسحور مخدوع ، قاله مجاهد .

الثالث : معناه أن له سحراً ، أي رئة ، يأكل ويشرب فهو مثلكم وليس بملك ، قاله أبو عبيدة ، ومنه قول لبيد :

فَإِنْ تَسْأَلِينَا فِيمَ نَحْنُ فَإِنَّنَا ... عَصَافِيرُ مِنْ هذَا الأَنَامِ الْمُسَحَّرِ

(431/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (49) قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (50) أَوْ خَلْقًا
مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ
وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا (51) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا
قَلِيلًا (52)

قوله عز وجل : { وقالوا أئِذا كُنّا عظاماً ورفاتاً } فيه تأويلان :

أحدهما : أن الرفات التراب ، قاله الكلبي والفراء .

الثاني : أنه ما أرفت من العظام مثل الفتات ، قاله أبو عبيدة ، قال الراجز :

صُمَّ الصَّفَا رَفَتَ عَنْهَا أَصْلُهُ ... قوله عز وجل : { قل كونوا حجارةً أو حديداً } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : معناه إن عجبتم من إنشاء الله تعالى لكم عظاماً ولحماً فكونوا أنتم حجارة أو حديداً إن قدرتم ، قاله أبو جعفر الطبري .

الثاني : معناه أنكم : لو كنتم حجارة أو حديداً لم تفوتوا الله تعالى إذا أرادكم إلا أنه أخرجه مخرج الأمر لأنه أبلغ من الإلزام ، قاله علي بن عيسى .

الثالث : معناه لو كنتم حجارة أو حديداً لأماتكم الله ثم أحياكم . { أو خَلْقاً ممّا يكبر في صدوركم } فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أنه عنى بذلك السموات والأرض والجبال لعظمها في النفوس ، قاله مجاهد .

الثاني : أنه أراد الموت لأنه ليس شيء أكبر في نفس ابن آدم منه وقد قال أمية ابن أبي الصلت :

نادوا إلههمُ ليسرع خلقهم ... وللموت خلق للنفوس فظيعُ

وهذا قول ابن عمر وابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص .

الثالث : أنه أراد البعث لأنه كان أكبر شيء في صدروهم قاله الكلبي .

الرابع : ما يكبر في صدوركم من جميع ما استعظمتموه من خلق الله تعالى ، فإن الله يميتكم ثم يحييكم ثم يبعثكم ، قاله قتادة . { . . . فسينغضون إليك رءوسَهُم } قال ابن عباس وقتادة ، أي يحركون رؤوسهم استهزاء وتكذيباً ، قال الشاعر :

قلت لها صلي فقالت مِضِّ ... وحركت لي رأسها بالنغضِ

قوله عز وجل : { يَوْمَ يدعوكم فتستجيبون بحمده } في قوله تعالى يدعوكم قولان :

أحدهما : أنه نداء كلام يسمعه جميع الناس يدعوهم الله بالخروج فيه إلى أرض المحشر .

الثاني : أنها الصيحة التي يسمعونها فتكون داعية لهم إلى الاجتماع في أرض القيامة .

وفي قوله : { فتستجيبون بحمده } أربعة أوجه :

أحدها : فتستجيبون حامدين لله تعالى بألسنتكم .

الثاني : فتستجيبون على ما يقتضي حمد الله من أفعالكم .

الثالث : معناه فستقومون من قبوركم بحمد الله لا بحمد أنفسكم .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الرابع : فتستجيبون بأمره ، قاله سفيان وابن جريج .

{ وتظنون إن لبثتم إلاّ قليلاً } فيه خمس أوجه :

أحدها : إن لبثتم إلا قليلاً في الدنيا لطول لبثكم في الآخرة ، قاله الحسن .

الثاني : معناه الاحتقار لأمر الدنيا حين عاينوا يوم القيامة ، قاله قتادة .

الثالث : أنهم لما يرون من سرعة الرجوع يظنون قلة اللبث في القبور .

الرابع : أنهم بين النفختين يرفع عنهم العذاب فلا يعذبون ، وبينهما أربعون سنة فيرونها لاستراحتهم قليقلة؛ قاله الكلبي .

الخامس : أنه لقرب الوقت ، كما قال الحسن كأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل .

(432/2)

وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا (53)

قوله عز وجل : { وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن } فيه أربعة أوجه :

أحدها : أنه تصديق النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به .

{ إنّ الشيطان ينزغُ بينهم } في تكذيبه .

الثاني : أنه امتثال أوامر الله تعالى ونواهيه ، قاله الحسن .

الثالث : أنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الرابع : أن يرد خيراً على من شتمه .

وقيل إنها نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد شتمه رجل من بعض كفار قريش ، فهم به عمر ، فأنزل الله تعالى فيه { وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن }
.

(433/2)

رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (54) وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (55)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله عز وجل : { إن يشاء يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : إن يشأ يرحمكم بالهداية أو يعذبكم بالإضلال .

الثاني : إن يشاء يرحمكم فينجيكم من أعدائكم أو يعذبكم بتسلطهم عليكم ، قاله الكلبي .

الثالث : إن يشأ يرحمكم بالتوبة أو يعذبكم بالإقامة ، قاله الحسن :

{ وما أرسلناك عليهم وكيلاً } فيه وجهان :

أحدهما : ما وكلناك أن تمنعهم من الكفر بالله سبحانه ، وتجبرهم على الإيمان به .

الثاني : ما جعلناك كفيلاً لهم تؤخذ بهم ، قاله الكلبي ، قاله الشاعر :

ذكرت أبا أرْوَى فَبِتُّ كأنني ... بِرَدِّ الأمور الماضيات وكيلُ

وكيل : أي كفيل .

(434/2)

قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (56) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (57)

قوله عز وجل : { أولئك الذين يدعون يبتغُون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقْرَبُ } الآية فيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها نزلت في نفر من الجن كان يعبدهم قوم من الإنس ، فأسلم الجن ابتغاء الوسيلة عند ربهم ، وبقي الإنس على كفرهم؛ قاله عبد الله بن مسعود .

الثاني : أنهم الملائكة كانت تعبدهم قبائل من العرب ، وهذا مروي عن ابن مسعود أيضاً .

الثالث : هم وعيسى وأُمُّهُ ، قاله ابن عباس ومجاهد . وهم المعنيّون بقوله تعالى { قلِ ادعُوا الذين زعمتم مِن دونه }

وتفسيرها أن قوله تعالى { اولئك الذين يدعون } يحتمل وجهين :

أحدهما : يدعون الله تعالى لأنفسهم .

الثاني : يدعون عباد الله الى طاعته .

وقوله تعالى : { يبتغون إلى ربهم الوسيلة } وهي القربة ، وينبني تأويلها على احتمال الوجهين في الدعاء .

فإن قيل إنه الدعاء لأنفسهم كان معناه يتوسلون إلى الله تعالى بالدعاء إلى ما سألوا .

وإن قيل دعاء عباد الله إلى طاعته كان معناه أنهم يتوسلون لمن دعوه إلى مغفرته .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

{ أيهم أقرَبُ } تأويله على الوجه الأول : أيهم أقرب في الإجابة . وتأويله على الوجه الثاني : أيهم أقرب إلى الطاعة .

{ ويرجون رحمته ويخافون عذابهُ } يحتمل وجهين :

أحدهما : أن يكون هذا الرجاء والخوف في الدنيا .

الثاني : أن يكونا في الآخرة .

فإن قيل إنه في الدنيا احتمل وجهين :

أحدهما : أن رجاء الرحمة التوفيق والهداية ، وخوف العذاب شدة البلاء . وإن قيل إن ذلك في الآخرة احتمل وجهين :

أحدهما : أن رجاء الرحمة دوام النعم وخوف عذاب النار .

الثاني : أن رجاء الرحمة العفو ، وخوف العذاب مناقشة الحساب .

ويحتمل هذا الرجاء والخوف وجهين : أحدهما : أن يكون لأنفسهم إذا قيل إن أصل الدعاء كان لهم .

الثاني : لطاعة الله تعالى إذا قيل إن الدعاء كان لغيرهم . ولا يمتنع أن يكون على عمومه في أنفسهم وفيمن دعوه .

قال سهل بن عبد الله : الرجاء والخوف ميزانان على الإنسان فإذا استويا استقامت أحواله ، وإن رجح أحدهما بطل الآخر .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا » .

(435/2)

وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (58) وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (59)

قوله عز وجل : { وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن الآيات معجزات الرسل جعلها الله تعالى من دلائل الإنذار تخويفاً للمكذبين .

الثاني : أنها آيات الانتقام تخويفاً من المعاصي .

الثالث : أنها تقلُّبُ الأحوال من صغر إلى شباب ثم إلى تكهّل ثم إلى مشيب ، لتعتبر بتقلب أحوالك فتخاف عاقبة أمْرك ، وهذا قول أحمد بن حنبل رحمه الله .

(436/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا (60)

قوله عز وجل : { وإذا قلنا لك إنّ ربّك أحاط بالناس } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : معناه أحاطت بالناس قدرته فهم في قبضته ، قاله مجاهد وابن أبي نجيح .

الثاني : أحاط علمه بالناس ، قاله الكلبي .

الثالث : أنه عصمك من الناس أن يقتلوك حتى تبلغ رسالة ربك ، قاله الحسن وعروة وقتادة .

{ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلاّ فتنة للناس } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها رؤيا عين ليلة الإسراء به من مكة إلى بيت المقدس ، قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير والضحاك وابن أبي نجيح وابن زيد ، وكانت الفتنة ارتداد قوم كانوا أسلموا حين أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم أنه أُسريَ به .

الثاني : أنها رؤيا نوم رأى فيها أنه يدخل مكة ، فعجل النبي صلى الله عليه وسلم قبل الوقت يوم الحيبية ، فرجع فقال ناس قد كان قال إنه سيدخلها فكانت رجعته فتنتهم ، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً .

الثالث : أنها رؤيا منام رأى فيها قوماً يعلون على منابره ينزون نزو القردة . فساءه ، وهذا قول سهل بن سعد . وقيل إنه ما استجمع ضاحكاً حتى مات صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية .

{ والشجرة الملعونة في القرآن } فيها أربعة أقاويل :

أحدها : أنها شجرة الزقوم طعام الأثيم ، وقال الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك وسعيد بن جبير وطاووس وابن زيد . وكانت فتنتهم بها قول أبي جهل وأشياعه : النار تأكل الشجر فكيف تنبتها .

الثاني : هي الكشوت التي تلتوي على الشجر ، قاله ابن عباس . الثالث : أنهم اليهود تظاهروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الأحزاب ، قاله ابن بحر . الرابع : أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في منامه قوماً يصعدون المنابر ، فشق عليه ، فأنزل الله تعالى { والشجرة الملعونة في القرآن } قاله سعيد بن المسيب .

والشجرة كناية عن المرأة ، والجماعة أولاد المرأة كالأغصان للشجر .

(437/2)

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (61) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (62)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله عز وجل : { . . . لأحتنكن ذُرِّيته إلاّ قليلاً } فيه ستة تأويلات :

أحدها : معناه لأستولين عليهم بالغلبة ، قاله ابن عباس .

الثاني : معناه لأضلنهم بالإغواء .

الثالث : لأستأصلنهم بالإغواء .

الرابع : لأستميلنهم ، قاله الأخفش .

الخامس : لأقودنهم إلى المعاصي كما تقاد الدابة بحنكها إذا شد فيه حبل يجذبها وهو افتعال من الحنك إشارة إلى حنك الدابة .

السادس : معناه لأقطعنهم إلى المعاصي ، قال الشاعر :

أشْكوا إليك سَنَةً قد أجحفت ... جهْداً إلى جهدٍ بنا وأضعفت

واحتنكَتْ أَمْوُلَنا واجتلفت . ...

(438/2)

قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (63) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (64) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا (65)

قوله عز وجل : { واستفزز من استطعت منهم بصوتك } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : واستخف ، وهذا قول الكلبي والفراء .

الثاني : واستجهل .

الثالث : واستذل من استطعت ، قاله مجاهد .

{ بصوتك } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه صوت الغناء واللهو ، قاله مجاهد .

الثاني : أنه صوت المزمار ، قاله الضحاك .

الثالث : بدعائك إلى معصية الله تعالى وطاعتك ، قاله ابن عباس .

{ وأجلب عليهم بخيلك ورجَلِكِ } والجلب هو السوْق بجلبه من السائق ، وفي المثل : إذا لم تغلب فأجلب .

وقوله { بخيلك ورجلك } أي بكل راكب وماشٍ في معاصي الله تعالى .

{ وشاركهم في الأموال والأولاد } أما مشاركتهم في الأموال ففيها أربعة أوجه :

أحدها : أنها الأموال التي أصابوها من غير حلها ، قاله مجاهد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثاني : أنها الأموال التي أنفقوها في معاصي الله تعالى ، قاله الحسن .
الثالث : ما كانوا يحرّمونه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، قاله ابن عباس .
الرابع : ما كانوا يذبحون لآلهتهم ، قاله الضحاك .
وأما مشاركتهم في الأولاد ففيها أربعة أوجه :
أحدها : أنهم أولاد الزنى ، قاله مجاهد .
الثاني : أنه قتل الموؤودة من أولادهم ، قاله ابن عباس .
الثالث : أنه صبغة أولادهم في الكفر حتى هوّدوهم ونصّروهم ، قاله قتادة . الرابع : أنه تسمية أولادهم عبيد آلهتهم كعبد شمس وعبد العزَّى وعبد اللات ، رواه أبو صالح عن ابن عباس .

(439/2)

رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (66)

قوله عز وجل : { ربُّكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر } معناه يجريها ويسيرها ، قاله ابن عباس وقتادة وابن زيد ، قال الشاعر :
يا أيها الراكب المزجي مطيتُه ... سائل بني أسدٍ ما هذه الصوت

(440/2)

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا (67)

قوله عز وجل : { وإذا مَسّكم الضُّرُّ في البحر ضَلَّ من تدعون إلا إياه } فيه وجهان : أحدهما : بطل من تدعون سواه ، كما قال تعالى { أضلَّ أعمالهم } [محمد : 1] أي أبطلها .
الثاني : معناه غاب من تدعون كما قال تعالى { أئذا ضَلَلْنا في الأرض } [السجدة : 10] أي غِبْنَا .

(441/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا (68) أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا (69)

قوله عز وجل : { أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البَرّ } يحتمل وجهين :
أحدهما : يريد بعض البر وهو موضع حلولهم منه ، فسماه جانبه لأنه يصير بعد الخسف جانباً .
الثاني : أنهم كانوا على ساحل البحر ، وساحله جانب البر ، وكانوا فيه آمنين من أهوال البحر فحذرهم ما أمنوه من البر كما حذرهم ما خافوه من البحر .
{ أو يُرْسِلَ عليكم حاصباً } فيه وجهان :
أحدهما : يعني حجارة من السماء ، قاله قتادة .
الثاني : إن الحاصب الريح العاصف سميت بذلك لأنها تحصب أي ترمي بالحصباء . والقاصف الريح التي تقصف الشجر ، قاله الفراء وابن قتيبة .

(442/2)

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (70)

قوله تعالى : { ولقد كَرّمنا بني آدم . . } فيه سبعة أوجه :
أحدها : يعني كرمناهم بإنعامنا عليهم .
الثاني : كرمناهم بأن جعلنا لهم عقولاً وتمييزاً .
الثالث : بأن جعلنا منهم خير أمة أخرجت للناس .
الرابع : بأن يأكلوا ما يتناولونه من الطعام والشراب بأيديهم ، وغيرهم يتناوله بفمه ، قاله الكلبي ومقاتل .
الخامس : كرمناهم بالأمر والنهي .
السادس : كرمناهم بالكلام والخط .
السابع : كرمناهم بأن سخّرنا جميع الخلق لهم .
{ . . . ورزقناهُمْ من الطيبات } فيه ثلاثة أوجه :
أحدها : ما أحله الله لهم .
الثاني : ما استطابوا أكله وشربه .
الثالث : أنه كسب العامل إذا نفع ، قاله سهل بن عبد الله .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

{ وفضلناهم على كثير ممّن خلقنا تفضيلاً } فيه أربعة أوجه :

أحدها : بالغلبة والاستيلاء .

الثاني : بالثواب والجزاء .

الثالث : بالحفظ والتمييز .

الرابع : بإصابة الفراسة .

(443/2)

يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (71)
وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآَخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا (72)

قوله عز وجل : { يوم ندعوا كل أناسٍ بإمامِهِمْ } فيه خمسة تأويلات :

أحدها : بنبيِّهم ، قاله مجاهد .

الثاني : بكتابهم الذي أنزل عليهم أوامر الله ونواهيه ، قاله ابن زيد .

الثالث : بدينهم ، ويشبه أن يكون قول قتادة .

الرابع : يكتب أعمالهم التي عملوها في الدنيا من خير وشر ، قاله ابن عباس .

الخامس : بمن كانوا يأتمرون به في الدنيا فيتبعونه في خير أو شر ، أو على حق ، أو باطل ، وهو معنى قول أبو عبيدة .

قوله عز وجل : { ومن كان في هذه أعمى . . } يحتمل أربعة أوجه :

أحدها : من كان في الدنيا أعمى عن الطاعة { فهو في الآخرة أعمى } عن الثواب . الثاني : ومن كان في الدنيا أعمى عن الاعتبار { فهو في الآخرة أعمى } عن الاعتذار .

الثالث : ومن كان في الدنيا أعمى عن الحق { فهو في الآخرة أعمى } عن الجنة .

الرابع : ومن كان في تدبير دنياه أعمى فهو تدبير آخرته أعمى { وأضل سبيلاً } .

(444/2)

وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (73) وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (74) إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (75)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله تعالى : { وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره } فيه قولان :

أحدهما : ما روى سعيد بن جبير أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستلم الحجر في طوافه فمنعته قريش وقالوا لا ندعك تستلم حتى تلم بآلهتنا فحدث نفسه وقال : « ما عليّ أن ألمَّ بها بعد أن يعدوني أستلم الحجر واللّه يعلم أني لها كاره » فأبى الله تعالى وأنزل عليه هذه الآية ، قاله مجاهد وقتادة .

الثاني : ما روى ابن عباس أن ثقيفاً قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : أجِّلْنا سنة حتى نأخذ ما نُهدي لآلهتنا ، فإذا أخذناه كسرنا آلهتنا وأسلمْنا ، فهمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطيعهم ، فأنزل الله هذه الآية .

{ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ } يحتمل وجهين :

أحدهما : لتدّعي علينا غير وحينا .

الثاني : لتعتدي في أوامرنا .

{ وإذاً لاتخذوك خليلاً } فيه وجهان :

أحدهما : صديقاً ، مأخوذ من الخُلة بالضم وهي الصداقة لممالأته لهم .

الثاني : فقيراً ، مأخوذ من الخلة بالفتح وهي الفقر لحاجته إليهم .

قوله عز وجل : { إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات } فيه قولان :

أحدهما : لأذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك .

الثاني : لأذقناك ضعف عذاب الدنيا وضعف عذاب الآخرة ، حكاه الطبري :

وفي المراد بالضّعف ها هنا وجهان :

أحدها : النصيب ، ومنه قوله تعالى { لكل ضِعفٌ } [الأعراف : 38] أي نصيب .

الثاني : مثلان ، وذلك لأن ذنبك أعظم .

وفيه وجه ثالث : أن الضعف هو العذاب يسمى ضعف لتضاعف ألمه ، قاله أبان بن تغلب وأنشد قول الشاعر :

لمقتل مالكٍ إذ بان مني ... أبيتُ الليل في ضعفٍ أليم

قال قتادة : لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين
. »

(445/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (76) سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (77)

قوله عز وجل : { وإن كادوا ليستفزونك مِنَ الأرض ليخرجوك منها } في قوله { ليستفزّونك } وجهان :

أحدهما : يقتلونك ، قاله الحسن .

الثاني : يزعجونك باستخفافك ، قاله ابن عيسى . قال الشاعر :

يُطِيعُ سَفِيهَ القَوْمِ إذ يَسْتَفِزُّهُ ... ويعْصِي حَكِيماً شَيَّبَتْهُ الْهَزَاهِزُ

وفي قوله { ليخرجوك منها } أربعة أقاويل :

أحدها : أنهم اليهود أرادوا أن يخرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ، فقالوا : إن أرض الأنبياء هي الشام وإن هذه ليست بأرض الأنبياء ، قاله سليمان التيمي .

الثاني : أنهم قريش هموا بإخراج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة قبل الهجرة ، قاله قتادة .

الثالث : أنهم أرادوا إخراجه من جزيرة العرب كلها لأنهم قد أخرجوه من مكة . الرابع : أنهم أرادوا قتله ليخرجوه من الأرض كلها ، قاله الحسن .

{ وإذاً لا يلبثون خلافك إلا قليلاً } يعني بعدك ، قال خلْفك وخلافك وقد قرئا جميعاً بمعنى بعدك ، ومنه قول الشاعر :

عَفَتِ الدِّيَارُ خِلاَفَها فَكَأَنَّما ... بَسَطَ الشَّوَاطبُ بَيْنَهُم حَصِيراً

وقيل خلفك بمعنى مخالفتك ، ذكره ابن الأنباري .

{ إلا قليلاً } فيه وجهان :

أحدهما : أن المدة التي لبثوها بعده ما بين إخراجهم له إلى قتلهم يوم بدر ، وهذا قوله من ذكر أنهم قريش .

الثاني : ما بين ذلك وقتل بني قريظة وجلاء بني النضير ، وهذا قول من ذكر أنهم اليهود .

(446/2)

أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (78) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا (79)

قوله عز وجل : { أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل } .

أما دلوك الشمس ففيه تأويلان :

أحدهما : أنه غروبها ، وأن الصلاة المأمور بها صلاة المغرب ، ومنه قول ذي الرمة :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
مصابيح ليست باللواتي تقودها ... نجومٌ ولا بالآفات الدوالك
قاله ابن مسعود وابن زيد ، ورواه مجاهد عن ابن عباس ، وهو مذهب أبي حنيفة .
الثاني : أنه زوالها ، والصلاة المأمور بها صلاة الظهر ، وهذا قول ابن عباس في رواية الشعبي عنه ، وهو قول أبي بردة والحسن وقتادة ومجاهد ، وهو مذهب الشافعي ومالك لرواية أبي بكر بن عمرو بن حزم عن ابن مسعود وعقبة بن عامر قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر » وقال الشاعر :
هذا مُقام قَدَامي رباح ... ذَبّبَ حتى دَلَكت بَراح
وبراح اسم الشمس ، والباء التي فيه من أصل الكلمة ، وذهب بعض أهل العربية إلى أن الباء التي فيها باء الجر ، واسم الشمس راح .
فمن جعل الدلوك اسماً لغروبها فلأن الإنسان يدلك عينيه براحته لتبينها ، ومن جعله اسماً لزوالها فلأنه يدلك عينيه براحته لشدة شعاعها . وقيل إن أصل الدلوك في اللغة هو الميل ، والشمس تميل عند زوالها وغروبها فلذلك انطلق على كل واحدٍ منهما .
وأما { غسق الليل } ففيه تأويلان :
أحدهما : أنه ظهور ظلامه ، قاله الفراء وابن عيسى ، ومنه قول زهير :
ظَلَّت تَجُودُ يَدَاها وهِيَ لاَهِيَةٌ ... حتى إذا جَنَحَ الإظْلاَمُ والغَسَقُ
الثاني : أنه دنوّ الليل وإقباله ، وهوقول ابن عباس وقتادة . قال الشاعر :
إن هذا الليل قد غسقا ... .
وفي الصلاة المأمور بها قولان :
أحدهما : أنها صلاة المغرب ، وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك
الثاني : هي صلاة العشاء الآخرة ، قاله أبو جعفر الطبري .
ثم قال { وقرآن الفَجْر إنّ قرآن الفجْر كان مشهوداً } في { قرآن } تأويلان :
أحدهما : أقم القراءة في صلاة الفجر ، وهذا قول أبي جعفر الطبري .
الثاني : معناه صلاة الفجر ، فسماها قرآناً لتأكيد القراءة في الصلاة ، وهذا قول أبي اسحاق الزجاج .
{ إن قرآن الفجر كان مشهوداً } فيه قولان :
أحدهما : إن من الحكمة أن تشهده بالحضور إليه في المساجد ، قاله ابن بحر .
الثاني : ان المراد به ما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار » وفي هذا دليل على أنها ليست من صلاة الليل ولا من صلاة النهار .
قوله عز وجل : { ومن الليل فتهجد به نافلة لك } أما الهجود فمن أسماء الأضداد ، وينطلق على
This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

النوم وعلى السهر ، وشاهد انطلاقه على السهر قول الشاعر :

ألا زارت وأهْلُ مِنىً هُجُود ... ولَيْتَ خَيَالَهَا بِمِنىً يعُود

وشاهد انطلاقه على النوم قول الشاعر :

أَلا طَرَقَتْنَا والرِّفَاقُ هُجُود ... فَبَاتَتْ بِعُلاَّت النّوالِ تجود

(447/2)

أما التهجد فهو السهر ، وفيه وجهان :

أحدهما : السهر بالتيقظ لما ينفي النوم ، سواء كان قبل النوم أو بعده .

الثاني : أنه السهر بعد النوم ، قاله الأسود بن علقمة .

وفي الكلام مضمر محذوف وتقديره : فتهجد بالقرآن وقيام الليل نافلة أي فضلاً وزيادة على الفرض .

وفي تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم بأنها نافلة له ثلاثة أوجه :

أحدها : تخصيصاً له بالترغيب فيها والسبق إلى حيازة فضلها ، اختصاصها بكرامته ، قاله علي بن عيسى .

الثاني : لأنها فضيلة له ، ولغيره كفارة ، قاله مجاهد .

الثالث : لأنها عليه مكتوبة ولغيره مستحبة ، قاله ابن عباس .

{ عسى أن يبعثك ربُّك مقاماً محموداً } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن المقام المحمود الشفاعة للناس يوم القيامة ، قاله حذيفة بن اليمان .

الثاني : أنه إجلاسه على عرشه يوم القيامة ، قاله مجاهد .

الثالث : أنه إعطاؤه لواء الحمد يوم القيامة .

ويحتمل قولاً رابعاً : أن يكون المقام المحمود شهادته على أمته بما أجابوه من تصديق أو تكذيب ، كما قال تعالى { وجئنا بك على هؤلاء شهيداً } [النساء : 41] .

(448/2)

وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا (80) وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (81)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله عز وجل : { وقل ربِّ أدخلني مدخل صدقٍ وأخرجني مُخرج صدق } فيه سبعة أقاويل :

أحدها : أن مدخل الصدق دخوله إلى المدينة حين هاجر إليها ، ومخرج صدق بخروجه من مكة حين هاجر منها ، قاله قتادة وابن زيد .

الثاني : أدخلني مدخل صدق إلى الجنة وأخرجني مخرج صدق من مكة إلى المدينة ، قاله الحسن .

الثالث : أدخلني مدخل صدق فيما أرسلتني به من النبوة ، وأخرجني منه بتبليغ الرسالة مخرج صدق ، وهذا قول مجاهد .

الرابع : أدخلني في الإسلام مدخل صدق ، وأخرجني من الدنيا مخرج صدق ، قاله أبو صالح .

الخامس : أدخلني مكة مدخل صدق وأخرجني منها مخرج صدق آمناً ، قاله الضحاك .

السادس : أدخلني في قبري مدخل صدق ، وأخرجني منه مخرج صدق ، قاله ابن عباس .

السابع : أدخلني فيما أمرتني به من طاعتك مدخل صدق ، وأخرجني مما نهيتني عنه من معاصيك مخرج صدق ، قاله بعض المتأخرين .

والصدق ها هنا عبارة عن الصلاح وحسن العاقبة . { واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني مُلكاً عزيزاً أقهر به العصاة ، قاله قتادة .

الثاني : حجة بيّنة ، قاله مجاهد .

الثالث : أن السلطة على الكافرين بالسيف ، وعلى المنافقين بإقامة الحدود قاله الحسن .

ويحتمل رابعاً : أن يجمع له بين القلوب باللين وبين قهر الأبدان بالسيف .

قوله عز وجل : { وقُلْ جاء الحق وزهق الباطل } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن الحق هو القرآن ، والباطل هو الشيطان ، قاله قتادة .

الثاني : أن الحق عبادة الله تعالى والباطل عبادة الأصنام ، قاله مقاتل بن سليمان .

الثالث : أن الحق الجهاد ، والباطل الشرك ، قاله ابن جريج . { إن الباطل كان زهوقاً } أي ذاهباً هالكاً ، قال الشاعر :

ولقدْ شفَى نفسي وأبْرأ سُقْمَهَا ... إقدامُهُ قهْراً له لَمْ يَزْهَق

وحكى قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل الكعبة ورأى فيها التصاوير أمر بثوب فبُل بالماء وجعل يضرب به تلك التصاوير ويمحوها ويقول { جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً }

.

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (82)

قوله عز وجل : { وننزل من القرآن ما هو شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين } يحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها : شفاء من الضلال ، لما فيه من الهدى .

الثاني : شفاء من السقم ، لما فيه من البركة .

الثالث : شفاء من الفرائض والأحكام ، لما فيه من البيان .

وتأويله الرحمة ها هنا على الوجوه الأُوَلِ الثلاثة :

أحدها : أنها الهدى .

الثاني : أنها البركة .

الثالث : أنها البيان .

{ ولا يزيد الظالمين إلا خساراً } يحتمل وجهين :

أحدهما : يزيدهم خساراً لزيادة تكذيبهم .

الثاني : يزيدهم خساراً لزيادة ما يرد فيه من عذابهم .

(450/2)

وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا (83) قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا (84)

قوله عز وجل : { وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه } يحتمل وجهين :

أحدهما : إذا أنعمنا عليه بالصحة والغنى أعرض ونأى وبعد من الخير .

الثاني : إذا أنعمنا عليه بالهداية أعرض عن السماع وبعُد من القبول وفي قوله { ونأى بجانبه } وجهان :

أحدهما : أعجب بنفسه ، لأن المعجب نافر من الناس متباعد عنهم .

الثاني : تباعد من ربه .

{ وإذا مَسّهُ الشر كان يئوساً } يحتمل إياسه من الفرج إذا مسه الشر وجهين :

أحدهما : بجحوده وتكذيبه .

الثاني : بعلمه بمعصيته أنه معاقب على ذنبه .

وفي { الشر } ها هنا ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه الفقر ، قاله قتادة .

الثاني : أنه السقم ، قاله الكلبي .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
الثالث : السيف ، وهو محتمل .
قوله عز وجل : { قُلْ كلٌّ يعمل على شاكلته } في ستة تأويلات :
أحدها : على حِدّته ، قاله مجاهد .
الثاني : على طبيعته ، قاله ابن عباس .
الثالث : على بيته ، قاله قتادة .
الرابع : على دينه ، قاله ابن زيد .
الخامس : على عادته .
السادس : على أخلاقه .
{ فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً } فيه وجهان :
أحدهما : أحسن ديناً .
الثاني : أسرع قبولاً .

(451/2)

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (85)

قوله عز وجل : { ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي } فيها خمسة أقاويل :
أحدها : أنه جبريل عليه السلام ، قاله ابن عباس . كما قال تعالى { نزل به الروح الأمين } [الشعراء : 193] .
الثاني : ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه ، لكل وجه سبعون ألف لسان يسبح الله تعالى بجميع ذلك ، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه .
الثالث : أنه القرآن ، قاله الحسن ، كما قال تعالى { وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا } [الشورى : 52] فيكون معناه أن القرآن من أمر الله تعالى ووحيه الذي أنزل عليّ وليس هو مني .
الرابع : أنه عيسى ابن مريم هو من أمر الله تعالى وليس كما ادعته النصارى أنه ابن الله ، ولا كما افترته اليهود أنه لغير رشدة .
الخامس : أنه روح الحيوان ، وهي مشتقة من الريح . قال قتادة سأله عنها قوم من اليهود وقيل في كتابهم أنه إن أجاب عن الروح فليس بنبيّ فقال الله تعالى { قل الروح من أمر ربي } فلم يجبهم عنها فاحتمل ذلك ستة أوجه :
أحدها : تحقيقاً لشيء إن كان في كتابهم .
الثاني : أنهم قصدوا بذلك الإعنات كما قصدوا اقتراح الآيات .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
الثالث : لأنه قد يتوصل إلى معرفته بالعقل دون السمع .
الرابع : لئلا يكون ذلك ذريعة إلى سؤال ما لا يعني .
الخامس : قاله بعض المتكلمين ، أنه لو أجابهم عنها ووصفها؛ بأنها جسم رقيق تقوم معه الحياة ، لخرج من شكل كلام النبوة ، وحصل في شكل كلام الفلاسفة . فقال { من أمر ربي } أي هو القادر عليه .
السادس : أن المقصود من سؤالهم عن الروح أن يتبين لهم أنه محدث أو قديم ، فأجابهم بأنه محدث لأنه قال : { من أمر ربي } أي من فعله وخلقه ، كما قال تعالى { إنما أمرنا لشيء } .
فعلى هذا الوجه يكون جواباً لما سألوه ، ولا يكون على الوجوه المتقدمة جواباً .
{ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً } فيه وجهان :
أحدهما : إلا قليلاً من معلومات الله .
الثاني : إلا قليلاً بحسب ما تدعو الحاجة إليه حالاً فحالاً .
وفيمن أريد بقوله تعالى : { وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً } قولان :
أحدهما : أنهم اليهود خاصة ، قاله قتادة .
الثاني : النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الخلق .

(452/2)

وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا (86) إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا (87) قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (88) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (89)

قوله عز وجل : { ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك } فيه وجهان :
أحدهما : لأذهبناه من الصدور والكتب حتى لا يقدر عليه .
الثاني : لأذهبناه بقبضك إلينا حتى لا ينزل عليك .
{ ثم لا تجدُ لك به علينا وكيلاً } فيه وجهان :
أحدهما : أي لا تجد من يتوكل في رده إليك ، وهو تأويل من قال بالوجه الأول .
الثاني : لا تجد من يمنعنا منك ، وهو تأويل من قال بالوجه الثاني .
{ إلاّ رحمة من ربك } أي لكن رحمة من ربك أبقاك له وأبقاه عليك .
{ إنّ فضله كان عليك كبيراً } فيه وجهان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدهما : جزيلاً لكثرته .

الثاني : جليلاً لعظيم خطره .

(453/2)

وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (90) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (91) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (92) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (93)

قوله عز وجل : { وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجُر لنا من الأرض ينبوعاً } التفجير تشقيق الأرض لينبع الماء منها ، ومنه سمي الفجر لأنه ينشق عن عمود الصبح ، ومنه سمي الفجور لأنه شق الحق بالخروج إلى الفساد .

الينبوع : العين التي ينبع منها الماء ، قال قتادة ومجاهد : طلبوا عيوناً ببلدهم .

{ أو تكون لك جنةٌ من نخيلٍ وعنب } سألوا ذلك في بلد ليس ذلك فيه .

{ أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً } أي قطعاً . قرىء بتسكين السين وفتحها ، فمن قرأ بالتسكين أراد السماء جميعها ، ومن فتح السين جعل المراد به بعض السماء ، وفي تأويل ذلك وجهان :

أحدهما : يعني حيزاً ، حكاه ابن الأنباري ، ولعلهم أرادوا به مشاهدة ما فوق السماء .

الثاني : يعني قطعاً ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة . والعرب تقول . أعطني كسفة من هذا الثوب أي قطعة منه . ومن هذا الكسوف لانقطاع النور منه ، وعلى الوجه الثاني لتغطيته بما يمنع من رؤيته .

{ أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً } فيه أربعة أوجه :

أحدها : يعني كل قبيلة على حدتها ، قاله الحسن .

الثاني : يعني مقابلة ، نعاينهم ونراهم ، قاله قتادة وابن جريج .

الثالث : كفيلاً ، والقبيل الكفيل ، من قولهم تقبلت كذا أي تكفلت به ، قاله ابن قتيبة .

الرابع : مجتمعين ، مأخوذ من قبائل الرأس لاجتماع بعضه إلى بعض ومنه سميت قبائل العرب لاجتماعها ، قاله ابن بحر .

قوله عز وجل : { أو يكون لك بيت من زخرف } فيه وجهان :

أحدهما : أن الزخرف النقوش ، وهذا قول الحسن .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثاني : أنه الذهب ، وهذا قول ابن عباس وقتادة ، قال مجاهد : لم أكن أدري ما الزخرف حتى سمعنا في قراءة عبد الله : بيت من ذهب .

وأصله من الزخرفة وهو تحسين الصورة ، ومنه قوله تعالى { حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت } [يونس : 24] .

والذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك نفر من قريش قال ابن عباس : هم عتبة ابن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان والأسود بن عبد المطلب بن أسد وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام وعبد الله بن أمية والعاص بن وائل وأمية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج .

(454/2)

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا (94) قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا (95)

قوله تعالى : { وما منع الناس أن يؤمنوا } يعني برسول الله صلى الله عليه وسلم .

{ إذ جاءَهم الهُدى } يحتمل وجهين :

أحدهما : القرآن .

الثاني : الرسول .

{ إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً } وهذا قول كفار قريش أنكروا أن يكون البشر رُسُل الله تعالى ، وأن الملائكة برسالاته أخص كما كانوا رسلاً إلى أنبيائه ، فأبطل الله تعالى عليهم ذلك بقوله :

{ قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً } يعني أن الرسول إلى كل جنس يأنس بجنسه ، وينفر من غير جنسه ، فلو جعل الله تعالى الرسول إلى البشر ملكاً لنفروا من مقاربته ولما أنسوا به ولداخلهم من الرهب منه والاتقاء له ما يكفهم عن كلامه ويمنعهم من سؤاله ، فلا تعمّ المصلحة . ولو نقله عن صورة الملائكة إلى مثل صورتهم ليأنسوا به ويسكنوا إليه لقالوا لست ملكاً وإنما أنت بشر فلا نؤمن بك ، وعادوا إلى مثل حالهم .

(455/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (96) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (97)

قوله عز وجل : { ومن يهد الله فهو المهتدِ } معناه من يحكم الله تعالى بهدايته فهو المهتدي بإخلاصه وطاعته .

{ ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه } فيه وجهان :

أحدهما : ومن يحكم بضلاله فلن تجد له أولياء من دونه في هدايته .

الثاني : ومن يقض الله تعالى بعقوبته لم يوجد له ناصر يمنعه من عقابه .

{ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم } فيه وجهان :

أحدهما : أن ذلك عبارة عن الإسراع بهم إلى جهنم ، من قول العرب : قدم القوم على وجوههم إذا أسرعوا .

الثاني : أنه يسحبون يوم القيامة على وجوههم إلى جهنم كمن يفعل في الدنيا بمن يبالغ في هوانه وتعذيبه .

{ عُمْياً وبكماً وصماً } فه وجهان :

أحدهما : أنهم حشروا في النار عُمي الأبصار بُكم الألسن صُمّ الأسماع ليكون ذلك يزادة في عذابهم ، ثم أبصروا لقوله تعالى { ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها } [الكهف : 53] وتكلموا لقوله تعالى { دَعوا هنالك ثبوراً } [الفرقان : 13] وسمعوا ، لقوله تعالى { سمعوا لها تغيظاً وزفيراً } [الفرقان : 12] .

وقال مقاتل بن سليمان : بل إذا قال لهم { اخسئوا فيها ولا تكلمُون } [المؤمنون : 18] صاروا عمياً لا يبصرون ، صُمّاً لا يسمعون ، بكماً لا يفقهون .

الثاني : أن حواسهم على ما كانت عليه ، ومعناه عمي عما يسرّهم ، بكم عن التكلم بما ينفعهم ، صم عما يمتعهم ، قاله ابن عباس والحسن .

{ مأواهم جهنم } يعني مستقرهم جهنم .

{ كلما خبت زدناهم سعيراً } فيه وجهان :

أحدهما : كلما طفئت أوقدت ، قاله مجاهد .

الثاني : كلما سكن التهابها زدناهم سعيراً والتهاباً ، قاله الضحاك ، قال الشاعر :

وكُنّا كَالحَرِيقِ أَصَابَ غَاباً ... فَيَخْبُو سَاعَةً ويَهُبُّ سَاعا

وسكون التهابها من غير نقصان في آلامهم ولا تخفيف من عذابهم .

(456/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (98) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا (99) قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا (100)

قوله عز وجل : { قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي } فيه وجهان :

أحدهما : خزائن الأرض الأرزاق ، قاله الكلبي .

الثاني : خزائن النعم ، وهذا أعم .

{ إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق } فيه وجهان :

أحدهما : لأمسكتم خشية الفقر ، والإنفاق الفقر ، قاله قتادة وابن جريج .

الثاني : يعني أنه لو ملك أحد المخلوقين خزائن الله تعالى لما جاد بها كجود الله تعالى لأمرين :

أحدهما : أنه لا بدّ أن يمسك منها لنفقته وما يعود بمنفعته .

الثاني : أنه يخاف الفقر ويخشى العدم ، والله عز وجل يتعالى في جوده عن هاتين الحالتين .

{ وكان الإنسان قتوراً } فيه تأويلان :

أحدهما : مقتراً ، قاله قطرب والأخفش .

الثاني : بخيلاً ، قاله ابن عباس وقتادة .

واختلف في هذا الآية على قولين :

أحدهما : أنها نزلت في المشركين خاصة ، قاله الحسن . الثاني : أنها عامة ، وهو قول الجمهور .

(457/2)

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا (101) قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا (102) فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا (103) وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا (104)

قوله تعالى { ولقد آتينا موسى تسع آيات بيناتٍ } فيها أربعة أقاويل :

أحدها : أنها يده وعصاه ولسانه والبحر والطوفان والجراد والقُمّل والضفادع والدم آيات مفصلات ، قاله ابن عباس .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثاني : أنها نحو من ذلك إلا آيتين منهن إحداهما الطمس ، والأخرى الحجر ، قاله محمد بن كعب القرظي .

الثالث : أنها نحو من ذلك ، وزيادة السنين ونقص من الثمرات ، وهو قول الحسن .

الرابع : ما روى صفوان بن عسال عن النبي صلى الله عليه وسلم أن قوماً من اليهود سألوه عنها فقال : « لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا تسحروا ، ولا تأكلوا الربا ، ولا تمشوا ببرىء الى السلطان ليقتله ، ولا تقذفوا محصنة ، ولا تفرُّوا من الزحف ، وأنتم يا يهود خاصة لا تعدُوا في السبت » فقبلوا يده ورجله .

{ فاسأل بني إسرائيل . . } وفي أمره بسؤالهم وإن كان خبر الله أصدق من خبرهم ثلاثة أوجه :

أحدها : ليكون ألزم لهم وأبلغ في الحجة عليهم .

الثاني : فانظر ما في القرآن من أخبار بني إسرائيل فه سؤالهم ، قاله الحسن .

الثالث : إنه خطاب لموسى عليه أن يسأل فرعون في إطلاق بني إسرائيل قاله ابن عباس .

وفي قوله { إني لأظنك يا موسى مسحوراً } أربعة أوجه :

أحدها : قد سُحرت لما تحمل نفسك عليه من هذا القول والفعل المستعظمين .

الثاني : يعني ساحراً لغرائب أفعالك . الثالث : مخدوعاً .

الرابع : مغلوباً : قاله مقاتل .

{ . . . وإني لأظنك يا فرعون مثبوراً } فيه خمسة أوجه :

أحدها : مغلوباً ، قاله الكلبي ومقاتل . وقال الكميت :

وَرَأَت قُضَاعَةُ في الأَيَا ... مِنِ رَأْيَ مَثْبُورٍ وَثَابِرِ

الثاني : هالك ، وهو قول قتادة .

الثالث : مبتلى ، قاله عطية .

الرابع : مصروفاً عن الحق ، قاله الفراء .

الخامس : ملعوناً ، قاله أبان بن تغلب وأنشد :

يا قَوْمَنَا لاَ تَرُومُوا حَرْبَنَا سَفَهاً
إِنّ السَّفَاهَ وإِنَّ البَغْيَ مَثْبُورُ

قوله عز وجل : { فأراد أن يستفزهم من الأرض } وفيه وجهان :

أحدهما : يزعجهم منها بالنفي عنها ، قاله الكلبي .

الثاني : يهلكهم فيها بالقتل . ويعني بالأرض مصر وفلسطين والأردن .

قوله عز وجل : { . . . فإذا جاءَ وعد الآخرة } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : وعد الإقامة وهي الكرة الآخرة ، قاله مقاتل .

الثاني : وعد الكرة الآخرة في تحويلهم إلى أرض الشام .

الثالث : نزول عيسى عليه السلام من السماء ، قاله قتادة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

{ جئنا بكم لفيفاً } فيه تأويلان :

أحدهما : مختلطين لا تتعارفون ، قاله رزين .

الثاني : جئنا بكم جميعاً من جهات شتى ، قاله ابن عباس وقتادة . مأخوذ من لفيف الناس .

(458/2)

وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (105) وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (106)

قوله عز وجل : { وبالحق أنزلناه وبالحق نَزَل } يحتمل وجهين :

أحدهما : أن إنزاله حق .

الثاني : أن ما تضمنه من الأوامر والنواهي والوعد والوعيد حق .

{ وبالحق نزل } يحتمل وجهين :

أحدهما : وبوحينا نزل .

الثاني : على رسولنا نزل .

{ وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً } يعني مبشراً بالجنة لمن أطاع الله تعالى ، ونذيراً بالنار لمن عصى الله تعالى .

قوله عز وجل : { وقرآناً فرقناه } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : فرقنا فيه بين الحق والباطل ، قاله الحسن .

الثاني : فرّقناه بالتشديد وهي قراءة ابن عباس أي نزل مفرّقاً آية آية وهي كذلك في مصحف ابن مسعود وأُبيِّ بن كعب : فرقناه عليك .

الثالث : فصّلناه سُوراً وآيات متميزة ، قاله ابن بحر .

{ لتقرأه على الناس على مُكْثٍ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني على تثبت وترسّل ، وهو قول مجاهد .

الثاني : أنه كان ينزل منه شيء ، ثم يمكثون بعد ما شاء الله ، ثم ينزل شيء آخر .

الثالث : أن يمكث في قراءته عليهم مفرقاً شيئاً بعد شيء ، قاله أبو مسلم .

(459/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قُلْ آَمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (107) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (108) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (109)

قوله عز وجل : { قل آمنوا به أو لا تؤمنوا } يعني القرآن ، وهذا من الله تعالى على وجه التبكيت لهم والتهديد ، لا على وجه التخيير .

{ إن الذين أوتوا العلم من قبله } فيهم وجهان :

أحدهما : أنهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، قاله الحسن .

الثاني : أنهم أناس من اليهود ، قاله مجاهد .

{ إذا يتلى عليهم يخرُّون للأذقان سُجّداً } فيه قولان :

أحدهما : كتابهم إيماناً بما فيه من تصديق محمد صلى الله عليه وسلم .

الثاني : القرآن كان أناس من أهل الكتاب إذا سمعوا ما أنزل منه قالوا : سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ، وهذا قول مجاهد .

وفي قوله { يخرُّون للأذقان } ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن الأذقان مجتمع اللحيين .

الثاني : أنها ها هنا الوجوه ، قاله ابن عباس وقتادة .

الثالث : أنها اللحى ، قاله الحسن .

(460/2)

قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (110) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا (111)

قوله عز وجل : { قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى } في سبب نزولها قولان :

أحدهما : قاله الكلبي . أن ذكر الرحمن كان في القرآن قليلاً وهو في التوراة كثير ، فلما أسلم ناس من اليهود منهم ابن سلام وأصحابه ساءَهم قلة ذكر الرحمن في القرآن ، وأحبوا أن يكون كثيراً فنزلت .

الثاني : ما قاله ابن عباس أنه كان النبي صلى الله عليه وسلم ساجداً يدعو « يا رحمن يا رحيم » فقال المشركون هذا يزعم أن له إلهاً واحداً وهو يدعو مثنى ، فنزلت الآية .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

{ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً } فيه قولان :

أحدهما : أنه عنى بالصلاة الدعاء ، ومعنى ذلك ولا تجهر بدعائك ولا تخافت به ، وهذا قول عائشة رضي الله عنها ومكحول . قال إبراهيم : لينتهين أقوام يشخصون بأبصارهم إلى السماء في الصلاة أو لا ترجع إليهم أبصارهم .

الثاني : أنه عنى بذلك الصلاة المشروعة ، واختلف قائلو ذلك فيما نهى عنه من الجهر بها والمخافتة فيها على خمسة أقاويل :

أحدها : أنه نهى عن الجهر بالقراءة فيها لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة كان يجهر بالقراءة جهراً شديداً ، فكان إذا سمعه المشركون سبّوه ، فنهاه الله تعالى عن شدة الجهر ، وأن لا يخافت بها حتى لا يسمعه أصحابه ، ويبتغي بين ذلك سبيلاً ، قاله ابن عباس .

الثاني : أنه نهى عن الجهر بالقراءة في جميعها وعن الإسرار بها في جميعها وأن يجهر في صلاة الليل ويسر في صلاة النهار .

الثالث : أنه نهي عن الجهر بالتشهد في الصلاة ، قاله ابن سيرين .

الرابع : أنه نهي عن الجهر بفعل الصلاة لأنه كان يجهر بصلاته ، بمكة فتؤذيه قريش ، فخافت بها واستتر ، فأمره الله ألاّ يجهر بها كما كان ، ولا يخافت بها كما صار ، ويبتغي بين ذلك سبيلاً ، قاله عكرمة .

الخامس : يعني لا تجهر بصلاتك تحسنها مرائياً بها في العلانية ، ولا تخافت بها تسيئها في السريرة ، قال الحسن : تحسّن علانيتها وتسيء سريرتها .

وقيل : لا تصلّها رياءً ولا تتركها حياء . والأول أظهر .

روي أن أبا بكر الصديق كان إذا صلى خفض من صوته فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « لم تفعل هذا » قال : أناجي ربي وقد علم حاجتي ، فقال صلى الله عليه وسلم « أحسنت » . وكان عمر بن الخطاب يرفع صوته فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « لم تفعل هذا » فقال أُوقظ الوسنان وأطرد الشيطان فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أحسنت » . فلما نزلت هذه الآية قال لأبي بكر : « ارفع شيئا » وقال لعمر : « أخفض شيئاً » . قوله تعالى : { وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً } يحتمل وجهين :

أحدهما : أمره بالحمد لتنزيه الله تعالى عن الولد .

الثاني : لبطلان ما قرنه المشركون به من الولد .

{ ولم يكن له شريك في الملك } لأنه واحد لا شريك له في ملك ولا عبادة .

{ ولم يكن له وليٌّ من الذل } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : لم يحالف أحداً .

الثاني : لا يبتغي نصر أحد .

الثالث : لم يكن له وليٌّ من اليهود والنصارى لأنهم أذل الناس ، قاله الكلبي .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

{ وكبره تكبيراً } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : صفه بأنه أكبر من كل شيء .

الثاني : كبّره تكبيراً عن كل ما لا يجوز في صفته .

الثالث : عظّمْه تعظيماً والله أعلم .

(461/2)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (2) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (3) وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (4) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآَبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (5)

قوله عز وجل : { الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب } يعني على محمد القرآن ، فتمدح بإنزاله لأنه أنعم عليه خصوصاً ، وعللخلق عموماً . { ولم يجعل له عوجاً } في { عوجاً } ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني مختلفاً ، قاله مقاتل ، ومنه قول الشاعر :

أدوم بودي للصديق تكرُّماً ... ولا خير فيمن كان في الود أعوجا

الثاني : يعني مخلوقاً ، قاله ابن عباس .

الثالث : أنه العدول عن الحق الى الباطل ، وعن الاستقامة إلى الفساد ، وهو قول علي بن عيسى .

والفرق بين العوج بالكسر والعوج بالفتح أن العوج بكسر العين ما كان في الدين وفي الطريق وفيما ليس بقائم منتصب ، والعوج بفتح العين ما كان في القناة والخشبة وفيما كان قائماً منتصباً .

{ قيّماً } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه المستقيم المعتدل ، وهذ قول ابن عباس والضحاك .

الثاني : أنه قيم على سائر كتب الله تعالى يصدقها وينفي الباطل عنها .

الثالث : أنه المعتمد عليه والمرجوع إليه كقيم الدار الذي يرجع إليه في أمرها ، وفيه تقديم وتأخير في قول الجميع وتقديره : أنزل الكتاب على عبده قيماً ولم يجعل له عوجاً ولكن جعله قيماً .

{ لينذر بأساً شديداً من لدنه } يحتمل وجهين :

أحدهما : أنه عذاب الاستئصال في الدنيا .

الثاني : أنه عذاب جهنم في الآخرة .

(462/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آَثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (6) إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (7) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (8)

قوله عز وجل : { فلعلك باخعٌ نفسك على آثارهم } فيه وجهان :

أحدهما : قاتل نفسك ، ومنه قول ذي الرُّمَّةِ :

ألا أيهذا الباخع الوجد نفسه ... بشيء نحتَهُ عن يديك المقادِرُ

الثاني : أن الباخع المتحسر الأسِف ، قاله ابن بحر .

{ على آثارهم } فيه وجهان :

أحدهما : على آثار كفرهم .

الثاني : بعد موتهم .

{ إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً } يريد إن لم يؤمن كفار قريش بهذا الحديث يعني القرآن .

{ أسفاً } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أي غضباً ، قاله قتادة .

الثاني : جزعاً ، قاله مجاهد .

الثالث : أنه غمّاً ، قاله السدي .

الرابع : حزناً ، قاله الحسن ، وقد قال الشاعر :

أرى رجلاً منهم أسيفاً كأنما ... تضمُّ إلى كشحيه كفّاً مخضبّا

قوله عز وجل : { إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها } فيه خمسة أوجه :

أحدها : أنها الأشجار والأنهار التي زين الله الأرض بها ، قاله مقاتل .

الثاني : أنهم الرجال لأنهم زينة الأرض ، قاله الكلبي .

الثالث : أنهم الأنبياء والعلماء ، قاله القاسم .

الرابع : أن كل ما على الأرض زينة لها ، قاله مجاهد .

الخامس : أن معنى { زينة لها } أي شهوات لأهلها تزين في أعينهم وأنفسهم .

{ لنبلوهم أيهم أحْسَنُ عملاً } فيه ثلاثة أوجه : أحدها : أيهم أحسن إعراضاً عنها وتركاً لها ، قاله ابن عطاء .

الثاني : أيهم أحسن توكلاً علينا فيها ، قاله سهل بن عبد الله .

الثالث : أيهم أصفى قلباً وأهدى سمتاً .

ويحتمل رابعاً : لنختبرهم أيهم أكثر اعتباراً بها .

ويحتمل خامساً : لنختبرهم في تجافي الحرام منها .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله عز وجل : { وإنّا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً } في الصعيد ثلاثة أقاويل :

أحدها : الأرض المستوية ، قاله الأخفش ومقاتل .

الثاني : هو وجه الأرض لصعوده ، قاله ابن قتيبة .

الثالث : أنه التراب ، قاله أبان بن تغلب .

وفي الجُرُز أربعة أوجه :

أحدها : بلقعاً ، قاله مجاهد .

الثاني : ملساء ، وهو قول مقاتل .

الثالث : محصورة ، وهو قول ابن بحر .

الرابع : أنها اليابسة التي لا نبات بها ولا زرع قال الراجز :

قد جرفتهن السُّنون الأجراز ...

(463/2)

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آَيَاتِنَا عَجَبًا (9) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آَتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (10) فَضَرَبْنَا عَلَى آَذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (11) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (12)

قوله عز وجل : { أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً } أما الكهف فهو غار في الجبل الذي أوى إليه القوم . وأما الرقيم ففيه سبعة أقاويل :

أحدها : أنه اسم القرية التي كانوا منها ، قاله ابن عباس . الثاني : أنه اسم الجبل ، قاله الحسن .

الثالث : أنه اسم الوادي ، قاله الضحاك . قال عطية العوفي : هو واد بالشام نحو إبلة وقد روي أن اسم جبل الكهف بناجلوس ، واسم الكهف ميرم واسم المدينة أفسوس ، واسم الملك وفيانوس .

الرابع : أنه اسم كلبهم . قاله سعيد بن جبير ، وقيل هو اسم لكل كهف .

الخامس : أن الرقيم الكتاب الذي كتب فيه شأنهم ، قاله مجاهد . ماخوذ من الرقم في الثوب . وقيل كان الكتاب لوحاً من رصاص على باب الكهف ، وقيل في خزائن الملوك لعجيب أمرهم .

السادس : الرقيم الدواة بالرومية ، قاله أبو صالح .

السابع : أن الرقيم قوم من أهل الشراة كانت حالهم مثل حال أصحاب الكهف ، قاله سعيد بن جبير .

{ كانوا مِنْ آياتنا عجباً } فيه وجهان : أحدهما : معناه ما حسبت أنهم كانوا من آياتنا عجباً لولا أن أخبرناك وأوحينا إليك .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثاني : معناه أحسبت أنهم أعجب آياتنا وليسوا بأعجب خلقنا ، قاله مجاهد . قوله عز وجل : { إذ أوى الفتية إلى الكهف } اختلف في سبب إيوائهم إليه على قولين :

أحدهما : أنهم قوم هربوا بدينهم إلى الكهف ، قاله الحسن . { فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرِنا رشداً } .

الثاني : أنهم أبناء عظماء وأشراف خرجوا فاجتمعوا وراء المدينة على غير ميعاد ، فقال أسَنُّهم : إني أجد في نفسي شيئاً ما أظن أحداً يجده ، إن ربي رب السموات والأرض ، { فقالوا } جميعاً { ربُّنا ربُّ السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلهاً لقد قلنا إذاً شَطَطَاً } ثم دخلوا الكهف فلبثوا فيه ثلاثمائةٍ سنين وازدادوا تسعاً ، قاله مجاهد .

قال ابن قتيبة : هم أبناء الروم دخلوا الكهف قبل عيسى ، وضرب الله تعالى على آذنهم فيه ، فلما بعث الله عيسى أخبر بخبرهم ، ثم بعثهم الله تعالى بعد عيسى في الفترة التي بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم . وفي { شططاً } ثلاثة أوجه :

أحدها : كذباً ، قاله قتادة .

الثاني : غلوّاً ، قاله الأخفش .

الثالث : جوراً ، قاله الضحاك .

قوله عز وجل : { فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً } والضرب على الآذان هو المنع من الاستماع ، فدل بهذا على أنهم لم يموتوا وكانوا نياماً ، { سنين عدداً } فيه وجهان :

أحدهما : إحصاء .

الثاني : سنين كاملة ليس فيها شهور ولا أيام .

وإنما ضرب الله تعالى على آذانهم وإن لم يكن ذلك من أسباب النوم لئلا يسمعوا ما يوقظهم من نومهم .

قوله عز وجل : { ثم بعثناهم } الآية . يعني بالعبث إيقاظهم من رقدتهم . { لنعلَم } أي لننظر { أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : عدداً ، قاله مجاهد .

الثاني : أجلاً ، قاله مقاتل .

الثالث : الغاية ، قاله قطرب .

وفي الحزبين أربعة أقاويل :

أحدها : أن الحزبين هما المختلفان في أمرهم من قوم الفتية ، قاله مجاهد . الثاني : أن أحد الحزبين الفتية ،

والثاني : من حضرهم من أهل ذلك الزمان . الثالث : أن أحد الحزبين مؤمنون ، والآخر كفار .

الرابع : أن أحد الحزبين الله تعالى ، والآخر الخلق ، وتقديره : أنتم أعلم أم الله .

This file was downloaded from QuranicThought.com

(464/2)

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (13) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (14) هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (15) وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا (16)

قوله عز وجل : { وربطنا على قلوبهم . . } فيه وجهان :

أحدهما : ثبتناها .

الثاني : ألهمناها صبراً ، قاله اليزيدي .

{ . . . ولقد قلنا إذاً شططاً } فيه وجهان :

أحدهما : غُلواً .

الثاني : تباعداً .

قوله تعالى : { . . . لولا يأتون عليهم بسلطان بيّنٍ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : بحجة بينة ، قاله مقاتل .

الثاني : بعذر بيّن ، قاله قتادة .

الثالث : بكتاب بيّن ، قاله الكلبي .

قوله تعالى : { . . . ويهيىء لكم من أمركم مرفقاً } فيه وجهان : أحدهما : سعة .

الثاني : معاشاً .

ويحتمل ثالثاً : يعني خلاصاً ، ويقرأ { مِرْفقاً } بكسر الميم وفتح الفاء { ومَرفِقاً } بفتح الميم وكسر الفاء ، والفرق بينهما أنه بكسر الميم وفتح الفاء إذا وصل إليك من غيرك ، وبفتح الميم وكسر الفاء إذا وصل منك إلى غيرك .

(465/2)

وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا (17)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله عز وجل : { وترى الشمس إذا طَلَعَتْ تزوار عن كهفهم ذاتَ اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال } فيه وجهان

أحدهما : تعرض عنه فلا تصيبه .

الثاني : تميل عن كهفهم ذات اليمين .

{ وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : معنى تقرضهم تحاذيهم ، والقرض المحاذاة ، قاله الكسائي والفراء .

الثاني : معناه تقطعهم ذات الشمال أي أنها تجوزهم منحرفة عنهم ، من قولك قرضته بالمقراض أي قطعته .

الثالث : معناه تعطيهم اليسير من شعاعها ثم تأخذه بانصرافها ، مأخوذ من قرض الدراهم التي ترد لأنهم كانوا في مكان موحش ، وقيل لأنه لم يكن عليهم سقف يظلهم ولو طلعت عليهم لأحرقتهم .

وفي انحرافها عنهم في الطلوع والغروب قولان :

أحدهما : لأن كهفهم كان بإزاء بنات نعش فلذلك كانت الشمس لا تصيبه في وقت الشروق ولا في وقت الغروب ، قاله مقاتل .

الثاني : أن الله تعالى صرف الشمس عنهم لتبقى أجسامهم وتكون عبر لمن يشاهدهم أو يتصل به خبرهم .

{ وهم في فجوة منه } فيه أربعة أقاويل :

أحدها : يعني في فضاء منه ، قاله قتادة .

الثاني : داخل منه ، قاله سعيد بن جبير .

الثالث : أنه المكان الموحش .

الرابع : أنه ناحية متسعة ، قاله الأخفش ، ومنه قول الشاعر :

ونحن ملأنا كلَّ وادٍ وفجوةٍ ... رجالاً وخيلاً غير ميلٍ ولا عُزْلِ

(466/2)

وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (18)

قوله عز وجل : { وتحسبهم أيقاظاً وهم رقودٌ } الأيقاظ : المنتبهون .

قال الراجز :

قد وجدوا إخوانهم أيقاظا ... والسيف غياظ لهم غياظا

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
والرقود : النيام . قيل إن أعينهم كانت مفتوحة ويتنفسون ولا يتكلمون .

{ ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال } يعني تقلب النيام لأنهم لو لم يقلبوا لأكلتهم الأرض لطول مكثهم . وقيل إنهم كانوا يقلبون في كل عام مرتين ، ستة أشهر على جنب . وستة أشهر على جنبٍ آخر ، قاله ابن عباس .

قال مجاهد : إنما قلبوا تسع سنين بعد ثلاثمائة سنة لم يقلبوا فيها .

وفيما تحسبهم من أجله أيقاظاً وهم رقود قولان :

أحدهما : لانفتاح أعينهم .

الثاني : لتقليبهم ذات اليمين وذات الشمال .

{ وكلبهم باسِطٌ ذِراعيه بالوصيد } في { كلبهم } قولان :

أحدهما : أنه كلب من الكلاب كان معهم ، وهو قول الجمهور . وقيل إن اسمه كان حمران .

الثاني : أنه إنسان من الناس كان طباخاً لهم تبعهم ، وقيل بل كان راعياً . وفي { الوصيد } خمسة تأويلات :

أحدها : أنه العتبة .

الثاني : أنه الفناء قاله ابن عباس .

الثالث : أنه الحظير ، حكاه اليزيدي .

الرابع : أن الوصيد والصعيد التراب ، قاله سعيد بن جبير .

الخامس : أنه الباب ، قاله عطية ، وقال الشاعر :

بأرض فضاءَ لا يُسَدُّ وَصيدها ... عليَّ ومعروفي بها غيرُ مُنْكَرِ

وحكى جرير بن عبيد أنه كان كلباً ربيباً صغيراً . قال محمد بن إسحاق كان اصفر اللون .

{ لو أطّلعت عليهم لوليت منهم فِراراً ولملِئت منهم رُعباً } فيه وجهان :

أحدهما : لطول أظفارهم وشعورهم يأخذه الرعب منهم فزعاً .

الثاني : لما ألبسهم الله تعالى من الهيبة التي ترد عنهم الأبصار لئلا يصل إليهم أحد حتى يبلغ الكتاب فيهم أجله .

حكى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : غزوت مع معاوية رضي الله عنه في بحر الروم فانتهينا إلى الكهف الذي فيه أصحاب الكهف ، فقال معاوية أريد أن أدخل عليهم فأنظر إليهم ، فقلت ليس هذا لك فقد منعه الله من هو خير منك ، قال تعالى { لو اطعلت عليهم لوليت منهم فراراً } الآية .

فأرسل جماعة إليهم دخلوا الكهف أرسل الله عليهم ريحاً أخرجتهم .

وقيل إن هذه المعجزة من قومهم كانت لنبي قيل إنه كان أحدهم وهو الرئيس الذي اتبعوه وآمنوا به .

(467/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (19) إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (20)

قوله عز وجل : { وكذلك بعثناهم } يعني به إيقاظهم من نومهم . قال مقاتل : وأنام الله كلبهم معهم . { ليتساءلوا بينهم قال قائلٌ منهم كم لبثتم } ليعلموا قدر نومهم .

{ قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم } كان السائل منهم أحدهم ، والمجيب له غيره ، فقال لبثنا يوما لأنه أطول مدة النوم المعهود ، فلما رأى الشمس لم تغرب قال { أو بعض يوما } لأنهم أنيموا أول النهار ونبهوا آخره .

{ قالوا ربُّكم أعْلمُ بما لبثتم } وفي قائله قولان :

أحدهما : أنه حكاية عن الله تعالى أنه أعلم بمدة لبثهم .

الثاني : أنه قول كبيرهم مكسلمينا حين رأى الفتية مختلفين فيه فقال { ربكم أعلم بما لبثتم } فنطق بالصواب ورد الأمر إلى الله عالمه ، وهذا قول ابن عباس .

{ فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة } قرىء بكسر الراء وبتسكينها ، وهو في القراءتين جميعاً الدراهم ، وأما الورَق بفتح الراء فهي الإبل والغنم ، قال الشاعر :

إياك أدعو فتقبل مَلَقي ... كَفِّرْ خطاياي وثمِّرْ ورقي

يعني إبله وغنمه .

{ فلينظر أيها أزكي طعاماً } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أيها أكثر طعاماً ، وهذا قول عكرمة .

الثاني : أيها أحل طعاماً ، وهذا قول قتادة .

الثالث : أطيب طعاماً ، قاله الكلبي .

الرابع : أرخص طعاماً .

{ فليأتكم برزق مِنْه } فيه وجهان :

أحدهما : بما ترزقون أكله .

الثاني : بما يحل لكم أكله .

{ وليتلطف . . . } يحتمل وجهين :

أحدهما : وليسترخص .

الثاني : وليتلطف في إخفاء أمركم . وهذا يدل على جواز اشتراك الجماعة في طعامهم وإن كان

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

بعضهم أكثر أكلاً وهي المناهدة ، وكانت مستقبحة في الجاهلية فجاء الشرع بإباحتها .

قوله عز وجل : { إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يرجموكم بأيديهم استنكاراً لكم ، قاله الحسن .

الثاني : بألسنتهم غيبة لكم وشتماً ، قاله ابن جريج .

الثالث : يقتلوكم . والرجم القتل لأنه أحد أسبابه . { أو يعيدوكم في ملتهم } يعني في كفرهم .

{ ولن تفلحوا إذاً أبداً } إن أعادوكم في ملتهم .

(468/2)

وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (21)

قوله عز وجل : { وكذلك أعثرنا عليهم } فيه وجهان

أحدهما : أظهرنا أهل بلدهم عليهم .

الثاني : أطلعنا برحمتنا إليهم .

{ وليعلموا أن وعْدَ اللهِ حقٌّ . . . } يحتمل وجهين :

أحدهما : ليعلم أهل بلدهم أن وعد الله حق في قيام الساعة وإعادة الخلق أحياء ، لأن من أنامهم كالموتى هذه المدة الخارجة عن العادة ثم أيقظهم أحياء قادر على إحياء من أماته وأقبره .

الثاني : معناه ليرى أهل الكهف بعد علمهم أن وعد الله حق في إعادتهم . { إذ يتنازعون بينهم أمرهم } ذلك أنهم لما بعثوا أحدهم بورقهم إلى المدينة ليأتيهم برزق منها وطعام ، استنكروا شخصه واستنكرت ورقه لبعد العهد فحمل إلى الملك وكان صالحاً قد آمن ومن معه ، فلما نظر إليه قال : لعل هذا من الفتية الذين خرجوا على عهد دقيانوس الملك فقد كنت أدعو الله أن يرينهم ، وسأل الفتى فأخبره فانطلق والناس معه إليهم ، فلما دنوا من أهل الكهف وسمع الفتية كلامهم خافوهم ووصى بعضهم بعضاً بدينهم فلما دخلوا عليهم أماتهم الله ميتة الحق ، فحينئذ كان التنازع الذي ذكره الله تعالى فيهم .

وفي تنازعهم قولان :

أحدهما : أنهم تنازعوا هل هم أحياء أم موتى؛

الثاني : أنهم تنازعوا بعد العلم بموتهم هل يبنون عليهم بنياناً يعرفون به أم يتخذون عليهم مسجداً .

وقيل : إن الملك أراد أن يدفنهم في صندوق من ذهب ، فأتاه آت منهم في المنام فقال : أردت أن تجعلنا في صندوق من ذهب فلا تفعل فإنا من التراب خلقنا وإليه نعود فدعْنا .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

(469/2)

سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (22)

قوله عز وجل : { سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم } فأدخل الواو على انقطاع القصة لأن الخبر قد تم .

{ قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل } في المختلفين في عددهم قولان :

أحدهما : أنهم أهل المدينة قبل الظهور عليهم .

الثاني : أنهم أهل الكتاب بعد طول العهد بهم . وقوله تعالى : { رجماً بالغيب } قال قتادة قذفاً بالظن ، قال زهير :

وما الحرب إلاَّ ما علمتم وذقتم ... وما هو عنها بالحديث المرجّم .

وقال ابن عباس : أنا من القليل الذي استثنى الله تعالى : كانوا سبعة وثامنهم كلبهم .

وقال ابن جريج ومحمد بن إسحاق : كانوا ثمانية ، وجعلا قوله تعالى :

{ وثامنهم كلبهم } أي صاحب كلبهم .

وكتب قومهم أسماءهم حين غابوا ، فلما بان أمرهم كتبت أسماؤهم على باب الكهف . قال ابن جريج : أسماؤهم مكسلمينا ويمليخا وهو الذي مضى بالورق يشتري به الطعام ، ومطرونس ، ومحسيميلنينا ، وكشوطوش ، وبطلنوس ويوطونس وبيرونس .

قال مقاتل : وكان الكلب لمكسلمينا وكان أسنهم وكان صاحب غنم . { فلا تمار فيهم إلاّ مراءً ظاهراً } فيه خمسة أوجه :

أحدها : إلا ما قد أظهرنا لك من أمرهم ، قاله مجاهد .

الثاني : حسبك ما قصصنا عليك من شأنهم ، فلا تسألني عن إظهار غيره ، قاله قتادة .

الثالث : إلا مِراء ظاهراً يعني بحجة واضحة وخبر صادق ، قاله علي بن عيسى .

الرابع : لا تجادل فيهم أحداً ألا أن تحدثهم به حديثاً ، قاله ابن عباس .

الخامس : هو أن تشهد الناس عليهم . { ولا تستفت فيهم منهم أحداً } فيه وجهان : أحدهما : ولا تستفت يا محمد فيهم أحداً من أهل الكتاب ، قاله ابن عباس . ومجاهد وقتادة .

الثاني : أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ونهي لأمته .

(470/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (23) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (24)

قوله عز وجل : { ولا تقولن لشيءإني فاعلٌ ذلك غداً } { إلا إن يشاء الله } قال الأخفش : فيه إضمار وتقديره : إلا أن تقول إن شاء الله ، وهذا وإن كان أمراً فهو على وجه التأديب والإرشاد أن لا تعزم على أمر إلا أن تقرنه بمشيئة الله تعالى لأمرين :

أحدهما : أن العزم ربما صد عنه بمانع فيصير في وعده مخلفاً في قوله كاذباً ، قال موسى عليه السلام { ستجدني إن شاء الله صابراً } [الكهف : 70] ولم يصبر ولم يكن كاذباً لوجود الاستثناء في كلامه .

الثاني : إذعاناً لقدرة الله تعالى ، وإنه مدبر في أفعاله بمعونة الله وقدرته .

الثالث : يختص بيمينه إن حلف وهو سقوط الكفارة عنه إذا حنث .

{ واذكر ربك إذا نسيت } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنك إذا نسيت الشيء فاذكرالله ليذكرك إياه ، فإن فعل فقد أراد منك ما ذكرك ، وإلا فسيدلك على ما هو أرشد لك مما نسيته ، قاله بعض المتكلمين .

الثاني : واذكر ربك إذا غضبت ، قاله عكرمة ، ليزول عنك الغضب عند ذكره .

الثالث : واذكر ربك إذا نسيت الاستثناء بمشيئة الله في يمينك . وفي الذكر المأمور به قولان :

أحدهما : أنه ما ذكره في بقية الآية { وقل عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشداً }

الثاني : أنه قول إن شاء الله الذي كان نسيه عند يمينه .

واختلفوا في ثبوت الاستثناء بعد اليمين على خمسة أقاويل :

أحدها : أنه يصح الاستثناء بها إلى سنة ، فيكون كالاستثناء بها مع اليمين في سقوط الكفارة ولا يصح بعد السنة ، قاله ابن عباس .

الثاني : يصح الاستثناء بها في مجلس يمينه ، ولا يصح بعد فراقه ، قاله الحسن وعطاء .

الثالث : يصح الاستثناء بها ما لم يأخذ في كلام غيره .

الرابع : يصح الاستثناء بها مع قرب الزمان ، ولا يصح مع بعده .

الخامس : أنه لا يصح الاستثناء بها إلا متصلاً بيمينه وهو الظاهر من مذهب مالك والشافعي رحمهما الله .

(471/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (25) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (26)

قوله عز وجل : { ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً } في قراءة ابن مسعود قالوا لبثوا في كهفهم . وفيه قولان :

أحدهما : أن هذا قول اليهود ، وقيل بل نصارى نجران أنهم لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً ، فرد الله تعالى عليهم قولهم وقال لنبيه { قل الله أعلم بما لبثوا }

واتلقول الثاني : أن هذا إخبار من الله تعالى بهذا العدد عن مدة بقائهم في الكهف من حين دخلوه إلى ما ماتوا فيه .

{ وازدادوا تسعاً } هو ما بين السنين الشمسية والسنين القمرية .

{ قل الله أعلم بما لبثوا } فيه وجهان :

أحدهما : بما لبثوا بعد مدتهم إلى نزول القرآن فيهم .

الثاني : الله أعلم بما لبثوا في الكهف وهي المدة التي ذكرها عن اليهود إذ ذكروا زيادة ونقصاناً .

قوله عز وجل : { . . . أبصر به وأسمع } فيه تأويلان :

أحدهما : أن الله أبصر وأسمع ، أي أبصر ، بما قال وأسمع لما قالوا . الثاني : معناه أبصرهم وأسمعهم ، ما قال الله فيهم .

{ ما لهم من دونه من وَليّ } فيه وجهان :

أحدهما : من ناصر .

الثاني : من مانع . { ولا يشرك في حكمه أحداً } فيه وجهان :

أحدهما : ولا يشرك في علم غيبه أحداً .

الثاني : أنه لم يجعل لأحد أن يحكم بغير حكمه فيصير شريكاً له في حكمه .

(472/2)

وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (27) وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (28)

قوله تعالى : { . . . ولن تجد من دونه مُلتحداً } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : ملجأ ، قاله مجاهد ، قال الشاعر :

لا تحفيا يا أخانا من مودّتنا ... فما لنا عنك في الأقوام مُلتحد

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
الثاني : مهرباً ، قاله قطرب ، قال الشاعر :

يا لهف نفسي ولهفٌ غير مغنيةٍ ... عني وما مِنْ قضاء الله ملتحدُ

الثالث : معدلاً ، قاله الأخفش .

الرابع : ولياً ، قاله قتادة . ومعانيها متقاربة .

قوله عز وجل : { واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم } فيه وجهان :

أحدهما : يريدون تعظيمه . الثاني : يريدون طاعته . قال قتادة : نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فلما نزلت عليه قال : « الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرت أن أصبر معهم

» . { يدعون ربهم بالغداة والعشي } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يدعونه رغبة ورهبة .

الثاني : أنهم المحافظون على صلاة الجماعة ، قاله الحسن .

الثالث : أنها الصلاة المكتوبة ، قاله ابن عباس ومجاهد .

ويحتمل وجهاً رابعاً : أن يريد الدعاء في أول النهار وآخره ليستفتحوا يومهم بالدعاء رغبة في التوفيق ، ويختموه بالدعاء طلباً للمغفرة .

{ يريدون وجهه } يحتمل وجهين :

أحدهما : بدعائهم .

الثاني : بعمل نهارهم . وخص النهار بذلك دون الليل لأن عمل النهار إذا كان لله تعالى فعمل الليل أولى أن يكون له .

{ ولا تعد عيناك عنهم . . } فيه وجهان :

أحدهما : ولا تتجاوزهم بالنظر إلى غيرهم من أهل الدنيا طلباً لزينتها ، حكاه اليزيدي . الثاني : ما حكاه ابن جريج أن عيينة بن حصن قال للنبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم : لقد آذاني ريح سلمان الفارسي وأصحابه فاجعل لنا مجلساً منك لا يجامعونا فيه ، واجعل لهم مجلساً لا نجامعهم فيه ، فنزلت .

{ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذِكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً } .

قوله { أغفلنا } فيه وجهان :

أحدهما : جعلناه غافلاً عن ذكرنا .

الثاني : وجدناه غافلاً عن ذكرنا .

وفي هذه الغفله لأصحاب الخواطر ثلاثة أوجه : أحدها : أنها إبطال الوقت بالبطالة ، قاله سهل بن عبد الله .

الثاني : أنها طول الأمل .

الثالث : أنها ما يورث الغفلة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

{ واتبع هواه } فيه وجهان :

أحدهما : في شهواته وأفعاله .

الثاني : في سؤاله وطلبه التمييز عن غيره .

{ وكان أمرُه فُرُطاً } فيه خمسة تأويلات :

أحدها : ضيقاً ، وهو قول مجاهد .

الثاني : متروكاً ، قاله الفراء .

الثالث : ندماً قاله ابن قتيبة .

الرابع : سرفاً وإفراطاً ، قاله مقاتل .

الخامس : سريعاً . قاله ابن بحر . يقال أفرط إذا أسرف وفرط إذا قصر .

(473/2)

وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (29)

قوله عز وجل : { وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر } هذا وإن كان خارجاً مخرج التخيير فهو على وجه التهديد والوعيد ، وفيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنهم لا ينفعون الله بإيمانهم ولا يضرونه بكفرهم .

الثاني : فمن شاء الجنة فليؤمن ، ومن شاء النار فليكفر ، قاله ابن عباس .

الثالث : فمن شاء فليعرِّض نفسه للجنة بالإيمان ، ومن شاء فليعرض نفسه للنار بالكفر .

{ إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن سرادقها حائط من النار يطيف بهم ، قاله ابن عباس .

الثاني : هو دخانها ولهيبها قبل وصولهم إليها ، وهو الذي قال الله تعالى فيه { إلى ظلٍّ ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب } [المرسلات : 30-31] . قاله قتادة .

الثالث : أنه البحر المحيط بالدنيا . روى يعلى بن أمية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « البحر هو جهنم » ثم تلا { ناراً أحاط بهم سرادقها } ثم قال « والله لا أدخلها أبداً ما دمت حياً ولا يصيبني منها قطرة » والسرادق فارسي معرب ، واصله سرادر .

{ وإن يستغيثوا يُغَاثوا بماءٍ كالمهل . . . } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أنه القيح والدم ، قاله مجاهد .

الثاني : دردي الزيت ، قاله ابن عباس .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الثالث : أنه كل شيء أذيب حتى انماع؛ قاله ابن مسعود .

الرابع : هو الذي قد انتهى حره ، قاله سعيد بن جبير ، قال الشاعر :

شاب بالماء منه مهلاً كريهاً ... ثم علّ المتون بعد النهال

وجعل ذلك إغاثة لاقترانه بذكر الاستغاثة .

{ . . . بئس الشراب وساءت مرتفقاً } في المرتفق أربعة تأويلات :

أحدها : معناه مجتمعاً ، قاله مجاهد ، كأنه ذهب إلى معنى المرافقة .

الثاني : منزلاً قاله الكلبي ، مأخوذ من الارتفاق .

الثالث : أنه من الرفق .

الرابع : أنه من المتكأ مضاف إلى المرفق ، ومنه قول أبي ذؤيب :

نامَ الخَلِيُّ وَبِتُّ اللَيْلَ مُرْتَفِقاً ... كَأَنَّ عَيْنِي فيها الصَّابُ مَذْبُوحُ

(474/2)

إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (30) أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (31)

قوله عز وجل : { إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنّا لا نضيع أجْر من أحسن عملاً } روى البراء بن عازب أن أعرابياً قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فقال : إني رجل متعلم فأخبرني عن هذه الآية { إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات } الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أعرابي ما أنت منهم ببعيد ولا هم ببعيد منك ، هم هؤلاء الأربعة الذين هم وقوف ، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي فأعلم قومك أن هذه الآية نزلت فيهم

» . قوله عز وجل : { . . . ويلبسون ثياباً خُضْراً مِن سندس وإستبرق } أما السندس : ففيه قولان :

أحدهما : أنه من ألطف من الديباج ، قاله الكلبي .

الثاني : ما رَقّ من الديباج ، واحده سندسة ، قاله ابن قتيبة . وفي الاستبرق قولان :

أحدهما : أنه ما غلظ من الديباج ، قاله ابن قتيبة ، وهو فارسي معرب ، أصله استبره وهو الشديد ، وقد قال المرقش :

تراهُنَّ يَلْبسنَ المشاعِرَ مرة ... وإسْتَبْرَقَ الديباج طوراً لباسُها

الثاني : أنه الحرير المنسوج بالذهب ، قاله ابن بحر .

{ متكئين فيها على الأرائك } فيه ثلاثة أقاويل :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدها : أنها الحجال ، قاله الزجاج .

الثاني : أنها الفُرُش في الحجال .

الثالث : أنها السرر في الحجال ، وقد قال الشاعر :

خدوداً جفت في السير حتى كأنما ... يباشرْن بالمعزاء مَسَّ الأرائكِ

(475/2)

وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (32) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آَتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (33) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (34) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (35) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (36)

قوله تعالى : { واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين } الجنة : البستان ، فإذا جمع العنب والنخل وكان تحتها زرع فهي أجمل الجنان وأجداها نفعاً ، لثمر أعاليها وزرع أسافلها ، وهو معنى قوله { وجعلنا بينهما رزعاً } .

{ كلتا الجَنتين آتت أكلُها } أي ثمرها وزرعها ، وسماه أكلاً لأنه مأكول .

{ ولم تظلم منه شيئاً } أي استكمل جميع ثمارها وزرعها .

{ وفجرنا خِلالهما نهراً } يعني أن فيهما أنهاراً من الماء ، فيكون ثمرها وزرعها بدوام الماء فيهما أو في وأروى ، وهذه غاية الصفات فيما يجدي ويغل .

وفي ضرب المثل في هاتين الجنتين قولان :

أحدهما : ما حكاه مقاتل بن سليمان أنه إخبار الله تعالى عن أخوين كانا في بني إسرائيل ورثا عن أبيهما مالاً جزيلاً ، قال ابن عباس ثمانية آلاف دينار . فأخذ أحدهما حقه وهو مؤمن فتقرب به إلى الله تعالى ، وأخذ الآخر حقه منه وهو كافر فتملك به ضياعاً منها هاتان الجنتان ، ولم يتقرب إلى الله تعالى بشيء منه ، فكان من حاله ما ذكره الله من بعد ، فجعله الله تعالى مثلاً لهذه الأمة .

والقول الثاني : أنه مثل ضربه الله تعالى لهذه الأمة ، وليس بخبر عن حال متقدمة ، ليزهد في الدنيا ويرغب في الآخرة ، وجعله زجراً وإنذاراً .

قوله عز وجل : { وكان له ثمرٌ } قرأ عاصم بفتح الثاء والميم ، وقرأ أبو عمرو بضم الثاء وإسكان الميم ، وقرأ الباقون ثُمُر بضم الثاء والميم . وفي اختلاف هاتين القراءتين بالضم والفتح قولان :

أحدهما : معناهما واحد ، فعلى هذا فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه الذهب والفضة ، قاله قتادة ، لأنها أموال مثمرة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثاني : أنه المال الكثير من صنوف الأموال ، قاله ابن عباس لأن تثميره أكثر

الثالث : أنه الأصل الذي له نماء ، قاله ابن زيد ، لأن في النماء تثميراً .

والقول الثاني : أن معناهما بالضم وبالفتح مختلف ، فعلى هذا في الفرق . بينهما ، أربعة أوجه :

أحدها : أنه بالفتح جمع ثمرة ، وبالضم جمع ثمار .

الثاني : أنه بالفتح ثمار النخيل خاصة ، وبالضم جميع الأموال ، قاله ابن بحر .

الثالث : أنه بالفتح ما كان ثماره من أصله ، وبالضم ما كان ثماره من غيره .

الرابع : أن الثمر بالضم الأصل ، وبالفتح الفرع ، قاله ابن زيد .

وفي هذا الثمر المذكور قولان :

أحدهما : أنه ثمر الجنتين المتقدم ذكرهما ، وهو قول الجمهور .

الثاني : أنه ثمر ملكه من غير جنتيه ، وأصله كان لغيره كما يملك الناس ثماراً لا يملكون أصولها ، قاله ابن عباس ، ليجتمع في ملكه ثمار أمواله وثمار غير أمواله فيكون أعم مِلكا .

{ فقال لصاحبه } يعني لأخيه المسلم الذي صرف ماله في القُرب طلباً للثواب في الآخرة ، وصرف هذا الكافر ماله فيما استبقاه للدنيا والمكاثرة .

{ وهو يحاوره } أي يناظره ، وفيما يحاوره فيه وجهان :

أحدهما : في الإيمان والكفر .

الثاني : في طلب الدنيا وطلب الآخرة ، فجرى بينهما ما قصة الله تعالى من قولهما .

(476/2)

قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (37) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (38) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (39) فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (40) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (41)

قوله تعالى : { فعسى ربّي أن يؤتين خيراً مِنْ جنتك } فيه وجهان :

أحدهما : خيراً من جنتك في الدنيا فأساويك فيها .

الثاني : وهو الأشهر خيراً من جنتك في الآخرة ، فأكون أفضل منك فيها .

{ ويرسل عليها حُسْباناً من السماء } فيه خمسة تأويلات :

أحدها : يعني عذاباً ، قاله ابن عباس وقتادة .

الثاني : ناراً .

This file was downloaded from QuranicThought.com

الثالث : جراداً .

الرابع : عذاب حساب بما كسبت يداك ، قاله الزجاج ، لأنه جزاء الآخرة . والجزاء من الله تعالى بحساب .

الخامس : أنه المرامي الكثيرة ، قاله الأخفش وأصله الحساب وفي السهام التي يرمى بها في طلق واحد ، وكان من رَمي الأساورة .

{ فتصبح صعيداً زلقاً } يعني أرضاً بيضاء لا ينبت فيها نبات ولا يثبت عليها قدم ، وهي أضر أرض بعد أن كانت جنة أنفع أرض .

{ أو يصبح ماؤها غوراً } يعني ويصبح ماؤها غوراً ، فأقام أو مقام الواو ، و { غوراً } يعني غائراً ذاهباً فتكون أعدم أرض للماء بعد أن كان فيها .

{ فلن تستطيع له طلباً } ويحتمل وجهين :

أحدهما : فلن تستطيع رد الماء الغائر . الثاني : فلن تستطيع طلب غيره بدلاً منه وإلى هذا الحد انتهت مناظرة أخيه وإنذاره .

(477/2)

وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (42) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا (43) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (44)

قوله عز وجل : { وأحيط بثمرِه } أي أهلك ماله ، وهذا أول ما حقق الله به إنذار أخيه . { فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها } يحتمل وجهين :

أحدهما : يقلب كفيه ندماً على ما أنفق فيها وأسفاً على ما تلف .

الثاني : يقلب ملكه فلا يرى فيه عوض ما أنفق وهلك ، لأن الملك قد يعبر عنه باليد ، من قولهم في يده مال ، أي في ملكه .

{ وهي خاويةٌ على عروشِها } أي منقلبة على عاليها فجمع عليه بين هلاك الأصل والثمر ، وهذا من أعظم الجوائح مقابلة على بغيه .

قوله عز وجل : { ولم تكُنْ له فِئة ينصرونه منْ دونِ الله } فيه وجهان :

أحدهما : أن الفئة الجند ، قاله الكلبي .

الثاني : العشيرة ، قاله مجاهد .

{ وما كان منتصراً } فيه وجهان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدهما : وما كان ممتنعاً ، قاله قتادة .

الثاني : وما كان مسترداً بدل ما ذهب منه .

قال ابن عباس : هما الرجلان ذكرهما الله تعالى في سورة الصافات حيث يقول :

{ إني كان لي قرين } إلى قوله { في سواء الجحيم } وهذا مثل قيل إنه ضرب لسلمان وخباب وصهيب مع أشراف قريش من المشركين .

قوله تعالى : { هنالك الولاية لله الحق } يعني القيامة . وفيه أربعة أوجه :

أحدها : أنهم يتولون الله تعالى في القيامة فلا يبقى مؤمن لا كافر إلا تولاه ، قاله الكلبي .

الثاني : أن الله تعالى يتولى جزاءهم ، قاله مقاتل .

الثالث : أن الولاية مصدر الولاء فكأنهم جميعاً يعترفون بأن الله تعالى هو الوليّ قاله الأخفش .

الرابع : أن الولاية النصر ، قاله اليزيدي .

وفي الفرق بين الولاية بفتح الواو وبين الولاية بكسرها وجهان :

أحدهما : أنها بفتح الواو : للخالق ، وبكسرها : للمخلوقين ، قاله أبو عبيدة .

الثاني : أنها بالفتح في الدين ، وبكسرها في السلطان .

(478/2)

وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا (45) الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (46)

قوله عز وجل : { واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نباتُ الأرض } يحتمل وجهين :

أحدهما : أن الماء اختلط بالنبات حين استوى .

الثاني : أن النبات اختلط بعضه ببعض حين نزل عليه الماء حتى نما .

{ فأصبح هشيماً تذروهُ الرياحُ } يعني بامتناع الماء عنه ، فحذف ذلك إيجازاً لدلالة الكلام عليه ، والهشيم ما تفتت بعد اليبس من أوراق الشجر والزرع ، قال الشاعر :

فأصبحت نيّماً أجسادهم ... يشبهها من رآها الهشيما

واختلف في المقصود بضرب هذا المثل على قولين :

أحدهما : أن الله تعالى ضربه مثلاً للدنيا ليدل به على زوالها بعد حسنها وابتهاجها :

الثاني : أن الله تعالى ضربه مثلاً لأحوال أهل الدنيا أن مع كل نعمة نقمة ومع كل فرحة ترحة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

قوله عز وجل : { المال والبنون زينة الحياة الدنيا } لأن في المال جمالاً ونفعاً وفي { البنين } قوة ودفعاً فصارا زينة الحياة الدنيا .

{ والباقيات الصالحات خيرٌ عند ربك ثواباً وخيرٌ أملاً } فيها أربعة تأويلات :

أحدها : أنها الصلوات الخمس ، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير .

الثاني : أنها الأعمال الصالحة ، قاله ابن زيد .

الثالث : هي الكلام الطيب . وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً ، وقاله عطية العوفي .

الرابع : هو قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، قاله عثمان بن عفان رضي الله عنه . وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هي الباقيات الصالحات » . وفي { الصالحات } وجهان :

أحدهما : أنها بمعنى الصالحين لأن الصالح هو فاعل الصلاح .

الثاني : أنها بمعنى النافعات فعبر عن المنفعة بالصلاح لأن المنفعة مصلحة . وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لما عُرج بي إلى السماء أريت إبراهيم فقال : مر أمتك أن يكثروا من غراس الجنة فإن تربتها طيبة وأرضها واسعة ، فقلت وما غراس الجنة؟ قال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » . { خير عند ربك ثواباً } يعني في الآخرة ، { وخير أملاً } يعني عند نفسك في الدنيا ، ويكون معنى قوله { وخيرٌ أملاً } يعني أصدق أملاً ، لأن من الأمل كواذب وهذا أمل لا يكذب .

(479/2)

وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (47) وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا (48) وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (49)

قوله عز وجل : { ويوم نُسَيِّر الجبال } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : يسيرها من السير حتى تنتقل عن مكانها لما فيه من ظهور الآية وعظم الإعتبار .

الثاني : يسيرها أي يقللها حتى يصير كثيرها قليلاً يسيراً .

الثالث : بأن يجعلها هباء منثوراً .

{ وترى الأرض بارزة } فيه وجهان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدهما : أنه بروز ما في بطنها من الأموات بخروجهم من قبورهم .

الثاني : أنها فضاء لا يسترها جبل ولا نبات .

{ وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً } فيه ثلاثة تأويلات .

أحدها : يعني فلم نخلف منهم أحداً ، قاله ابن قتيبة ، قال ومنه سمي الغدير لأنه ما تخلفه السيول .

الثاني : فلم نستخلف منهم أحداً ، قاله الكلبي .

الثالث : معناه فلم نترك منهم أحداً ، حكاه مقاتل .

قوله عز وجل : { وعُرِضوا على ربِّك صَفّاً } قيل إنهم يُعرضون صفاً بعد صف كالصفوف في الصلاة ، وقيل إنهم يحشرون عراة حفاة غرلاً ، فقالت عائشة رضي الله عنها فما يحتشمون يومئذ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم « { لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه } » [عبس : 37] .

قوله عز وجل : { ووضع الكتابُ } فيه وجهان :

أحدهما : أنها كتب الأعمال في أيدي العباد ، قاله مقاتل .

الثاني : أنه وضع الحساب ، قاله الكلبي ، فعبر عن الحساب بالكتاب لأنهم يحاسبون على أعمالهم المكتوبة .

{ فترى المجرمين مشفقين مما فيه } لأنه أحصاه الله ونسوه .

{ ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يُغادِرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلاّ أحصاها }

وفي الصغيرة تأويلان :

أحدهما : أنه الضحك ، قاله ابن عباس .

الثاني : أنها صغائر الذنوب التي تغفر باجتناب كبائرها .

وأما الكبيرة ففيها قولان :

أحدهما : ما جاء النص بتحريمه .

الثاني : ما قرن بالوعيد والحَدِّ .

ويحتمل قولاً ثالثاً : أن الصغيرة الشهوة ، والكبيرة العمل .

قال قتادة : اشتكى القوم الإحْصاء وما اشتكى أحد ظلماً ، وإياكم المحقرات من الذنوب فإنها تجتمع على صاحبها حتى تهلكه .

{ ووجَدوا ما عَملوا حاضِراً } يحتمل تأويلين :

أحدهما : ووجدوا إحصاء ما عملوا حاضراً في الكتاب .

الثاني : ووجدوا جزاء ما عملوا عاجلاً في القيامة .

{ ولا يظلم ربك أحداً } يعني من طائع في نقصان ثوابه ، أو عاص في زيادة عقابه .

(480/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (50)

قوله عز وجل : { وإذ قلنا للملائكة اسجُدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجنِّ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه كان من الجن على ما ذكره الله تعالى . ومنع قائل هذا بعد ذلك أن يكون من الملائكة لأمرين :

أحدهما : أن له ذرية ، والملائكة لا ذرية لهم .

الثاني : أن الملائكة رسل الله سبحانه ولا يجوز عليهم الكفر ، وإبليس قد كفر ، قال الحسن : ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط ، وإنه لأصل الجن كما أن آدم أصل الإنس .

الثاني : أنه من الملائكة ، ومن قالوا بهذا اختلفوا في معنى قوله تعالى { كان من الجن } على ثلاثة أقاويل :

أحدها : ما قاله قتادة أنه كان من أفضل صنف من الملائكة يقال لهم الجن .

الثاني : ما قاله ابن عباس ، أنه كان من الملائكة من خزان الجنة ومدبر أمر السماء الدنيا فلذلك قيل من الجن لخزانة الجنة ، كما يقال مكي وبصري .

الثالث : أن الجن سبط من الملائكة خلقوا من نار وإبليس منهم ، وخلق سائر الملائكة من نور ، قاله سعيد من جبير ، قاله الحسن : خلق إبليس من نار وإلى النار يعود .

الثالث : أن إبليس لم يكن من الإنس ولا من الجن ، ولكن كان من الجان ، وقد مضى من ذكره واشتقاق اسمه ما أغنى .

{ ففسق عن أمر ربه . . . } فيه وجهان :

أحدهما : أن الفسق الاتساع ومعناه اتسع في محارم الله تعالى :

الثاني : أن الفسق الخروج أي خرج من طاعة ربه ، من قولهم فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها ، وسميت الفأرة فويسقة لخروجها من حجرها قال رؤبة بن العجاج :

يهوين من نجدٍ وغورٍ غائرا ... فواسقاً عن قصدها جوائرا

وفي قوله تعالى : { . . . بئس للظالمين بدلاً } وجهان :

أحدهما : بئس ما استبدلوا بطاعة الله طاعة إبليس ، قاله قتادة .

الثاني : بئس ما استبدلوا بالجنة النار .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا (51)

قوله عز وجل : { ما أشهدتهم خلق السموات والأرض } فيه وجهان :

أحدهما : ما أشهدت إبليس وذريته .

الثاني : ما أشهدت جميع الخلق خلق السموات والأرض .

وفيه وجهان :

أحدهما : ما أشهدتهم إياها استعانة بهم في خلقها .

الثاني : ما أشهدتهم خلقها فيعلموا من قدرتي ما لا يكفرون معه .

ويحتمل ثالثاً : ما أشهدتهم خلقها فيحيطون علماً بغيبها لاختصاص الله بعلم الغيب دونه خلقه .

{ ولا خلق أنفسهم } فيه وجهان :

أحدهما : ما استعنت ببعضهم على خلق بعض .

الثاني : ما أشهدت بعضهم خلق بعض .

ويحتمل ثالثاً : ما أعلمتم خلق أنفسهم فكيف يعلمون خلق غيرهم .

{ وما كنت متخذ المضلين عضدا } يحتمل وجهين :

أحدهما : يعني أولياء .

الثاني : أعواناً ، ووجدته منقولاً عن الكلبي .

وفيما أراد أنه لم يتخذهم فيه أعواناً وجهان :

أحدهما : أعواناً في خلق السموات والأرض .

الثاني : أعواناً لعبدة الأوثان ، قاله الكلبي .

وفي هؤلاء المضلين قولان :

أحدهما : إبليس وذريته .

الثاني : كل مضل من الخلائق كلهم .

قال بعض السلف : إذا كان ذنب المرء من قبل الشهوة فارْجُه ، وإذا كان من قبل الكبر فلا ترْجه ، لأن إبليس كان ذنبه من قبل الكبر فلم تقبل توبته ، وكان ذنب آدم من قبل الشهوة فتاب الله عليه .

وقد أشار بعض الشعراء إلى هذا المعنى فقال :

إذا ما الفتى طاح في غيّه ... فَرَجِّ الفتى للتُّقى رَجّه
فقد يغلط الركب نهج الط ... ريق ثم يعود إلى نهجه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا (52) وَرَأَى
الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا (53)

قوله عز وجل : { . . . وجعلنا بينهم موبقاً } فيه ستة أقاويل :

أحدها : مجلساً ، قاله الربيع .

الثاني : مهلكاً ، قاله ابن عباس وقتادة والضحاك ، قال الشاعر :

استغفر الله أعمالي التي سلفت ... من عثرةٍ إن تؤاخذني بها أبق

أي أهلك ، ومثله قول زهير :

ومن يشتري حسن الثناء بماله ... يصن عرضَه من كل شنعاء موبق

قال الفراء : جعل تواصلهم في الدنيا مهلكاً في الآخرة .

الثالث : موعداً ، قاله أبو عبيدة .

الرابع : عداوة ، قاله الحسن .

الخامس : أنه واد في جهنم ، قاله أنس بن مالك .

السادس : أنه واد يفصل بين الجنة والنار ، حكاه بعض المتأخرين .

قوله عز وجل : { ورأى المجرمون النّار } يحتمل وجهين :

أحدهما : أنهم عاينوا في المحشر .

الثاني : أنهم علموا بها عند العرض .

{ فظنُّوا أنهم مُواقعوها } فيه وجهان :

أحدهما : أنهم أمّلوا العفو قبل دخولها فلذلك ظنوا أنهم مواقعوها

الثاني : علموا أنهم مواقعوها لأنهم قد حصلوا في دار اليقين وقد يعبر عن العلم بالظن لأن الظن مقدمة العلم .

{ ولم يجدوا عنها مصرفاً } فيه وجهان :

أحدهما : ملجأ ، قاله الكلبي .

الثاني : معدلاً ينصرفون إليه ، قاله ابن قتيبة ، ومنه قول أبي كبير الهذلي :

أزهير هل عن شيبةٍ من مصرِف ... أم لا خلود لباذل متكلفِ

وفي المراد وجهان :

أحدهما : ولم يجد المشركون عن النار مصرفاً .

الثاني : ولم تجد الأصنام مصرفاً للنار عن المشركين .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (54)

قوله تعالى : { ولقد صرَّفنا في هذا القرآن للناس من كلّ مثّل } يحتمل وجهين :

أحدهما : ما ذكره لهم من العبر في القرون الخالية .

الثاني : ما أوضحه لهم من دلائل الربوبية ، فيكون على الوجه الأول جزاء ، وعلى الثاني بياناً .

{ وكان الإنسان أكثر شيءٍ جَدلاً } يحتمل وجهين :

أحدهما : عناداً ، وهو مقتضى الوجه الأول .

الثاني : حجاجاً وهو مقتضى القول الثاني . روي أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على عليّ وفاطمة رضي الله عنهما وهما نائمان فقال : « الصلاة ، ألا تصليان » فقال علي رضي الله عنه : إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثها بعثها ، فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول { وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً } [الكهف : 54] .

(484/2)

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا (55) وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا (56)

قوله عز وجل : { وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءَهم الهُدى } فيه وجهان :

أحدهما : وما منع الناس أنفسهم أن يؤمنوا .

الثاني : ما منع الشيطان الناس أن يؤمنوا .

وفي هذا الهدي وجهان :

أحدهما : حجج الله الدالة على وحدانيته ووجوب طاعته .

الثاني : رسول الله صلى الله عليه وسلم المبعوث لهداية الخلق .

{ إلاّ أن تأتيهم سنةُ الأولين } أي عادة الأولين في عذاب الإستئصال .

{ أو يأتيهم العذاب قبلاً } قرأ عاصم وحمزة والكسائي { قُبُلاً } بضم القاف والباء وفيه وجهان :

أحدهما : تجاه ، قاله مجاهد .

الثاني : أنه جمع قبيل معناه ضروب العذاب .

ويحتمل ثالثاً : أن يريد : من أمامهم مستقبلاً لهم فيشتد عليهم هول مشاهدته .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وقرأ الباقون قِبَلاً بكسر القاف ، وفيه وجهان :

أحدهما : مقابلة .

الثاني : معاينة .

ويحتمل ثالثاً : من قبل الله تعالى بعذاب من السماء ، لا من قبل المخلوقين ، لأنه يعم ولا يبقى فهو أشد وأعظم .

قوله عز وجل : { . . ليُدحضوا به الحقَّ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : ليذهبوا به الحق ، ويزيلوه ، قاله الأخفش .

الثاني : ليبطلوا به القرآن ويبدلوه ، قاله الكلبي .

الثالث : ليهلكوا به الحق .

والداحض الهالك ،

مأخوذ من الدحض وهو الموضع المزلق من الأرض الذي لا يثبت عليه خف ولا حافر ولا قدم ، قال الشاعر :

ردَيت ونجَى اليشكري حِذارُه ... وحادَ كما حادَ البعير عن الدحض

{ واتخدوا آياتي وما أنذروا هُزُواً } يحتمل وجهين :

أحدهما : أن الآية البرهان ، وما أنذروا القرآن .

الثاني : الآيات القرآن وما أنذروا الناس .

ويحتمل قوله : { هزواً } وجهين :

أحدهما : لعباً .

الثاني : باطلاً .

(485/2)

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (57) وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا (58) وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا (59)

قوله عز وجل : { وربُّكَ الغفور } يعني للذنوب وهذا يختص به أهل الإيمان دون الكفرة .

{ ذو الرّحمة . . . } فيها أربعة أوجه :

أحدها : ذو العفو .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الثاني : ذو الثواب ، وهو على هذين الوجهين مختص بأهل الإيمان دون الكفرة .

الثالث : ذو النعمة .

الرابع : ذو الهدى ، وهو على هذين الوجهين يعم أهل الإيمان وأهل الكفر لأنه ينعم في الدنيا على الكافر كإنعامه على المؤمن ، وقد أوضح هذه للكافر كما أوضحه للمؤمن ، وإن اهتدى به المؤمن دون الكافر .

{ بل لهم موعدٌ } فيه وجهان :

أحدهما : أجل مقدر يؤخرون إليه .

الثاني : جزاء واجب يحاسبون عليه .

{ لن يجدوا مِن دونه مَوْئلاً } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : ملجأ ، قاله ابن عباس وابن زيد .

الثاني : محرزاً ، قاله مجاهد .

الثالث : ولياً ، قاله قتادة .

الرابع : منجى ، قاله أبو عبيدة . قال والعرب تقول : لا وألَت نفسه ، أي لا نجت ، ومنه قول الشاعر :

لا وألت نفسك خلّيْتها ... للعامريّين ولم تُكْلَمِ

أحدهما : أهلكناهم بالعذاب لما ظلموا بالكفر .

الثاني : أهلكناهم بأن وكلناهم إلى سوء تدبيرهم لما ظلموا بترك الشكر .

{ وجعلنا لمهلكهم مَوْعِداً } فيه وجهان :

أحدهما : أجلا يؤخرون إليه ، قاله مجاهد .

الثاني : وقتاً يهلكون فيه . وقرىء بضم الميم وفتحها ، فهي بالضم من أُهلك وبالفتح من هَلَك .

(486/2)

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (60) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (61) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آَتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (62) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (63) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آَثَارِهِمَا قَصَصًا (64) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آَتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (65)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله عز وجل : { وإذا قال موسى لفتاه } يعني يوشع بن نون وهو ابن أخت موسى وسمي فتاهُ لملازمته إياه ، قيل في العلم ، وقيل في الخدمة ، وهو خليفة موسى على قومه من بعده .

وقال محمد بن إسحاق : إن موسى الذي طلب الخضر هو موسى بن منشى بن يوسف ، وكان نبياً في بني إسرائيل قبل موسى بن عمران .

والذي عليه جمهور المسلمين أنه موسى بن عمران .

{ لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : يعني بحر الروم وبحر فارس ، أحدهما قبل المشرق ، والآخر قبل المغرب وحكى الطبري أنه ليس في الأرض مكان أكثر ماء منه .

والقول الثاني : هو بحر أرمينية مما يلي الأبواب .

الثالث : الخضرُ وإلياس ، وهما بحران في العلم ، حكاه السدي .

{ أو أمضي حُقباً } فيه خمسة أوجه :

أحدها : أن الحقب ثمانون سنة ، قاله عبد الله بن عمر .

الثاني : سبعون سنة ، قاله مجاهد .

الثالث : أن الحقب الزمان ، قاله قتادة .

الرابع : أنه الدهر ، قاله ابن عباس ، ومنه قول امرىء القيس :

نحن الملوك وأبناء الملوك ، لنا ... مِلكٌ به عاش هذا الناس أحقابا

الخامس : أنه سنة بلغة قيس ، قاله الكلبي . وفي قوله { لا أبْرحُ } تأويلان :

أحدهما : لا أفارقك ، ومنه قول الشاعر :

إذا أنت لم تبرح تؤدي أمانةً ... وتحمل أُخرى أثقلتك الودائع

الثاني : لا أزال ، قاله الفراء ، ومنه قول الشاعر :

وأبرح ما أدام اللهُ قومي ... بحمد الله منتطقاً مجيداً

أي لا أزال . وقيل إنه قال { لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين } لأنه وعد أن يلقى عنده الخضر عليه السلام .

{ فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حُوتَهما } قيل إنهما تزودا حوتاً مملوحاً وتركاه حين جلسا ، وفيه وجهان :

أحدهما : أنه ضل عنهما حتى اتخذ سبيله في البحر سرباً ، فسمي ضلاله عنهما نسياناً منهما .

الثاني : أنه من النسيان له والسهو عنه .

ثم فيه وجهان :

أحدهما : أن الناسي له أحدهما وهو يوشع بن نون وحده وإن أضيف النسيان إليهما ، كما يقال نسي القوم زادهم إذا نسيه أحدهم .

الثاني : أن يوشع نسي أن يحمل الحوت ونسي موسى أن يأمره فيه بشيء ، فصار كل واحد منهما

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ناسياً لغير ما نسيه الآخر .

{ فاتّخذ سبيله في البحر سَرَباً } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : مسلكاً ، قاله مجاهد وابن زيد .

الثاني : يبساً ، قاله الكلبي .

الثالث : عجباً ، قاله مقاتل .

قوله عز وجل : { فلما جاوَزا } يعني مكان الحوت .

{ قال لفَتَاهُ } يعني موسى قال لفتاه يوشع بن نون .

{ آتِنا غداءَنا } والغداء الطعام بالغداة كما أن العشاء طعام العشي والإنسان إلى الغداء أشد حاجة منه إلى العشاء .

{ لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً } فيه وجهان : أحدهما : أنه التعب .

الثاني : الوهن .

{ قال أرأيت إذ أوينا الى الصخرة } فيه قولان :

أحدهما : قاله مقاتل ، إن الصخرة بأرض تسمى شره ان على ساحل بحر أيلة ، وعندها عين تسمى عين الحياة .

(487/2)

الثاني : أنها الصخرة التي دون نهر الزيت على الطريق .

{ فإني نسيت الحُوت } فيه وجهان :

أحدهما : فإني نسيت حمل الحوت .

الثاني : فإني نسيت أن أخبرك بأمر الحوت .

{ وما أنسانيه إلاّ الشيطان أن اذكُره } أي أنسانية بوسوسته إليّ وشغله لقلبي .

{ واتخذ سبيله في البحر عجباً } فيه قولان :

أحدهما : انه كان لا يسلك طريقاً في البحر إلا صار ماؤه صخراً فلما رآه موسى عجب من مصير الماء صخراً .

الثاني : أن موسى لما أخبره يوشع بأمر الحوت رجع إلى مكانه فرأى أثر الحوت في البحر ودائرته التي يجري فيها فعجب من عود الحوت حياً .

{ قال ذلك ما كُنّا نبغِ } أي نطلب ، وذلك أنه قيل لموسى إنك تلقى الخضر في موضع تنسى فيه متاعك ، فعلم أن الخضر بموضع الحوت .

{ فارتدَّا على آثارهما قَصصاً } أي خرجا إلى آثارهما يقصان أثر الحوت ويتبعانه .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

{ فَوَجداً عبْداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : النبوة ، قاله مقاتل :

الثاني : النعمة .

الثالث : الطاعة .

الرابع : طول الحياة .

{ وعلّمناه من لدُنا عِلْماً } قال ابن عباس لما اقتفى موسى أثر الحوت انتهى إلى رجل راقد وقد سجي عليه ثوبه ، فسلم عليه موسى ، فكشف ثوبه عن وجهه وردّ عليه السلام وقال : من أنت؟ قال : موسى . قال صاحب بني إسرائيل؟ قال : نعم . قال : وما لك في بني إسرائيل شغل ، قال : أمرت أن آتيك وأصحبك .

واختلفوا في الخضر هل كان مَلَكاً أو بشراً على قولين :

أحدهما : أنه كان ملكاً أمر الله تعالى موسى أن يأخذ عنه مما حمّله إياه من علم الباطن .

الثاني : أنه كان بشراً من الإنس .

واختلف من قال هذا على قولين :

أحدهما : كان نبياً لأن الإنسان لا يتعلم ولا يتبع إلا من هو فوقه؛ ولا يجوز أن يكون فوق النبي من ليس بنبي ، قال مقاتل : هو ليسع لأنه وسع علمه ست سموات وست أرضين .

الثاني : أنه لم يكن نبياً وإنما كان عبداً صالحاً أودعه الله تعالى مِن علْم باطن الأمور ما لم يودع غيره ، لأن النبي هو الداعي ، والخضر كان مطلوباً ولم يكن داعياً طالباً ، وقد ذكرأن سبب تسميته بالخضر لأنه كانه إذا صلى في مكان اخضرّ ما حوله .

(488/2)

قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (66) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (67) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (68) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (69) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (70)

قوله عز وجل : { قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمنِ مما علمت رُشْداً } في الرشد هنا ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه العلم ، قاله مقاتل ويكون تقديره على أن تعلمني مما علمت علماً .

الثاني : معناه على أن تعلمني مما علمت لإرشاد الله لك .

الثالث : ما يرى في علم الخضر رشداً يفعله وغياً يجتنبه ، فسأله موسى أن يعلمه من الرشد الذي

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يفعله ، ولم يسأله أن يعلمه الغيّ الذي يجتنبه لأنه عرف الغي الذي يجتنبه ولم يعرف ذلك الرشد .

{ قال إنك لن تستطيع معي صبراً } يحتمل وجهين :

أحدهما : صبراً عن السؤال .

الثاني : صبراً عن الإنكار .

{ وكيف تصبر على ما لم تُحِطْ به خُبراً } فيه وجهان :

أحدهما : لم تجد له سبباً .

الثاني : لم تعرف له علماً ، لأن الخضر علم أن موسى لا يصبر إذا رأى ما بنكر ظاهره .

{ قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً } فوعد بالصبر والطاعة ثم استثنى بمشيئة الله تعالى حذراً مما يلي فأطاع ولم يصبر . وفي قوله : { ولا أعصي لك أمراً } وجهان :

أحدهما : لا ابتدىء بالإنكار حتى تبدأ بالإخبار .

الثاني : لا أفشي لك سراً ولا أدل عليك بشراً . فعلى الوجه الأول يكون مخالفاً . على الوجه الثاني : يكون موافقاً .

(489/2)

فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (71) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (72) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (73) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (74)

قوله عز وجل : { فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها } لأنه أراد أن يعبر في البحر إلى أرض أخرى فركب في السفينة وفيها ركاب ، فأخذ الخضر فأساً ومنقاراً فخرق السفينة حتى دخلها الماء وقيل إنه قلع منها لوحين فضج ركابها من الغرق .

ف { قال } له موسى { أخرقتها لتغرق أهلها } وإن كان في غرقها غرق جميعهم لكنه أشفق على القوم أكثر من إشفاقه على نفسه لأنها عادة الأنبياء .

ثم قال بعد تعجبه وإكباره { لقد جئت شيئاً إمراً } فأكبر ثم أنكر ، وفي الإمر ثلاثة أوجه :

أحدها : يعني منكراً ، قاله مجاهد .

الثاني : عجباً ، قاله مقاتل .

الثالث : أن الإمر الداهية العظيمة ، قاله أبو عبيدة وأنشد :

قد لقي الأقران مِنّي نُكْرا ... داهيةً دهياء إدّاً إمرا

وهو مأخوذ من الإمر وهو الفاسد الذي يحتاج إلى الصلاح ، ومنه رجل إمر إذا كان ضعيف الرأي

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لأنه يحتاج أن يؤمر حتى يقوى رأيه ، ومنه أمِر القومُ إذا أكثروا لأنهم يحتاجون إلى من يأمرهم وينهاهم .

قوله عز وجل : { قال لا تؤاخذني بما نسيتُ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : بما نسيته وغفلت عنه فلم أذكره ، وقد رفعه أبي بن كعب .

الثاني : بما كأني نسيته ، ولم أنسه في الحقيقة . حكى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال : لم ينس ولكنها معاريض الكلام .

الثالث : بما تركته من عهدك ، قاله ابن عباس ، مأخوذ من النسيان الذي هو الترك لا من النسيان الذي هو من السهو .

{ ولا تُرهقني مِنْ أمري عُسْراً } فيه أربعة أوجه :

أحدها : لا تعنفني على ما تركت من وصيتك ، قاله الضحاك .

الثاني : لا يغشني منك العسر ، من قولهم غلام مراهق إذا قارب أن يغشاه البلوغ ، ومنه حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ارهقوا القبلة » أي اغشوها واقربوا منها .

الثالث : لا تكلفني ما لا أقدر عليه من التحفظ عن السهو والنسيان ، وهو معنى قول مقاتل :

الرابع : لا يلحقني منك طردي عنك .

قوله تعالى : { فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله } يعني انطلق موسى والخضر فاحتمل أن يكون يوشع تأخر عنهما ، لأن المذكور انطلاق اثنين وهو الأظهر لاختصاص موسى بالنبوة واجتماعه مع الخضر عن وحي ، واحتمل أن يكون معهما ولم يذكر لأنه تابع لموسى ، فاقتصر على ذكر المتبوع دون التابع لقول موسى : { ذلك ما كنا نبغي } فكان ذلك منه إشارة إلى فتاه يوشع .

واختلف في الغلام المقتول هل كان بالغاً ، فقال ابن عباس : كان رجلاً شاباً قد قبض على لحيته لأن غير البالغ لا يجري عليه القلم بما يستحق به القتل ، وقد يسمى الرجل غلاماً ، قالت ليلى الأخيلية في الحجّاج :

شفاها من الداء العُضال الذي بها ... غُلامٌ إذا هزَّ القَناةَ سقاها

وقال الأكثرون : كان صغيراً غير بالغ وكان يلعب مع الصبيان ، حتى مر به الخضر فقتله .

وفي سبب قتله قولان :

أحدهما : لأنه طبع على الكفر .

الثاني : لأنه أصلح بقتله حال أبويه . وفي صفة قتله قولان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
أحدهما : أنه أخذه من بين الصبيان فأضجعه وذبحه بالسكين ، قاله سعيد بن جبير .
الثاني : أنه أخذ حجراً فقتل به الغلام ، قاله مقاتل فاستعظم موسى ما فعله الخضر من قتل الغلام من غير سبب .
ف { قال أقتلت نَفْساً زَكية بغير نفْسٍ } فاختلف هل قاله استخباراً أو إنكاراً على قولين :
أحدهما : أنه قال ذلك استخباراً عنه لعلمه بأنه لا يتعدى في حقوق الله تعالى .
الثاني : أنه قاله إنكاراً عليه لأنه قال { لقد جئت شيئاً نُكراً }
قرأ أبو عمرو ونافع وابن كثير { زاكية } وقرأ حمزة وابن عامر وعاصم والكسائي زكيّة بغير ألف .
واختلف في زاكية - وزكية على قولين : أحدهما : وهو قول الأكثرين أن معناهما واحد ، فعلى هذا اختلف في تأويل ذلك على ستة أوجه :
أحدها : أن الزاكية التائبة ، قاله قتادة .
الثاني : أنها الطاهرة ، حكاه ابن عيسى .
الثالث : أنها النامية الزائدة ، قاله كثير من المفسرين ، قال نابغة بني ذبيان :
وما أخرتَ من دُنياك نقص ... وإن قدّمْتَ عادَ لَك الزّكاءُ
يعني الزيادة .
الرابع : الزاكية المسلمة ، قاله ابن عباس لأن عنده أن الغلام المقتول رجل .
الخامس : أن الزاكية التي لم يحل دمها ، قاله أبو عمرو بن العلاء .
السادس : أنها التي لم تعمل الخطايا ، قاله سعيد بن جبير . والقول الثاني : أن بين الزاكية والزكية فرقاً ، وفيه ثلاثة أوجه : أحدها : أن الزاكية في البدن ، والزكية في الدين ، وهذا قول أبي عبيدة .
الثاني : أن الزكية أشد مبالغة من الزاكية ، قاله ثعلب .
الثالث : أن الزاكية التي لم تذنب ، والزكية التي أذنبت ثم تابت فغفر لها ، قاله أبو عمرو بن العلاء .
{ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً } فيه أربعة أوجه :
أحدها : شيئاً منكراً ، قاله الكلبي .
الثاني : أمراً فظيعاً قبيحاً ، وهذا معنى قول مقاتل .
الثالث : أنه الذي يجب أن ينكر ولا يفعل .
الرابع : أنه أشد من الإمْر ، قاله قتادة .

(491/2)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (75) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (76)

قوله عز وجل : { قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلاَ تُصَاحِبْنِي } فيه أربعة أوجه :

أحدها : فلا تتابعني .

الثاني : فلا تتركني أصحبك ، قاله الكسائي .

الثالث : فلا تصحبني .

الرابع : فلا تساعدني على ما أريد .

{ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذراً } قد اعتذرت حين أنذرت .

(492/2)

فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (77) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (78)

{ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَآ أَتَيآ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا } اختلف في هذه القرية على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها أنطاكية ، قاله الكلبي .

الثاني : أنها الأبُلّة ، قاله قتادة .

الثالث : أنها باجروان بإرمينية ، قاله مقاتل .

{ فَأَبَوْا إِن يُضَيِّفُوهُمَا } يقال أضفت الرجل إذا نزل عليك فأنت مضيف . وضفت الرجل إذا نزلت عليه فأنت ضيف . وكان الطلب منهما الفاقة عُذراً فيهما . والمنع من أهل القرية لشحٍ أثموا به .

{ فَوَجَدَا فِيها جِدَاراً يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ } أي كاد أن ينقض؛ ذلك على التشبيه بحال من يريد أن يفعل في التالي ، كقول الشاعر :

يريد الرمح صدر أبي براءٍ . . . . . ويرغب عن دماءِ بني عقيل

ومعنى ينقض يسقط بسرعة ، وينقاض ينشق طولاً . وقرأ يحيى بن يعمر { يُرِيدُ أَن يَنقَصَّ } بالصاد غير المعجمة ، من النقصان .

{ فَأَقَامَهُ } قال سعيد بن جبير : أقام الجدار بيده فاستقام ، وأصل الجدر الظهور ومنه الجدري لظهوره .

وعجب موسى عليه السلام وقد { اسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا } فأقام لهم الجدار ف { قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيَهِ أَجْراً } قال قتادة : شر القرى لا تضيف الضيف ولا تعرف لابن السبيل حقه .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قوله عز وجل : { قَالَ هَذا فِرَاقٌ بَيْنِي وَبَيْنِكَ } فيه وجهان :

أحدهما : هذا الذي قلته { فِرَاقٌ بَيْنِي وَبَيْنِكَ }

الثاني : هذا الوقت { فِرَاقٌ بَيْنِي وَبَيْنِكَ }

{ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً } يحتمل وجهين :

أحدهما : لم تستطع على المشاهدة له صبراً .

الثاني : لم تستطع على الإمساك عن السؤال عنه صبراً . فروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى لَو صَبَرَ لاَقْتَبَسَ مِنْهُ أَلْفَ بَابٍ

» .

(493/2)

أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (79)

قوله عز وجل : { أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ } وفي تسميتهم مساكين أربعة أوجه :

أحدها : لفقرهم وحاجتهم .

الثاني : لشدة ما يعانونه في البحر ، كما يقال لمن عانى شدة قد لقي هذا المسكين جهداً .

الثالث : لزمانة كانت بهم وعلل .

الرابع : لقلة حيلتهم وعجزهم عن الدفع عن أنفسهم ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « مِسْكِينٌ رَجُلٌ لاَ امرأة له » فسماه مسكيناً لقلة حيلته وعجزه عن القيام بنفسه لا لفقره ومسكنته .

وقرأ بعض أئمة القراء « لِمَسَّاكِينَ » بتشديد السين ، والمساكون هم الممسكون ، وفي تأويل ذلك وجهان :

أَحدهما : لممسكون لسفينتهم للعمل فيها بأنفسهم .

الثاني : الممسكون لأموالهم شحاً فلا ينفقونها .

{ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا } أي أن أُحْدِث فيها عيباً .

{ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ } في قوله { وَرَآءَهُم مَّلِكٌ } وجهان :

أحدهما : أنه خلفهم ، وكان رجوعهم عليه ولم يعلموا به ، قاله الزجاج .

الثاني : أنه كان أمامهم . وكان ابن عباس يقرأ : { وَكَانَ أَمَامَهُم مَّلِكٌ }

واختلف أهل العربية في استعمال وراء موضع أمام على ثلاثة أقاويل :

أحدها : يجوز استعماله بكل حال وفي كل مكان وهو من الأضداد ، قال الله تعالى { مِن وَرَائِهِم

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

جَهَنَّمُ } أي من أمامهم وقدامهم جهنم قال الشاعر :

أيرجو بنو مروان سمعي وطاعتي ... وقومي تميم والفلاة ورائيا

يعني أمامي .

الثاني : أن وراء يجوز أن يستعمل في موضع أمام في المواقيت والأزمان لأن الإنسان قد يجوزها فتصير وراءه ولا يجوز في غيرها .

الثالث : أنه يجوز في الأجسام التي لا وجه لها كحجرين متقابلين كل واحد منهما وراء الآخر ، ولا يجوز في غيره قاله ابن عيسى .

{ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً } قرأ ابن مسعود : يأخذ كل سفينة صالحة غصباً . وهكذا كان الملك يأخذ كل سفينة جيدة غصباً ، فلذلك عباها الخضر لتسلم من الملك . وقيل إن اسم الملك هُدَد بن بُدَد ، وقال مقاتل : كان اسمه مندلة بن جلندى بن سعد الأزدي .

(494/2)

وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (80) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (81)

قوله عز وجل : { وَأَمَّا الْغُلاَمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنَ فَخَشِينآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً } قال سعيد بن جبير : وجد الخضر غلماناً يلعبون فأخذ غلاماً ظريفاً فأضجعه وذبحه ، وقيل كان الغلام سداسياً وقيل أنه أراد بالسداسي ابن ست عشرة سنة ، وقيل بل أراد أن طوله ستة أشبار ، قاله الكلبي : وكان الغلام لصاً يقطع الطريق بين قرية أبيه وقرية أمه فينصره أهل القريتين ويمنعون منه .

قال قتادة : فرح به أبواه حين ولد ، وحزنا عليه حين قتل ، ولو بقي كان فيه هلاكهما . قيل كان اسم الغلام جيسور . قال مقاتل وكان اسم أبيه كازير ، واسم أمه سهوى .

{ فَخَشِينآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْياناً وَكُفْراً } فيه ثلاثة أوجه :

أحدهما : علم الخضر أن الغلام يرهق أبويه طغياناً وكفراً لأن الغلام كان كافراً قال قتادة : وفي قراءة أُبي { وَأَمَّا الغُلاَمُ فَكَانَ كَافِراً وَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ } فعبر عن العلم بالخشية .

الثاني : معناه فخاف ربك أن يرهق الغلام أبويه طغياناً وكفراً ، فعبر عن الخوف بالخشية قال مقاتل : في قراءة أبي { فَخَافَ رَبُّكَ } والخوف ها هنا استعارة لانتفائه عن الله تعالى .

الثالث : وكره الخضر أن يرهق الغلام أبويه بطغيانه وكفره إثماً وظلماً فصار في الخشية ها هنا ثلاثة أوجه :

أحدها : أنها العلم .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الثاني : أنها الخوف .

الثالث : الكراهة .

وفي { يُرْهِقَهُمَا } وجهان :

أحدهما : يكفلهما ، قاله ابن زيد .

الثاني : يحملهما على الرهق وهو الجهد . { فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا ربهما خَيْراً مِنْهُ زَكَاةً } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : خيراً منه إسلاماً ، قاله ابن جريج .

الثاني : خيراً منه علماً ، قاله مقاتل .

الثالث : خيراً منه ولداً .

وكانت أمه حبلى فولدت ، وفي الذي ولدته قولان :

أحدهما : ولدت غلاماً صالحاً مسلماً ، قاله ابن جريج .

الثاني : ولدت جارية تزوجها نبي فولدت نبياً هدى الله على يديه أمة من الأمم .

{ وَأَقْرَبَ رُحْماً } فيه ثلاثة أوجه : أحدها : يعني أكثر براً بوالديه من المقتول ، قاله قتادة ، وجعل الرحم البر ، ومنه قول الشاعر :

طريدٌ تلافاه يزيد برحمةٍ ... فلم يُلْفَ من نعمائه يتعذَّرُ

الثاني : أعجل نفعاً وتعطفاً ، قال أبو يونس النحوي وجعل الرحم المنفعة والتعطف ، ومنه قول الشاعر :

وكيف بظلم جارية . . . . ومنها اللين والرحم

الثالث : أقرب أن يرحما به ، والرُّحم الرحمة ، قاله أبو عَمْرو بن العلاء ، ومنه قول الشاعر :

أحنى وأرحمُ مِن أمٍّ بواحدِها ... رُحْماً وأشجع من ذي لبدةٍ ضاري

(495/2)

وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (82)

قوله تعالى : { وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ } زعم مقاتل أن اسم الغلامين صرم وصريم ، واسم أبيهما كاشخ ، واسم أمهما رهنا ، وأن المدينة قرية تسمى عيدشى .

وحقيقة الجدار ما أحاط بالدار حتى يمنع منها ويحفظ بنيانها ، ويستعمل في غيرها من حيطانها

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

مجازاً .

{ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا } وفي هذا الكنز ثلاثة أقاويل : أحدها : صحف علم ، قاله ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد .

الثاني : لوح من ذهب مكتوب فيه حِكَم ، قاله الحسن ، وروى ابن الكلبي عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « { وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا } ، كَانَ الكَنزُ لَوحاً مِن ذَهَبٍ مَكْتُوباً فِيهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمنِ الرَّحِيمِ عَجَبٌ لِّمَن يُؤمِنُ بِالموتِ كَيْفَ يَفْرَحُ ، عَجَبٌ لِّمَن يُوقِنُ بِالْقَدَرِ كَيْفَ يَحْزَنُ ، عَجَبٌ لِّمَن يُوقِنُ بِزَوالِ الدُّنيَا وَتَقَلُّبِهَا بِأَهْلِهَا كَيفَ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا ، لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ » . الثالث : كنز : مال مذخور من ذهب وفضة ، قاله عكرمة وقتادة .

{ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا } قيل إنهما حفظا لصلاح أبيهما السابع ، قال محمد بن المنكدر : إن الله تعالى يحفظ عبده المؤمن في ولده وولد ولده وفي ذريته وفي الدويرات حوله . وروى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله .

واختلف أهل العلم في بقاء الخضر عليه السلام إلى يوم ، فذهب قوم إلى بقائه لأنه شرب من عين الحياة . وذهب آخرون إلى أنه غير باقٍ لأنه لو كان باقياً لعرف ، ولأنه لا يجوز أن يكون بعد نبينا صلى الله عليه وسلم نبي وهذا قول من زعم أن الخضر نبي .

(496/2)

وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (83) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (84)

قوله عز وجل : { وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ } اختلف فيه هل كان نبياً؟ فذهب قوم إلى أنه نبي مبعوث فتح الله على يده الأرض وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يكن نبياً ولا ملكاً ، ولكنه كان عبداً صالحاً أحب الله وأحبه الله ، وناصح لله فناصحه الله ، وضربوه على قرنه فمكث ما شاء الله ثم دعاهم إلى الهدى فضربوه على قرنه الآخر ، ولم يكن له قرنان كقرني الثور .

واختلف في تسميته بذي القرنين على أربعة أقاويل :

أحدها : لقرنين في جانبي رأسه على ما حكى علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

الثاني : لأنه كانت له ضفيرتان فَسُمِّيَ بهما ذو القرنين ، قاله الحسن .

الثالث : لأنه بلغ طرفي الأرض من المشرق والمغرب ، فَسُمِّيَ لاستيلائه . على قرني الأرض ذو القرنين ، قاله الزهري .

الرابع : لأنه رأى في منامه أنه دنا من الشمس حتى أخذ بقرنيها في شرقها وغربها ، فقص رؤياه

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

على قومه فَسُمِّيَ ذو القرنين ، قال وهب بن منبه .

وحكى بن عباس أن ذا القرنين هو عبد الله بن الضحاك بن معد ، وحكى محمد بن إسحاق أنه رجل من إهل مصر اسمه مرزبان بن مردبة اليوناني ولد يونان بن يافث بن نوح . وقال معاذ بن جبل : كان رومياً اسمه الاسكندروس . قال ابن هشام : هو الإسكندر وهو الذي بنى الإسكندرية .

قوله عز وجل : { إِنَّا مَكَنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ } يحتمل وجهين :

أحدهما : باستيلائه على ملكها .

الثاني : بقيامه بمصالحها .

{ وَأَتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً } فيه وجهان :

أحدهما : من كل شيء علماً ينتسب به إلى إرادته ، قاله ابن عباس وقتادة .

الثاني : ما يستعين به على لقاء الملوك وقتل الأعداء وفتح البلاد .

ويحتمل وجهاً ثالثاً : وجعلنا له من كل أرض وليها سلطاناً وهيبة .

(497/2)

فَأَتْبَعَ سَبَبًا (85) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (86) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا (87) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (88)

قوله عز وجل : { فَأَتْبَعَ سَبَباً } فيه أربعة أوجه :

أحدها : منازل الأرض ومعالمها .

الثاني : يعني طرقاً بين المشرق والمغرب ، قاله مجاهد ، وقتادة .

الثالث : طريقاً إلى ما أريد منه .

الرابع : قفا الأثر ، حكاه ابن الأنباري .

{ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ } قرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وحفص { حَمِئَةٍ } وفيها وجهان :

أحدهما : عين ماء ذات حمأة ، قاله مجاهد ، وقتادة .

الثاني : يعني طينة سوداء ، قاله كعب .

وقرأ بن الزبير ، والحسن : { فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ } وهي قراءة الباقين يعني حارة .

فصار قولاً ثالثاً : وليس بممتنع أن يكون ذلك صفة للعين أن تكون حمئة سوداء حامية ، وقد نقل

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

مأثوراً في شعر تُبَّع وقد وصف ذا القرنين بما يوافق هذا فقال :

قد كان ذو القرنين قبلي مسلماً . . ... ملكاً تدين له الملوك وتسجد

بلغ المشارق والمغارب يبتغي ... أسباب أمرٍ من حكيم مرشد

فرأى مغيب الشمس عند غروبها ... في عين ذي خُلُبٍ وثاطٍ حرمد

الخُلُب : الطين . والثأط : الحمأة . والحرمد : الأسود .

ثم فيها وجهان : أحدهما : أنها تغرب في نفس العين .

الثاني : أنه وجدها تغرب وراء العين حتى كأنها تغيب في نفس العين .

{ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْماً قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً } فيه وجهان :

أحدهما : أنه خيره في عقابهم أو العفو عنهم .

الثاني : إما أن تعذب بالقتل لمقامهم على الشرك وإما أن تتخذ فيهم حُسناً بأن تمسكهم بعد الأسر لتعلمهم الهدى وتستنقذهم من العمَى ، فحكى مقاتل أنه لم يؤمن منهم إلا رجل واحد .

(498/2)

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (89) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا (90) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (91)

قوله عز وجل : { ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً } قرىء بقطع الألف ، وقرىء بوصلها وفيها وجهان :

أحدهما : معناهما واحد .

الثاني : مختلف . قال الأصمعي : بالقطع إذا لحق ، وبالوصل إذا كان على الأثر ، وإن لم يلحق .

{ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ } قرىء بكسر اللام ، وقرىء بفتح اللام ، وفي اختلافهما وجهان :

أحدهما : معناهما واحد .

الثاني : معناهما مختلف . وهي بفتح اللام الطلوع ، وبكسرها الموضع الذي تطلع منه . والمراد بمطلع الشمس ومغربها ابتداء العمارة وانتهاؤها .

{ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْراً } يعني من دون الشمس ما يسترهم منها من بناء أو شجر أو لباس . وكانوا يأوون إذا طلعت عليهم إلى أسراب لهم ، فإذا زالت عنهم خرجوا لصيد ما يقتاتونه من وحش وسمك .

قال ابن الكلبي : وهم تاريس وتأويل ومنسك .

وهذه الأسماء والنعوت التي نذكرها ونحكيها عمن سلف إن لم تؤخذ من صحف النبوة السليمة لم يوثق بها ، ولكن ذكرت فذكرتها . وقال قتادة . هم الزنج .

This file was downloaded from QuranicThought.com

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (92) حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (93) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (94) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (95) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (96)

قوله عز وجل : { حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ } بالفتح قرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية حفص . وقرأ الباقون بين السُّدين وبالضم ، واختلف فيهما على قولين .

أحدهما : أنهما لغتان معناهما واحد .

الثاني : أن معناهما مختلف .

وفي الفرق بينهما ثلاثة أوجه :

أحدها : أن السد بالضم من فعل الله عز وجل وبالفتح من فعل الآدميين .

الثاني : أنه بالضم الاسم ، وبالفتح المصدر ، قاله ابن عباس وقتادة والضحاك . والسدان جبلان ، قيل إنه جعل الروم بينهما ، وفي موضعهما قولان :

أحدهما : فيما بين إرمينية وأذربيجان .

الثاني : في منقطع الترك مما يلي المشرق .

{ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْماً لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً } أي من دون السدين ، وفي { يَفْقَهُونَ } قراءتان :

إحداهما : بفتح الياء والقاف يعني أنهم لا يفهمون كلام غيرهم .

والقراءة الثانية : بضم الياء وكسر القاف ، أي لا يفهم كلامهم غيرهم .

قوله عز وجل : { قَالُواْ يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ } وهما من ولد يافث بن نوح ، واسمهما مأخوذ من أجت النار إذا تأججت ، ومنه قول جرير :

وأيام أتين على المطايا ... كأن سمومهن أجيج نارِ

واسمها في الصحف الأولى ياطغ وماطغ . وكان أبو سعيد الخدري يقول أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لاَ يَمُوتُ الرَّجُلُ منهُمْ حتى يُولَدَ لِصُلْبِهِ أَلْفُ رَجُلٍ » . واختلف في تكليفهم على قولين :

أحدهما : أنهم مكلفون لتمييزهم .

الثاني : أنهم غير مكلفين لأنهم لو كلفوا لما جاز ألاَّ تبلغهم دعوة الإسلام .

{ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً } قرأ حمزة والكسائي : { خَرَاجاً } وقرأ الباقون { خَرْجاً } وفي اختلاف القراءتين ثلاثة أوجه :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدها : أن الخراج الغلة ، والخرج الأجرة .

الثاني : أن الخراج اسم لما يخرج من الأرض ، والخرج ما يؤخذ عن الرقاب ، قاله أبو عمرو بن العلاء .

الثالث : أن الخرج ما يؤخذ دفعة ، والخراج ثابت مأخوذ في كل سنة ، قاله ثعلب .

قوله عز وجل : { قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ } يعني خير من الأجر الذي تبذلونه لي .

{ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ } فيه وجهان :

أحدهما : بآلة ، قاله الكلبي .

الثاني : برجال ، قاله مقاتل .

{ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً } فيه وجهان :

أحدهما : أنه الحجاب الشديد .

الثاني : أنه السد المتراكب بعضه على بعض فهو أكبر من السد .

{ ءاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها قطع الحديد ، قاله ابن عباس ومجاهد .

الثاني : أنه فلق الحديد ، قاله قتادة .

الثالث : أنه الحديد المجتمع ، ومنه الزَّبور لاجتماع حروفه في الكتابة ، قال تبع اليماني :

ولقد صبرت ليعلموه وحولهم ... زبر الحديد عشيةً ونهاراً

{ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ } قال ابن عباس ومجاهد والضحاك : الصدفان : جبلان ، قال عمرو بن شاش :

كلا الصدفين ينفذه سناها ... توقد مثل مصباح الظلام

وفيهما وجهان :

أحدهما : أن كل واحد منهما محاذ لصاحبه ، مأخوذ من المصادفة في اللقاء ، قاله الأزهري .

الثاني : قاله ابن عيسى ، هما جبلان كل واحد منهما منعزل عن الآخر كأنه قد صدف عنه .

ثم فيه وجهان :

أحدهما : : أن الصدفين اسم لرأسي الجبلين

الثاني : اسم لما بين الجبلين .

ومعنى قوله : { سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ } أي بما جعل بينهما حتى وارى رؤوسهما وسوّى بينهما .

{ قَالَ انفُخُوا } يعني أي في نار الحديد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

{ حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً } يعني ليناً كالنار في الحر واللهب .

{ قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً } فيه أربعة أوجه :

أحدها : أن القطر النحاس ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك .

الثاني : أنه الرصاص حكاه ابن الأنباري .

الثالث : أنه الصفر المذاب ، قاله مقاتل ، ومنه قول الحطيئة :

وألقى في مراجل من حديد ... قدور الصُّفر ليس من البُرام

الرابع : أنه الحديد المذاب ، قاله أبو عبيدة وأنشد :

حُساماً كلون الملح صار حديده ... حراراً من أقطار الحديد المثقب

وكان حجارته الحديد وطينه النحاس .

فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (97) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (98) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (99)

قوله عز وجل : { فَمَا اسْطَاعُواْ أَن يَظْهَرُوهُ } أي يعلوه . { وَمَا اسْتَطَاعُواْ لَهُ نَقْباً } يعني من أسفله ، قاله قتادة ، وقيل إن السد وراء بحر الروم بين جبلين هناك يلي مؤخرهما البحر المحيط . وقيل : ارتفاع السد مقدار مائتي ذراع ، وعرضه نحو خمسين ذراعاً وأنه من حديد شبه المصمت . ورُوي أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إِنِّي رَأَيتُ السَّدَّ : « قَالَ : انعَتهُ » قَالَ : هُوَ كَالبَرَدِ المُحَبَّرِ ، طَرِيقُه سَودَاءُ وطَرِيقُه حَمْرَاءُ ، « قَالَ قَدْ رَأَيتَهُ

» . قوله عز وجل : { قَالَ هَذا رَحْمَةٌ مِن رَّبِّي } يحتمل وجهين :

أحدهما : أن عمله رحمة من الله تعالى لعباده .

الثاني : أن قدرته على عمله رحمة من الله تعالى له .

{ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ } قال ابن مسعود : وذلك يكون بعد قتل عيسى عليه السلام الدجال في حديث مرفوع . وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّهُم يَدْأَبُونَ فِي حَفْرِهِم نَهَارُهُم حَتَّى إِذَا أَمْسَوْا وَكَادُواْ يُبْصِرُونَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالُوا نَرْجِعُ غَداً فَنَحْفُرُ بَقِيَّتَهُ ، فَيَعُودُونَ مِنَ الغَدِ وَقَدِ اسْتَوَى كَمَا كَانَ ، حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قَالُواْ : غَداً إِنْ شَاءَ اللَّهُ نَنْقُبُ بَقِيَّتَهُ ، فَيَرْجِعُونَ إِلَيهِ فَيَنْقُبُونَهُ فَإِذِنِ اللَّهِ ، فَيَخْرُجُونَ مِنهُ عَلَى النَّاسِ مِن حُصُونِهِم ، ثُمَّ يَرْمُونَ نبلاً إِلَى السَّمَاءِ فَيَرْجِعُ إِلَيهِم فِيهَا أَمْثَالُ الدِّمَاءِ ، فَيَقُولُونَ قَدْ ظَفَرْنَا عَلَى أَهْلِ ألأَرْضِ وَقَهَرْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ تَعالَى عَلَيهِم مَّا يَهْلِكُهُم

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

» . { فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي } فيه قولان :

أحدهما : يوم القيامة ، قاله ابن بحر .

الثاني : هو الأجل الذي يخرجون فيه .

{ جَعَلَهُ دَكَّآءَ } يعني السد ، وفيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أرضاً ، قاله قطرب .

الثاني : قطعاً ، قاله الكلبي .

الثالث : هدماً حتى اندك بالأرض فاستوى معها ، قاله الأخفشس ، ومنه قول الأغلب :

هل غيرغادٍ غاراً فانهدم ... قوله عز وجل : { وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم القوم الذين ذكرهم ذو القرنين يوم فتح السد يموج بعضهم في بعض .

الثاني : الكفار في يوم القيامة يموج بعضهم في بعض .

الثالث : أنهم الإنس والجن عند فتح السد .

وفيه وجهان :

أحدهما : يختلط بعضهم ببعض .

الثاني : يدفع بعضهم بعضاً ، مأخوذ من موج البحر .

وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا (100) الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (101) أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا (102)

قوله عز وجل : { الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي } يحتمل وجهين :

أحدهما : أن الضلال كالمغطي لأعينهم عن تَذَكُّر الانتقام .

الثاني : أنهم غفلوا عن الاعتبار بقدرته الموجبة لذكره .

{ وَكَانُوا لاَ يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً } فيه وجهان :

أحدهما : أن المراد بالسمع ها هنا العقل ، ومعناه لا يعقلون الثاني : أنه معمول على ظاهره في سمع الآذان . وفيه وجهان :

أحدهما : لا يستطيعونه استثقالاً .

الثاني : مقتاً .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قوله عز وجل : { إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً } فيه تأويلان :

أحدهما : أن النزل الطعام ، فجعل جهنم طعاماً لهم ، قاله قتادة .

الثاني : أنه المنزل ، قاله الزجاج .

(3/3)

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (104) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (105) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (106)

قوله عز وجل : { قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً } فيهم خمسة أقاويل :

أحدها : أنهم القسيسون والرهبان ، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

الثاني : أنهم الكتابيون اليهود والنصارى ، قاله سعد بن أبي وقاص .

الثالث : هم أهل حروراء من الخوارج ، وهذا مروي عن علي رضي الله عنه .

الرابع : هم أهل الأهواء .

الخامس : أنهم من يصطنع المعروف ويمن عليه .

ويحتمل سادساً : أنهم المنافقون بأعمالهم المخالفون باعتقادهم .

ويحتمل سابعاً : أنهم طالبو الدنيا وتاركو الآخرة .

قوله تعالى : { . . . فَلاَ نُقِيمُ لهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً } فيه أربعة أوجه :

أحدها : لهوانهم على الله تعالى بمعاصيهم التي ارتكبوها يصيرون محقورين لا وزن لهم .

الثاني : أنهم لخفتهم بالجهل وطيشهم بالسفه صاروا كمن لا وزن لهم . الثالث : أن المعاصي تذهب بوزنهم حتى لا يوازنوا من خفتهم شيئاً . روي عن كعب أنه قال : يجاء بالرجل يوم القيامة . فيوزن بالحبة فلا يزنها ، يوزن بجناح البعوضة فلا يزنها ، ثم قرأ : { فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً }

الرابع : أن حسناتهم تُحبَط بالكفر فتبقى سيئاتهم . فيكون الوزن عليهم لا لهم .

(4/3)

إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (107) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (108)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله عز وجل : { إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنوا وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُم جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً } في { الْفِرْدَوْسِ } خمسة أقاويل :

أحدها : أن الفردوس وسط الجنة وأطيب موضع فيها ، قاله قتادة .

الثاني : أنه أعلى الجنة وأحسنها ، رواه ضمرة مرفوعاً .

الثالث : أنه البستان بالرومية ، قاله مجاهد .

الرابع : أنه البستان الذي جمع محاسن كل بستان ، قاله الزجاج .

الخامس : أنه البستان الذي فيه الأعناب ، قاله كعب .

واختلف في لفظه على أربعة أقاويل :

أحدها : أنه عربي وقد ذكرته العرب في شعرها ، قاله ثعلب .

الثاني : أنه بالرومية ، قاله مجاهد .

الثالث : انه بالنبطية ، فرداساً ، قاله السدي .

الرابع : بالسريانية ، قاله أبو صالح .

قوله عز وجل : { خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً } أي متحولاً وفيه ثلاثة أوجه :

أحدها : بدلاً ، قاله الضحاك .

الثاني : تحويلاً ، قاله مقاتل .

الثالث : حيلة ، أي لا يحتالون منزلاً غيرها .

وقيل إنه يقول أولهم دخولاً إنما أدخلني الله أولهم لأنه ليس أحد أفضل مني ، ويقول آخرهم دخولاً إنما أخرني الله لأنه ليس أحد أعطاه الله مثل ما أعطاني .

(5/3)

قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (109)

قوله عز وجل : { قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه وعد بالثواب لمن أطاعه ، ووعيد بالعقاب لمن عصاه ، قاله ابن بحر ومثله { لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي }

الثاني : أنه العلم بالقرآن ، قاله مجاهد .

الثالث : وهذا إنما قاله الله تعالى تبعيداً على خلقه أن يُحصواْ أفعاله ومعلوماته ، وإن كانت عنده ثابتة محصية .

(6/3)

This file was downloaded from QuranicThought.com

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (110)

قوله عز وجل : { . . . فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلُ عَمَلاً صَالِحاً } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : يعني فمن كان يخاف لقاء ربه ، قاله مقاتل ، وقطرب .

الثاني : من كان يأمل لقاء ربه .

الثالث : من كان يصدّق بلقاء ربه ، قاله الكلبي .

وفي لقاء ربه وجهان :

أحدهما : معناه ثواب ربه ، قاله سعيد بن جبير .

الثاني : من كان يرجو لقاء ربه إقراراً منه بالعبث إليه والوقوف بين يديه .

{ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه الخالص من الرياء ، قاله ذو النون المصري .

الثاني : أن يلقى الله به فلا يستحي منه ، قاله يحيى بن معاذ .

الثالث : أن يجتنب المعاصي ويعمل بالطاعات .

{ وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً } فيه وجهان :

أحدهما : أن الشرك بعباته الكفر ، ومعناه لا يُعْبَد معه غيرُه ، قاله الحسن .

الثاني : أنه الرياء ، ومعناه ولا يرائي بعمله أحداً ، قاله سعيد بن جبير ، ومجاهد .

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أَخْوَفُ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَى أُمَّتِي الشِّرْكَ وَالشَّهْوَةَ الخَفِيَّةَ » قيل : أتشرك أمتك بعدك؟ قال : « لاَ ، أَمَّا أَنَّهُم لاَ يَعْبُدونَ شَمْساً وَلاَ قَمَراً وَلاَ حَجراً وَلاَ وَثَناً وَلكِنَّهُم يُرَاءُونَ بِعَمَلِهِم » فقيل : يا رسول الله وذلك شرك؟ فقال : « نَعَم » . قيل : وما الشهوة الخفية ، قال : « يُصْبِحُ أَحَدُهُم صَائِماً فَتَعْرِضُ لَهُ الشَّهْوَةُ مِن شَهَواتِ الدُّنْيَا فَيُفْطِرَ لَهَا وَيَتْرُكَ صَوْمَهُ » . وحكى الكلبي ومقاتل : أن هذه الآية نزلت في جندب بن زهير العامري أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : إنا لنعمل العمل نريد به وجه الله فيثنى به علينا فيعجبنا ، وأني لأصلي الصلاة فأطولها رجاء أن يثنى بها عليّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ أَنَا خَيرُ شَرِيكٍ فَمَنْ أَشرَكَنِي فِي عَمَلٍ يَعْمَلُهُ لِي أَحَداً مِن خَلْقِي تَرَكْتُهُ وذلِكَ الشَّرِيكَ » ونزلت فيه هذه الآية : { فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً } فتلاها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل إنها آخر آية نزلت من القرآن .

(7/3)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

كهيعص (1) ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (2) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (3) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ
مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (4) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي
عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (5) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (6)

قوله تعالى : { كهيعص } فيه ستة أقاويل :

أحدها : أنه اسم من أسماء القرآن ، قاله قتادة .

الثاني : أنه اسم من أسماء الله ، قاله علي كرم الله وجهه .

الثالث : أنه استفتاح السورة ، قاله زيد بن أسلم .

الرابع : أن اسم السورة ، قاله لحسن .

الخامس : أنه من حروف الجُمل تفسيرلا إله إلا الله ، لأن الكاف عشرون والهاء خمسة والياء عشرة والعين سبعون والصاد تسعون . كذلك عدد حروف لا إله إلا الله ، حكه أبان بن تغلب .

السادس : أنها حروف أسماء الله .

فأما الكاف فقد اختلفوا فيها من أي اسم هي على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها من كبير ، قاله ابن عباس .

الثاني : أنها من كاف ، قاله الضحاك .

الثالث : أنها من كريم ، قاله ابن جبير .

وأما الهاء فإنها من هادٍ عند جميعهم .

وأما الياء ففيها أربعة أقاويل :

أحدها : أنها من يمن ، قاله ابن عباس .

الثاني : من حكيم قاله ابن جبير .

الثالث : أنها من ياسين حكاه سالم .

الرابع : أنها من يا للنداء وفيه على هذا وجهان :

أحدهما : يا من يجيب من دعاه ولا يخيب من رجاه لما تعقبه من دعاء زكريا .

الثاني : يا من يجير ولا يجار عليه ، قاله الربيع بن أنس . وأما العين ففيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها من عزيز ، قاله ابن جبير . الثاني : أنها من عالم ، قاله ابن عباس .

الثالث : من عدل ، قاله الضحاك . وأما الصاد فإنها من صادق في قول جميعهم فهذا بيان للقول السادس .

ويحتمل سابعاً : أنها حروف من كلام أغمضت معانيه ونبه على مراده فيه يحتمل أن يكون : كفى وهدى من لا يعص فتكون الكاف من كفى والهاء من هدى والباقي حروف يعصى لأن ترك

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المعاصي يبعث على امتثال الأوامر واجتناب النواهي ، فصار تركها كافياً من العقاب وهادياً إلى الثواب وهذا أوجز وأعجز من كل كلام موجز لأنه قد جمع في حروف كلمة معاني كلام مبسوط وتعليل أحكام وشروط .

ثم ذكر حال من كفاه وهداه فقال : { ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيّآ } فذكر رحمته حين أجابه إلى ما سألِه فاحتمل وجهين :

أحدهما : أنه رحمه بإجابته له .

الثاني : أنه إجابة لرحمته له .

قوله تعالى : { . . . . نِدآءً خَفِيّاً } [فيه قولان] .

أحدهما : قاله ابن جريج ، سراً لا رياء فيه . قال قتادة إن الله يعلم القلب النقي ويسمع الصوت الخفي فأخفى زكريا نداءه لئلا ينسب إلى الرياء فيه .

الثاني : قاله مقاتل ، إنما أخفى لئلا يهزأ الناس به ، فيقولون انظروا إلى هذا الشيخ يسأل الولد .

ويحتمل ثالثاً : أن إخفاء الدعاء أخلص للدعاء وأرجى للإجابة للسنة الواردة فيه : إن الذي تدعونه ليس بأصم .

قوله تعالى : { . . . إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي } أي ضعف وفي ذكره وهن العظم دون اللحم وجهان :

(8/3)

أحدهما : أنه لما وهن العظم الذي هو أقوى كان وهن اللحم والجلد أولى .

الثاني : أنه اشتكى ضعف البطش ، والبطش إنما يكون بالعظم دون اللحم .

{ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً } هذا من أحسن الاستعارة لأنه قد ينشر فيه الشيب كما ينشر في الحطب شعاع النار .

{ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّاً } أي خائباً ، أي كنت لا تخيبني إذا دعوتك ولا تحرمني إذا سألتك .

قوله تعالى : { وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ . . . } فيهم أربعة أقاويل :

أحدها : العصبة ، قاله مجاهد وأبو صالح .

الثاني : الكلالة ، قاله ابن عباس .

الثالث : الأولياء أن يرثوا علمي دون من كان من نسلي قال لبيد :

ومولى قد دفعت الضيم عنه ... وقد أمسى بمنزلةِ المُضيمِ

الرابع : بنو العلم لأنهم كانوا شرار بني إسرائيل .

وسموا موالي لأنهم يلونه في النسب لعدم الصلب .

وفيما خافهم عليه قولان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدهما : أنه خافهم على الفساد في الأرض .

الثاني : أنه خافهم على نفسه في حياته وعلى أشيائه بعد موته .

ويجوز أن يكون خافهم على تبديل الدين وتغييره . روى كثير ابن كلثمة أنه سمع علي بن الحسين عليهما السلام يقرأ : { وَإِنّي خِفْتُ } بالتشديد بمعنى قلّت .

وفي قوله : { مِن وَرَآءِي } وجهان :

أحدهما : من قدامي وهو قول الأخفش .

الثاني : بعد موتي ، قاله مقاتل .

قوله تعالى : { . . فَهَبْ لِي مِن لَّدنك وَلِيّاً يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ } فيه أربعة أوجه :

أحدها : يرثني مالي ويرث من آل يعقوب النبوة ، قاله أبو صالح .

الثاني : يرثني ويرث من آل يعقوب العلم والنبوة ، قاله الحسن .

الثالث : يرثني النبوة ويرث من آل يعقوب الأخلاق ، قاله عطاء .

الرابع : يرثني العلم ويرث من آل يعقوب الملك ، قاله ابن عباس ، فأجابه الله إلى وراثة العلم ويرث من آل يعقوب الملك ، قاله ابن عباس . فأجابه الله إلى وراثة العلم ولم يجبه إلى وارثة الملك . قال الكلبي : وكان آل يعقوب أخواله وهو يعقوب بن ماثان وكان فيهم الملك ، وكان زكريا من ولد هارون بن عمران أخي موسى . قال مقاتل ويعقوب بن ماثان هو أخو عمران أبي مريم لأن يعقوب وعمران إبنا ماثان ، فروى قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يَرْحَمُ اللَّهُ زَكَرِيَّآ مَا كَانَ عَلَيهِ مِن وَرثَتِهِ

» . { وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً } فيه وجهان :

أحدهما : مرضياً في أخلاقه وأفعاله .

الثاني : راضياً بقضائك وقدرك .

ويحتمل ثالثاً : أن يريد نبياً .

(9/3)

يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (7)

قوله تعالى : { يَا زَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلاَمٍ اسْمُهُ يَحْيَى } فتضمنت هذه البشرى ثلاثة أشياء :

أحدها : إجابة دعائه وهي كرامة .

الثاني : إعطاؤه الولد وهو قوة .

الثالث : أن يفرد بتسميته . فدل ذلك على أمرين :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدهما : اختصاصه به . الثاني : على اصطفائه له . قال مقاتل سماه يحيى لأنه صبي بين أب شيخ وأم عجوز

{ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيّاً } فيه ثلاثة اقاويل :

أحدها : أي لم تلد مثله العواقر ، قاله ابن عباس . فيكون المعنى لم نجعل له مثلاً ولا نظيراً .

الثاني : أنه لم نجعل لزكريا من قبل يحيى ولداً ، قاله مجاهد .

الثالث : أي لم يسم قبله باسمه أحد ، قاله قتادة .

(10/3)

قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (8) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (9)

قوله تعالى : { . . . أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ } أي ولد .

{ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً } أي لا تلد وفي تسميتها عاقراً وجهان :

أحدهما : لأنها تصير إذا لم تلد كأنها تعقر النسل أي تقطعه .

الثاني : لأن في رحمها عقراً يفسد المني ، ولم يقل ذلك عن شك بعد الوحي ولكن على وجه الاستخبار : أتعيدنا شابين؟ أو ترزقنا الولد شيخين؟

{ وقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيّاً } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : يعني سناً ، قاله قتادة . الثاني : أنه نحول العظم ، قاله ابن جريج .

الثالث : أنه الذي غيره طول الزمان إلى اليبس والجفاف ، قاله ابن عيسى قال الشاعر :

إنما يعذر الوليد ولا يعذر ... من كان في الزمان عتياً

قال قتادة : كان له بضع وسبعون سنة وقال مقاتل خمس وتسعون سنة . وقرأ ابن عباس : { عِسِيّاً } وهي كذلك في مصحف أبي من قولهم للشيخ إذا كبر : قد عسا وعتا ومعناهما واحد .

(11/3)

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آَيَةً قَالَ آَيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (10) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (11)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله تعالى : { . . . اجْعَل لِّي ءَايَةً } أي علامة وفيها وجهان :

أحدهما : أنه سأل الله آية تدله على البشرى بيحيى منه لا من الشيطان لأن إبليس أوهمه ذلك ، قاله الضحاك .

الثاني : سأله آية تدله على أن امرأته قد حملت .

{ قَالَ ءَايَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَ لَيَالٍ سَوِيّاً } فيه وجهان :

أحدهما : أنه اعتقل لسانه ثلاثاً من غير مرض وكان إذا أراد أن يذكر الله انطلق لسانه وإذا أراد أن يكلم الناس اعتقل ، وكانت هذه الآية ، قاله ابن عباس

الثاني : اعتقل من غير خرس ، قاله قتادة والسدي .

{ سَوِيّاً } فيه تأويلان :

أحدهما : صحيحاً من غير خرس ، قاله قتادة .

الثاني : ثلاث ليال متتابعات ، قاله عطية ، فيكون السوي على الوجه الأول راجعاً إلى لسانه ، وعلى الثاني إلى الليالي .

قوله تعالى : { فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ المِحْرَابِ } قال ابن جريج أشرف على قومه من المحراب . وفي { الْمِحْرَابِ } وجهان :

أحدهما : أنه مصلاة ، قاله ابن زيد .

الثاني : أنه الشخص المنصوب للتوجه إليه في الصلاة .

وفي تسميته محراباً وجهان :

أحدهما : أنه للتوجه إليه في صلاته كالمُحَارِب للشيطان صلاته .

الثاني : أنه مأخوذ من منزل الأشراف الذي يحارب دونه ذباً عن أهله فكأن الملائكة تحارب عن المصلي ذباً عنه ومنعاً منه .

{ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيّاً } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أوصى إليهم ، قاله ابن قتيبة .

الثاني : أشار إليهم بيده ، قاله الكلبي .

الثالث : كتب على الأرض . والوحي في كلام العرب الكتابة ومنه قول جرير :

كأن أخا اليهود يخط وحياً ... بكافٍ من منازلها ولام

{ أَنَ سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيّاً } أي صلواْ بكرة وعشياً ، قاله الحسن وقتادة ، وقيل للصلاة تسبيح لما فيها من التسبيح .

(12/3)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (12) وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (13) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا (14) وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (15)

قوله تعالى : { يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ } وفي قائله قولان :

أحدهما : أنه قول زكريا ليحيى حين نشأ .

الثاني : قول الله ليحيى حين بلغ .

وفي هذا { الْكِتَابَ } قولان :

أحدهما : صحف إبراهيم .

الثاني : التوراة .

{ بِقُوَّةٍ } فيه وجهان :

أحدهما : بجد واجتهاد ، قاله مجاهد .

الثاني : العمل بما فيه من أمر والكف عما فيه من نهي ، قاله زيد بن أسلم .

{ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً } فيه أربعة أوجه :

أحدها : اللب ، قاله الحسن .

الثاني : الفهم ، قاله مقاتل .

الثالث : الأحكام والمعرفة بها .

الرابع : الحكمة . قال معمر : إن الصبيان قالوا ليحيى إذهب بنا نلعب فقال ما للعب خلقت ، فأنزل الله { وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً } . قاله مقاتل وكان ابن ثلاث سنين .

قوله تعالى : { وَحَنَاناً مِّن لَّدُنَّا } فيه ستة تأويلات :

أحدها : رحمة من عندنا ، قاله ابن عباس وقتادة ، ومنه قول الشاعر :

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا ... حنانيكَ بعض الشر أهون من بعض

أي رحمتك وإحسانك .

الثاني : تعطفاً ، قاله مجاهد .

الثالث : محبة ، قاله عكرمة .

الرابع : بركة ، قاله ابن جبير .

الخامس : تعظيماً .

السادس : يعني آتينا تحنناً على العباد .

ويحتمل سابعاً : أن يكون معناه رفقاً ليستعطف به القلوب وتسرع إليه الإجابة { وَزَكَاةً } فيها هنا ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنها العمل الصالح الزاكي ، قاله ابن جريج .

الثاني : زكيناه بحسن الثناء كما يزكي الشهود إنساناً .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثالث : يعني صدقة به على والديه ، قاله ابن قتيبة . { وَكَانَ تَقِيّاً } فيه وجهان :
أحدهما مطيعاً لله ، قاله الكلبي . الثاني : باراً بوالديه ، قاله مقاتل .

(13/3)

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (16) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (18) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (19) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (20) قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (21)

قوله تعالى : { وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ } يعني في القرآن { إِذ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا } فيه وجهان :
أحدهما : انفردت ، قاله قتادة .
الثاني : اتخذت .
{ مَكَاناً شَرْقِياً } فيه ثلاثة أوجه :
أحدها : ناحية المشرق ، قاله الأخفش ولذلك اتخذت النصارى المشرق قبلة .
الثاني : مشرقة داره التي تظلها الشمس ، قاله عطية .
الثالث : مكاناً شاسعاً بعيداً ، قاله قتادة .
قوله تعالى : { فاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً } فيه ثلاثة أقاويل :
أحدها : حجاباً من الجدران ، قاله السدي .
الثاني : حجاباً من الشمس جعله الله ساتراً ، قاله ابن عباس
الثالث : حجاباً من الناس ، وهو محتمل ، وفيه وجهان :
أحدهما : أنها اتخذت مكاناً تنفرد فيه للعبادة .
الثاني : أنها اتخذت مكاناً تعتزل فيه أيام حيضها .
{ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا } الآية : فيه قولان :
أحدهما : يعني الروح التي خلق منها المسيح حتى تمثل لها بشراً سوياً .
الثاني : أنه جبريل ، قاله الحسن وقتادة ، والسدي ، وابن جريج ، وابن منبه .
وفي تسميته له روحاً وجهان :
أحدهما : لأنه روحاني لا يشوبه شيء غير الروح ، وأضافه إليه بهذه الصفة تشريفاً له .
الثاني : لأنه تحيا به الأرواح .
واختلفوا في سبب حملها على قولين :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدهما : أن جبريل نفخ في جيب درعها وكُمِّهَا فَحَمَلَتْ ، قاله ابن جريج ، منه قول أميه بن أبي الصلت :

فأهوى لها بالنفخ في جيب درعها ... فألقت سويّ الخلق ليس بتوأم

الثاني : أنه ما كان إلا أن حملت فولدته ، قاله ابن عباس .

واختلفوا في مدة حملها على أربعة أقاويل : أحدها : تسعة أشهر ، قاله الكلبي . الثاني : تسعة أشهر . حكى لي ذلك أبو القاسم الصيمري .

الثالث : يوماً واحداً .

الرابع : ثمانية أشهر ، وكان هذا آية عيسى فإنه لم يعش مولوداً لثمانية أشهر سواه .

قوله تعالى : { قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً } لأن مريم خافت جبريل على نفسها حين دنا فقالت { إِنِّي أَعُوذُ } أي أمتنع { بِالرَّحْمَنِ مِنكَ } فاستغاثت بالله في امتناعها منه .

فإن قيل : فلم قالت { إن كُنتَ تَقِيّاً } والتقي مأمون وإنما يستعاذ من غير التقي؟

ففيه وجهان : أحدهما : أن معنى كلامها إن كنت تقياً لله فستمتنع من استعاذتي وتنزجر عني من خوفه ، قاله أبو وائل .

الثاني : أنه كان اسماً لرجل فاجر من بني إسرائيل مشهور بالعهر يُسَمَّى تقياً فخافت أن يكون الذي جاءها هو ذلك الرجل المسمى تقياً الذي لا يأتي إلا للفاحشة فقالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً ، قاله بن عباس .

(14/3)

فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (22) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (23)

قوله تعالى : { فَأَجَآءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ } فيه وجهان :

أحدهما : معناه ألجأها ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، ومنه قول الشاعر :

إذ شددنا شدة صادقة ... فأجأناكم إلى سفح الجبل

الثاني : معناه فجأها المخاض كقول زهير :

وجارٍ سارَ معتمداً إلينا ... أجاءته المخافة والرجاء .

وفي قراءة ابن مسعود { فَأَوَاهَا }

{ قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنها خافت من الناس أن يظنوا بها سوءاً قاله السدي .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
الثاني : لئلا يأثم الناس بالمعصية في قذفها .
الثالث : لأنها لم ترَ في قومها رشيداً ذا فراسة ينزهها من السوء ، قاله جعفر بن محمد رحمهما الله .
{ وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً } فيه خمسة تأويلات :
أحدها : لم أخلق ولم أكن شيئاً ، قاله ابن عباس .
الثاني : لا أعرف ولا يدرى من أنا ، قاله قتادة .
الثالث : النسي المنسي هو السقط ، قاله الربيع ، وأبو العالية .
الرابع : هو الحيضة الملقاة ، قاله عكرمة ، بمعنى خرق الحيض .
الخامس : معناه وكنت إذا ذكرت لم أطلب حكاه اليزيدي . والنسي عندهم في كلامهم ما أعقل من شيء حقير قال الراجز :
كالنسي ملقى بالجهاد البسبس . . . .

(15/3)

فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (25) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (26)

قوله تعالى : { فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهآ أَلاَّ تَحْزَنِي } فيه قولان :
أحدهما : أن المنادي لها من تحتها جبريل ، قاله ابن عباس ، وقتادة ، والضحاك ، والسدي .
الثاني : أنه عيسى ابنها ، قاله الحسن ، ومجاهد .
وفي قوله من تحتها وجهان :
أحدهما : من أسفل منها في الأرض وهي فوقه على رأسه ، قاله الكلبي .
الثاني : من بطنها : قاله بعض المتكلمين ، بالقبطية .
{ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً } فيه قولان :
أحدهما : أن السريّ هو ابنها عيسى ، لأن السري هو الرفيع الشريف مأخوذ من قولهم فلان من سروات قومه أي من أشرافهم ، قاله الحسن ، فعلى هذا يكون عيسى هو المنادي من تحتها { قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً }
الثاني : أن السريّ هو النهر ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وابن جبير ، وقتادة ، والضحاك ، لتكون النخلة لها طعاماً ، والنهر لها شراباً ، وعلى هذا يكون جبريل هو المنادي لها { قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً } .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الثاني : أنه عربي مشتق من السراية فَسُمِّيَ السريّ لأنه يجري فيه ومنه قول الشاعر :

سهل الخليقة ماجد ذو نائلٍ ... مثل السريّ تمده الأنهار

وقيل : إن اسم السري يطلق على ما يعبره الناس من الأنهار وثباً . وروى أبان بن تغلب في تفسيره القرآن خبراً عن عدد لم يسمهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث شداد بن ثمامة مصدقاً لبني كعب بن مذحج وكتب له كتاباً : « عَلَى مَا سَقَتْهُ المَرَاسِمُ وَالجَدَاوِلُ وَالنَّوَاهِرُ وَالدَّوَافِعُ العُشْرُ وَنِصْفُ العشر بقيمة عَدْلٍ إلاَّ الضَّوَامَرَ وَاللَّوَاقِحَ وَمَا َ أطل الصور من الجفن . وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ شَاةً شَاةٌ إلاَّ العَقِيلَ وَالأَكِيلَ وَالربيَّ . ومن كل ثلاثين بقرةً جِذْعٌ أَوْ جِذْعَةٌ إلاَّ العَاقِرَ وَالنَّاشِطَ وَالرَّاشِحَ . وَمِن كُلِّ خَمْسٍ مِنَ الإِبلِ المُوَّبلَةِ مُسِنَّةٌ مِنَ الغَنَمِ . وَلاَ صَدَقَةَ فِي الخَيلِ وَلاَ فِي الإِبلِ العَامِلَةِ . شَهِدَ جَرِيرٌ بن عَبدِ اللَّهِ بن جَابِرٍ البَجْلِي وَشَدَّادُ بن ثُمَامَةَ وَكَتَبَ المُغِيرَةُ بن شُعْبَةِ » فالمراسل العيون ، والجداول الأنهار الصغار ، والنواهر الدوالي ، والدوافع الأودية ، والضوامر ما لم تحمل من النخل ، واللواقح الفحول ، والجفن الكرم ، وما أطلاه من الزرع عفو ، والعقيل فحل الغنم والأَيل الذي يُرَبَّى للأكل . والربي التي تربي ولدها والعاقر من البقر التي لا تحمل ، والناشط الفحل الذي ينشط من أرض إلى أرض والراشح الذي يحرث الأرض .

قوله تعالى : { وَهُزِّي إِلَيكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ . . . . } الآية . اختلف في النخلة . على أربعة أقاويل :

أحدها : كانت برنية .

الثاني : صرفاتة ، قاله أبو داود .

الثالث : قريناً .

الرابع : عجوة ، قاله مجاهد .

وفي { الجَنِي } ثلاثة أقاويل :

أحدها : المترطب البسر ، قاله مقاتل .

الثاني : البلح لم يتغير ، قاله أبو عمرو بن العلاء .

الثالث : أنه الطري بغباره . وقيل لم يكن للنخلة رأس وكان في الشتاء فجعله الله آية . قال مقاتل فاخضرت وهي تنظر ثم حملت وهي تنظر ثم نضجت وهي تنظر .

قوله تعالى : { فَكُلِي } يعني من الرطب الجني .

{ وَاشْرَبِي } يعني من السريّ .

{ وَقَرِّي عَيْناً } يعني بالولد ، وفيه ثلاثة أوجه :

أحدها : جاء يقر عينك سروراً ، قاله الأصمعي ، لأن دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثاني : طيبي نفساً ، قاله الكلبي .

الثالث : تسكن عينك ولذلك قيل ما شيء خير للنفساء من الرطب والتمر .

{ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً } يعني إما للإنكار عليك وإما للسؤال لك .

{ فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً } فيه تأويلان :

أحدهما : يعني صمتاً ، وقد قرىء في بعض الحروف : { لِلرَّحَمْنِ صَمْتاً } وهذا تأويل ابن عباس وأنس بن مالك والضحاك .

الثاني : صوماً عن الطعام والشراب والكلام ، قاله قتادة . { فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً } فيه وجهان :

أحدهما : أنها امتنعت من الكلام ليتكلم عنها ولدها فيكون فيه براءة ساحتها ، قاله ابن مسعود ووهب بن منبه وابن زيد .

الثاني : أنه كان من صام في ذلك الزمان لم يكلم الناس ، فأذن لها في المقدار من الكلام قاله السدي .

(17/3)

فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (27) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (28) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (33)

قوله تعالى : { . . . شَيْئاً فَرِيّاً } فيه خمسة تأويلات :

أحدها : أنه القبيح من الإفتراء ، قاله الكلبي .

الثاني : أنه العمل العجيب ، قاله الأخفش .

الثالث : العظيم من الأمر ، قاله مجاهد ، وقتادة ، والسدي .

الرابع : أنه المتصنع مأخوذ من الفرية وهو الكذب ، قاله اليزيدي .

الخامس : أنه الباطل .

قوله تعالى : { يَآ أُخْتَ هَارُونَ . . . } وفي هذا الذي نسبت إليه أربعة أقاويل :

أحدها : أنه كان رجلاً صالحاً من بني إسرائيل ينسب إليه من يعرف بالصلاح ، قاله مجاهد وكعب ، والمغيرة بن شعبة يرفعه للنبي صلى الله عليه وسلم

الثاني : أنه هارون أخو موسى فنسبت إليه لأنها من ولده كما يقال يا أخا بني فلان ، قاله السدي .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الثالث : أنه كان أخاها لأبيها وأمها ، قاله الضحاك .

الرابع : أنه كان رجلاً فاسقاً معلناً بالفسق ونسبت إليه ، قاله ابن جبير .

{ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً } أي زانية . وسميت الزانية بغياً لأنها تبغي الزنا أي تطلبه .

قوله تعالى : { فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ } فيه قولان :

أحدهما : أشارت إلى الله فلم يفهموا إشارتها ، قاله عطاء .

الثاني : أنها أشارت إلى عيسى وهو الأظهر ، إما عن وحي الله إليها ، وإما لثقتها بنفسها في أن الله تعالى سيظهر براءتها ، فأشارت إلى الله إليها ، فأشارت إلى عيسى أن كلموه فاحتمل وجهين :

أحدهما : أنها أحالت الجواب عليه استكفاء .

الثاني : أنها عدلت إليه ليكون كلامه لها برهاناً ببراءتها .

{ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ } وفي { كَانَ } في هذا الموضع وجهان :

أحدهما : أنها بمعنى يكون تقديره من يكون في المهد صبياً قاله ابن الأنباري .

الثاني : أنها صلة زائدة وتقديره من هو في المهد ، قاله ابن قتيبة .

وفي { الْمَهْدِ } وجهان :

أحدهما : أنه سرير الصبي المعهود لمنامه .

الثاني : إنه حجرها الذي تربيه فيه ، قاله قتادة . وقيل إنهم غضبوا وقالوا : لسخريتها بنا أعظم من زناها ، قاله السدي . فلما تكلم قالوا : إن هذا لأمر عظيم .

{ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ } وإنما قدم إقراره بالعبودية ليبطل به قول من ادعى فيه الربوبية وكان الله هو الذي أنطقه بذلك لعلمه بما يتقوله الغالون فيه .

{ ءَآتَانِيَ الْكِتَابَ } أي سيؤتيني الكتاب .

{ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً } فيه وجهان :

أحدهما : وسيجعلني نبياً ، والكلام في المهد من مقدمات نبوته .

الثاني : أنه كان في حال كلامه لهم في المهد نبياً كامل العقل ولذلك كانت له هذه المعجزة ، قاله الحسن . وقال الضحاك : تكلم وهو ابن أربعين . [يوماً] .

قوله تعالى : { وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : نبياً ، قاله مجاهد .

الثاني : آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر .

الثالث : معلماً للخير ، قاله سفيان .

الرابع : عارفاً بالله وداعياً إليه .

{ وأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ } فيها وجهان :

أحدهما : الدعاء والإخلاص . الثاني : الصلوات ذات الركوع والسجود .

ويحتمل ثالثاً : أن الصلاة الإستقامة مأخوذ من صلاة العود إذا قوّم اعوجاجه بالنار .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

{ وَالزَّكَاة . . } فيها وجهان :

أحدهما : زكاة المال .

الثاني : التطهير من الذنوب .

ويحتمل ثالثاً : أن الزكاة الاستكثار من الطاعة ، لأن الزكاة في اللغة النماء والزيادة .

(18/3)

قوله تعالى : { وَبَرَّاً بِوَالِدَتِي } يحتمل وجهين : أحدهما : بما برأها به من الفاحشة .

الثاني : بما تكفل لها من الخدمة .

{ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً } فيه وجهان :

أحدهما : أن الجبار الجاهل بأحكامه ، الشقي المتكبر عن عبادته .

الثاني : أن الجبار الذي لا ينصح ، والشقي الذي لا يقبل النصيحة .

ويحتمل ثالثاً : أن الجبار الظالم للعباد ، والشقي الراغب في الدنيا .

قوله تعالى : { وَالْسَّلاَمُ عَلَيَّ . . . } الآية . فيه وجهان :

أحدهما : يعني بالاسلام السلامة ، يعني في الدنيا ، { وَيَوْمَ أَمُوتُ } يعني في القبر ، { وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيَّاً } يعني في الآخرة ، لأن له أحوالاً ثلاثاً : في الدنيا حياً ، وفي القبر ميتاً ، وفي الآخرة مبعوثاً ، فسلم في أحواله كلها ، وهو معنى قول الكلبي .

الثاني : يعني بالسلام { يَوْمَ وُلِدتُّ } سلامته من همزة الشيطان فإنه ليس مولود يولد إلا همزه الشيطان وذلك حين يستهل ، غير عيسى فإن الله عصمه منها . وهو معنى قوله تعالى : { وَإِنِّي أُعِذُهَا وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } { وَيَوْ ْمَ أَمُوتُ } يعني سلامته من ضغطة القبر لأنه غير مدفون في الأرض { وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً } لم أر فيه على هذا الوجه ما يُرضي .

ويحتمل أن تأويله على هذه الطريقة سلامته من العرض والحساب لأن الله ما رفعه إلى السماء إلا بعد خلاصه من الذنوب والمعاصي .

قال ابن عباس ثم انقطع كلامه حتى بلغ مبلغ الغلمان .

(19/3)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا
قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (35) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (36)
فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (37)

قوله تعالى : { ذلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن الحق هو الله تعالى .

الثاني : عيسى وسماه حقاً لأنه جاء بالحق .

الثالث : هو القول الذي قاله عيسى من قبل .

{ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ } فيه وجهان :

أحدهما : يشكّون ، قاله الكلبي .

الثاني : يختلفون لأنهم اختلفوا في الله وفي عيسى ، فقال قوم هو الله ، وقال آخرون هو ابن الله ، وقال آخرون هو ثالث ثلاثة . وهذه الأقاويل الثلاثة للنصارى .

وقال المسلمون : هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم .

ونسبته اليهود إلى غير رشدة فهذا معنى قوله : { الَّذِي فِيهِ تَفْتَرُونَ } بالفاء معجمة من فوق .

قال ابن عباس ففرّ بمريم ابن عمها معها ابنها إلى مصر فكانواْ فيها اثنتي عشرة سنة حتى مات الملك الذي كانوا يخافونه .

(20/3)

أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (38) وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ
قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (39) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ
(40) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (41) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ
وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (42) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ
صِرَاطًا سَوِيًّا (43) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (44) يَا أَبَتِ إِنِّي
أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (45)

قوله تعالى : { أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ } فيه وجهان :

أحدهما : يعني لئن كانوا في لدنيا صماً عمياً عن الحق فما أسمعهم له وأبصرهم به في الآخرة يوم القيامة ، قاله الحسن ، وقتادة .

الثاني : أسمع بهم اليوم وأبصر كيف يصنع بهم يوم القيامة يوم يأتوننا ، قاله أبو العالية .

ويحتمل ثالثا : أسمع أمّتك بما أخبرناك من حالهم فستبصر يوم القيامة ما يصنع بهم .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قوله تعالى : { وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ } فيه وجهان :

أحدهما : يوم القيامة إذا قضي العذاب عليهم ، قاله الكلبي .

الثاني : يوم الموت إذ قضى الموت انقطاع التوبة واستحقاق الوعيد ، قاله مقاتل .

(21/3)

قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آَلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (46) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ
سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (47) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا
أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (48)

قال تعالى : { . . . لأَرْجُمَنَّكَ } فيه وجهان :

أحدهما : بالحجارة حتى تباعد عني ، قاله الحسن .

الثاني : لأرجمنك بالذم باللسان والعيب بالقول ، قاله الضحاك ، والسدي ، وابن جريج .

{ وَاهْجُرنِي مَلِيّاً } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : دهراً طويلاً ، قاله الحسن ، ومجاهد ، وابن جبير ، والسدي ، ومنه قول مهلهل .

فتصدعت صم الجبال لموته ... وبكت عليه المرملات ملياً

الثاني : سوياً سليماً من عقوبتي ، قاله ابن عباس ، وقتادة ، والضحاك ، وعطاء .

الثالث : حيناً ، قاله عكرمة .

قوله تعالى : { قَالَ سَلاَمٌ عَلَيكَ } هذا سلام إبراهيم على أبيه ، وفيه وجهان :

أحدهما : أنه سلام توديع وهجر لمقامه على الكفر ، قاله ابن بحر .

الثاني : وهو أظهر أنه سلام بر وإكرام ، فقابل جفوة أبيه بالبر تأدية لحق الأبوة وشكراً لسالف التربية .

ثم قال : { سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي } وفيه وجهان :

أحدهما : سأستغفر لك إن تركت عبادة الأوثان .

الثاني : معناه سأدعوه لك بالهداية التي تقتضي الغفران . { إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً } فيه خمسة أوجه :

أحدها : مُقَرَّباً .

الثاني : مُكْرِماً .

الثالث : رحيماً ، قاله مقاتل .

الرابع : عليماً ، قاله الكلبي .

الخامس : متعهداً .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

(22/3)

فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (49) وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (50)

قوله تعالى : { . . . وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً } فيه وجهان :

أحدهما : جعلنا لهم ذكراً جميلاً وثناءً حسناً ، قاله ابن عباس ، وذلك أن جمع الملك بحسن الثناء عليه .

الثاني : جعلناهم رسلاً لله كراماً على الله ، ويكون اللسان بمعنى الرسالة : قال الشاعر :

أتتني لسان بني عامر ... أحاديثها بعد قول ونكر .

ويحتمل قولاً [ثالثاً] أن يكون الوفاء بالمواعيد والعهود .

(23/3)

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (51) وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (52) وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا (53)

قوله تعالى : { وَنَادَينَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ } والطور جبل بالشام ناداه الله من ناحيته اليمنى . وفيه وجهان :

أحدهما : من يمين موسى . الثاني : من يمين الجبل ، قاله مقاتل .

{ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه قربه من الموضع الذي شرفه وعظمه بسماع كلامه .

الثاني : أنه قربه من أعلى الحجب حتى سمع صريف القلم ، قاله ابن عباس ، وقال غيره : حتى سمع صرير القلم الذي كتب به التوراة .

الثالث : أنه قربه تقريب كرامة واصطفاء لا تقريب اجتذاب وإدناء لأنه لا يوصف بالحلول في مكان دون مكان فيقرب من بعد أو يبعد من قرب ، قاله ابن بحر .

وفي قوله : { نَجِيّاً } ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه مأخوذ من النجوى ، والنجوى لا تكون إلا في الخلوة ، قاله قطرب .

الثاني : نجاه لصدقه مأخوذ من النجاة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثالث : رفعه بعد التقريب مأخوذ من النجوة وهو الإرتفاع ، قال الحسن لم يبلغ موسى من الكلام الذي ناجاه به شيئاً .

(24/3)

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (54) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (55)

قوله تعالى : { وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ } وصفه بصدق الوعد لأنه وعد رجلاً أن ينتظره ، قال ابن عباس : حولاً حتى أتاه . وقال يزيد الرقاشي : انتظره اثنين وعشرين يوماً . وقال مقاتل : انتظره ثلاثة أيام .

{ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ } فيه وجهان :

أحدهما : يأمر قومه فسماهم أهله .

الثاني : أنه بدأ بأهله قبل قومه . وفي الصلاة والزكاة ما قدمناه . وهو على قوله الجمهور : إسماعيل بن إبراهيم . وزعم بعض المفسرين أنه ليس بإسماعيل بن إبراهيم لأن إسماعيل مات قبل إبراهيم ، وإن هذا هو إسماعيل بن حزقيل بعثه الله إل قومه فسلخوا جلدة رأسه ، فخيره الله تعالى فيما شاء من عذابهم فاستعفاه ورضي بثوابه وفوض أمرهم إليه في عفوه أو عقوبته .

(25/3)

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (56) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (57)

قوله تعالى : { . . . . وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً } فيه قولان :

أحدهما : أن إدريس رفع إلى السماء الرابعة ، وهذا قول أنس بن مالك في حديث مرفوع ، وأبي سعيد الخدري ، وكعب ، ومجاهد .

الثاني : رفعه إلى السماء السادسة ، قاله ابن عباس ، والضحاك ، وهو مرفوع في السماء .

واختلفوا في موته فيها على قولين :

أحدهما : أنه ميت فيها ، قاله مقاتل وقيل أنه مات بين السماء الرابعة والخامسة .

الثاني : أنه حيّ فيها لم يمت مثل عيسى . روى ابن إسحاق أن إدريس أول من أُعْطِي النبوة من ولد آدم وأول من خط بالقلم ، وهو أخنوخ بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن آنوش بن شيث بن آدم .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وحكى ابن الأزهر عن وهب بن منبه أن إدريس أول من اتخذ السلاح وجاهد في سبيل الله وسبى ، ولبس الثياب وإنما كانوا يلبسون الجلود ، وأول من وضع الأوزان والكيول ، وأقام علم النجوم ، والله أعلم .

(26/3)

أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا (58)

قوله تعالى : { . . . خَرّواْ سُجَّداً وَبُكِيّاً } أي سُجّداً لله ، وبكياً جمع باك ، ليكون السجود رغبة والبكاء رهبة . وقد روي في الحديث : « فَهذَا السُّجُودُ فَأَينَ البُكَاءُ؟ » يعني هذه الرغبة فأين الرهبة؟ لأن الطاعة لا تخلص إلا بالرغبة والرهبة .

(27/3)

فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (59) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (60)

قوله تعالى : { فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ } الآية . في الفرق بين الخلْف بتسكين اللام والخلف بتحريكها وجهان :

أحدهما : أنه بالفتح إذا خلفه من كان من أهله ، وبالتسكين إذا خلفه من ليس من أهله .

الثاني : أن الخلْف بالتسكين مستعمل في الذم ، وبالفتح مستعمل في المدح قال لبيد :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت في خلفٍ كجلد الأجْرب

وفي هذا الخلف قولان :

أحدهما : أنهم اليهود من بعد ما تقدم من الأنبياء ، قاله مقاتل . الثاني : أنهم من المسلمين .

فعلى هذا في قوله { من بَعْدِهِم } قولان :

أحدهما : من بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، من عصر الصحابة وإلى قيام الساعة كما روى الوليد بن قيس حكاه إبراهيم عن عبيدة .

الثاني : إنهم من بعد عصر الصحابة . روى الوليد بن قيس عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَكُونُ بَعْدَ سِتِّينَ سَنَةً { خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاَةَ } » . الآية .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وفي إضاعتهم الصلاة قولان :

أحدهما : تأخيرها عن أوقاتها ، قال ابن مسعود وعمر بن عبد العزيز .

الثاني : تركها ، قاله القرظي .

ويحتمل ثالثاً : أن تكون إضاعتها الإخلال باستيفاء شروطها .

{ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً } فيه خمسة أقاويل :

أحدها : أنه واد في جهنم ، قالته عائشة وابن مسعود .

الثاني : أنه الخسران ، قاله ابن عباس .

الثالث : أنه الشر ، قاله ابن زيد .

الرابع : الضلال عن الجنة . الخامس : الخيبة ، ومنه قول الشاعر :

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره ... ومن يغو لا يعدم على الغي لائماً

من يغو : أي من يخب .

(28/3)

جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا (61) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (62) تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا (63)

قوله تعالى : { لاَّ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً } فيه وجهان :

أحدهما : الكلام الفاسد .

الثاني : الخلف ، قاله مقاتل .

{ إِلاَّ سَلاَماً } فيه وجهان :

أحدهما : إلا السلامة .

الثاني : تسليم الملائكة عليهم ، قاله مقاتل .

{ وَلَهُمْ رَزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشيّاً } فيه وجهان :

أحدهما : أن العرب إذا أصابت الغداء والعشاء نعمت ، فأخبرهم الله أن لهم في الجنة غداء وعشاء ، وإن لم يكن في الجنة ليل ولا نهار .

الثاني : معناه مقدار البكرة ومقدار العشي من أيام الدنيا ، قاله ابن جريج . وقيل إنهم يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وغلق الأبواب ، ومقدار النهار . برفع الحجب وفتح الأبواب .

ويحتمل أن تكون البكرة قبل تشاغلهم بلذاتهم ، والعشي بعد فراغهم من لذاتهم ، لأنه يتخللها فترات انتقال من حال إلى حال .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (64) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (65)

قوله تعالى : { وَمَا نَتَنَزَّلُ إلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ } فيه قولان :

أحدهما : أنه قول أهل الجنة : إننا لا ننزل موضعاً من الجنة إلا بأمر الله ، قاله ابن بحر .

الثاني : أنه قول جبريل عليه السلام ، لما ذكر أن جبريل أبطأ على النبي صلى الله عليه وسلم باثنتي عشرة ليلة ، فلما جاءه قال : « غِبْتَ عَنِّي حَتَّى ظَنَّ المُشْرِكُونَ كلَّ ظَنٍ » . فنزلت { وَمَا نَتَنَزَّلُ إلاَّ بِأَمْرِ ربِّكَ }

ويحتمل وجهين :

أحدهما : إذا أُمِرْنَا نزلنا عليك .

الثاني : إذا أَمَرَكَ ربك نَزَّلَنا عليك الأمر على الوجه الأول متوجهاً إلى النزول ، وعلى الثاني متوجهاً إلى التنزيل .

{ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا } فيه قولان :

أحدهما : { مَا بَيْنَ أَيْدِينَا } من الآخرة ، { وَمَا خَلْفَنَا } من الدنيا .

{ وَمَا بَيْنَ ذلِكَ } يعني ما بين النفختين ، قاله قتادة .

والثاني : { مَا بَيْنَ أَيْدِينَا } أي ما مضى أمامنا من الدنيا ، { وَمَا خَلْفَنَا } ما يكون بعدنا من الدنيا والآخرة . { وَمَا بَيْن ذَلِكَ } ما مضى من قبل وما يكون من بعد ، قاله ابن جرير .

ويحتمل ثالثاً : { مَا بَيْنَ أَيْدِينَا } : السماء ، { وَمَا خلْفَنَا } : الأرض . { وَمَا بَيْنَ ذلِكَ } ما بين السماء والأرض .

{ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً } فيه وجهان :

أحدهما : أي ما نسيك ربك .

الثاني : وما كان ربك ذا نسيان .

قوله عز وجل : { . . . . هَل تعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً } فيه أربعة أوجه :

أحدها : يعني مِثْلاً وشبيهاً ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، مأخوذ من المساماة .

الثاني : أنه لا أحد يسمى بالله غيره ، قاله قتادة ، والكلبي .

الثالث : أنه لا يستحق أحد أن يسمى إلهاً غيره .

الرابع : هل تعلم له من ولد ، قاله الضحاك ، قال أبو طالب :

أمّا المسمى فأنت منه مكثر ... لكنه ما للخلود سبيلُ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (66) أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا (67) فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (68) ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا (69) ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا (70)

قوله عز وجل : { . . . حَوْلَ جَهَنَّمَ } فيها قولان :

أحدهما : أن جهنم اسم من أسماء النار .

الثاني : أنه إسم لأعمق موضع في النار ، كالفردوس الذي هو اسم لأعلى موضع في الجنة .

{ جِثِيّاً } فيه قولان :

أحدهما : [جماعات] ، قاله الكلبي والأخفش .

الثاني : بُروكاً على الرُّكَب ، قاله عطية .

قوله عز وجل : { ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ } الشيعة الجماعة المتعاونون . قال مجاهد : والمراد بالشيعة الأمة لاجتماعهم وتعاونهم .

وفي { ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ } وجهان :

أحدهما : لننادين ، قاله ابن جريج .

الثاني : لنستخرجن ، قاله مقاتل .

{ عِتِيّاً } فيه خمسة أوجه :

أحدها : أهل الإفتراء بلغة بني تميم ، قاله بعض أهل اللغة .

الثاني : جرأة ، قاله الكلبي .

الثالث : كفراً ، قاله عطية .

الرابع : تمرداً .

الخامس : معصية .

قوله عز وجل : { . . . أَوْلَى بِهَا صلِيّاً } فيه وجهان :

أحدها : دخولاً ، قاله الكلبي .

الثاني : لزوماً .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (71) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (72)

قوله عز وجل : { وَإِنّ مِنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا } فيه قولان :

أحدهما : يعني الحمى والمرض ، قاله مجاهد . روى أبو هريرة قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود رجلاً من أصحْابه فيه وعك وأنا معه ، فقال رسول الله : « أَبْشِرْ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : هِيَ نَارِي أُسَلِّطُهَا عَلَى عَبْدِي المُؤْمِنِ لِتَكُونَ حَظَّهُ مِنَ النَّارِ » أي في الآخرة .

الثاني : يعني جهنم . ثم فيه قولان :

أحدهما : يعني بذلك الكافرين يردونها دون المؤمن؛ قاله عكرمة ويكون قوله : { وَإِن مِّنْكُمْ } أي منهم كقوله تعالى : { وَسَقَاهُم رَبُّهُم شَرَاباً طَهُوراً } ثم قال : { إِنَّ هذَا كَانَ لَكُم جَزَاءً } أي لهم .

الثاني : أنه أراد المؤمن والكافر . روى ابن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « الزَّالُّونَ وَالزَّالاَّت يَومَئذٍ كَثِيرٌ » وفي كيفية ورودها قولان :

أحدهما : الدخول فيها . قال ابن عباس : ليردنها كل بر وفاجر . لكنها تمس الفاجر دون البر . قال وكان دعاء من مضى : اللهم أخرجني من النار سالماً ، وأدخلني الجنة غالماً .

والقول الثاني : أن ورود المسلم عليها الوصول إليها ناظراً لها ومسروراً بالنجاة منها ، قاله ابن مسعود ، وذلك مثل قوله تعالى : { وَلَمَّا وَرَدَ مَآء مَدْيَنَ } [القصص : 23] أي وصل . وكقول زهير بن أبي سلمى :

ولما وردن الماء زُرْقاً جِمامُه ... وضعن عِصيَّ الحاضر المتخيمِ

ويحتمل قولاً ثالثاً : أن يكون المراد بذلك ورود عرضة القيامة التي تجمع كل بر وفاجر :

{ كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً } فيه تأويلان :

أحدهما : قضاء مقتضياً ، قاله مجاهد . الثاني : قسماً واجباً ، قاله ابن مسعود .

(32/3)

وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آَيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا (73) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا (74)

قوله عز وجل : { . . . أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَاماً } فيه وجهان :

أحدهما : منزل إقامة في الجنة أو النار .

والثاني : يعني كلام قائم بجدل واحتجاج أي : أمّن فلجت حجته بالطاعة خير أم من دحضت حجته بالمعصية ، وشاهده قول لبيد :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ومقام ضيق فرجتهْ ... بلساني وحسامي وجدل

{ وَأَحْسَنُ نَدِيّاً } فيه وجهان :

أحدهما : أفضل مجلساً .

الثاني : أوسع عيشاً .

ويحتمل ثالثاً : أيهما خير مقاماً في موقف العرض ، من قضى له بالثواب أو العقاب؟

{ وَأَحْسَنُ نَدِيّاً } منزل إقامة في الجنة أو في النار ، وقال ثعلب : المقام بضم الميم : الإقامة ، وبفتحها المجلس .

قوله تعالى : { أَثَاثاً وَرِءْيَاً } فيه أربعة أوجه :

أحدها : أن الأثاث : المتاع ، والرئي : المنظر ، قاله ابن عباس . قال الشاعر :

أشاقت الظعائن يوم ولوا ... بذي الرئي الجميل من الأثاث .

الثاني : أن الأثاث ما كان جديداً من ثياب البيت ، والرئي الارتواء من النعمة .

الثالث : الأثاث ما لا يراه الناس . والرئي ما يراه الناس .

الرابع : معناه أكثر أموالاً وأحسن صوراً .

ويحتمل خامساً : أن الأثاث ما يعد للاستعمال ، والرئي ما يعد للجمال .

(33/3)

قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا (75) وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا (76)

قوله تعالى : { وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْاْ هُدىً } فيه وجهان :

أحدهما : يزيدهم هدى بالمعونة في طاعته والتوفيق لمرضاته .

الثاني : الإيمان بالناسخ والمنسوخ ، قاله الكلبي ومقاتل ، فيكون معناه : ويزيد الله الذين اهتدوا بالمنسوخ هدى بالناسخ .

ويحتمل ثالثاً : ويزيد الله الذين اهتدوا إلى طاعته هدى إلى الجنة .

(34/3)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآَيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا (77) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (78)
كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (79) وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا (80)

قوله عز وجل : { أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بَئَآيَاتِنَا . . . } اختلف فيمن نزلت هذه الآية فيه على قولين :

أحدهما : في العاص بن وائل السهمي ، قاله جبار وابن عباس ومجاهد .

الثاني : في الوليد بن المغيرة ، قاله الحسن .

{ . . . مَالاً وَوَلَداً } قرأ حمزة والكسائي { ووُلْداً } بضم الواو ، وقرأ الباقون بفتحها ، فاختلف في ضمها وفتحها على وجهين :

أحدهما : أنهما لغتان معناهما واحد ، يقال ولَدَ ووُلْد ، وعَدَم وعُدْم ، وقال الحارث ابن حلزة .

ولقد رأيت معاشراً ... قد ثمَّروا مالاً ووُلْدا

والثاني : أن قيساً الوُلْد بالضم جميعاً ، والولد بالفتح واحداً .

وفي قوله تعالى : { لأُتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً } وجهان :

أحدهما : أنه أراد في الجنة استهزاء بما وعد الله على طاعته وعبادته ، قاله الكلبي .

الثاني : أنه أراد في الدنيا ، وهو قول الجمهور . وفيه وجهان محتملان :

أحدهما : إن أقمت على دين آبائي وعبادة ألهتي لأوتين مالاً وولداً .

الثاني : معناه لو كنت أقمت على باطل لما أوتيت مالاً وولداً .

{ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ } يحتمل وجهين :

أحدهما : معناه أعلم الغيب أنه سيؤتيه على كفره مالاً وولداً .

الثاني : أعلم الغيب لما آتاه الله على كفره .

{ أَمِ أَتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْداً } فيه وجهان :

أحدهما : يعني عملاً صالحاً قدمه ، قاله قتادة .

الثاني : قولاً عهد به الله إليه ، حكاه ابن عيسى .

قوله عز وجل : { وَنَرِثُه مَا يَقُولُ } فيه وجهان :

أحدهما : أن الله يسلبه ما أعطاه في الدنيا من مال وولد .

الثاني : يحرمه ما تمناه في الآخرة من من مال وولد .

{ وَيَأْتِينَا فَرْداً } فيه وجهان :

أحدهما : بلا مال ولا ولد .

الثاني : بلا ولي ولا ناصر .

(35/3)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آَلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (81) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (82)
أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (83) فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا (84)

قوله عز وجل : { . . . سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ } فيه وجهان :

أحدهما : سيجحدون أن يكونوا عبدوها لما شاهدوا من سوء عاقبتها .

الثاني : سيكفرون بمعبوداتهم ويكذبونهم .

{ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً } فيه خمسة أوجه :

أحدها : أعواناً في خصومتهم ، قاله مجاهد .

الثاني : قرناء في النار يلعنونهم ، قاله قتادة .

الثالث : يكونون لهم أعداء ، قاله الضحاك .

الرابع : بلاء عليهم ، قاله ابن زيد .

الخامس : أنهم يكذبون على ضد ما قدروه فيهم وأمّلوه منهم ، قاله ابن بحر .

قوله عز وجل : { تَؤُزُّهُمْ أَزّاً } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : تزعجهم إزعاجاً حتى توقعهم في المعاصي ، قاله قتادة .

الثاني : تغويهم إغواء ، قاله الضحاك .

الثالث : تغريهم إغراء بالشر : إمض إمض في هذا الأمر حتى توقعهم في النار ، قاله ابن عباس .

قوله عز وجل : { . . . إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدّاً } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : نعد أعمالهم عداً ، قاله قطرب .

الثاني : نعد أيام حياتهم ، قاله الكلبي .

الثالث : نعد مدة إنظارهم إلى وقت الإنتقام منهم بالسيف والجهاد ، قاله مقاتل .

(36/3)

يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (85) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا (86) لَا يَمْلِكُونَ
الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (87)

{ . . . وَفْداً } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : ركباناً ، قاله الفراء .

الثاني : جماعة ، قاله الأخفش .

الثالث : زوّاراً ، قاله ابن بحر .

قوله عز وجل : { وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً } فيه ثلاثة أوجه :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدها : مشاة ، قاله الفراء .

الثاني : عطاشاً .

الثالث : أفراداً .

{ إلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحَمنِ عَهْداً } فيه وجهان :

أحدهما : . . . .

(37/3)

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (88) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (89) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (90) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (91) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (92) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (93) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (94) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (95)

{ شَيْئاً إِدّاً } فيه وجهان :

أحدهما : منكراً ، قاله ابن عباس .

الثاني : عظيماً ، قاله مجاهد . قال الراجز :

في لهث منه وحبك إدّ ...

(38/3)

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (96) فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا (97) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا (98)

قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدّاً } فيه وجهان :

أحدهما : حباً في الدنيا مع الأبرار ، وهيبة عند الفجار .

الثاني : يحبهم الله ويحبهم الناس ، قال الربيع بن أنس : إذا أحب الله عبداً ألقى له المحبة في قلوب أهل السماء ، ثم ألقاها في قلوب أهل الأرض .

ويحتمل ثالثاً : أن يجعل لهم ثناء حسناً . قال كعب : ما يستقر لعبد ثناء في الدنيا حتى يستقر من أهل السماء . وحكى الضحاك عن ابن عباس : أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب رضي

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الله عنه جعل له ودّاً في قلوب المؤمنين .

قوله عز وجل : { قَوْماً لُّدّاً } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : فجّاراً ، قاله مجاهد .

الثاني : أهل إلحاح في الخصومة ، مأخوذ من اللدود في الأفواه ، فلزومهم الخصومة بأفواههم كحصول اللدود في الأفواه ، قاله ابن بحر .

قال الشاعر :

بغوا لَدَدَي حَنقاً عليَّ كأنما ... تغلي عداوة صدرهم في مِرجل

الثالث : جدالاً بالباطل ، قاله قتادة ، مأخوذ من اللدود وهو شديد الخصومة . قال الله تعالى : { وَهُوَ الْخِصَامِ } وقال الشاعر :

أبيت نجياً للهموم كأنني ... أخاصم أقواماً ذوي جدلٍ لُدّا

قوله عز وجل : { وِكْزَاً } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : صوتاً ، قاله ابن عباس وقتادة والضحاك .

الثاني : حِسّاً ، قاله ابن زيد .

الثالث : أنه ما لا يفهم من صوت أو حركة ، قاله اليزيدي .

(39/3)

طه (1) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2) إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى (3) تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا (4) الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (5) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (6) وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (7) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (8)

قوله عز وجل : { طه } فيه سبعة أقاويل :

أحدها : أنه بالسريانية يا رجل؛ قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وحكى الطبري : أنه بالنبطية يا رجل؛ وقاله ابن جبير ، والسدي كذلك .

وقال الكلبي : هو لغة عكل ، وقال قطرب : هو بلغة طيىء وأنشد ليزيد بن مهلهل :

إن السفاهة (طه) من خليقتكم ... لا قدس الله أرواح الملاعين

الثاني : أنه اسم من أسماء الله تعالى وَقَسَمٌ أَقْسَمَ بِهِ ، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً .

الثالث : أنه اسم السورة ومفتاح لها .

الرابع : أنه اختصار من كلام خص الله رسوله بعلمه .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الخامس : أن حروف مقطعه يدل كل حرف منها على معنى .

السادس : معناه : طوبى لمن اهتدى ، وهذا قول محمد الباقر بن علي زين العابدين رحمهما الله .

السابع : معناه طَإِ الأَرْضَ بقدمك ، ولا تقم على إحدى رجليك يعني في الصلاة ، حكاه ابن الأنباري .

ويحتمل ثامناً : أن يكون معناه طهّر ، ويحتمل ما أمره بتطهيره وجهين :

أحدهما : طهر قلبك من الخوف .

والثاني : طهر أُمَّتَك من الشرك .

قوله تعالى : { مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَى } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : بالتعب والسهر في قيام الليل ، قاله مجاهد .

الثاني : أنه جواب للمشركين لما قالواْ : إنه بالقرآن شقى ، قاله الحسن .

الثالث : معناه لا تشْقِ بالحزن والأسف على كفر قومك ، قاله ابن بحر .

قوله تعالى : { إِلاَّ تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى } فيه وجهان :

أحدهما : إلا إنذاراً لمن يخشى الله .

والثاني : إلا زجراً لمن يتقي الذنوب .

والفرق بين الخشية والخوف : أن الخوف فيما ظهرت أسبابه والخشية فيما لم تظهر أسبابه .

قوله عز وجل : { لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : له ملك السموات والأرض .

الثاني : له تدبيرها .

الثالث : له علم ما فيها .

وفي { . . . الثَّرَى } وجهان :

أحدها : كل شيء مُبْتَلّ ، قاله قتادة .

الثاني : أنه التراب في بطن الأرض ، قاله الضحاك .

الثاني : أنها الصخرة التي تحت الأرض السابعة ، وهي صخرة خضراء وهي سجِّين التي فيها كتاب الفجار ، قاله السدي .

قوله عز وجل : { وَإِن تَجْهَرْ بَالْقَوْلِ } فم حاجتك إلى الجهر؟ لأن الله يعلم بالجهر وبالسر .
{ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى } فيه ستة تأويلات :

أحدها : أن « السِّرَّ » ما حدَّث به العبد غيره في السر . « وأَخْفَى » ما أضمره في نفسه ، ولم يحدّث به غيره ، قاله ابن عباس .

الثاني : أن السر ما أَضمره العبد في نفسه . وأخفى منه ما لم يكن ولا أضمره أحد في نفسه قاله قتادة وسعيد بن جبير .

الثالث : يعلم أسرار عباده ، وأخفى سر نفسه عن خلقه ، قاله ابن زيد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الرابع : أن السر ما أسره الناس ، وأخفى : الوسوسة ، قاله مجاهد .

الخامس : أن السر ما أسره من علمه وعمله السالف ، وأخفى : وما يعلمه من عمله المستأنف ، وهذا معنى قول الكلبي .

السادس : السر : العزيمة ، وما هو أخفى : هو الهم الذي دون العزيمة .

(40/3)

وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (9) إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (10)

قوله تعالى : { وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى } أي قد أتاك حال موسى فيما اجتباه ربه لنبوته وحمله من رسالته . واحتمل ذلك أن يكون بما قصه عليه في هذا الموضع ، واحتمل أن يكون بما عرفه في غيره .

{ إِذْ رَءَا نَاراً } وكانت عند موسى ناراً ، وعند الله نوراً ، قال مقاتل : وكانت ليلة الجمعة في الشتاء .

{ فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُواْ } أي أقيموا . والفرق بين المكث والإقامة أن الإقامة تدوم والمكث لا يدوم .

{ إِنِّي أَنَسْتُ نَاراً } فيه وجهان :

أحدهما : رأيت ناراً .

والثاني : إني آنست بنار .

{ لَّعَلِّي ءَآتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ } أي بنار تصطلون بها .

{ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدىً } فيه وجهان :

أحدهما : هادياً يهديني الطريق ، قاله قتادة .

والثاني : علامة أستدل بها على الطريق . وكانوا قد ضلوا عنه فمكثوا بمكانهم بعد ذهاب موسى ثلاثة أيام حتى مر بهم راعي القرية فأخبره بمسير موسى ، فعادوا مع الراعي إلى قريتهم وأقاموا بها أربعين سنةً حتى أنجز موسى أمر ربه .

(41/3)

فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (11) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (12) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (13) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14) إِنَّ

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

السَّاعَةَ آَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (15) فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى (16)

قوله تعالى : { فلمَّآ أتَاهَا } يعني النار ، التي هو نور { نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَاْ رَبُّكَ } وفي هذا النداء قولان :

أحدهما : أنه تفرد بندائه .

الثاني : أن الله أنطق النور بهذا النداء فكان من نوره الذي لا ينفصل عنه ، فصار نداء منه أعلمه به ربه لتسكن نفسه ويحمل عنه أمره فقدم تأديبه بقوله : { فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ } الآية . وفي أمرْه بخلعهما قولان :

أحدهما : ليباشر بقدميه بركة الوادي المقدس ، قاله علي بن أبي طالب ، والحسن ، وابن جريج .

والثاني : لأن نعليه كانتا من جلد حمار ميت ، قاله كعب ، وعكرمة ، وقتادة .

{ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ } فيه وجهان :

أحدهما : أن المقدس هو المبارك ، قاله ابن عباس ، ومجاهد .

والثاني : أنه المطهر ، قاله قطرب ، وقال الشاعر :

وأنت وصول للأقارب مدره ... برىء من الآفات من مقدس

وفي { طُوىً } خسمة تأويلات :

أحدها : أنه اسم من طوى لأنه مر بواديها ليلاً فطواه ، قاله ابن عباس .

الثاني : سمي طوى لأن الله تعالى ناداه مرتين . وطوى في كلامهم بمعنى مرتين ، لأن الثانية إذا أعقبتها الأولى صارت كالمطوية عليها .

الثالث : بل سمي بذلك لأن الوادي قدس مرتين ، قاله الحسن .

الرابع : أن معنى طوى : طَإِ الوادي بقدمك ، قاله مجاهد .

الخامس : أنه الاسم للوادي قديماً ، قاله ابن زيد :

فخلع موسى نعليه ورمى بهما وراء الوادي .

قوله تعالى : { وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : وأقم الصلاة لتذكرني فيها ، قاله مجاهد .

والثاني : وأقم الصلاة بذكري ، لأنه لا يُدْخَلُ في الصلاة إلا بذكره .

الثالث : وأقم الصلاة حين تذكرها ، قاله إبراهيم . وروى سعيد بن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ نَسِيَ صَلاَةً فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا » قال تعالى : { وَأَقِمِ الصَلاَةَ لِذَكْرِي } .

قوله تعالى : { أَكَادُ أُخْفِيهَا } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أي لا أظهر عليها أحداً ، قاله الحسن ، ويكون أكاد بمعنى أريد .

الثاني : أكاد أخفيها من نفسي ، قاله ابن عباس ومجاهد ، وهي كذلك في قراة أُبَيّ « أَكَادُ أُخْفِيهَا

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

مِنْ نَفْسِي » ويكون المقصود من ذلك تبعيد الوصول إلى علمها . وتقديره : إذا كنت أخفيها من نفسي فكيف أظهرها لك؟

الثالث : معناه أن الساعة آتية أكاد . انقطع الكلام عند أكاد وبعده مضمر أكاد آتي بها تقريباً لورودها ، ثم استأنف : أخفيها لتجزى كل نفسٍ بما تسعى . قاله الأنباري ، ومثله قول ضابىء البرجمي :

هممت ولم أفعل وكدت وليتني ... تكرت على عثمان تبكي حلائله

أي كدت أن أقتله ، فأضمره لبيان معناه .

الرابع : أن معنى –أخفيها : أظهرها ، قاله أبو عبيدة وأنشد :

فإن تدفنوا الداءَ لا نخفيه ... وأن تبعثوا الحرب لا نقعد

يقال أخفيت الشيء أي أظهرته وأخفيته إذا كتمته ، كما يقال أسررت الشيء إذا كتمته ، وأسررته إذا أظهرته .

وفي قوله : { وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ } وجهان :

أحدهما : أسر الرؤساء الندامة عن الأتباع الذي أضلوهم . والثاني : أسر الرؤساء الندامة . قال الشاعر :

ولما رأى الحجاج أظهر سيفه ... أسر الحروري الذي كان أضمرا

{ لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى } فيه وجهان :

أحدهما : أنه على وجه القسم من الله ، إن كل نفس تجزى بما تسعى .

الثاني : أنه إخبار من الله أن كل نفس تجزى بما تسعى .

قوله عز وجل : { فَتَرْدَى } فيه وجهان : أحدهما : فتشقى .

الثاني : فتنزل .

(42/3)

وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (17) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآَرِبُ أُخْرَى (18) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (19) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (20) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (21)

{ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى } ليس هذا سؤال استفهام ، وإنما هو سؤال تقرير لئلاّ يدخل عليه ارتياب بعد انقلابها حيةٌ تسعى .

{ قَالَ هِيَ عَصَايَ } فتضمن جوابه أمرين :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
أحدهما : الإخبار بأنها عصا وهذا جواب كافٍ .

الثاني : إضافتها إلى ملكه ، وهذه زيادة ذكرها ليكفي الجواب بما سئل عنه .

ثم أخبر عن حالها بما لم يُسأل عنه ليوضح شدة حاجته إليها واستعانته بها لئلا يكون عابثاً بحملها ، فقال : { أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَ عَلَى غَنَمِي } أي أخبط بها ورق الشجر لترعاه غنمي . قال الراجز :

أهش بالعصا على أغنامي ... من ناعم الأراك والبشام .

وقرأ عكرمة « وأهس » بسين غير معجمة . وفي الهش والهس وجهان :

أحدهما : أنهما لغتان معناهما واحد .

والثاني : أن معناهما مختلف ، فالهش بالمعجمة : خبط الشجر ، والهس بغير إعجام زجر الغنم .

{ وَلِيَ فِيهَا مَئَارِبُ أُخْرَى } أي حاجات أخرى ، فنص على اللازم وكنّى عن العارض ، وفيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه كان يطرد بها السباع ، قاله مقاتل :

الثاني : أنه كان يَقْدَحُ بها النار ، ويستخرج الماء بها .

الثالث : أنها كانت تضيء له بالليل ، قاله الضحاك .

(43/3)

وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آَيَةً أُخْرَى (22) لِنُرِيَكَ مِنْ آَيَاتِنَا الْكُبْرَى (23) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (24) قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي (28) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (29) هَارُونَ أَخِي (30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (31) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (32) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (33) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (34) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (35)

قوله عز وجل : { وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : إلى عضدك ، قاله مجاهد .

الثاني : إلى جيبك .

الثالث : إلى جنبك فعبر عن الجنب بالجناح لأنه مائل في محل الجناح .

قوله عز وجل : { رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي } يحتمل وجهين :

أحدهما : لحفظ مناجاته .

الثاني : لتبليغ رسالته .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

{ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي } يحتمل وجهين :

أحدهما : ما لا يطيق .

الثاني : في معونتي بالقيام على ما حملتني .

{ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنها عقدة كانت بلسانه من الجمرة التي ألقاها بفيه في صغر عند فرعون .

الثاني : عقدة كانت بلسانه عند مناجاته لربه ، حتى لا يكلم غيره إلا بإذنه .

الثالث : استحيائه من الله من كلام غيره بعد مناجاته .

{ يَفْقَهُواْ قَوْلِي } يحتمل وجهين :

أحدهما : ببيان كلامه .

الثاني : بتصديقه على قوله .

{ وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي } وإنما سأل الله أن يجعل له وزيراً إلا أنه لم يرد أن يكون مقصوراً على الوزارة حتى يكون شريكاً في النبوة ، ولولا ذلك لجاز أن يستوزره من غير مسألة .

{ هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي } فيه وجهان :

أحدهما : أن الأزر : الظهر في موضع الحقوين ومعناه فقوّ به نفسي . قال أبو طالب :

أليس أبونا هاشمٌ شد أزره ... وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب

الثاني : أن يكون عوناً يستقيم به أمري . قال الشاعر :

شددت به أزري وأيقنت أنه ... أخ الفقر من ضاقت عليه مذاهبه

فيكون السؤال على الوجه الأول لأجل نفسه وعلى الثاني لأجل النبوة . وكان هارون أكبر من موسى بثلاث سنين ، وكان في جبهة هارون شامة ، وكان على أنف موسى شامة ، وعلى طرف لسانه [شامه] .

(44/3)

قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى (36) وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (37) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (38) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (39) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى (40)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قوله عز وجل : { وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي } فيه أربعة أوجه :

أحدها : حببتك إلى عبادي ، قاله سلمى بن كميل .

الثاني : يعني حسناً وملاحة ، قاله عكرمة .

الثالث : رحمتي ، قاله أبو جعفر (الطبري) . الرابع : جعلت من رآك أحبك ، حتى أحبك فرعون فسلمت من شره وأحبتك آسية بنت مزاحم فتبنتك ، قاله ابن زيد .

ويحتمل خامساً : أن يكون معناه : وأظهرت عليك محبتي لك وهي نعمة عليك لأن من أحبه الله أوقع في القلوب محبته .

{ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عيْنِي } فيه وجهان :

أحدهما : لتغذي على إرادتي ، قاله قتادة .

الثاني : لتصنع على عيني أمك بك ما صنعت من إلقائك في اليم ومشاهدتي .

ويحتمل ثالثاً : لتكفل وتربى على اختياري ، ويحتمل قوله : { عَلَى عَيْنِي } وجهين :

أحدهما : على اختياري وإرادتي .

الثاني : بحفظي ورعايتي .

{ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحزَنَ } يحتمل وجهين :

أحدهما : تقر عينها بسلامتك ولا تحزن بفراقك .

الثاني : تقر بكفالتك ولا تحزن بنفقتك .

{ وَقَتَلْتَ نَفْساً } يعني القبطي .

{ فَنَجَّينَاكَ مِنَ الْغَمِّ } يحتمل وجهين :

أحدهما : سلمناك من القَوَد .

الثاني : أمناك من الخوف .

{ وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً } فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أخبرناك حتى صلحت للرسالة .

الثاني : بلوناك بلاء بعد بلاء ، قاله قتادة .

الثالث : خلصناك تخليصاً محنة بعد محنة ، أولها أنها حملته في السنة التي كان يذبح فرعون فيها الأطفال ثم إلقاؤه في اليم ، ومنعه الرضاع إلا من ثدي أمه ، ثم جره بلحية فرعون حتى همّ بقتله ، ثم تناوله الجمرة بدل التمرة ، فدرأ ذلك عنه قتل فرعون ، ثم مجيىء رجل من شيعته يسعى بما عزموا عليه من قتله قاله ابن عباس .

وقال مجاهد : أخلصناك إخلاصاً .

{ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى } فيه وجهان :

أحدهما : على قدر الرسالة والنبوة ، قاله قتادة .

الثاني : على موعدة ، قاله قتادة ، ومجاهد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
ويحتمل ثالثاً : جئت على مقدار في الشدة وتقدير المدة ، قال الشاعر :

نال الخلافة أو كانت له قدراً ... كما أتى ربه موسى على قدر

(45/3)

وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (41) اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (42) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44)

{ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي } يحتمل وجهان :

أحدهما : خلقتك ، مأخوذ من الصنعة .

الثاني : اخترتك ، مأخوذ من الصنيعة . { لِنَفْسِي } فيه وجهان :

أحدهما : لمحبتي .

الثاني : لرسالتي .

قوله تعالى : { وَلاَ تَنِيَا فِي ذِكرِي } فيه أربعة أقاويل :

أحدها : لا تفترا في ذكري ، قال الشاعر :

فما ونى محمد مذ أن غفر ... له الإله ما مضى وما غبر

الثاني : لا تضعفا في رسالتي ، قاله قتادة .

الثالث : لا تبطنا ، قاله ابن عباس .

الرابع : لا تزالا ، حكاه أبان واستشهد بقول طرفة :

كأن القدور الراسيات أمامهم ... قباب بنوها لا تني أبداً تغلي

قوله تعالى : { فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً } فيه وجهان :

أحدهما : لطيفاً رقيقاً .

الثاني : كنّياه ، قاله السدي وقيل إن كنية فرعون أبو مرة ، وقيل أبو الوليد .

ويحتمل ثالثاً : أن يبدأه بالرغبة قبل الرهبة ، ليلين بها فيتوطأ بعدها من رهبة ووعيد قال بعض المتصوفة : يا رب هذا رفقك لمن عاداك ، فكيف رفقك بمن والاك؟

وقيل إن فرعون كان يحسن لموسى حين رباه ، فأراد أن يجعل رفقه به مكافأة له حين عجز موسى عن مكافأته .

(46/3)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (45) قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (46) فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (47) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (48)

قوله تعالى : { أَن يَفْرُطَ عَلَيْنآ } فيه وجهان :

أحدهما : أن يعجل علينا ، قال الراجز : قد أفرط العلج علينا وعجل .

الثاني : يعذبنا عذاب الفارط في الذنب ، وهو المتقدم فيه ، قاله المبرد ويقال لمن أكثر في الشيء أفرط ، ولمن نقص منه فرّط .

{ أَوْ أَن يَطْغَى } أي يقتلنا .

(47/3)

قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (51) قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (52)

قوله تعالى : { رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أعطى كل شيء زوجه من جنسه ، ثم هداه لنكاحه ، قاله ابن عباس والسدي .

الثاني : أعطى كل شيء صورته ، ثم هداه إلى معيشته ومطعمه ومشربه ، قاله مجاهد قال الشاعر :

وله في كل شيء خلقهُ ... وكذلك الله ما شاء فعل

يعني بالخلقة الصورة .

الثالث : أعطى كلاً ما يصلحه ، ثم هداه له ، قاله قتادة .

ويحتمل رابعاً : أعطى كل شيءٍ ما ألهمه من علم أو صناعة وهداه إلى معرفته .

قوله تعالى : { فَمَا بَالُ الْقُرونِ الأُولَى } وهي جمع قرن ، والقرن أهل كل عصر مأخوذ من قرانهم فيه .

وقال الزجاج : القرن أهل كل عصر وفيه نبي أو طبقة عالية في العلم ، فجعله من اقتران أهل العصر بأهل العلم ، فإذا كان زمان فيه فترة وغلبة جهل لم يكن قرناً .

واختلف في سؤال فرعون عن القرون على أربعة أوجه :

أحدها : أنه سأله عنها فيما دعاه إليه من الإيمان ، هل كانوا على مثل ما يدعو إليه أو بخلافه .

الثاني : أنه قال ذلك له قطعاً للاستدعاء ودفعاً عن الجواب .

الثالث : أنه سأله عن ذنبهم ومجازاتهم .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الرابع : أنه لما دعاه إلى الإقرار بالبعث قال : ما بال القرون الأولى لم تبعث .

{ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي } فرد موسى علم ذلك إلى ربه .

{ فِي كِتَابٍ } { لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنسَى } أي لم يجعل علم ذلك في كتاب لأنه يضل أو ينسى .

ويحتمل إثباته في الكتاب وجهين :

أحدهما : أن يكون له فضلاً له وحكماً به .

الثاني : ليعلم به ملائكته في وقته .

وفي قوله : { لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنسَى } وجهان :

أحدهما : لا يخطىء فيه ولا يتركه .

الثاني : لا يضل الكتاب عن ربي ، ولا ينسى ربي ما في الكتاب ، قاله ابن عباس .

قال مقاتل : ولم يكن في ذلك [الوقت] عند موسى علم القرون الأولى ، لأنه علمها من التوراة ، ولم تنزل عليه إلا بعد هلاك فرعون وغرقه .

(48/3)

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (53) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (54) مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (55) وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى (56)

قوله تعالى : { لأُوْلِي النُّهَى } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أولي الحكم .

الثاني : أولي العقل ، قاله السدي .

الثالث : أولي الورع .

وفي تسميتهم بذلك وجهان :

أحدهما : لأنهم ينهون النفس عن القبيح .

الثاني : لأنه ينتهي إلى آرائهم .

{ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا كُلَّهَا } فيه وجهان :

أحدهما : حجج الله الدالة على توحيده .

الثاني : المعجزات الدالة على نبوة موسى ، يعني التي أتاها موسى ، وإلا فجميع الآيات لم يرها .

{ فَكَذَّبَ وَأَبَى } يعني فكذب الخبر وأبى الطاعة .

ويحتمل وجهاً آخر : يعني فجحد الدليل وأبى القبول .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

(49/3)

قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (57) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى (58) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (59)

قوله تعالى : { مَكَاناً سُوىً } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : منصفاً بينهم .

الثاني : عدلاً بيننا وبينك ، قاله قتادة والسدي .

الثالث : عدلاً وسطاً ، قاله أبو عبيدة وأنشد :

وإن أبانا كان حَلّ ببلدة ... سوى بين قيس قيس عيلان والغزر

الرابع : مكاناً مستوياً يتبين للناس ما بيناه فيه ، قاله ابن زيد .

ويقرأ سُوى بضم السين وكسرها ، وفيهما وجهان :

أحدهما : أن : معناهما واحد وإن اختلف لفظهما .

والثاني : أن معناهما ، فهو بالضم المنصف ، وبالكسر العدل .

قوله تعالى : { يَوْمُ الزِّينَةِ } فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أنه يوم عيد كان لهم ، قاله مجاهد وابن جريج والسدي وابن زيد وابن إسحاق .

الثاني : يوم السبت ، قاله الضحاك .

الثالث : عاشوراء ، قاله ابن عباس .

الرابع : أنه يوم سوق كانوا يتزينون فيها ، قاله قتادة .

(50/3)

فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى (60) قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى (61) فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى (62) قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى (63) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى (64)

قوله تعالى : { لاَ تَفْتَرُواْ عَلَى اللَّهِ كَذِباً } فيه وجهان :

أحدهما : لا تفتروا على الله كذباً بسحركم .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثاني : بتكذيبي وقولكم م جئت به سحر .

{ فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ } فيهلككم ويستأصلكم ، قال الفرزدق :

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع ... من المال إلا مسحتاً أو مُجَلَّف

فالمسحت : المستأصل ،

والمجلف : المهلك .

{ فَتَنَازَعُوآ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ } فيه وجهان :

أحدهما : فيما هيؤوه من الحبال والعصي ، قاله الضحاك .

والثاني : فيمن يبتدىء بالإلقاء .

{ وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى } فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أن النجوى التي أسروها أن قالوا : إن كان هذا سحراً فسنغلبه ، وإن كان السماء فله أمره ، قاله قتادة .

الثاني : أنه لما قال لهم { وَيْلَكُمْ } الآية . قالوا : ما هذا بقول ساحر ، قاله ابن منبه .

الثالث : أنه أسروا النجوى دون موسى وهارون بقولهم ، { إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ . . . } الآيات ، قاله مقاتل والسدي .

الرابع : أنهم أسرواْ النجوى . إن غَلَبَنَا موسى اتبعناه ، قاله الكلبي .

قوله تعالى : { قَالُواْ إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ } هذه قراءة أبي عمرو وهي موافقة للإعراب مخالفة للمصحف . وقرأ الأكثرون : إن هذان الساحران ، فوافقوا المصحف فيها ، ثم اختلفوا في تشديد إنّ فخففها ابن كثير وحفص فسلما بتخفيف إن من مخالفة المصحف ومن فساد الإعراب ، ويكون معناها : ما هذان إلا ساحران . وقرأ أُبَيّ : إن ذان إلا ساحران ، وقرأ باقي القراء بالتشديد : إنَّ هذان لساحران . فوافقوا المصحف وخالفوا ظاهر الإعراب . واختلف من قرأ بذلك في إعرابه على أربعة أقاويل :

أحدها : أن هذا على لغة بلحارث بن كعب وكنانة بن زيد يجعلون رفع الإثنين ونصبه وخفضه بالألف ، وينشدون :

فأطرق إطراق الشجاع ولو رأى ... مساغاً لِناباهُ الشجاع لصمّما

والوجه الثاني : لا يجوز أن يحمل القرآن على ما اعتل من اللغات ويعدل به عن أفصحها وأصحها ، ولكن في « إن » هاء مضمرة تقديرها إنّه هذان لساحران ، وهو قول متقدمي النحويين .

الثالث : أنه بَنَى « هذان » على بناء لا يتغير في الإعراب كما بَنَى الذين على هذه الصيغة في النصب والرفع .

الرابع : أن « إن » المشددة في هذا الموضع بمعنى نعم ، كما قال رجل لابن الزبير : لعن الله ناقة حملتني إليك ، فقال ابن الزبير : إنّ وصاحبها . وقال عبد الله بن قيس الرقيات :

بكى العواذل في الصبا ... ح يلمنني وألومُهُنّهْ

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
ويقلن شيب قد علا ... ك وقد كبرت فقلت إنّه

أي نعم

{ وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمْ الْمُثْلَى } في قائل هذه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه قول السحرة .

الثاني : أنه قول قوم فرعون .

الثالث : قول فرعون من بين قومه ، وإن أشير به إلى جماعتهم .

وفي تأويله خمسة أوجه :

أحدها : ويذهبا بأهل العقل والشرف . قاله مجاهد .

الثاني : ببني إسرائيل ، وكانوا أولي عدد ويسار ، قاله قتادة .

الثالث : ويذهبا بالطريقة التي أنتم عليها في السيرة قاله ابن زيد .

الرابع : ويذهبا بدينكم وعبادتكم لفرعون ، قاله الضحاك .

الخامس : ويذهبا بأهل طريقتكم المثلى ، [والمثلى مؤنث] الأمثل والمراد بالأمثل الأفضل ، قال أبو طالب :

وانا لعمرو الله إن جدّ ما أرى ... لتلتبسن أسيافنا بالأماثل

قوله تعالى : { فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ } فيه وجهان :

أحدهما : جماعتكم على أمرهم في كيد موسى وهارون .

الثاني : معناه أحكموا أمركم ، قال الراجز :

يا ليت شعري والمنى لا تنفع ... هل أغدوا يوماً وأمري مجمع

أي محكم .

{ ثُمَّ ائْتُواْ صَفّاً } أي اصطفوا ولا تختلطوا .

{ . . . مَنِ اسْتَعْلَى } أي غلب .

(51/3)

قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (65) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (66) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (67) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (68) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (69) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (70)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله تعالى : { قَالَ بَلْ أَلْقُواْ . . . } الآية . في أمر موسى للسحرة بالإلقاء- وإن كان ذلك كفراً لا يجوز أن يأمر به – وجهان :

أحدهما : إن اللفظ على صفة الأمر ، ومعناه معنى الخبر ، وتقديره : إن كان إلقاؤكم عندكم حجة فألقواْ .

الثاني : إن ذلك منه على وجه الاعتبار ليظهر لهم صحة نبوته ووضوح محبته ، وأن ما أبطل السحر لم يكن سحراً .

وختلفوا في عدد السحرة فحكي عن القاسم بن أبي بزة أنهم كانواْ سبعين ألف ساحر ، وحكي عن ابن جريج أنهم كانواْ تسعمائة ساحر ، ثلاثمائة من العريش ، وثلاثمائة من الفيوم ، ويشكون في الثلاثمائة من الإسكندرية ، وحكى أبو صالح عن ابن عباس أنهم كانواْ اثنين وسبعين ساحراً ، منهم اثنان من القبط وسبعون من بني إسرائيل ، كانواْ في أول النهار سحرة وفي آخرة شهداء .

{ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى } يحتمل وجهين :

أحدهما : أنه يخيل ذلك لفرعون .

الثاني : لموسى كذلك .

{ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى } وفي خوف وجهان :

أحدهما : أنه خاف أن يلتبس على الناس أمرهم فيتوهمواْ أنهم فعلواْ مثل فعله وأنه من جنسه .

الثاني : لما هو مركوز في الطباع من الحذر . وأوجس : بمعنى أسر .

{ قُلْنَا لاَ تَخَفْ . . . } الآية . تثبيتاً لنفسه ، وإزالة لخوفه .

قوله تعالى : { وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُواْ } أي تأخذه بفيها ابتلاعاً بسرعة ، فقيل إنها ابتلعت حمل ثلاثمائة بعير من الحبال والعصي ، ثم أخذها موسى ورجعت عصا كما كانت .

وفيها قولان :

أحدهما : أنها كانت من عوسج ، قاله وهب .

الثاني : من الجنة ، قاله ابن عباس ، قال : وبها قتل موسى عوج بن عناق .

{ فَأُلْقِيَ السَّحْرَةُ سُجَّداً } طاعة لله وتصديقاً لموسى .

{ قَالُواْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى } أي بالرب الذي دعا إليه هارون وموسى ، لأنه رب لنا ولجميع الخلق ، فقيل إنهم ، ما رفعوا رؤوسهم حتى رأواْ الجنة وثواب أهلها ، فعند ذلك .

(52/3)

قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (71) قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (72) إِنَّا آَمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (73)

{ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَآءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ } وقيل إن امرأة فرعون كانت تسأل : من غلب؟ فقيل لها : موسى وهارون . فقالت : آمنت برب موسى وهارون فأرسل إليها فرعون فقال : فخذواْ أعظم صخرة فحذَّرُوها ، فإن أقامت على قولها [فألقوها عليها] ، فنزع [الله] روحها ، فألقيت الصخرة على جسدها وليس فيه روح .

{ وَالَّذِي فَطَرَنَا } فيه وجهان :

أحدهما : أنه قسم .

الثاني : بمعنى [ولا] على الذي فطرنا .

{ فَاقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ } فيه وجهان :

أحدهما : فاصنع ما أنت صانع .

الثاني : فاحكم ما أنت حاكم .

{ إِنَّمَا تَقْضِي هذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَآ } يحتمل وجهين :

أحدهما : إن التي تنقضي وتذهب هذه الحياة الدنيا ، وتبقى الآخرة .

قوله تعالى : { وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى } فيه وجهان :

أحدهما : والله خير منك وأبقى ثواباً إن أُطيع ، وعقاباً إن عُصِي .

الثاني : خير منك ثواباً إن أطيع وأبقى منك عقاباً إن عُصِي .

(53/3)

إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (74) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا (75) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى (76)

قوله عز وجل : { لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَى } يحتمل وجهين :

أحدهما : لا ينتفع بحياته ولا يستريح بموته ، كما قال الشاعر :

ألا من لنفسٍ لا تموت فينقضي ... شقاها ولا تحيا حياة لها طعم

الثاني : أن نفس الكافر معلقة بحنجرته كما أخبر الله عنه فلا يموت بفراقها . ولا يحيا باستقرارها .

(54/3)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى
(77) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (78) وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى (79)

قوله تعالى : { لاَّ تَخَافُ دَرَكاً وَلاَ تَخْشَى } قال ابن جريج : قال أصحاب . موسى له : هذا فرعون قد أدركنا ، وهذا البحر وقد غشينا ، فأنزل الله هذه الآية . أي لا تخاف دركاً من فرعون ولا تخشى من البحر غرقاً إن غشيك .

(55/3)

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى
(80) كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ
هَوَى (81) وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى (82)

قوله تعالى : { وَلاَ تَطْغَوْاْ فِيهِ } وفيه ثلاثة أوجه :

أحدها : لا تكفروا به .

الثاني : لا تدّخروا منه لأكثر من يوم وليلة ، قال ابن عباس : فدُوّد عليهم ما ادخروه ، ولولا ذلك ما دَوّد طعام أبداً .

الثالث : لا تستعينوا برزقي على معصيتي .

{ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي } قرىء بضم الحاء وبكسرها ومعناه بالضم ينزل ، وبالكسر يجب .

{ فَقَدْ هَوَى } فيه وجهان :

أحدهما : فقد هوى في النار .

الثاني : فقد هلك في الدنيا .

قوله عز وجل : { وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً } أي غفار لمن تاب من الشرك { وآمن } يعني بالله ورسوله و { عمل صالحاً } يريد العمل بأوامره والوقوف عند نواهيه .

{ ثُمَّ اهْتَدَى } فيه ستة تأويلات :

أحدها : ثم لم يشك في إيمانه ، قاله ابن عباس .

الثاني : لزم الإيمان حتى يموت ، قاله قتادة .

الثالث : ثم أخذ بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، قاله الربيع بن أنس .

الرابع : ثم أصاب العمل ، قاله ابن زيد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الخامس : ثم عرف جزاء عمله من خير بثواب ، أو شر بعقاب ، قاله الكلبي .

السادس : ثم اهتدى في ولاية أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، قاله ثابت .

(56/3)

وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى (83) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (84) قَالَ
فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (85) فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ
أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ
مَوْعِدِي (86) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى
السَّامِرِيُّ (87) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ (88) أَفَلَا يَرَوْنَ
أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (89)

قوله تعالى : { غَضْبَانَ أَسِفاً } فيه خمسة أوجه :

أحدها : أن الأسف أشد الغضب .

الثاني : الحزين ، قاله ابن عباس ، وقتادة ، والسدي .

الثالث : أنه الجزع ، قاله مجاهد .

الرابع : أنه المتندم .

الخامس : أنه المتحسِّر .

قوله تعالى : { أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حسناً } فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أنه وعدكم النصر والظفر .

الثاني : أنه قوله : { وإِنِّي لَغَفَّارٌ } الآية .

الثالث : التوراة فيها هدى ونور ليعملواْ بما فيها فيستحقواْ ثواب عملهم .

الرابع : أنه ما وعدهم به في الآخرة على التمسك بدينه في الدنيا ، قاله الحسن .

وفي قوله تعالى : { فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي } وجهان :

أحدهما : أنه وعدهم على أثره للميقات فتوقفوا .

{ قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : بطاقتنا ، قاله قتادة والسدي .

الثاني : لم نملك أنفسنا عند ذلك للبلية التي وقعت بنا ، قاله ابن زيد .

الثالث : لم يملك المؤمنون منع السفهاء من ذلك والموعد الذي أخلفوه أن وعدهم أربعين فعدّوا الأربعين عشرين يوماً وليلة وظنوا أنهم قد استكملوا الميعاد ، وأسعدهم السامري أنهم قد استكملوه .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

{ وَلَكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَاراً مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ } أي حملنا من حلي آل فرعون ، لأن موسى أمرهم أن يستعيروا من حليهم ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، والسدي . وقيل : جعِلت حملاً .

والأوزار : الأثقال ، فاحتمل ذلك على وجهين :

أحدهما : أن يراد بها أثقال الذنوب لأنهم قد كان عندهم غلول .

الثاني : أن يراد أثقال الحمل لأنه أثقلهم وأثقل أرجلهم .

قوله تعالى : { فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ } الآية . قال قتادة . أن السامري قال لهم حين استبطأ القومُ موسى : إنما احتبس عليكم من أجل ما عندكم من الحلي ، فجمعوه ورفعوه للسامري ، فصاغ منه عجلاً ، ثم ألقى عليه قبضة قبضها من أثر الرسول وهو جبريل ، وقال معمر : الفرس الذي كان عليه جبريل هو الحياة فلما ألقى القبضة عيه صار عجلاً جَسَداً له خوار .

والخوار صوت الثور ، وفيه قولان :

أحدهما : أنه صوت حياة خلقه ، لأن العجل المُصَاغُ انقلب بالقبضة التي من أثر الرسول فصار حيواناً حياً ، قاله الحسن ، وقتادة ، والسدي ، وقال ابن عباس : خار العجل خورة واحدة لم يتبعها مثلها .

الثاني : أن خواره وصوته كان بالريح ، لأنه عمل فيه خروقاً فإذا دخلت الريح فيه خار ولم يكن فيه حياة ، قاله مجاهد .

{ فقالوا هذا إلهكم وإله موسى } يعني أن السامري قال لقوم موسى بعد فراغه من العجل : هذا إلهكم وإله موسى ، يعني ليسرعوا إلى عبادته .

{ فَنَسِيَ } فيه أربعة أقاويل :

أحدها : فنسي السامري إسلامه وإيمانه ، قاله ابن عباس .

الثاني : فنسي السامري قال لهم : قد نسي موسى إلهه عندكم ، قاله قتادة ، والضحاك .

الثالث : فنسي أن قومه لا يصدقونه في عبادة عجل لا يضر ولا ينفع ، قاله ابن بحر .

الرابع : أن موسى نسي أن قومه قد عبدوه العجل بعده ، قاله مجاهد .

{ أَفَلاَ يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً } يعني أفلا يرى بنو إسرائيل أن العجل الذي عبدوه لا يرد عليهم جواباً .

{ وَلاَ يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً } ؟ فكيف يكون إلهاً .

قال مقاتل : لما مضى من موعد موسى خمسة وثلاثون يوماً أمر السامري بني إسرائيل أن يجمعوا ما استعاروه من حلي آل فرعون ، وصاغه عجلاً في السادس والثلاثين والسابع والثامن ودعاهم إلى عبادة العجل في التاسع فأجابوه ، وجاءهم موسى بعد استكمال الأربعين .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (90)
قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (91) قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا
(92) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (93) قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ
فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (94)

قوله تعالى : { قَالَ يَا هارُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّواْ } يعني بعبادة العجل .

{ أَلاَّ تَتَّبِعَنِ } فيه وجهان :

أحدهما : ألا تتبعني في الخروج ولا تقم مع من ضل .

الثاني : ألا تتبع عادتي في منعهم والإنكار عليهم ، قاله مقاتل .

{ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي } وقال موسى لأخيه هارون : أخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين فلمّا أقام معهم ولم يبالغ في منعهم والإنكار عليهم نسبه إلى العصيان ومخالفة أمره .

{ قَالَ يَا بْنَ أُمَّ } فيه قولان :

أحدهما : لأنه كان أخاه لأبيه وأمه .

الثاني : أنه كان أخاه لأبيه دون أمه ، وإنما قال يا ابن أم ترفيقاً له واستعطافاً .

{ لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِي } فيه قولان :

أحدهما : أنه أخذ شعره بيمينه ، ولحيته بيسراه ، قاله ابن عباس .

الثاني : أنه أخذ بأذنه ولحيته ، فعبر عن الأذن بالرأس ، وهو قول من جعل الأذن من الرأس .

واختلف في سبب أخذه بلحيته ورأسه على ثلاثة أقوال :

أحدها : ليسر إليه نزول الألواح عليه ، لأنها نزلت عليه في هذه المناجاة . وأراد أن يخفيها عن بني إسرائيل قبل التوبة ، فقال له هارون : لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي ليشتبه سراره على بني إسرائيل .

الثاني : فعل ذلك لأنه وقع في نفسه أن هارون مائل إلى بني إسرئيل فيما فعلوه من أمر العجل ، ومثل هذا لا يجوز على الأنبياء .

الثالث : وهو الأشبه - أنه فعل ذلك لإمساكه عن الإنكار على بني إسرئيل الذين عبدوا العجل ومقامه بينهم على معاصيهم .

{ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ } وهذا جواب هارون عن قوله : { أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي } وفيه وجهان :

أحدهما : فرقت بينهم بما وقع من اختلاف معتقدهم .

الثاني : [فرقت] بينهم بقتال مَنْ عَبَدَ العجل منهم .

وقيل : إنهم عبدوه جميعاً إلا اثني عشر ألفاً بقوا مع هارون لم يعبدوه .

This file was downloaded from QuranicThought.com

{ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي } فيه وجهان :

أحدهما : لم تعمل بوصيتي ، قاله مقاتل .

الثاني : لم تنتظر عهدي ، قاله أبو عبيدة .

(58/3)

قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (95) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ
فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (96) قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ
مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (97) إِنَّمَا
إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا (98) كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ
آَتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا (99) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (100) خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا (101)

قوله عز وجل : { قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ } الخطب ما يحدث من الأمور الجليلة التي يخاطب عليها ، قال الشاعر :

آذنت جارتي بوشك رحيل ... بكرا جاهرت بخطب جليل

وفي السامري قولان :

أحدهما أنه كان رجلاً من أهل كرمان ، تبع موسى من بني إسرائيل ، قاله الطبري ، وكان اسمه موسى بن ظفر .

أحدهما : أنه كان رجلاً من أهل كرمان ، تبع موسى من بني إسرئيل ، قاله الطبري ، وكان اسمه موسى بن ظفر . وفي تسميته بالسامري قولان :

أحدهما : أنه كان من قبيلة يقال لها سامرة ، قاله قتادة .

الثاني : لأنه كان من قرية تسمى سامرة .

{ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِ } فيه وجهان :

أحدهما : نظرت ما لم ينظروه ، قاله أبو عبيدة .

الثاني : بما لم يفطنواْ له ، قاله مقاتل .

وفي بصرت وأبصرت وجهان :

أحدهما : أنَّ معناهما واحد .

الثاني : أن معناها مختلف ، فأبصرت بمعنى نظرت ، وبَصُرت بمعنى فطنت .

{ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً } قرأه الجماعة بالضاد المعجمة ، وقرأ الحسن بصاد غير معجمة ، والفرق بينهما

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أن القبضة بالضاد المعجمة ، بجميع الكف ، وبصاد غير معجمة : بأطراف الأصابع { مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ } فيه قولان :

أحدهما : أن الرسول جبريل .

وفي معرفته قولان :

أحدهما : لأنه رآه يوم فلق البحر فعرفه .

الثاني : أن حين ولدته أمه [جعلته في غار] - حذراً عليه من فرعون حين كان يقتل بني إسرائيل وكان جبريل يغذوه صغيراً لأجل البلوى ، فعرفه حين كبر ، فأخذ قبضة تراب من حافر فرسه وشدها في ثوبه { فَنَبَذْتُهَا } يعني فألقيتها ، وفيه وجهان :

أحدهما : أنه ألقاها فيما سبكه من الحلي بصياغة العجل حتى خار بعد صياغته .

الثاني : أنه ألقاها في جوف العجل بعد صياغته حتى ظهر خواره ، فهذا تفسيره على قول من جعل الرسول جبريل .

والقول الثاني : أن الرسول موسى ، وأن أثره شريعته التي شرعها وسنته التي سنها ، وأن قوله : { فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهاَ } أي طرحت شريعة موسى ونبذت سنته ، ثم اتخذت العجل جسداً له خوار .

{ وَكَذلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي } فيه وجهان :

أحدهما : حدثتني نفسي . قاله ابن زيد .

الثاني : زينت لي نفسي ، قاله الأخفش .

قوله عز وجل : { قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَياةِ أَن تَقُولَ لاَ مِسَاسَ } فيه قولان :

أحدهما : أن قوله : { فَاذْهَبْ } وعيد من موسى ، ولذا [فإن] السامري خاف فهرب فجعل يهيم في البرية مع الوحوش والسباع ، لا يجد أحداً من الناس يمسه ، حتى صار كالقائل لا مساس ، لبعده عن الناس وبعد الناس منه . قالت الشاعرة :

حمال رايات بها قنعاسا ... حتى يقول الأزد لا مساسا

القول الثاني : أن هذا القول من موسى [كان] تحريماً للسامري ، وأن موسى أمر بني إسرائيل ألا يؤاكلوه ولا يخالطوه ، فكان لا يَمَسُّ وَلاَ يُمَسُّ ، قال الشاعر :

تميم كرهط السامري وقوله ... ألا لا يريد السامري مساسا

أي لا يُخَالِطُونَ وَلاَ يُخَالَطُون .

{ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَّن تُخْلَفَهُ } يحتمل وجهين :

أحدهما : في الإمهال لن يقدم .

الثاني : في العذاب لن يؤخر .

قوله عز وجل : { وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً } فيه وجهان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدهما : أحاط بكل شيء حتى لم يخرج شيء من علمه .

الثاني : وسع كل شيء علماً حتى لم يخل شيء عن علمه به .

يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (102) يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (103) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا (104)

قوله عز وجل : { وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً } فيه ستة أقاويل :

أحدها : عُمياً ، قاله الفراء .

الثاني : عطاشاً قد أزرقت عيونهم من شدة العطش ، قاله الأزهري .

الثالث : تشويه خَلْقِهم بزرقة عيونهم وسواد وجوههم .

الرابع : أنه الطمع الكاذب إذ تعقبته الخيبة ، وهو نوع من العذاب .

الخامس : أن المراد بالزرقة شخوص البصر من شدة الخوف ، قال الشاعر :

لقد زرقت عيناك يا بن مكعبر ... كما كل ضبي مِن اللؤم أزرق

قوله عز وجل : { يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ } أي يتسارُّون بينهم ، من قوله تعالى : { وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا } [الإسراء : 110] أي لا تُسرّ بها .

{ إن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْراً } العشر على طريق التقليل دون التحديد وفيه وجهان :

أحدهما : إن لبثتم في الدنيا إلا عشراً ، لما شاهدوا من سرعة القيامة ، قاله الحسن .

الثاني : إن لبثتم في قبوركم إلاّ عشراً لما ساواه من سرعة الجزاء .

قوله تعالى : { نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ } يحتمل وجهين :

أحدهما : نحن أعلم بما يقولونه مما يتخافتون به بينهم .

الثاني : نحن أعلم بما يجري بينهم من القول في مدد ما لبثوا .

{ إذ يقول أمثلهم طريقةً } فيه وجهان :

أحدهما : أوفرهم عقلاً .

الثاني : أكبرهم سداداً .

{ إن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْماً } لأنه كان عنده أقصر زماناً وأقل لبثاً ، ثم فيه وجهان :

أحدهما : لبثهم في الدنيا .

الثاني : لبثهم في القبور .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (105) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (106) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (107) يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (108)

قوله عز وجل { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً } فيه قولان :

أحدهما : أنه يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها كما يذري الطعام .

الثاني : تصير كالهباء .

{ فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً } في القاع ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه الموضع المستوي الذي لا نبات فيه ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وابن زيد .

الثاني : الأرض الملساء .

الثالث : مستنقع الماء ، قاله الفراء .

وفي الصفصف وجهان : أحدهما : أنه ما لا نبات فيه ، قاله الكلبي .

الثاني : أنه المكان المستوي ، كأنه قال على صف واحد في استوائه ، قاله مجاهد .

{ لاَّ تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلاَ أَمْتاً } فيه خمسة أقاويل :

أحدها : عوجاً يعني وادياً ، ولا أمتاً يعني رابية ، قاله ابن عباس .

الثاني : عوجاً يعني صدعاً ، ولا أمتاً يعني أكمة ، قاله الحسن .

الثالث : عوجاً يعني ميلاً . ولا أمتاً يعني أثراً ، وهو مروي عن ابن عباس .

الرابع : الأمت الجذب والانثناء ، ومنه قول الشاعر :

ما في انطلاق سيره من أمت ... قاله قتادة .

الخامس : الأمت أن يغلظ مكان في الفضاء أو الجبل ، ويدق في مكان ، حكاه الصولي ، فيكون الأمت من الصعود والارتفاع .

قوله تعالى : { وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمنِ } قال ابن عباس : أي خضعت بالسكون ، قال الشاعر :

لما آتى خبر الزبير تصدعت ... سور المدينة والجبال الخشع

{ إلاَّ هَمْساً } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه الصوت الخفي ، قاله مجاهد .

الثاني : تحريك الشفة واللسان ، وقرأ أُبيّ : فلا ينطقون إلا همساً .

الثالث : نقل الأقدام ، قال ابن زيد ، قال الراجز :

وهن يمشين بنا هَمِيسا ... يعني أصوات أخفاف الإبل في سيرها .

(61/3)

This file was downloaded from QuranicThought.com

يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (109) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ
وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (110) وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (111) وَمَنْ يَعْمَلْ
مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (112)

قوله عز وجل : { وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ } فيه خسمة أوجه :

أحدها : أي ذلت ، قاله ابن عباس .

الثاني : خشعت ، قاله مجاهد ، والفرق بين الذل والخشوع- وإن تقارب معناهما- هو أنّ الذل أن يكون ذليل النفس ، والخشوع : أن يتذلل لذي طاعة . قال أمية بن الصلت :

وعنا له وجهي وخلقي كله ... في الساجدين لوجهه مشكورا

الثالث : عملت ، قاله الكلبي .

الرابع : استسلمت ، قاله عطية العوفي .

الخامس : أنه وضع الجبهة والأنف على الأرض في السجود ، قاله طلق بن حبيب .

{ الْقَيُّومِ } فيها ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه القائم على كل نفس بما كسبت ، قاله الحسن .

الثاني : القائم بتدبير الخلق .

الثالث : الدائم الذي لا يزول ولا يبيد .

{ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً } يعني شركاً .

قوله تعالى : { فَلاَ يَخَافُ ظُلْماً وَلاَ هَضْماً } فيه وجهان :

أحدهما : فلا يخاف الظلم بالزيادة في سيئاته ، ولا هضماً بالنقصان من حسناته ، قاله ابن عباس ، والحسن ، وقتادة .

الثاني : لا يخاف ظلماً بأن لا يجزى بعمله ، ولا هضماً بالانتقاص من حقه ، قاله ابن زيد ، والفرق بين الظلم والهضم أن الظلم المنع من الحق كله ، [والهضم] المنع من بعضه ، والهضم ظلم وإن افترقا من وجه ، قال المتوكل الليثي :

إن الأذلة واللئام لمعشر ... مولاهم المتهضم المظلوم

(62/3)

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (113) فَتَعَالَى اللَّهُ
الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (114)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله تعالى : { أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : حذراً ، قاله قتادة .

الثاني : شرفاً لإيمانهم ، قاله الضحاك .

الثالث : ذِكراً يعتبرون به .

قوله تعالى : { . . . . وَلاَ تَعْجَل بِالْقُرءَانِ } الآية . فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : لا تسأل إنزاله قبل أن يقضى ، أي يأتيك وحيه .

الثاني : لا تلقه إلى الناس قبل أن يأتيك بيان تأويله ، قاله عطية .

الثالث : لا تعجل بتلاوته قبل أن يفرغ جبريل من إبلاغه ، لأنه كان يعجل بتلاوته قبل أن يفرغ جبريل من إبلاغه خوف نسيانه ، قاله الكلبي .

{ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً } يحتمل أربعة أوجه :

أحدها : زدني أدباً في دينك ، لأن ما يحتاج إليه من علم دينه لنفسه أو لأمته لا يجوز أن يؤخره الله عنده حتى يلتمسه منه .

الثاني : زدني صبراً على طاعتك وجهاد أعدائك ، لأن الصبر يسهل بوجود العلم .

الثالث : زدني علماً بقصص أنبيائك ومنازل أوليائك .

الرابع : زدني علماً بحال أمتي وما تكون عليه من بعدي .

ووجدت للكلبي جواباً .

الخامس : معناه : { وَقُل رَّبِّ زَدِنِي عِلْماً } لأنه كلما ازداد من نزول القرآن عليه ازداد علماً به .

(63/3)

وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آَدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (115) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا
إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (116) فَقُلْنَا يَا آَدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117)
إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (118) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى (119) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ
قَالَ يَا آَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى (120) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآَتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آَدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى
(122)

قوله تعالى : { وَلَقَدْ عَهِدْنآ إِلَى ءَادَمَ . . . } فيه تأويلان :

أحدهما : يعني فترك أمر ربه ، قاله مجاهد .

الثاني : أنه نسي من النسيان والسهو ، قال ابن عباس : إنما أخذ الإنسان من أنه عهد إليه فنسي .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

{ . . . وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : صبراً ، قاله قتادة .

الثاني : حفظاً قاله عطية .

الثالث : ثباتاً . قال ابن أمامة : لو قرنت أعمال بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه على حلمهم ، وقد قال الله : { وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً } .

الرابع : عزماً في العودة إلى الذنب ثانياً .

قوله عز وجل : { فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى } يعني أنت وزوجك لأنهما في استواء العلة واحد . ولم يقل : فتشقيا لأمرين :

أحدهما : لأنه المخاطب دونها .

الثاني : لأنه الكادّ والكاسب لها ، فكان بالشقاء أخص .

(64/3)

قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (126)

قوله تعالى : { فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ } وعمل بما فيه { فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى } لا يضل في الدنيا ولا يشقى .

قال ابن عباس : ضمن الله لمن يقرأ القرآن ويعمل بما فيه ألاّ يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة .

{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : كسباً حراماً ، قاله عكرمة .

الثاني : أن يكون عيشه منغَّصاً بأن ينفق من لا يوقن بالخلف ، قاله ابن عباس .

الثالث : أنه عذاب القبر ، قاله ابو سعيد الخدري وابن مسعود وقد رفعه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم .

الرابع : أنه الطعام الضريع والزقوم في جهنم ، قاله الحسن ، وقتادة ، وابن زيد . والضنك في كلامهم الضيق قال ، عنترة :

إن المنية لو تمثل مثلت ... مثلي إذا نزلوا بضنك المنزل

ويحتمل خامساً : أن يكسب دون كفايته .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

{ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أعمى في حال ، وبصير في حال .

الثاني : أعمى عن الحجة ، قاله مجاهد .

الثالث : أعمى عن وجهات الخير لا يهتدي لشيء منها .

(65/3)

وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (127) أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (128) وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى (129) فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (130)

قوله عز وجل : { وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ } فيه وجهان :

أحدهما : بأن جعل الجزاء يوم القيامة ، قاله ابن قتيبة .

الثاني : بتأخيرهم إلى يوم بدر . { لَكَانَ لِزَاماً } فيه وجهان :

أحدهما : لكان عذاباً لازماً .

الثاني : لكان قضاء ، قاله الأخفش .

{ وَأَجَلٌ مُسَمّىً } فيه وجهان :

أحدهما : يوم بدر .

والثاني : يوم القيامة ، قاله قتادة . وقال في الكلام تقديم وتأخير ، وتقديره : ولولا كلمة وأجل مسمى لكان لزاماً .

قوله تعالى : { فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ } يعني من الإيذاء والافتراء .

{ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا } قبل طلوع الشمس صلاة الفجر ، وقبل غروبها صلاة العصر .

{ وَمِنْ ءَانآءِ اللَّيْلِ . . . } ساعاته ، وأحدها إنىً ، وفيه وجهان :

أحدهما : هي صلاة الليل كله ، قاله ابن عباس .

الثاني : هي صلاة المغرب والعشاء والآخرة .

{ . . . أَطْرَافِ النَّهَارِ } فيه وجهان :

أحدهما : صلاة الفجر لأنها آخر النصف الأول ، وأول النصف الثاني : قاله قتادة .

الثاني : أنها صلاة التطوع ، قاله الحسن .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

{ لَعَلَّكَ تَرْضَى } أي تعطى ، وقرأ عاصم والكسائي { تُرضى } بضم التاء يعني لعل الله يرضيك بكرامته ، وقيل بالشفاعة .

(66/3)

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (131) وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (132)

قوله عز وجل : { وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ . . . } فيه وجهان :

أحدهما : أنه أراد بمد العين النظر .

الثاني : أراد به الأسف .

{ أَزْوَاجاً } أي أشكالاً ، مأخوذ من المزاوجة .

{ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } قال قتادة : زينة الحياة الدنيا .

{ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ } يعني فيما متعناهم به من هذه الزهرة ، وفيه وجهان :

أحدهما : لنفتنهم أي لنعذبهم به ، قاله ابن بحر .

الثاني : لنميلهم عن مصالحهم وهو محتمل .

{ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى } فيه وجهان :

أحدهما : أنه القناعة بما يملكه والزهد فيما لا يملكه .

الثاني : وثواب ربك في الآخرة خير وأبقى مما متعنا به هؤلاء في الدنيا .

ويحتمل ثالثاً : أن يكون الحلال المُبْقِي خيراً من الكثير المُطْغِي .

وسبب نزولها ما رواه أبو رافع أن النبي صلى الله عليه وسلم استلف من يهودي طعاماً فأبى أن يسلفه إلا برهن ، فحزن وقال : « إني لأمين في السماء وأمين في الأرض ، أحمل درعي إليه » فنزلت هذه الآية .

وروى أنه لما نزلت هذه الآية أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديه فنادى : من لم يتأدب بأدب الله تعالى تقطعت نفسه على الدنيا حسرات .

قوله عز وجل : { وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ } فيه وجهان :

أحدهما : أنه أراد أهله المناسبين له .

والثاني : أنه أراد جميع من اتبعه وآمن به ، لأنهم يحلون بالطاعة له محل أهله .

{ وَاصْطَبِرْ عَلَيهَا } أي اصبر على فعلها وعلى أمرهم بها .

{ وَلاَ نَسْأَلُكَ رِزقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ } هذا وإن كان خطاباً للنبي صلى الله عليه وسلم فالمراد به جميع

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الخلق أنه تعالى يرزقهم ولا يسترزقهم ، وينفعهم ولا ينتفع بهم ، فكان ذلك أبلغ في الامتنان عليهم .
{ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى } أي وحسن العاقبة لأهل التقوى .

(67/3)

وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى (133) وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ
مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى (134) قُلْ كُلٌّ
مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى (135)

{ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ } أي منتظر ، ويحتمل وجهين :
أحدهما : منتظر النصر على صاحبه .
الثاني : ظهور الحق في عمله .
{ فَتَرَبَّصُواْ } وهذا تهديد .
{ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى } يحتمل وجهين :
أحدهما : فستعلمون بالنصر من أهدى إلى دين الحق .
الثاني : فستعلمون يوم القيامة من أهدى إلى طريق الجنة ، والله أعلم . .

(68/3)

اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (1) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ
وَهُمْ يَلْعَبُونَ (2) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ
وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (3) قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (4) بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ
أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ (5) مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا
أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ (6)

قوله عز وجل : { اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ } أي اقترب منهم ، وفيه قولان :
أحدهما : قرب وقت عذابهم ، يعني أهل مكة ، لأنهم استبطؤواْ ما وُعِدواْ به من العذاب تكذيباً ، فكان قتلهم يوم بدر ، قاله الضحاك .
الثاني : قرب وقت حسابهم وهو قيام الساعة .
وفي قربه وجهان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدهما : لا بُد آت ، وكل آت قريب .

الثاني : لأن الزمان لكثرة ما مضى وقلة ما بقي قريب .

{ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ } يحتمل وجهين :

أحدهما : في غفلة بالدنيا معرضون عن الآخرة .

الثاني : في غفلة بالضلال ، معرضون عن الهدى .

قوله تعالى : { مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ } التنزيل مبتدأ التلاوة لنزوله سورة بعد سورة . وآية بعد آية ، كما كان ينزله الله عليه في وقت بعد وقت .

{ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ } أي استمعوا تنزيله فتركوا قبوله .

{ وَهُمْ يَلْعَبُونَ } فيه وجهان :

أحدهما : أي يلهون .

الثاني : يشتغلون . فإن حمل تأويله على اللهو احتمل ما يلهون به وجهين : أحدهما : بلذاتهم .

الثاني : بسماع ما يتلى عليهم .

وإن حمل تأويله على الشغل احتمل ما يشتغلون به وجهين : أحدهما : بالدنيا ، لأنها لعب كما قال تعالى : { إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ } [الحديد : 20] .

الثاني : يتشاغلون بالقَدْحِ فيه والاعتراض عليه .

قال الحسن : كلما جدد لهم الذكر استمروا على الجهل .

قوله عز وجل : { لاَهِيَةً قُلُوبُهُمْ } فيه وجهان :

أحدهما : يعني غافله باللهو عن الذكر ، قاله قتادة .

الثاني : مشغلة بالباطل عن الحق ، قاله ابن شجرة ، ومنه قول امرىء القيس :

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع ... فألهيتها عن ذي تمائم محوِلِ

أي شغلتها عن ولدها .

ولبعض أصحاب الخواطر وجه ثالث : أنها غافلة عما يراد بها ومنها .

{ وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ } فيه وجهان :

أحدهما : ذكره ابن كامل أنهم أخفوا كلامهم الذي يتناجون به ، قاله الكلبي .

الثاني : يعني أنهم أظهروه وأعلنوه ، وأسروا من الأضداد المستعملة وإن كان الأظهر في حقيقتها أن تستعمل في الإخفاء دون الإظهار إلا بدليل .

{ هَلْ هَذَآ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ } إنكاراً منهم لتميزه عنهم بالنبوة .

{ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ } ويحتمل وجهين :

أحدهما : أفتقبلون السحر وأنتم تعلمون أنه سحر .

الثاني : أفتعدلون إلى الباطل وأنتم تعرفون الحق .

قوله تعالى : { بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ } فيه ثلاثة أوجه :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدها : أهاويل أحلام رآها في المنام ، قاله مجاهد .

الثاني : تخاليط أحلام رآها في المنام ، قاله قتادة ، ومنه قول الشاعر :

كضعث حلمٍ غُرَّ منه حالمه . ... الثالث : أنه ما لم يكن له تأويل ، قاله اليزيدي .

وفي الأحلام تأويلان :

أحدهما : ما لم يكن له تأويل ولا تفسير ، قاله الأخفش .

الثاني : إنها الرؤيا الكاذبة ، قاله ابن قتيبة ، ومنه قول الشاعر :

أحاديث طسم أو سراب بفدفَدٍ ... ترقوق للساري وأضغاث حالم

(69/3)

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (7) وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ (8) ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ (9)

قوله عز وجل : { فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ } الآية . فيهم ثلاثة أوجه :

أحدها : أهل التوراة والإِنجيل ، قاله الحسن ، وقتادة .

الثاني : أنهم علماء المسلمين ، قاله علي رضي الله عنه .

الثالث : مؤمنو أهل الكتاب ، قاله ابن شجرة .

قوله تعالى : { وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً . . . } الآية . فيه وجهان :

أحدهما : معناه وما جعلنا الأنبياء قبلك أجساداً لا يأكلون الطعام ولا يموتون فنجعلك كذلك ، وذلك لقولهم : { مَا هذا إلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ } [المؤمنون : 24] قاله ابن قتيبة .

الثاني : إنما جعلناهم جسداً يأكلون الطعام وما كانواْ خالدين ، فلذلك جعلناك جسداً مثلهم ، قاله قتادة .

قال الكلبي : أو الجسد هو الجسد الذي فيه الروح ويأكل ويشرب ، فعلى مقتضى هذا القول يكون ما لا يأكل ولا يشرب جسماً . وقال مجاهد : الجسد ما لا يأكل ولا يشرب ، فعلى مقتضى هذا القول يكون ما يأكل ويشرب نفساً .

(70/3)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (10) وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا
قَوْمًا آخَرِينَ (11) فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ (12) لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ
فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ (13) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (14) فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى
جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ (15)

قوله تعالى : { لَقَدْ أَنزلنا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ } الآية . فيه خمسة تأويلات :

أحدها : فيه حديثكم ، قاله مجاهد .

الثاني : مكارم أخلاقكم ومحاسن أعمالكم ، قاله سفيان .

الثالث : شرفكم إن تمسكتم به وعملتم بما فيه ، قاله ابن عيسى .

الرابع : ذكر ما تحتاجون إليه من أمر دينكم .

الخامس : العمل بما فيه حياتكم ، قاله سهل بن عبدالله .

قوله تعالى : { فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ } أي عاينوا عذابنا .

{ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ } فيه وجهان :

أحدهما : من القرية .

الثاني : من العذاب ، والركض : الإسراع .

قوله تعالى : { لاَ تَرْكُضُواْ وَارْجِعُواْ إِلى مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ } أي نعمكم ، والمترف المنعم .

{ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : لعلكم تسألون عن دنياكم شيئاً ، استهزاء بهم ، قاله قتادة .

الثاني : لعلكم تقنعون بالمسألة ، قاله مجاهد .

الثالث : لتسألوا عما كنتم تعملون ، قاله ابن بحر .

قوله تعالى : { فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ } يعني ما تقدم ذكره من قولهم { يا ويلنا إنا كنا ظالمين } .

{ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَامِدِينَ } فيه قولان : أحدهما : بالعذاب ، قاله الحسن .

الثاني : بالسيف ، قال مجاهد : حتى قتلهم بختنصر .

والحصيد قطع الاستئصال كحصاد الزرع . والخمود : الهمود كخمود النار إذا أطفئت ، فشبه خمود الحياة بخمود النار ، كما يقال لمن مات قد طفىء تشبيهاً بانطفاء النار .

(71/3)

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (16) لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا
فَاعِلِينَ (17) بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (18) وَلَهُ

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (19) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (20)

قوله تعالى : { لَوْ أَرَدْنَا أَن نَتَّخِذَ لَهْواً } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : ولداً ، قاله الحسن .

الثاني : أن اللهو النساء ، قاله مجاهد . وقال قتادة : اللهو بلغة اهل اليمن المرأة . قال ابن جريج : لأنهم قالواْ : مريم صاحبته وعيسى ولده .

الثالث : أنه اللهو الذي هو داعي الهوى ونازع الشهوة ، كما قال الشاعر :

ويلعينني في اللهو أن لا أحبه ... وللهو داعٍ لبيب غير غافلِ

{ لاَّتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّآ } أي من عندنا إن كنا فاعلين . قال ابن جريج : لاتخذنا نساء وولداً من أهل السماء وما اتخذنا من أهل الأرض .

{ إن كُنَّا فَاعِلِينَ } فيه وجهان :

أحدهما : وما كنا فاعلين ، قاله ابن جريج .

الثاني : أنه جاء بمعنى الشرط ، وتقدير الكلام لو كنا لاتخذناه بحيث لا يصل علمه إليكم .

قوله تعالى : { بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن الحق الكلام المتبوع ، والباطل المدفوع . ومعنى يدمغه أي يذهبه ويهلكه كالمشجوج تكون دامغة في أم رأسه تؤدي لهلاكه .

الثاني : أن الحق القرآن ، والباطل إبليس .

الثالث : أن الحق المواعظ والباطل المعاصي ، قاله بعض أهل الخواطر .

ويحتمل رابعاً : أن الحق الإسلام ، والباطل الشرك .

{ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ } فيه وجهان :

أحدهما : هالك ، قاله قتادة .

الثاني : ذاهب ، قاله ابن شجرة .

قوله عز وجل : { وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : لا يملون ، قاله ابن زيد .

الثاني : لا يعيون ، قاله قتادة .

الثالث : لا يستنكفون ، قاله الكلبي .

الرابع : لا ينقطعون ، مأخوذ من الحسير وهو البعير المنقطع بالإعياء ، قال الشاعر :

بها جيف الحسرى فأما عظامها ... فبيض وأما جلدها فصليب

(72/3)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أَمِ اتَّخَذُوا آَلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ (21) لَوْ كَانَ فِيهِمَا آَلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (22) لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (23)

قوله تعالى : { أَمِ اتَّخَذُواْ ءَالِهَةً مِّنَ الأَرْضِ } أي مما خلق في الأرض .

{ هُمُ يُنشِرُونَ } فيه قولان :

أحدهما : يخلقون ، قاله قطرب .

الثاني : قاله مجاهد ، يحيون ، يعني الموتى ، يقال : أنشر الله الموتى فنشروا أي أحياهم فحيوا ، مأخوذ من النشر بعد الطي ، قال الشاعر :

حتى يقول الناس مما رأوا ... يا عجباً للميت الناشِر

قوله تبارك وتعالى : { لَوْ كَانَ فِيهِمآ } يعني في السماء والأرض .

{ ءَالِهِةٌ إِلاَّ اللَّهُ } فيه وجهان :

أحدهما : معناه سوى الله ، قاله الفراء .

الثاني : أن « إلا » الواو ، وتقديره : لو كان فيهما آلهة والله لفسدتا ، أي لهلكتا بالفساد فعلى الوجه الأول يكون المقصود به إبطال عباد غيره لعجزه عن أن يكون إلهاً لعجزه عن قدرة الله ، وعلى الوجه الآخر يكون المقصود به إثبات وحدانية الله عن أن يكون له شريك يعارضه في ملكه .

قوله عز وجل : { لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : لا يسأل الخلق الخالق عن قضائه في خلقه ، وهو يسأل الخلق عن عملهم ، قاله ابن جريج .

الثاني : لا يسأل عن فعله ، لأن كل فعله صواب وهولا يريد عليه الثواب ، وهم يسألون عن أفعالهم ، لأنه قد يجوز أن تكون في غير صواب ، وقد لا يريدون بها الثواب إن كانت صواباً فلا تكون عبادة ، كما قال تعالى : { ليسأل الصادقين عن صدقهم } [الأحزاب : 8] .

الثالث : لا يُحَاسَب على أفعاله وهم يُحْسَبُونَ على أفعالهم ، قاله ابن بحر .

ويحتمل رابعاً : لا يؤاخذعلى أفعاله وهم يؤاخذون على أفعالهم .

(73/3)

أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آَلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ (24) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (25) وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (26) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

(27) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (28) وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (29)

قوله تعالى : { هذا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي } فيه وجهان :

أحدهما : هذا ذكر من معي بما يلزمهم من الحلال والحرام ، وذكر من قبلي ممن يخاطب من الأمم بالإيمان ، وهلك بالشرك ، قاله قتادة .

الثاني : ذكر من معي بإخلاص التوحيد في القرآن ، وذكر من قبلي في التوراة والإنجيل ، حكاه ابن عيسى .

قوله تعالى : { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ } فيه وجهان :

أحدهما ما بين أيديهم من أمر الآخرة ، وما خلفهم من أمر الدنيا ، قاله الكلبي .

الثاني : ما قدموا وما أخروا من عملهم ، قاله ابن عباس .

وفيه الثالث : ما قدموا : ما عملوا ، وما أخروا : يعني ما لم يعملوا ، قاله عطية .

{ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى } فيه وجهان :

أحدهما : لا يستغفرون في الدنيا إلا لمن ارتضى .

الثاني : لا يشفعون يوم القيامة إلا لمن ارتضى .

وفيه وجهان :

أحدهما : لمن ارتضى عمله ، قاله ابن عيسى .

الثاني : لمن رضي الله عنه ، قاله مجاهد .

(74/3)

أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (30) وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (31) وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (32) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (33)

قوله عز جل : { أَنَّ السَّمَواتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن السموات والأرض كانتا ملتصقتين ففتق الله بينهما بالهواء ، قاله ابن عباس .

الثاني : أن السموات كانت مرتتقة مطبقة ففتقها الله سبع سموات وكانت الأرض كذلك ففتقها سبع أرضين ، قاله مجاهد .

الثالث : أن السموات كانت رتقاً لا تمطر ، والأرض كانت رتقاً لا تنبت ، ففتق السماء بالمطر ،

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والأرض بالنبات ، قاله عكرمة ، وعطية ، وابن زيد .

والرتق سدٌّ ، والفتق شق ، وهما ضدان ، قال عبد الرحمن بن حسان :

يهون عليهم إذا يغضبو ... ن سخط العداة وإرغامُها

ورتق الفتوق وفتق الرتو ... ق ونقض الأمور وإبرامها

{ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن خلق كل شيء من الماء ، قاله قتادة .

الثاني : حفظ حياة كل شيء حي بالماء ، قاله قتادة .

الثالث : وجعلنا من ماء الصلب كل شيء حي ، قاله قطرب .

{ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ } يعني أفلا يصدقون بما يشاهدون .

قوله تعالى : { وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ } والرواسي الجبال ، وفي تسميتها بذلك وجهان :

أحدهما : لأنها رست في الأرض وثبتت ، قال الشاعر :

رسا أصله تحت الثرى وسما به ... إلى النجم فرعٌ لا يزال طويل

الثاني : لأن الأرض بها رست وثبتت . وفي الرواسي من الجبال قولان :

أحدهما : أنها الثوابت : قاله قطرب .

الثاني : أنها الثقال قاله الكلبي .

{ أَن تَمِيدَ بِهِم } فيه وجهان :

أحدهما : لئلا تزول بهم .

الثاني : لئلا تضطرب بهم . الميد الاضطراب .

{ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً } في الفجاج وجهان : أحدهما : أنها الأعلام التي يهتدى بها .

الثاني : الفجاج جمع فج وهو الطريق الواسع بين جبلين . قال الكميت :

تضيق بنا النجاح وهنّ فج ... ونجهل ماءها السلم الدفينا

{ لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ } فيه وجهان :

أحدهما : سبل الاعتبار ليهتدوا بالاعتبار بها إلى دينهم .

الثاني : مسالك ليهتدوا بها إلى طرق بلادهم .

قوله تعالى : { وَجَعَلْنَا السَّمَآءَ سَقْفاً مَّحْفُوظاً } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : محفوظاً من أن تسقط على الأرض .

الثاني : محفوظاً من الشياطين ، قاله الفراء .

الثالث : بمعنى مرفوعاً ، قاله مجاهد .

ويحتمل رابعاً : محفوظاً من الشرك والمعاصي .

قوله عز وجل : { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ والْقَمَرَ كُلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } فيه قولان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدهما : أن الفلك السماء ، قاله السدي .

الثاني : أن القطب المستدير الدائر بما فيه من الشمس والقمر والنجوم ومنه سميت فلكة المغزل لاستدارتها ، قال الشاعر :

باتت تقاسي الفلك الدّوار ... حتى الصباح تعمل الأقتار

وفي استدارة الفلك قولان :

أحدهما : أنه كدوران الأكرة .

الثاني : كدوران الرحى قاله الحسن ، وابن جريج .

واختلف في الفلك على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه السماء تدور بالشمس والقمر والنجوم .

الثاني : أنه استدارة في السماء تدور فيها النجوم مع ثبوت السماء ، قاله قتادة .

الثالث : أنها استدارة بين السماء والأرض تدور فيها النجوم ، قاله زيد بن أسلم .

{ يَسْبَحُونَ } وجهان :

أحدهما : يجرون ، قاله مجاهد .

الثاني : يدورون قاله ابن عباس ، فعلى الوجه الأول يكون الفلك مديرها ، وعلى الثاني تكون هي الدائرة في الفلك .

(75/3)

وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (34) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (35)

قوله عز وجل : { وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً } فيها أربعة أوجه :

أحدها : بالشدة والرخاء ، قاله ابن عباس .

الثاني : أن الشر : الفقر والمرض ، والخير الغنى والصحة ، قاله الضحاك .

الثالث : أن الشر : غلبة الهوى على النفس ، والخير : العصمة من المعاصي ، قاله التستري .

الرابع : ما تحبون وما تكرهون . لنعلم شكركم لما تحبون ، وصبركم على ما تكرهون ، قاله ابن زيد .

{ فِتْنَةً } فيه وجهان : أحدهما : اختباراً . الثاني : ابتلاء .

(76/3)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ
(36) خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ (37) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ (38) لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ
يُنْصَرُونَ (39) بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (40)

قوله عز وجل : { خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ } فيه قولان :

أحدهما : أن المعنيّ بالإنسان آدم ، فعلى هذا في قوله : { مِنْ عَجَلٍ } ثلاثة تأويلات :

أحدها : أي معجل قبل غروب الشمس من يوم الجمعة وهو آخر الأيام الستة ، قاله مجاهد والسدي .

الثاني : أنه سأل ربه بعد إكمال صورته ونفخ الروح في عينيه ولسانه أن يعجل إتمام خلقه وإجراء الروح في جميع جسده ، قاله الكلبي .

الثالث : أن معنى { من عجل } أي من طين ، ومنه قول الشاعر :

والنبع في الصخرة الصماء منبته ... والنخل ينبت بين الماء والعجل

والقول الثاني : أن المعنى بالإنسان الناس كلهم ، فعلى هذا في قوله : { من عجل } ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني خلق الإنسان عجولاً ، قاله قتادة .

الثاني : خلقت العجلة في الإنسان قاله ابن قتيبة .

الثالث : يعني أنه خلق على حُب العجلة .

والعجلة تقديم الشيء قبل وقته ، والسرعة تقديمه في أول أوقاته .

(77/3)

وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (41) قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ
بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ (42) أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا
يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ (43)

قوله عز وجل : { قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم . . . } الآية . أي يحفظكم ، قال ابن هرمة :

إن سليمى والله يكلؤها ... ضنت بشيء ما كان يرزؤها

ومخرج اللفظ مخرج الاستفهام ، والمراد به النفي ، تقديره : قل لا حافظ لكم بالليل والنهار من

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الرحمن . قوله تعالى : { . . وَلاَ هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : يجارون ، قاله ابن عباس ، من قولهم : إن لك من فلان صاحباً ، أي مجيراً ، قال الشاعر :

ينادي بأعلى صوته متعوذاً ... ليصحب منها والرماح دواني

الثاني : يحفظون ، قاله مجاهد .

الثالث : ينصرون ، وهو مأثور .

الرابع : ولا يصحبون من الله بخير ، قاله قتادة .

(78/3)

بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ (44) قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ (45) وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (46) وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ (47)

قوله تعالى : { نأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا } فيه أربعة أوجه :

أحدها : ننقصها من أطرافها عند الظهور عليها أرضاً بعد أرض وفتحها بلداً بعد بلد ، قاله الحسن .

الثاني : بنقصان أهلها وقلة بركتها ، قاله ابن أبي طلحة .

الثالث : بالقتل والسبي ، حكاه الكلبي .

الرابع : بموت فقهائها وعلمائها ، قاله عطاء ، والضحاك .

ويحتمل خامساً : بجور ولاتها وأمرائها .

(79/3)

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ (48) الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (49) وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (50)

قوله تعالى : { وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : التوراة التي فرق فيها بين الحق والباطل ، قاله مجاهد ، وقتادة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثاني : هو البرهان الذي فرق بين حق موسى وباطل فرعون ، قاله ابن زيد .

الثالث : هو النصر والنجاة فنصر موسى وأشياعه ، وأهلك فرعون وأتباعه قال الكلبي .

(80/3)

وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (51) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (52) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (53) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (54) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (55) قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (56)

قوله عز وجل : { وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ } فيه وجهان :

أحدهما : رشْده : النبوة ، حكاه ابن عيسى .

الثاني : هو أن هداه صغيراً ، قاله مجاهد ، وقتادة .

{ مِن قَبْلُ } فيه وجهان :

أحدهما : من قبل أن يرسل نبياً .

الثاني : من قبل موسى وهارون .

{ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ } فيه وجهان :

أحدهما : عالمين أنه أهل لإيتاء الرشد .

الثاني : أنه يصلح للنبوة .

(81/3)

وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (57) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (58) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (59) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (60) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (61) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (62) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (63)

قوله تعالى : { فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً } قراءة الجمهور بضم الجيم ، وقرأ الكسائي وحده بكسرها ، وفيه وجهان :

أحدهما : حُطاماً ، قاله ابن عباس ، وهو تأويل من قرأ بالضم .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الثاني : قِطعاً مقطوعة ، قال الضحاك : هو أن يأخذ من كل عضوين عضواً ويترك عضواً وهذا تأويل من قرأ بالكسر ، مأخوذ من الجذ وهو القطع ، قال الشاعر :

جَّذذ الأصنام في محرابها ... ذاك في الله العلي المقتدر

{ قَالُواْ فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ } أي بمرأى من الناس .

{ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : يشهدون عقابه ، قاله ابن عباس .

الثاني : يشهدون عليه بما فعل ، لأنهم كرهواْ أن يعاقبوه بغير بينة ، قاله الحسن ، وقتادة ، والسدي .

الثالث : يشهدون بما يقول من حجة ، وما يقال له من جواب ، قاله ابن كامل .

قوله تعالى : { قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ } الآية . فيه وجهان :

أحدهما : بل فعله كبيرهم إن كانوا ينطقون فاسألوهم ، فجعل إضافة الفعل إليهم مشروطاً بنطقهم تنبيهاً لهم على فساد اعتقادهم .

الثاني : أن هذا القول من إبراهيم سؤال إلزام خرج مخرج الخبر وليس بخبر ، ومعناه : أن من اعتقد أن هذه آلهة لزمه سؤالها ، فلعله فعله [كبيرهم] فيجيبه إن كان إلهاً ناطقاً .

{ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ } أي يخبرون ، كما قال الأحوص :

ما الشعر إلا خطبةٌ من مؤلفٍ ... لمنطق حق أو لمنطق باطل

(82/3)

فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (64) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (65) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (66) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (67)

قوله تعالى : { فَرَجَعُواْ إِلَى أَنفُسِهِمْ } فيه وجهان :

أحدهما : أن رجع بعضهم إلى بعض .

الثاني : أن رجع كل واحد منهم إلى نفسه متفكراً فيما قاله إبراهيم ، فحاروا عما أراده من الجواب فأنطقهم الله تعالى الحق { فَقَالُواْ : إِنَّكم أَنتُمُ الظَّالِمُونَ } يعني في سؤاله ، لأنها لو كانت آلهة لم يصل إبراهيم إلى كسرها ، ولو صحبهم التوفيق لآمنوا هذا الجواب لظهور الحق فيه على ألسنتهم .

{ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَى رُءوسِهِمْ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : معناه أنها رجعوا إلى شركهم بعد اعترافهم بالحق .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثاني : يعني أنهم رجعواْ إلى احتجاجهم على إبراهيم بقولهم : { لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هؤلآءِ يَنطِقُونَ } .
الثالث : أنهم نكسواْ على رؤوسهم واحتمل ذلك منهم واحداً من أمرين : إما انكساراً بانقطاع حجتهم ، وإما فكراً في جوابهم فأنطقهم الله بعد ذلك بالحجة إذعاناً لها وإقراراً بها ، بقولهم : { لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هؤلآءِ يَنطِقُونَ } فأجابهم إبراهيم بعد اعترافهم بالحجة .

(83/3)

قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آَلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (68) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (69) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (70)

{ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَانْصُرُواْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ } وفي الذي أشارعليهم بذلك قولان :
أحدهما : أنه رجل من أعراب فارس يعني أكراد فارس ، قاله ابن عمر ، ومجاهد . وابن جريج .
الثاني : أنه هيزون فخسف الله به الأرض وهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة . وقيل إن إبراهيم حين أوثق ليلقى في النار فقال : لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين ، لك الحمد ولك الملك لا شريك لك .
وقال عبد الله بن عمر : كانت كلمة إبراهيم حين أُلقي في النار : حسبي الله ونعم الوكيل .
قال قتادة : فما أحرقت النار منه إلا وثاقه .
قال ابن جريج : ألقي إبراهيم في النار وهو ابن ست وعشرين سنة .
وقال كعب : لم يبق في الأرض يومئذ إلا من يطفيء عن إبراهيم النار ، إلا الوزغ فإنها كانت تنفخ عليه ، فلذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتلها .
قال الكلبي : بنواْ له أتوناً ألقوه فيه ، وأوقدوا عليه النار سبعة أيام ، ثم أطبقوه عليه وفتحوه من الغد ، فإذا هو عرق أبيض لم يحترق ، وبردت نار الأرض فما أنضجت يومئذ كراعاً .
قوله تعالى : { قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاَماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ } جعل الله فيها برداً يدفع حرها ، وحراً يدفع بردها ، فصارت سلاماً عليه .
قال أبو العالية : ولو لم يقل « سلاماً » لكان بردها أشد عليه من حرها ، ولو لم يقل « على إبراهيم » لكان بردها باقيا على الأبد .

(84/3)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (71) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (72) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (73) وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ (74) وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (75)

قوله تعالى : { وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً } قيل إن لوط كان ابن أخي إبراهيم فآمن به ، قال تعالى : { فَأَمَنَ لَهُ لُوطٌ } [العنكبوت : 26] فلذلك نجاهما الله .

{ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ } [فيه] ثلاثة أقاويل :

أحدها : من أرض العراق إلى أرض الشام قاله قتادة ، وابن جريج .

الثاني : إلى أرض بيت المقدس ، قاله أبو العوام .

الثالث : إلى مكة ، قاله ابن عباس .

وفي بركتها ثلاثة أقاويل : أحدها : أن منها بعث الله أكثر الأنبياء .

الثاني : لكثرة خصبها ونمو نباتها .

الثالث : عذوبة مائها وتفرقه في الأرض منها . قال أبو العالية : ليس ماء عذب إلا يهبط من السماء إلى الصخرة التي ببيت المقدس ، ثم يتفرق في الأرض .

قال كعب الأحبار ، والذي نفسي بيده إن العين التي بدارين لتخرج من تحت هذه الصخرة ، يعني عيناً في البحر .

قوله تعالى : { وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً } فيها ثلاثة أوجه :

أحدها : أن النافلة الغنيمة ، قال لبيد :

لله نافلة الأفضل . ... الثاني : أن النافلة الابن ، حكاه السدي .

الثالث : أنها الزيادة في العطاء . وفيما هو زيادة قولان :

أحدهما : أن يعقوب هو النافلة ، لأنه دعا بالولد فزاده الله ولد الولد ، قاله ابن عباس وقتادة .

الثاني : أن إسحاق ويعقوب هما جميعاً نافلة ، لأنهما زيادة على ما تقدم من النعمة عليه ، قاله مجاهد ، وعطاء .

قوله وجل : { وَلُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً } فيه تأويلان :

أحدهما : أنه القضاء بالحق بين الخصوم قاله ابن عيسى .

الثاني : النبوة ، قاله . . . .

{ عِلْمَاً } يعني فهماً .

{ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيةِ الَّتِي كَانَت تَّعمَلُ الْخَبَآئِثَ } وهي قرية سدوم .

وفي الخبائث التي كانوا يعملونها قولان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدهما : اللواط .

الثاني : الضراط { ونجيناه } قيل من قلب المدائن ورمي الحجارة .

(85/3)

وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (76) وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (77)

قوله تعالى : { وَنُوحاً إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ } يعني إذ دعانا على قومه من قبل إبراهيم .

{ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ } ويحتمل وجهاً آخر إذ نجيناه من أذية قومه حين أغرقهم الله .

ويحتمل ثالثاً : نجاته من مشاهدة المعاصي في الأرض بعد أن طهرها الله بالعذاب .

{ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِأَيَاتِنَا } فيه وجهان :

أحدهما : نصرناه عليهم بإجابة دعائه فيهم . الثاني : معناه خلصناه منهم بسلامته دونهم .

(86/3)

وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (78) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (79) وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ (80) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (81) وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ (82)

قوله عز وجل : { وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكَمَانِ فِي الْحَرْثِ } فيه قولان :

أحدها : أنه كان زرعاً وقعت فيه الغنم ليلاً ، قاله قتادة .

الثاني : كان كرماً نبتت عناقيده ، قاله ابن مسعود ، وشريح .

{ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ } قال قتادة : النفش رعي الليل ، والهمل : رعي النهار ، قال الشاعر :

متعلقة بأفناء البيوت ... ناقشاً في عشا التراب

{ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ } وفي حكمهما قولان :

أحدهما : أنه كان متفقاً لم يختلفا فيه ، لأن الله حين أثنى عليهم دل على اتفاقهما في الصواب

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويحتمل قوله تبارك وتعالى : { فَفَهَّمْنَاهَا } على أنه فضيلة له على داود لأنه أوتي الحكم في صغره ، وأوتي داود الحكم في كبره ، وإن اتفقا عليه ولم يختلفا فيه لأن الأنبياء معصومون من الغلط والخطأ لئلا يقع الشك في أمورهم وأحكامهم ، وهذا قول شاذ من المتكلمين .

والقول الثاني : وهو قول الجمهور من العلماء والمفسرين أن حكمهما كان مختلفاً أصاب فيه سليمان ، واخطأ داود ، فأما حكم سليمان فإنه قضى لصاحب الحرث ، وأما حكم سليمان فإنه رأى أن يدفع الغنم إلى صاحب الحرث لينتفع بدرّها ونسلها ، ويدفع الحرث إلى صاحب الغنم ليأخذ بعمارته ، فإذا عاد في السنة ابن مسعود ، ومجاهد . فرجع داود إلى قضاء سليمان فحكم به ، فقال الله تعالى : { فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ } فجعل الحق معه وفي حكمه ، ولا يمتنع وجود الغلط والخطأ من الأنبياء كوجوده من غيرهم . لكن لا يقرون عليه وإن أقر عليه غيرهم ، ليعود الله بالحقائق لهم دون خلقه ، ولذلك تسمى بالحق وتميز به عن الخلق . واختلف القائلون بهذا في حمله على العموم في جميع الأنبياء على قولين :

أحدهما : أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم مخصوص منهم بجواز الخطأ عليهم دونه قاله أبو علي بن أبي هريرة رضي الله عنه ، وفرق بينه وبين غيره من جميع الأنبياء ، لأنه خاتم الأنبياء فلم يكن بعده من يستدرك غلطه ، ولذلك عصمه الله منه ، وقد بعث بعد غيره من الأنبياء مَنْ يستدرك غلطه .

والقول الثاني : أنه على العموم في جميع الأنبياء ، وأن نبينا وغيره من الأنبياء في تجويز الخطأ على سواء ، إلا أنهم لا يقرون على إمضائه ، فلم يعتبر فيه استدراك مَنْ بعدهم من الأنبياء ، فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سألته امرأة عن العدة ، فقال لها : « اعْتَدِّي حَيْثُ شِئْتِ » ثم قال : « يَا سُبْحَانَ اللَّهِ ، امْكُثِي فِي بَيْتِكِ حَتَّى يَبْلُغَ الكِتَابُ أَجَلَهُ » وقال رجل : أرأيتَ إن قُتِلتُ صابراً محتسباً أيحجزني عن الجنة شيء؟ فقال : (لاَ) ، ثم دعاه فقال : « إلاَّ الدَّينُ كَمَا أَخْبَرَنِي بِهِ جِبْرِيلُ » . ولا يوجد منه إلاّ ما جاز عليه .

ثم قال تعال : { وَكُلاًّ ءَاتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً } قال الحسن : لولا هذه الآية لرأيت أن القضاة قد هلكوا ، ولكنه أثنى على سليمان على صوابه وعذر داود باجتهاده .

(87/3)

فإن قيل : فكيف نقض داود حكمه باجتهاد سليمان؟ فالجواب عنه من وجهين :

أحدهما : يجوز أن يكون داود ذكر حكمه على الإطلاق وكان ذلك منه على طريق الفتيا فذكره لهم ليلزمهم إياه ، فلما ظهر له ما هو أقوى في الاجتهاد منه عاد إليه .

الثاني : أنه يجوز أن يكون الله أوحى بهذا الحكم إلى سليمان فلزمه ذلك ، ولأجل النص الوارد

This file was downloaded from QuranicThought.com

مكتبة مشكاة الإسلامية
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

بالوحي رأى أن ينقض اجتهاده ، لأن على الحاكم أن ينقض حكمه بالاجتهاد إذا خالف نصاً .

على أن العلماء قد اختلفوا في الأنبياء ، هل يجوز لهم الاجتهاد في الأحكام؟ فقالت طائفة يجوز لهم الاجتهاد لأمرين :

أحدهما : أن الاجتهاد في الاجتهاد فضيلة ، فلم يجز أن يحرمها الأنبياء .

الثاني : أن الاجتهاد أقوى فكان أحبها ، وهم [في] التزام الحكم به أولى ، وهذا قول من جوز من الأنبياء وجود الغلط .

وقال الآخرون : لا يجوز للأنبياء أن يجتهدوا في الأحكام ، لأن الاجتهاد إنما يلجأ إليه الحاكم لعدم النص ، والأنبياء لا يعدمون النص لنزول الوحي عليهم ، فلم يكن لهم الإجتهاد وهذا قول من قال بعصمة الأنبياء من الغلط والخطأ

فأما ما استقر عليه شرعنا فيما أفسدته البهائم من الزرع فقد روى سعيد بن المسيب أن ناقة البراء بن عازب دخلت حائطاً وأفسدته ، فقضى النبي صلى الله عليه وسلم على أهل المواشي بحفظ مواشيهم ليلاً ، وعلى أهل الحوائط بحفظ حوائطهم نهاراً ، فصار ما أفسدته البهائم بالليل مضموناً ، وما أفسدته نهاراً غير مضمون لأن حفظها شاق على أربابها ، ولا يشق عليهم حفظها نهاراً ، فصار الحفظ في الليل واجباً على أرباب المواشي فضمنوا ما أفسدته مواشيهم ، والحفظ في النهار واجباً على أرباب الزروع ، فلم يحكم لهم – مع تقصيرهم – بضمان زرعهم ، وهذا من أصح قضاء وأعدل حكم ، رفقاً بالفريقين ، وتسهيلاً على الطائفتين ، فليس ينافي هذا ما حكم داود [به] وسليمان عليهما السلام من أصل الضمان ، لأنهما حكما به في رعي الليل ، وإنما يخالف من صفته ، فإن الزرع في شرعنا مضمون لأنهما حكما بنقصانه من زائد وناقص ، ولا تعرض للبهائم المفسدة إذا وصل الضمان إلى المستحق .

ثم قال تعالى : { وَكُلاًّ ءَاتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً } يحتمل وجهين :

أحدهما : أنه أتى كل واحد منهما من الحكم والعلم مثل ما آتى الآخر وفي المراد بالحكم والعلم وجهان محتملان :

أحدهما : أن الحكم القضاء ، والعلم الفتيا .

الثاني : أن الحكم الاجتهاد ، والعلم النص .

قوله عز وجل : { وَسَخَّرْنَا مَ‍عَ دَاوُودَ الْجِبَالَ } يحتمل وجهين :

أحدهما : ذللنا .

الثاني : ألهمنا .

{ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ } وفي تسبيحها ثلاثة أوجه :

أحدها : أن سيرها معه هو تسبيحها ، قاله ابن عيسى ، والتسبيح مأخوذ من السباحة .

الثاني : أنها صلواتها معه ، قاله قتادة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثالث : أنه تسبيح مسموع كان يفهمه ، وهذا قول يحيى بن سلام .

قوله عز وجل : { وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ . . . } فيه وجهان :

(88/3)

أحدهما : اللبوس الدرع الملبوس ، قاله قتادة .

الثاني : أن جيمع السلاح لبوس عند العرب .

{ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأسِكُمْ } فيه وجهان :

أحدهما : من سلاحكم ، قاله ابن عباس .

الثاني : حرب أعدائكم ، قاله الضحاك . قوله عز وجل : { وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً } معناه وسخرنا لسليمان الريح ، والعصوف شدة حركتها والعصف التبن ، فسمي به شدة الريح لأنها تعصفه لشدة تكسيرها له .

{ تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا } هي أرض الشام ، وفي بركتها ثلاثة أقاويل :

أحدها : بمن بعث فيها من الأنبياء .

الثاني : أن مياه أنهار الأرض تجري منها .

الثالث : بما أودعها الله من الخيرات ، قاله قتادة : ما نقص من الأرض زيد في أرض الشام ، وما نقص من الشام زيد في فلسطين ، وكان يقال هي أرض المحشر والمنشر .

وكانت الريح تجري بسليمان وأصحابه إلى حيث شاء . قال مقاتل : وسليمان أول من استخرج اللؤلؤ بغوص الشياطين .

(89/3)

وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (83) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ (84)

قوله تعالى : { وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي } الآية . حكى الحسن البصري : أن أيوب آتاه الله مالاً وولداً فهلك ماله ، ومات أولاده ، فقال : ربِّ قد أَحْسَنْتَ إِليَّ الإحسان كُلَّه ، كنتُ قبل اليوم شَغَلَنِي حُبُّ المالِ بالنهارِ ، وشَغَلَنِي حُبُّ الولدِ بالليلِ ، فالآن أُفَرِغُ لك سمعي وبصري وليلي ونهاري بالحمد والذكر فلم ينفذ لإبليس فيه مكر ، ولا قدر له على فتنة ، فَبُلِي في بَدَنِهِ حتى قرح وسعى فيه الدود ،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

واشتد به البلاء حتى طرح على مزبلة بني إسرائيل ، ولم يبق أحد يدنو منه غير زوجته صبرت معه ، تتصدق وتطعمه ، وقد كان آمن به ثلاثة من قومه ، رفضوا عند بلائه ، وأيوب يزداد حمداً لله وذكراً ، وإبليس يجتهد في افتتانه فلا يصل إليه حتى شاور أصحابه ، فقالوا : أرأيت آدم حين أخرجته من الجنة من أين أتيته؟ قال : من قبل امرأته ، فقالوا شأنك أيوب من قبل امرأته قال : أصبتم فأتاها فذكر لها ضر أيوب بعد جماله وماله وولده ، فصرخت ، فطمع عدو الله فيها ، فأتاها بسخلة ، فقال ليذبح أيوب هذه السخلة لي ويبرأ ، فجاءت إلى أيوب فصرخت وقالت يا أيوب حتى متى يعذبك ربك ولا يرحمك؟ أين المال؟ أين الولد؟ أين لونك الحسن؟ قد بلى ، وقد تردد الدواب ، اذبح هذه السخلة واسترح . قال لها أيوب أتاك عدو الله فنفخ فيك فوجد فيك رفقاً فأجبتيه؟ أرأيت ما تبكين عليه من المال والولد والشباب والصحة من أعطانيه؟ فقالت الله ، قال : فكم متعنا به؟ قالت : ثمانين سنة ، قال : منذ كم ابتلانا الله بهذا البلاء؟ فقالت : منذ سبع سنين وأشهر قال : ويلك والله ما أنصفت ربك ، ألا صبرت حتى نكون في هذا البلاء ثمانين سنة والله لئن شفاني الله لأجلدنك مائة جلدة ، ثم طردها وقال : ما تأتيني به عليَّ حرام إن أكلته ، فيئس إبليس من فتنته .

ثم بقي أيوب وحيداً فخر ساجداً وقال : ربِّ ،

{ مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } وفيه خمسة أوجه :

أحدها : أن الضر المرض ، قاله قتادة .

الثاني : أنه البلاء الذي في جسده ، قاله السدّي ، حتى قيل إن الدودة كانت تقع من جسده فيردها في مكانها ويقول : كلي مما رزقك الله .

الثالث : أنه الشيطان كما قال في موضع آخر { أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصُبٍ وَعَذَابٍ } [ص : 41] قاله الحسن .

الرابع : أنه وثب ليصلي فلم يقدر على النهوض ، فقال : مسني الضر ، إخباراً عن حاله ، لا شكوى لبلائه ، رواه أنس مرفوعاً .

الخامس : أنه انقطع الوحي عنه أربعين يوماً فخاف هجران ربه ، فقال : مسني الضر ، وهذا قول جعفر الصادق رحمه الله .

وفي مخرج قوله : { مَسَّنِيَ الضُّرُّ } أربعة أوجه :

أحدها : أنه خارج مخرج الاستفهام ، وتقديره أيمسني الضر وأنت أرحم الراحمين .

الثاني : أنت أرحم بي أن يمسني الضر .

(90/3)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثالث : أنه قال [ذلك] استقالة من ذنبه ورغبة إلى ربه .

الرابع : أنه شكا ضعفه وضره استعطافاً لرحمته ، فكشف بلاءه فقيل له : { ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ } [ص : 42] فركض برجله فنبعت عين ، فاغتسل منها وشرب فذهب باطن دائه وعاد إليه شبابه وجماله ، وقام صحيحاً ، وضاعف الله له ما كان من أهل ومال وولده .

ثم إن امرأته قالت : إن طردني فإلى من أكِله؟ فَرَجَعَتْ فلم تَرَهُ ، فجعلت تطوف وتبكي ، وأيوب يراها وتراه فلا تعرفه فلما سألته عنه وكلمته فعرفته ، ثم إن الله رحمها لصبرها معه على البلاء ، فأمره أن يضربها بضِغث ليبّر في يمينه ، قاله ابن عباس . وكانت امرأته ماخيرا بنت ميشا بن يوسف بن يعقوب .

{ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وءَاتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ } .

قال ابن مسعود : رد الله إليه أهله الذين أهلكهم بأعيانهم ، وأعطاه مثلهم معهم . قال الفراء كان لأيوب سبع بنين وسبع بنات فماتواْ في بلائه ، فلما كشف الله ضره رَدّ عليه بنيه وبناته وولد له بعد ذلك مثلهم ، قال الحسن : وكانوا ماتوا قبل آجالهم فأحياهم الله فوفاهم آجالهم ، وأن الله أبقاه حتى أعطاهم من نسلهم مثلهم .

(91/3)

وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ (85) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ (86)

قوله تعالى : { وَذَا الْكِفْلِ } فيه قولان :

أحدهما : أنه لم يكن نبياً وكان عبداً صالحاً كُفِلَ لنبي قيل إنه اليسع بصيام النهار وقيام الليل ، وألا يغضب ، ويقضي بالحق ، فوفى به فأثنى الله عليه ، قاله أبو موسى ، ومجاهد ، وقتادة .

الثاني : أنه كان نبياً كفل بأمر فوفى به ، قاله الحسن .

وفي تسميته بذي الكفل ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه كان . . . .

الثاني : لأنه كفل بأمر فوفى به .

الثالث : لأن ثوابه ضعف ثواب غيره ممن كان في زمانه .

(92/3)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (88)

قوله تعالى : { وَذَا النُّونِ } وهو يونس بن متى ، سمي بذلك لأنه صاحب الحوت ، كما قال تعالى : { فَلاَ تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ } [القلم : 48] والحوت النون ، نسب إليه لأنه ابتلعه ، ومنه قول الشاعر :

يا جيد القصر نِعم القصر والوادي ... وجيداً أهله من حاضر بادي

توفي قراقره والوحش راتعه ... والضب والنون والملاح والحادي

يعني أنه يجتمع فيه صيد البر والبحر ، وأهل المال والظهر ، وأهل البدو والحضر .

{ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : يعني مراغماً للملك وكان اسمه حزقيا ولم يكن به بأس ، حكاه النقاش .

الثاني : مغاضباً لقومه ، قاله الحسن .

الثالث : مغاضباً لربه ، قاله الشعبي ، ومغاضبته ليست مراغمة ، لأن مراغمة الله كفر لا تجوز على الأنبياء ، وإنما هي خروجه بغير إذن ، فكانت هي معصيته .

وفي سبب ذهابه لقومه وجهان :

أحدهما : أنه كان في خُلُقِه ضيق ، فلما حملت عليه أثقال النبوة ضاق ذرعه بها ولم يصبر لها ، وكذلك قال الله : { فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ } [الأحقاف : 35] قاله وهب .

الثاني : أنه كان من عادة قومه أن من كذب قتلوه ، ولم يجربواْ عليه كذباً ، فلما أخبرهم أن العذاب يحل بهم ورفعه الله عنهم ، قال لا أرجع إليهم كذّاباً ، وخاف أن يقتلوه فخرج هارباً .

{ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : فظن أن لن نضيق طرقه ، ومنه قوله : { وَمَن قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ } [الطلاق : 7] أي ضيق عليه ، قاله ابن عباس .

الثاني : فظن أن لن نعاقبه بما صنع ، قاله قتادة ، ومجاهد .

الثالث : فظن أن لن نحكم عليه بما حكمنا ، حكاه ابن شجرة ، قال الفراء : معناه لن نُقدرَ عليه من العقوبة ما قَدَّرْنَا ، مأخوذ من القدر ، وهو الحكم دون القدرة ، وقرأ ابن عباس : نقدّر بالتشديد ، وهو معنى ما ذكره الفراء ، ولا يجوز أن يكون محمولاً على العجز عن القدرة عليه لأنه كفر .

الرابع : أنه على معنى استفهام ، تقديره : أفظن أن لن نقدر عليه ، فحذف ألف الاستفهام إيجازاً ، قاله سليمان بن المعتمر .

{ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ } فيه قولان :

أحدهما : أنها ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة جوف الحوت ، قاله ابن عباس ، وقتادة . الثاني : وقتادة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثاني : أنها ظلمة الحوت في بطن الحوت ، قاله سالم بن أبي الجعد .

ويحتمل ثالثاً : أنها ظلمة الخطيئة ، وظلمة الشدة ، وظلمة الوحدة .

{ أَن لآَّ إِلهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } يعني لنفسي في الخروج من غير أن تأذن لي ، ولم يكن ذلك عقوبة من الله ، لأن الأنبياء لا يجوز أن يعاقبوا ، وإنما كان تأديباً ، وقد يؤدب من لا يستحق العقاب كالصبيان .

قوله تعالى : { فَاسْتَجَبْنَا لَهُ } وفي استجابة الدعاء قولان :

أحدهما : أنه ثواب من الله للداعي ولا يجوز أن يكون غير ثواب .

والثاني : أنه استصلاح فربما كان ثواباً وربما كان غير ثواب .

{ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ } يحتمل وجهين :

أحدهما : من الغم بخطيئته .

الثاني : من بطن الحوت لأن الغم التغطية . وقيل : إن الله أوحى إلى الحوت ألاّ تكسر له عظماً ، ولا تخدش له جلداً .

وحينما صار في بطنه : قال يا رب اتخذتَ لي مسجداً في مواضع ما اتخذها أحد .

وفي مدة لبثه في بطن الحوت ثلاثة أقاويل :

أحدها : أربعون يوماً .

الثاني : ثلاثة أيام .

الثالث : من ارتفاع النهار إلى آخره . قال الشعبي : أربع ساعات ، ثم فتح الحوت فاه فرأى يونس ضوء الشمس ، فقال : سبحانك إني كنت من الظالمين ، فلفظه الحوت .

(93/3)

وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (89) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (90)

{ رَبِّ لاَ تَذَرْنِي فَرْداً } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : خلياًمن عصمتك ، قاله ابن عطاء .

الثاني : عادلاً عن طاعتك .

الثالث : وهو قول الجمهور يعني وحيداً بغير ولد .

{ وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ } أي خير من يرث العباد من الأهل والأولاد ، ليجعل رغبته إلى الله في الولد والأهل لا بالمال ، ولكن ليكون صالحاً ، وفي النبوة تالياً .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله تعالى : { فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ } فيه وجهان :

أحدهما : أنها كانت عاقراً فَجُعِلَتْ ولوداً . قال الكلبي : وَلَدَتْ له وهو ابن بضع وسبعين سنة .

والثاني : أنها كانت في لسانها طول فرزقها حُسْنَ الخَلْقِ ، وهذا قول عطاء ، وابن كامل .

{ . . . يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ } أي يبادرون في الأعمال الصالحة ، يعني زكريا ، وامرأته ، ويحيى .

{ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً } فيه أربعة أوجه :

أحدها : رغباً في ثوابنا ورهباً من عذابنا .

الثاني : رغباً في الطاعات ورهباً من المعاصي .

والثالث : رغباً ببطون الأكف ورهباً بظهور الأكف .

والرابع : يعني طمعاً وخوفاً .

ويحتمل وجهاً خامساً : رغباً فيما يسعون من خير ، ورهباً مما يستدفعون من شر .

{ وَكَانُواْ لَنَا خَاشِعِينَ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : يعني متواضعين ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : راغبين راهبين ، وهو قول الضحاك .

والثالث : أنه وضع اليمنى على اليسرى ، والنظر إلى موضع السجود في الصلاة .

(94/3)

وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (91)

قوله عز وجل : { الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا } فيه وجهان :

أحدها : عفّت فامتنعت عن الفاحشة .

والثاني : أن المراد بالفَرْج فَرْجُ درعها منعت منه جبريل قبل أن تعلم أنه رسول .

{ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا } أي أجرينا فيها روح المسيح كما يجري الهواء بالنفخ ، فأضاف الروح إليه تشريفاً له ، وقيل بل أمر جبريل فحلّ جيب ردعها بأصابعه ثم نفخ فيه فحملت من وقتها .

{ وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا ءَايَةً لِّلْعَالَمِينَ } لأنها حملت من غير مسيس ، ووُلد عيسى من غير ذَكَرٍ ، مع كلامه في المهد ، ثم شهادته ببراءتها من الفاحشة ، فكانت هذه هي الآية ، قال الضحاك : ولدته في يوم عاشوراء .

(95/3)

This file was downloaded from QuranicThought.com

إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (92) وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ (93) فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ (94)

قوله عز وجل : { إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً } معناه أن دينكم دين واحد ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة .

ويحتمل عندي وجهين آخرين :

أحدهما : أنكم خلق واحد ، فلا تكونوا إلا على دين واحد .

والثاني : أنكم أهل عصر واحد ، فلا تكونوا إلا على دين واحد .

{ وَأَنَاْ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ } فأوصى ألا يعبد سواه .

{ وَتَقَطَّعُواْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ } فيه وجهان :

أحدهما : اختلفوا في الدين ، قاله الأخفش .

الثاني : تفرقوا ، قاله الكلبي .

(96/3)

وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (95) حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (96) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (97)

قوله عز وجل : { وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ } فيه تأويلان :

أحدهما : معناه حرام على قرية وجدناها هالكة بالذنوب أنهم لا يرجعون إلى التوبة ، وهو قول عكرمة .

الثاني : وحرام على قرية أهلكناها بالعذاب أنهم لا يرجعون إلى الدنيا ، وهذا قول الحسن ، وقرأ أبن عباس : وحَرُم على قرية ، وتأويلها ما قاله سفيان : وجب على قرية أهلكناها . [أنهم لا يرجعون قال : لا يتوبون] .

قوله عز وجل : { حَتَّى إِذَا فُتِحتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ } أي فتح السد ، وهو من أشراط الساعة ، وروى أبو هريرة عن زينب بنت جحش قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نائماً في بيته ، فاستيقظ محمرة عيناه ، فقال : « لاَ إِله إِلاَّ اللَّهُ ثَلاَثاً ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِن شَرٍ قَدِ اقْتَرَبَ ، فُتِحَ اليَومَ مِن رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجُ مِثْلَ هذا » وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عِقْدِ التِّسْعِينَ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويأجوج ومأجوج قيل إنهما أخوان ، وهما ولدا يافث بن نوح ، وفي اشتقاق اسميهما قولان :

أحدهما : أنه مشتق من أَجّت النار .

والثاني : من الماء الأُجاج . وقيل إنهم يزيدون على الإنس الضعف .

{ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ } وفي حدب الأرض ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه فجاجها وأطرافها ، قاله ابن عباس .

والثاني : حولها .

الثالث : تلاعها وآكامها ، مأخوذ من حدبة الظهر ، قال عنترة :

فما رعشت يداي ولا ازْدَهاني ... تواترهم إليَّ من الحِداب

وفي قوله : { يَنسِلُونَ } وجهان :

أحدها : معناه يخرجون ، ومنه قول امرىء القيس :

فسلي ثيابي من ثيابك تنسلِ ... والثاني : معناه يسرعون ، ومنه قول الشاعر :

عسلان الذئب أمسى قارباً ... برد الليل عليه فنسل

وفي الذي هم من كل حدب ينسلون قولان :

أحدهما : هم يأجوج ومأجوج ، وهذا قول ابن مسعود .

الثاني : أنهم الناس يحشرون إلى الموقف .

(97/3)

إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (98) لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آَلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (99) لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ (100) إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (101) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ (102) لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (103)

قوله تعالى : { إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : وقود جهنم ، وهو قول بن عباس .

الثاني : معناه حطب جهنم ، وقرأ علي بن أبي طالب وعائشة : حطب جهنم .

الثالث : أنهم يُرمَون فيها كما يُرْمَى بالحصباء ، حتى كأن جهنم تحصب بهم ، وهذا قول الضحاك ، ومنه قول الفرزدق :

مستقبلين شمال الشام يضربنا ... بحاصب كنديف القطن منثور

يعني الثلج ، وقرأ ابن عباس : حضب جهنم ، بالضاد معجمة . قال الكسائي : حضبت النار

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بالضاد المعجمة إذا أججتها فألقيت فيها ما يشعلها من الحطب .

قوله عز وجل : { إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَّا الْحُسْنَى } فيها ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنها الطاعة لله تعالى : حكاه ابن عيسى .

والثاني : السعادة من الله ، وهذا قول ابن زيد .

والثالث : الجنة ، وهو قول السدي .

ويحتمل تأويلاً رابعاً : أنها التوبة .

{ أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ } يعني عن جهنم . وفيهم ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم عيسى والعزير والملائكة الذين عُبِدوا من دون الله وهم كارهون وهذا قول مجاهد .

الثاني : أنهم عثمان وطلحة والزبير ، رواه النعمان بن بشيرعن علي بن أبي طالب .

الثالث : أنها عامة في كل من سبقت له من الله الحسنى .

وسبب نزول هذه الآية ما حكي أنه لما نزل قوله تعالى : { إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دَونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ } قال المشركون : فالمسيح والعزير والملائكة قد عُبِدُوا ، فأنزل الله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مَّنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ } يعني عن جهنم ، ويكون قوله : { مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ } محمولاً على من عذبه ربه .

قوله عز وجل : { لاَ يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن الفزع الأكبر النفخة الأخيرة ، وهذا قول الحسن .

والثاني : أنه ذبْحُ الموتِ ، حكاه ابن عباس .

والثالث : حين تطبق جهنم على أهلها ، وهذا قول ابن جريج .

ويحتمل تأويلاً رابعاً : أنه العرض في المحشر .

(98/3)

يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (104)

قوله عز وجل : { يَومَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن السجل الصحيفة تطوى على ما فيها من الكتابة ، وهذا قول مجاهد ، وقتادة .

الثاني : أنه الملك .

الثالث : أنه كاتب يكتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا قول ابن عباس .

(99/3)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (105) إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ (106) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (107)

قوله عز وجل : { وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن الزبور الكتب التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه ، والذكر أُمّ الكتاب الذي عنده في السماء ، وهذا قول مجاهد .

والثاني : أن الزبور من الكتب التي أنزلها الله تعالى على مَنْ بعد موسى من أنبيائه ، وهذا قول الشعبي .

{ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ } فيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها أرض الجنة يرثها أهل الطاعة ، وهذا قول سعيد بن جبير ، وابن زيد .

والثاني : أنها الأرض المقدسة يرثها بنو إسرائيل ، وهذا قول الكلبي .

والثالث : أنها أرض الدنيا ، والذي يرثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا قول ابن عباس .

قوله عز وجل : { إِنَّ فِي هذا لَبَلاَغاً لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ } أما قوله { إِنَّ فِي هذَا } ففيه قولان :

أحدهما : يعني في القرآن .

والثاني : في هذه السورة .

وفي قوله : { لَبَلاَغاً لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ } وجهان :

أحدهما : أنه بلاغ إليهم يَكُفُّهُم عن المعصية ويبعثهم على الطاعة .

الثاني : أنه بلاغ لهم يبلغهم إلى رضوان الله وجزيل ثوابه .

وفي قوله : { عَابِدِينَ } وجهان :

أحدهما : مطيعين .

والثاني : عالمين .

قوله عز وجل : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ } فيما أريد بهذه الرحمة وجهان :

أحدهما : الهداية إلى طاعة الله واستحقاق ثوابه .

الثاني : أنه ما رفع عنهم من عذاب الاستئصال .

وفي قوله : { لِلْعَالَمِينَ } وجهان :

أحدهما : من آمن منهم ، فيكون على الخصوص في المؤمنين إذا قيل إن الرحمة الهداية .

الثاني : الجميع ، فيكون على العموم في المؤمنين والكافرين إذا قيل إن الرحمة ما رفع عنهم من عذاب الاستئصال .

This file was downloaded from QuranicThought.com

قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (108) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آَذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ (109) إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ (110) وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (111) قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (112)

قوله عز وجل : { فَإِن تَوَلَّوْاْ } يعني أعرضوا ، وفيه وجهان :

أحدهما : عنك .

والثاني : عن القرآن .

{ فَقُلْ ءَاذَنْتَكُمْ عَلَى سَوَآءٍ } فيه سبعة تأويلات :

أحدها : على امر بَيِّنٍ سَوِي ، وهذا قول السدي .

والثاني : على مَهْل ، وهذا قول قتادة .

والثالث : على عدل ، وهذا قول الفراء .

والرابع : على بيان علانية غير سر ، وهذا قول الكلبي .

والخامس : على سَواءٍ في الإعلام يظهر لبعضهم ميلاً عن بعض ، وهذا قول علي بن عيسى .

والسادس : استواء في الإيمان به .

والسابع : معناه أن من كفر به فهم سواء في قتالهم وجهادهم ، وهذا قول الحسن .

قوله عز وجل : { وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ } فيه وجهان :

أحدهما : لعل تأخير العذاب فتنة لكم .

والثاني : لعل رفع عذاب الاستئصال فتنة لكم .

وفي هذه الفتنة ثلاثة أوجه :

أحدها : هلاك لكم .

والثاني : محنة لكم .

والثالث : إحسان لكم .

{ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : إلى يوم القيامة ، وهذا قول الحسن .

والثاني : إلى الموت ، وهذا قول قتادة .

والثالث : إلى أن يأتي قضاء الله تعالى فيهم .

قوله عز وجل : { قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ } فيه وجهان :

أحدهما : عجّل الحكم بالحق .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الثاني : معناه افصل بيننا وبين المشركين بما يظهر به الحق للجميع ، وهذا معنى قول قتادة .

{ وَرَبُّنَا الرَّحمنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ } فيه وجهان :

أحدهما : على ما تكذبون ، قاله قتادة .

والثاني : على ما تكتمون ، قاله الكلبي .

وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم إذا شهد قتالاً قرأ هذه الآية . والله أعلم .

(101/3)

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (1) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (2)

قوله عز وجل : { يأيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ } في زلزلتها قولان :

أحدهما : أنها في الدنيا ، وهي أشراط ظهورها ، وآيات مجيئها .

والثاني : أنها في القيامة .

وفيها قولان :

أحدهما : أنها نفخ الصور للبعث .

والثاني : أنها عند القضاء بين الخلق .

{ يَوْمَ تَرَوْنَهَا } يعني زلزلة الساعة

. { تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ } وفيه أربعة أوجه

: أحدها : تسلو كل مرضعة عن ولدها ، قاله الأخفش .

والثاني : تشتغل عنه ، قاله قطرب ، ومنه قول عبد الله بن رواحة :

ضرباً يزيل الهام عن مقيله ... ويذهل الخليل عن خليله

والثالث : تلهو عنه ، قاله الكلبي ، ومنه قول امرىء القيس

:

أذاهِلٌ أنت عن سَلْماك لا برحت ... أم لست ناسيها ما حنّت النيبُ

والرابع : تنساه ، قاله اليزيدي ، قال الشاعر :

تطاولت الأيام حتى نسيتها ... كأنك عن يوم القيامة ذاهل

{ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا } قال الحسن : تذهل الأم عن ولدها لغير فطام ، وتلقي الحامل ما في بطنها لغير تمام .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

{ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى } قال ابن جريج : هم سكارى من الخوف ، وما هم بسكارى من الشراب .

(102/3)

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ (3) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (4)

قوله عز وجل : { وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ } فيه قولان :

أحدهما : أن يخاصم في الدين بالهوى ، قاله سهل بن عبد الله .

والثاني : أن يرد النص بالقياس ، قال ابن عباس : نزلت هذه الآية في النضر بن الحارث .

(103/3)

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (5) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (6) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ (7)

قوله عز وجل : { يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُم فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ } يعني آدم .

{ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ } يعني ولده

. { ثُمَّ مِن عَلَقَةٍ } يعني أن النطفة تصير في الرحم علقة

. { ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ } يعني أن العلقة تصير مضغة ، وذلك مقدار ما يمضغ من اللحم .

{ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ } فيه أربعة تأويلات

: أحدها : أن المخلقة ما صار خلقاً ، وغير مخلقة ما دفعته الأرحام من النطف فلم يصير خلقاً ، وهو قول ابن مسعود .

والثاني : معناه تامة الخلق وغير تامة الخلق ، وهذا قول قتادة .

والثالث : معناه مصورة وغير مصورة كالسقط ، وهذا قول مجاهد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والرابع : يعني التام في شهوره ، وغير التام ، قاله الضحاك ، قال الشاعر :

أفي غير المخلقة البكاءُ ... فأين العزم ويحك والحَياءُ

{ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ } يعني في القرآن بدء خلقكم وتنقل أحوالكم

. { وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى } قال مجاهد : إلى التمام

. { ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُواْ أَشُدَّكُمْ } وقد ذكرنا عدد الأشدّ

. { وَمِنْكُم مَّن يُتَوَفَّى } فيه وجهان

: أحدهما : يعني قبل أن تبلغ إلى أرذل العمر .

والثاني : قبل بلوغ الأَشُدّ .

{ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ } فيه ثلاثة أوجه

: أحدها : الهرم ، وهو قول يحيى بن سلام .

والثاني : إلى مثل حاله عند خروجه من بطن أمّه ، حكاه النقاش .

والثالث : ذهاب العقل ، قاله اليزيدي .

{ لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً } فيه وجهان

: أحدهما : لا يستفيد علماً ما كان به عالماً .

الثاني : لا يعقل بعد عقله الأول شيئاً .

ويحتمل عندي وجهاً ثالثاً : أنه لا يعمل بعد علمه شيئاً ، فعبر عن العمل بالعلم [لافتقاره إليه لأن تأثير الكبر في العمل أبلغ من تأثيره في العلم] .

{ وتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً } فيه ثلاثة تأويلات

: أحدها : غبراء ، وهذا قول قتادة .

والثاني : يابسة لا تنبت شيئاً ، وهذا قول ابن جريج .

والثالث : أنها الدراسة ، والهمود : الدروس ، ومنه قول الأعشى :

قالت قتيلة ما لجسمك شاحباً ... وأرى ثيابك باليات همَّدا

{ فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَآءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ } وفي { اهْتَزَّتْ } وجهان

: أحدهما : معناه أنبتت ، وهو قول الكلبي .

والثاني : معناه اهتز نباتها واهتزازه شدة حركته ، كما قال الشاعر :

تثني إذا قامت وتهتز إن مشت ... كما اهتز غُصْن البان في ورق خضرِ

{ وَرَبَتْ } وجهان

: أحدهما : معناه أضعف نباتها .

والثاني : معناه انتفخت لظهور نباتها ، فعلى هذا الوجه يكون مقدماً ومؤخراً وتقديره : فإذا أنزلنا عليها الماء رَبتْ واهتزت ، وهذا قول الحسن وأبي عبيدة ، وعلى الوجه الأول لا يكون فيه تقديم ولا تأخير .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

{ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ } فيه وجهان

: أحدهما : يعني من كل نوع ، وهو قول ابن شجرة .

والثاني : من كل لون لاختلاف ألوان النبات بالخضرة والحمرة والصفرة .

{ بَهِيجٍ } يعني حسن الصورة .

(104/3)

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (8) ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ (9) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (10)

قوله عز وجل : { . . . ثَانِيَ عِطْفِهِ } فيه وجهان

: أحدهما : لاَوِي عنقه إعراضاً عن الله ورسوله ، وهذا قول مجاهد ، وقتادة .

الثاني : معناه لاَوِي عنقه كِبْرا عن الإجابة ، وهذا قول ابن عباس .

قال المفضل : والعِطف الجانب ، ومنه قولهم فلان ينظر في أعطافه أي في جوانبه . قال الكلبي : نزلت في النضر بن الحارث .

{ لِيضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ } فيه وجهان

: أحدهما : تكذيبه للرسول وإعراضه عن أقواله .

والثاني : فإذا أراد أحد من قومه الدخول في الإسلام أحضره وأقامه وشرط له وعاتبه وقال : هذا خير لك مما يدعوك إليه محمد ، حكاه الضحاك .

(105/3)

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (11) يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (12) يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ (13)

قوله عز وجل : { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني على وشك وهو قول مجاهد ، لكونه منحرفاً بين الإيمان والكفر .

والثاني : على شرط ، وهو قول ابن كامل .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والثالث : على ضعف في العبادة كالقيام على حرف ، وهو قول علي بن عيسى .

ويحتمل عندي تأويلاً رابعاً : أن حرف الشي بعضه ، فكأنه يعبد الله بلسانه ويعصيه بقلبه .

{ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ } وهذا قول الحسن .

الثاني : أن ذلك نزل في بعض قبائل العرب وفيمن حول المدينة من أهل القرى ، كانوا يقولون : نأتي محمداً فإن صادفنا خيراً اتبعناه ، وإلا لحقنا بأهلنا ، وهذا قول ابن جريج ، فأنزل الله تعالى : { فإنْ أَصَابَهُ خَيرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ } .

ويحتمل وجهين آخرين :

أحدهما : اطمأن بالخير إلى إيمانه .

الثاني : اطمأنت نفسه إلى مقامه .

{ وَإِن أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ } أي محنة في نفسه أو ولده أو ماله

. { انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ } يحتمل عندي وجهين

: أحدهما : رجع عن دينه مرتداً .

الثاني : رجع إلى قومه فزعاً .

{ خَسِرَ الدُّنْيَا والآخرة } خسر الدنيا بفراقه ، وخسر الآخرة بنفاقه

. { ذلِكَ هُوَ الْخُسْرانِ الْمُبِينُ } أي البيّن لفساد عاجله وذَهَاب آجله

. قوله عز وجل : { لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ } يعني الصنم ، وفيه وجهان :

أحدهما : أن المولى الناصر ، والعشير الصاحب ، وهذا قول ابن زيد .

والثاني : المولى المعبود ، والعشير الخليط ، ومنه قيل للزوج عشير لخلطته مأخوذ من المعاشرة .

(106/3)

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (14) مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ (15) وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آَيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ (16) إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (17)

قوله عز وجل : { مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ } فيه ثلاثة تأويلات

: أحدها : أن يرزقه الله ، وهو قول مجاهد ، والنصر الرزق ، ومنه قول الأعشى .

أبوك الذي أجرى عليّ بنصره ... فأنصب عني بعده كل قابل

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والثالث : معناه أن لن يمطر أرضه ، ومنه قول رؤبة :

إني وأسطار سطران سطرا ... لقائل يا نصرَ نصرٍ نصرا

إني عبيدة : يقال للأرض الممطرة أرض منصورة .

{ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ } والنصر في الدنيا بالغلبة ، وفي الآخرة بظهور الحجة .

ويحتمل وجهاً آخر أن يكون النصر في الدنيا علو الكلمة ، وفي الآخرة علو المنزلة .

{ فَلْيَمْدُدْ بِسبَبٍ إِلَى السَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ } فيه تأويلان :

أحدهما : فليمدد بحبل إلى سماء الدنيا ليقطع الوحي عن محمد ثم لينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ أي يذهب الكيد منه ما يغيظه من نزول الوحي عليه ، وهذا قول ابن زيد .

والثاني : فليمدد بحبل إلى سماء بيته وهو سقفه ، ثم لِيخْنقَ به نفسه فلينظر هل يذهب ذلك بغيظه من ألا يرزقه الله تعالى ، وهذا قول السدي .

(107/3)

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (18)

قوله عز وجل : { وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكرِمٍ } فيه وجهان

: أحدهما : ومن يهن الله فيدخله النار فما له من مكرم فيدخله الجنة .

{ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ } من ثواب وعقاب ، وهذا قول يحيى بن سلام

. والثاني : ومن يهن الله بالشقوة فما له من مكرم بالسعادة .

{ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءَ } من شقوة ، وهذا قول الفراء وعلي بن عيسى

. ويحتمل عندي وجهاً ثالثاً : ومن يهن الله بالإنتقام فما له من مكرم بالإنعام ، إن الله يفعل ما يشاء من إنعام وانتقام .

(108/3)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (19) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (20) وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (21) كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (22)

قوله عز وجل : { هذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْ } والخصمان ها هنا فريقان ، وفيهما أربعة أقاويل :

أحدها : أنهما المسلمون والمشركون حين اقتتلوا في بدر ، وهذا قول أبي ذر ، وقال محمد بن سيرين : نزلت في الثلاثة الذين بارزوا يوم بدر ثلاثة من المشركين فقتلوهم .

والثاني : أنهم أهل الكتاب قالوا : نبينا قبل نبيكم ، وكتابنا قبل كتابكم .

ونحن خير منكم ، فقال المسلمون كتابنا يقضي على كتابكم ، ونبينا خاتم الأنبياء .

ونحن أولى بالله منكم ، وهذا قول قتادة .

والثالث : أنهم أهل الإيمان والشرك في اختلافهم في البعث والجزاء ، وهذا قول مجاهد ، والحسن ، وعطاء .

والرابع : هما الجنة والنار اختصمتا ، فقالت النار : خلقني الله لنقمته ، وقالت الجنة : خلقني الله لرحمته ، وهذا قول عكرمة .

{ فَالَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتَ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ } معناه أن النار قد أحاطت بها كإحاطة الثياب المقطوعة إذا لبسوها عليهم ، فصارت من هذا الوجه ثياباً ، لأنها بالإحاطة كالثياب .

{ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمْ الْحَمِيمُ } ها هنا هو الماء الحار ، قال الشاعر :

كأن الحميم على متنها ... إذا اغترفته بأطساسها

جُمان يحل على وجنةٍ ... علته حدائد دوّاسها

وضم الحميم إلى النار وإن كانت أشد منه لأنه ينضج لحومهم ، والنار بانفرادها تحرقها ، فيختلف به العذاب فيتنوع ، فيكون أبلغ في النكال .

وقيل إنها نزلت في ثلاثة من المسلمين قتلوا ثلاثة من المشركين يوم بدر حمزة بن عبد المطلب قتل عتبة بن ربيعة ، وعليّ بن أبي طالب قتل الوليد بن عتبة ، وعبيدة بن الحارث قتل شيبة بن ربيعة .

قوله تعالى : { يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : يحرق به وهو قول يحيى بن سلام .

والثاني : يقطع به ، وهو قول الحسن .

والثالث : ينضج به ، وهو قول الكلبي ومنه قول العجاج :

شك السفافيد الشواء المصطهرْ ... والرابع : يذاب به ، وهو قول مجاهد ، مأخوذ من قولهم : صهرت الألية إذا أذبتها ، ومنه قول ابن أحمر :

تروي لقى ألقى في صفصفٍ ... تصهره الشمس فما ينْصهِر

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

{ وَلَهُمْ مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ } والمقامع : جمع مقمعة ، والمقمعة ما يضرب به الرأس لا يعي فينكب أو ينحط .

(109/3)

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (23) وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ (24)

قوله عز وجل : { وَهُدُواْ إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ } فيه أربعة تأويلات
: أحدها : أنه قول لا إله إلا الله ، وهو قول الكلبي .
والثاني : أنه الإيمان ، وهو قول الحسن .
والثالث : القرآن ، وهو قول قطرب .
والرابع : هو الأمر بالمعروف .
ويحتمل عندي تأويلاً خامساً : أنه ما شكره عليه المخلوقون وأثاب عليه الخالق .
{ وَهُدُواْ إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ } فيه تأويلان
: أحدهما : الإسلام ، وهو قول قطرب .
والثاني : الجنة .
ويحتمل عندي تأويلاً ثالثاً : أنه ما حمدت عواقبه وأمنت مغبته .

(110/3)

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (25)

قوله عز وجل : { . . . وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ } فيه قولان :
أحدهما : أنه أراد المسجد نفسه ، ومعنى قوله : { الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ } أي قبلة لصلاتهم ومنسكاً لحجهم .
{ سَوَآءً الْعَاكِفُ فِيهِ } وهو المقيم ، { وَالْبَادِ } وهو الطارئ إليه ، وهذا قول ابن عباس .
والقول الثاني : أن المراد بالمسجد الحرام جميع الحرم ، وعلى هذا في قوله :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

{ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ } وجهان

: أحدهما : أنهم سواء في دوره ومنازله ، وليس العاكف المقيم أولى بها من البادي المسافر ، وهذا قول مجاهد ومَنْ منع بيع دور مكة كأبي حنيفة .

والثاني : أنهما سواء في أن من دخله كان آمناً ، وأنه لا يقتل بها صيداً ولا يعضد بها شجراً .

{ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ } والإلحاد : الميل عن الحق والباء في قوله : { بِإِلْحَادٍ } زائدة كزيادتها في قوله تعالى : { تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ } [المؤمنون : 20] ومثلها في قول الشاعر :

نحن بنو جعدة أصحاب الفلج ... نضرب بالسيف ونرجو بالفَرَجِ

أي نرجو الفرج ، فيكون تقدير الكلام : ومن يرد فيه إلحاداً بظلم

. وفي الإلحاد بالظلم أربعة تأويلات :

أحدها : أنه الشرك بالله بأن يعبد فيه غير الله ، وهذا قول مجاهد ، وقتادة .

والثاني : أنه استحلال الحرام فيه ، وهذا قول ابن مسعود .

والثالث : استحلال الحرام متعمداً ، وهذا قول ابن عباس .

والرابع : أنه احتكار الطعام بمكة ، وهذا قول حسان بن ثابت .

قال ابن عباس : نزلت هذه الآية في أبي سفيان بن حرب وأصحابه حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عمرته عام الحديبية .

(111/3)

وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (26) وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27)

قوله عز وجل : { وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ } فيه وجهان

: أحدهما : معناه وطأنا له مكان البيت ، حكاه ابن عيسى .

والثاني : معناه عرفناه مكان البيت بعلامة يستدل بها .

وفي العلامة قولان :

أحدهما : قاله قطرب ، بعثت سحابة فتطوقت حيال الكعبة فبنى على ظلها .

الثاني : قاله السدي ، كانت العلامة ريحاً هبت وكنست حول البيت يقال لها الخجوج .

{ أَن لاَّ تُشْرِكَ بِي شَيْئاً } أي لا تعبد معي إلهاً غيري

. { وَطَهِّرْ بَيْتِيَ } فيه ثلاثة أوجه

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

: أحدها : من الشرك وعبادة الأوثان ، وهذا قول قتادة .

الثاني : من الأنجاس والفرث والدم الذي كان طرح حول البيت ، ذكره ابن عيسى .

والثالث : من قول الزور ، وهو قول يحيى بن سلام .

{ لِلطَّآئِفِينَ وَالْقَآئِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ } أما الطائفون فيعني بالبيت وفي { الْقَائِمِينَ } قولان

: أحدهما : يعني القائمين في الصلاة ، وهو قول عطاء .

والثاني : المقيمين بمكة ، وهو قول قتادة .

{ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ } يعني في الصلاة ، وفي هذا دليل على ثواب الصلاة في البيت . وحكى الضحاك أن إبراهيم لما حضر أساس البيت وحد لَوْحاً ، عليه مكتوب : أنا الله ذو بكّة ، خلقت الخير والشر ، فطوبى لمن قَدَّرْتُ على يديه الخير ، وويلٌ لمن قدرت على يديه الشر .

وتأول بعض أصحاب الخواطر قوله : { وَطَهِّرْ بَيْتِيَ } يعني القلوب .

{ لِلطَّآئِفِينَ } يعني حجاج الله ، { وَالْقَآئِمِينَ } يعني الإيمان ، { وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ } يعني الخوف والرجاء .

قوله عز وجل : { وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ } يعني أَعْلِمْهُم ونَادِ فيهم بالحق ، وفيه قولان :

أحدهما : أن هذا القول حكاية عن أمر الله سبحانه لنبيه إبراهيم ، فروي أن إبراهيم صعد جبل أبي قبيس فقال : عباد الله إن الله سبحانه وتعالى قد ابتنى بيتاً وأمَرَكُمْ بحجه فَحُجُّوا ، فأجابه من في أصلاب الرجال وأرحام النساء : لبيك داعي ربنا لبيك . ولا يحجه إلى يوم القيامة إلا من أجاب دعوة إبراهيم ، وقيل إن أول من أجابه أهل اليمن ، فهم أكثر الناس حجاً له .

والثاني : أن هذا أمر من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يأمر الناس بحج البيت .

{ يَأْتُوكَ رِجَالاً } يعني مشاة على أقدامهم ، والرجال جمع راجل

. { وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ } أي جملٍ ضامر ، وهو المهزول ، وإنما قال { ضَامِرٍ } لأنه ليس يصل إليه إلا وقد صار ضامراً .

{ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ } أي بعيد ، ومنه قول الشاعر :

تلعب لديهن بالحريق ... مدى نياط بارح عميق

(112/3)

لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (28) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (29)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله عز وجل : { لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ } فيه ثلاثة تأويلات

: أحدها : أنه شهود المواقف وقضاء المناسك .

والثاني : أنها المغفرة لذنوبهم ، قاله الضحاك .

والثالث : أنها التجارة في الدنيا والأجر في الآخرة ، وهذا قول مجاهد .

{ وَيَذْكُرُواْ اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ } فيها ثلاثة أقاويل

: أحدها : أنها عشر ذي الحجة آخرها يوم النحر ، وهذا قول ابن عباس ، والحسن ، وهو مذهب الشافعي .

والثاني : أنها أيام التشريق الثلاثة ، وهذا قول عطية العوفي .

والثالث : أنها يوم التروية ويوم عرفة ويوم النحر ، وهذا قول الضحاك .

{ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ } يعني على نحر ما رزقهم نحره من بهيمة الأنعام ، وهي الأزواج الثمانية من الضحايا والهدايا .

{ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ الْبَائِسَ الْفَقِيرَ } في الأكل والإطعام ثلاثة أوجه

: أحدها : أن الأكل والإطعام واجبان لا يجوز أن يخل بأحدهما ، وهذا قول أبي الطيب بن سلمة .

والثاني : أن الأكل والإطعام مستحبان ، وله الاقتصار على أيهما شاء وهذا قول أبي العباس بن سريج .

والثالث : أن الأكل مستحب والإطعام واجب ، وهذا قول الشافعي ، فإن أطعم جميعها أجزأه ، وإن أكل جميعها لم يُجْزه ، وهذا فيما كان تطوعاً ، وأما واجبات الدماء فلا يجوز أن نأكل منها .

وفي { الْبَآئِسَ الْفَقِيرَ } خمسة أوجه :

أحدها : أن الفقير الذي به زمَانةٌ ، وهو قول مجاهد .

والثاني : الفقير الذي به ضر الجوع .

والثالث : أن الفقير الذي ظهر عليه أثر البؤس .

والرابع : أنه الذي يمد يده بالسؤال ويتكفف بالطلب .

والخامس : أنه الذي يؤنف عن مجالسته .

قوله عز وجل : { ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : مناسك الحج ، وهو قول ابن عباس ، وابن عمر .

والثاني : حلق الرأس ، وهو قول قتادة ، قال أمية بن أبي الصلت .

حفوا رؤوسهم لم يحلقوا تفثاً ... .

والثالث : رمي الجمار ، وهو قول مجاهد

. والرابع : إزالة قشف الإحرام من تقليم ظفر وأخذ شعر وغسل واستعمال الطيب ، وهو قول الحسن .

وقيل لبعض الصلحاء : ما المعنى في شعث المحرم؟ قال : ليشهد الله تعالى منك الإعراض عن

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

العناية بنفسك فيعلم صدقك في بذلها لطاعته .

وسئل الحسن عن التجرد في الحج فقال : جرّد قلبك من السهو ، ونفسك من اللهو ولسانك من اللغو ، ثم يجوز كيف شئت .

وقال الشاعر :

قضوا تفثاً ونحباً ثم ساروا ... إلى نجدٍ وما انتظروا علياً

{ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ } وهو تأدية ما نذروه في حجهم من نحر أو غيره

. { وَلْيَطَّوَّفُواْ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ } يعني طواف الإفاضة ، وهو الواجب في الحج والعمرة ، ولا يجوز في الحج إلا بعد عرفة ، وإن جاز السعي .

وفي تسمية البيت عتيقاً أربعة أوجه :

أحدها : أن الله أعتقه من الجبابرة ، وهو قول ابن عباس .

الثاني : لأنه عتيق لم يملكه أحد من الناس ، وهو قول مجاهد .

والثالث : لأنه أعتق من الغرق في الطوفان ، وهذا قول ابن زيد .

(113/3)

ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (30) حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (31)

قوله عز وجل : { ذلِكَ وَمَن يَعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ } فيه قولان : أحدهما : أنه فعل ما أمر به من مناسكه ، قاله الكلبي .

والثاني : أنه اجتناب ما نهى عنه في إحرامه . ويحتمل عندي قولاً ثالثاً : أن يكون تعظيم حرماته أن يفعل الطاعة ويأمر بها ، وينتهي عن المعصية وينهى عنها .

{ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ } فيه قولان

: أحدهما : إلا ما يتلى عليكم من المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذُبحَ على النصب .

والثاني : إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم .

{ فَاجْتَنِبُواْ الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ } فيه وجهان

: أحدهما : أي اجتنبواْ من الأوثان الرجس ، ورجس الأوثان عبادتها ، فصار معناه : فاجتنبوا عبادة الأوثان .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثاني : معناه : فاجتنبواْ الأوثان فإنها من الرجس .

{ وَاجْتَنِبُواْ قَوْلَ الزُّورِ } فيه أربعة أقاويل

: أحدها : الشرك ، وهوقول يحيى بن سلام .

والثاني : الكذب ، وهو قول مجاهد .

والثالث : شهادة الزور . روى أيمن بن محمد أن النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيباً فقال : « أَيُّهَا النَّاسُ عَدَلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ الشِّرْكَ بِاللَّهِ مَرَّتِينَ » ثم قرأ : { فَاجْتَنِبُواْ الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُواْ قَوْلَ الزُّورِ } .

والرابع : أنها عبادة المشركين ، حكاه النقاش .

ويحتمل عندي قولاً خامساً : أنه النفاق لأنه إسلام في الظاهر زور في الباطن .

قوله عز وجل : { حُنَفَآءَ لِلَّهِ } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : يعني مسلمين لله ، وهو قول الضحاك ، قال ذو الرمة :

إذا حول الظل العشي رأيته ... حنيفاً وفي قرن الضحى يتنصر

والثاني : مخلصين لله ، وهو قول يحيى بن سلام .

والثالث : مستقيمين لله ، وهو قول عليّ بن عيسى .

والرابع : حجاجاً إلى الله ، وهو قول قطرب .

{ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ } فيه وجهان

: أحدهما : غير مرائين بعبادته أحداً من خلقه .

والثاني : غير مشركين في تلبية الحج به أحداً لأنهم كانواْ يقولون في تلبيتهم : لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك ، قاله الكلبي .

(114/3)

ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (32) لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ (33)

قوله عز وجل : { ذلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَآئِرَ اللَّهِ } فيه وجهان

: أحدهما : فروض الله .

والثاني : معالم دينه ، ومنه قول الكميت :

نقتلهم جيلاً فجيلاً نراهم ... شعائر قربان بهم يتقرب

وفيها ثلاثة أقاويل

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
: أحدها : أنها مناسك الحج ، وتعظيمها إشعارها ، وهو مأثور عن جماعة .
والثاني : أنها البُدن المشعرة ، وتعظيمها استسمانها واستحسانها ، وهو قول مجاهد .
والثالث : أنها دين الله كله ، وتعظيمها التزامها ، وهو قول الحسن .
{ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ } قال الكلبي والسدي : من إخلاص القلوب
. ويحتمل عندي وجهاً آخر أنه قصد الثواب .
ويحتمل وجهاً آخر أيضاً : أنه ما أرضى الله تعالى :
قوله عز وجل : { لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى } فيه ثلاثة أقاويل :
أحدها : أن المنافع التجارة ، وهذا قول من تأول الشعائر بأنها مناسك الحج ، والأجل المسمى العود .
والثاني : أن المنافع الأجر ، والأجل المسمى القيامة ، وهذا تأويل من تأولها بأنها الدين .
والثالث : أن المنافع الركوب والدر والنسل ، وهذا قول من تأولها بأنها الهَدْى فعلى هذا في الأجل المسمى وجهان :
أحدهما : أن المنافع قبل الإيجاب وبعده ، والأجل المسمى هو النحر ، وهذا قول عطاء .
{ ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى الْبَيْتِ الْعتِيقِ } إن قيل إن الشعائر هي مناسك الحج ففي تأويل قوله : { ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ } وجهان :
أحدهما : مكة ، وهو قول عطاء .
والثاني : الحرم كله محل لها ، وهو قول الشافعي .
وإن قيل إن الشعائر هي الدين كله فيحتمل تأويل قوله : { ثم محلها إلى البيت العتيق } أن محل ما اختص منها بالأجر له ، هو البيت العتيق .

(115/3)

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (34) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (35)

قوله عز وجل : { وَلِكُلِّ أَمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً } فيه ثلاثة تأويلات
: أحدها : يعني حجاً ، وهو قول قتادة .
والثاني : ذبحاً ، وهو قول مجاهد .
والثالث : عيداً ، وهو قول الكلبي والفراء ، والمنسك في كلام العرب هو الموضع المعتاد ، ومنه

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

تسمية مناسك الحج ، لاعتياد مواضعها .

{ لِّيَذْكُرُواْ اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ } فيها وجهان

: أحدهما : أنها الهدي ، إذا قيل إن المنسك الحج .

والثاني : الأضاحي ، إذا قيل إن المنسك العيد .

قوله عز وجل : { . . . وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ } فيه تسعة تأويلات :

أحدها : المطمئنين إلى ذكر إلههم ، وهو قول مجاهد ، ومنه قوله تعالى : { فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمُ } [الحج : 54] .

والثاني : معناه المتواضعين ، وهو قول قتادة .

والثالث : الخاشعين ، وهو قول الحسن . والفرق بين التواضع والخشوع أن التواضع في الأخلاق والخشوع في الأبدان .

والرابع : الخائفين ، وهو معنى قول يحيى بن سلام .

والخامس : المخلصين ، وهو قول إبراهيم النخعي .

والسادس : الرقيقة قلوبهم ، وهو قول الكلبي .

والسابع : أنهم المجتهدون في العبادة ، وهو قول الكلبي ومجاهد .

والثامن : أنهم الصالحون المطمئنون ، وهو مروي عن مجاهد أيضاً .

والتاسع : هم الذين لا يظلمون ، وإذا ظلموا لم ينتصروا ، وهو قول الخليل بن أحمد .

(116/3)

وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (36)

قوله عز وجل : { وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ } في البدن ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها الإبل ، وهو قول الجمهور .

والثاني : أنها الإبل ، والبقر ، والغنم ، وهو قول جابر ، وعطاء .

والثالث : كل ذات خُفٍّ وحافر من الإبل ، والبقر ، والغنم ، وهو شاذ حكاه ابن الشجرة ، وسميت بُدْناً لأنها مبدنة في السمن ، وشعائر الله تعالى دينه في أحد الوجهين ، وفروضه في الوجه الآخر . وتعمق بعض أصحاب الخواطر فتأول البُدْن أن تطهر بدنك من البدع ، والشعائر أن تستشعر بتقوى الله وطاعته ، وهو بعيد .

{ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ } فيه تأويلان

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
: أحدهما : أي أجر ، وهو قول السدي .

والثاني : منفعة فإن احْتِيجَ إلى ظهرها رُكبَ ، وإن حُلِبَ لَبَنُها شُرِبَ ، وهو قول إبراهيم النخعي .

{ فَاذْكُرُواْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ } وهي قراءة الجمهور ، وقرأ الحسن : صوافي ، وقرأ ابن مسعود : صوافن .

فتأول صواف على قراءة الجمهور فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : مصطفة ، ذكره ابن عيسى .

والثاني : قائمة لتصفّد يديها بالقيود ، وهو قول ابن عمر .

والثالث : معقولة ، وهو قول مجاهد .

وتأويل صوافي ، وهي قراءة الحسن : أي خالصة لله تعالى ، مأخوذ من الصفوة .

وتأويل صوافن وهي قراءة ابن مسعود : أنها مصفوفة ، وهو أن تَعقِل إحدى يديها حتى تقف على ثلاث ، مأخوذ من صفن الفرس إذا ثنى إحدى يديه حتى يقف على ثلاث ، ومنه قوله تعالى : { الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ } وقال الشاعر :

الف الصفون مما يزال كأنه ... مما يقوم على الثلاث كسيراً

{ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبهَا } أي سقطت جنوبها على الأرض ، ومنه وجب الحائط إذا سقط ، ووجبت الشمس إذا سقطت للغروب ، وقال أوس بن حجر :

ألم تكسف الشمس ضوء النهار ... والبدر للجبل الواجب

{ فَكُلُواْ مِنْهَا } فيه وجهان

: أحدهما : أن أكله منها واجب إذا تطوع بها ، وهو قول أبي الطيب بن سلمة .

والثاني : وهو قول الجمهور أنه استحباب وليس بواجب ، وإنما ورد الأمر به لأنه بعد حظر ، لأنهم كانوا في الجاهلية يحرمون أكلها على نفوسهم .

{ وَأَطْعِمُواْ الْقَانِعَ والْمُعْتَرَّ } فيهم أربعة تأويلات

: أحدها : أن القانع السائل ، والمعتر الذي يتعرض ولا يسأل ، وهذا قول الحسن ، وسعيد بن جبير ، ومنه قول الشماخ :

لمالُ المرءِ يصلحه فيغني ... مفاقِرَه أعف من القُنُوع

أي من السؤال

. والثاني : أن القانع الذي يقنع ولا يسأل ، والمعتر الذي يسأل ، وهذا قول قتادة ، ومنه قول زهير :

على مكثريهم رزق من يعتريهم ... وعند المقلين السماحةُ والبذلُ

والثالث : أن القانع المسكين الطوّاف ، والمعتر : الصديق الزائر ، وهذا قول زيد بن أسلم ، ومنه قول الكميت :

إما اعتياداً وإما اعتراراً ... والرابع : أن القانع الطامع ، والمعتر الذي يعتري البُدْنَ ويتعرض للحم

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

لأنه ليس عنده لحم ، وهذا قول عكرمة ، ومنه قول الشاعر :

على الطارق المعتر يا أم مالك ... إذا ما اعتراني بين قدري وصخرتي

(117/3)

لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (37)

قوله عز وجل : { لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَآؤُهَا } فيه وجهان

: أحدهما : لن يقبل الله الدماء وإنما يقبل التقوى ، وهذا قول علي بن عيسى .

والثاني : معناه لن يصعد إلى الله لحومها ولا دماؤها ، لأنهم كانوا في الجاهلية إذا ذبحوا بُدنهم استقبلوا الكعبة بدمائها فيضجعونها نحو البيت ، فأراد المسلمون فعل ذلك ، فأنزل الله تعالى : { لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَآؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُم } أي يصعد إليه التقوى والعمل الصالح ، وهذا قول ابن عباس .

{ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ } أي ذللها لكم يعني الأنعام

. { لِتُكَبِّرُواْ اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ } يحتمل وجهين

: أحدهما : يعني التسمية عند الذبح .

والثاني : لتكبروا عند الإحلال بدلاً من التلبية في الإحرام .

{ عَلَى مَا هَداكُمْ } أي ما أرشدكم إليه من حجكم

. { وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ } يحتمل وجهين

: أحدهما : بالقبول .

والثاني : بالجنة .

(118/3)

إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (38) أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (39) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (40) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (41)

{ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُواْ } فيه ثلاثة أوجه

: أحدها : بالكفار عن المؤمنين ، وبالعصاة عن المطيعين ، وبالجهال عن العلماء .

والثاني : يدفع بنور السنة ظلمات البدعة ، قاله سهل بن عبد الله .

قوله عز وجل : { وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ } فيه ستة تأويلات :

أحدها : ولولا دفع الله المشركين بالمسلمين ، وهذا قول ابن جريج .

الثاني : ولولا دفع الله عن الدين بالمجاهدين ، وهذا قول ابن زيد .

والثالث : ولولا دفع الله بالنبيين عن المؤمنين ، وهذا قول الكلبي .

والرابع : ولولا دفع الله بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن بعدهم من التابعين ، وهذا قول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

والخامس : ولولا دفع الله بشهادة الشهود على الحقوق ، وهذا قول مجاهد .

والسادس : ولولا دفع الله على النفوس بالفضائل ، وهذا قول قطرب .

ويحتمل عندي تأويلاً سابعاً : ولولا دفع الله عن المنكر بالمعروف .

{ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ } فيه قولان

: أحدها : أنها صوامع الرهبان ، وهذا قول مجاهد .

والثاني : أنها مصلى الصابئين ، وهو قول قتادة .

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « صَوْمَعَةُ المُؤْمِنِ بَيْتُه » وسميت صومعة لانضمام طرفيها ، والمنصمع : المنضم ، ومنه أذنٌ صمعاء .

{ وَبِيَعٌ } فيها قولان

: أحدهما : أنها بيع النصارى ، وهو قول قتادة .

والثاني : أنها كنائس اليهود ، وهو قول مجاهد ، والبيعة اسم أعجمي مُعَرَّب .

{ وَصَلَوَاتٌ } فيها قولان

: أحدهما : أنها كنائس اليهود يسمونها : صلوتا ، فعرب جمعها ، فقيل صلوات ، وهذا قول الضحاك .

والثاني : معناه : وتركت صلوات ، ذكره ابن عيسى .

{ وَمَسَاجِدُ } المسلمين ، ثم فيه قولان

: أحدهما : لهدمها الآن المشركون لولا دفع الله بالمسلمين ، وهو معنى قول الضحاك .

والثاني : لهدمت صوامع في أيام شريعة موسى ، وبيع في أيام شريعة عيسى ومساجد في أيام

This file was downloaded from QuranicThought.com

شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا قول الزجاج ، فكان المراد بهدم كل شريعة ، الموضع الذي يعبد الله فيه .

(119/3)

وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (42) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (43) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (44) فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ (45) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (46)

قوله عز وجل : { وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ } فيها ثلاثة أوجه

: أحدها : يعني خالية من أهلها لهلاكها .

والثاني : غائرة الماء .

والثالث : معطلة من دلالتها وأرشيتها .

{ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ } فيه ثلاثة أوجه

: أحدها : أن المشيد الحصين وهو قول الكلبي ، ومنه قول امرىء القيس :

وتيماء لم يترك بها جذع نخلةٍ ... ولا أطماً إلا مشيراً بجندل

والثاني : أن المشيد الرفيع ، وهو قول قتادة ، ومنه قول عدي بن زيد :

شاده مرمراً وجلله كل ... ساً فللطير في ذراه وُكورُ

والثالث : أن المشيد المجصص ، والشيد الجص ، وهو قول عكرمة ومجاهد ومنه قول الطرماح :

كحية الماء بين الطين والشيد ... وفي الكلام مضمر محذوف وتقديره : وقصر مشيد مثلها معطل ، وقيل إن القصر والبئر بحضرموت من أرض اليمن معروفان ، وقصرِ مشرف على قلة جبل ولا يرتقى إليه بحال ، والبئر في سفحه لا تقر الريح شيئاً سقط فيها إلا أخرجته ، وأصحاب القصور ملوك الحضر ، وأصحاب الآبار ملوك البوادي ، أي فأهلكنا هؤلاء وهؤلاء .

قوله عز وجل : { أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا } هذا يدل على أمرين : على أن العقل علم ، ويدل على أن محله القلب .

وفي قوله : { يَعْقِلُونَ بِهَا } وجهان :

أحدهما : يعملون بها ، لأن الأعين تبصر والقلوب تصير .

{ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا } أي يفقهون بها ما سمعوه من أخبار القرون السالفة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

{ فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ } يحتمل عندي وجهين :

أحدهما : أنها لا تعمى الأبصار عن الهدى ولكن تعمى القلوب عن الاهتداء .

والثاني : فإنها لا تعمى الأبصار عن الاعتبار ولكن تعمى القلوب عن الادّكار .

قال مجاهد : لكل إنسان أربع أعين : عينان في رأسه لدنياه ، وعينان في قلبه لآخرته ، فإن عميت عينا رأسه وأبصرت عينا قلبه لم يضره عماه شيئاً ، وإن أبصرت عينا رأسه وعميت عينا قلبه لم ينفعه نظره شيئاً .

قال قتادة : نزلت هذه الآية في ابن أم مكتوم الأعمى وهو عبد الله بن زائدة .

(120/3)

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (47) وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ (48)

قوله تعالى : { وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ } يستبطئون نزوله بهم استهزاء منهم .

{ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ } ولن يؤخر عذابه عن وقته

. { وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفْ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ } فيه ثلاثة أوجه

: أحدها : أن يوماً من الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض كألف سنة ، قاله مجاهد .

الثاني : أن طول يوم من أيام الآخرة كطول ألف سنة من أيام الدنيا في المدة .

الثالث : أن ألم العذاب في يوم من أيام الآخرة كألف سنة من أيام الدنيا في الشدة وكذلك يوم النعيم .

(121/3)

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (49) فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (50) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (51)

قوله تعالى : { وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَآيَاتِنَا } فيه وجهان

: أحدهما : أنه تكذيبهم بالقرآن ، قاله يحيى بن سلام .

الثاني : أنه عنادهم في الدين ، قاله الحسن .

{ مُعَجِزِينَ } قراءة ابن كثير وأبي عمرو ، وقرأ الباقون { مُعَاجِزِينَ } فمن قرأ معجزين ففي تأويله

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أربعة أوجه :

أحدها : مثبطين لمن أراد اتباع النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو قول السدي .

الثاني : مثبطين في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو قول مجاهد .

والثالث : مكذبين ، حكاه ابن شجرة .

الرابع : مَعَجِزِينَ لمن آمن بإظهار تعجيزة في إيمانه .

ومن قرأ { مُعَاجِزِينَ } ففي تأويله أربعة أوجه :

أحدها : مشاققين ، قاله ابن عباس .

والثاني : متسارعين ، حكاه ابن شجرة .

والثالث : معاندين ، قاله قطرب .

والرابع : مُعَاجِزِينَ يظنون أنهم يُعْجِزُونَ الله هرباً ، قاله السدي .

(122/3)

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (52) لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (53) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (54)

قوله تعالى : { وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ } فيه تأويلان :

أحدهما : يعني أنه إذا حدّث نفسه ألقى الشيطان في نفسه ، قاله الكلبي .

الثاني : إذا قرأ ألقى الشيطان في قراءته ، قاله قتادة ومجاهد ، قال الشاعر :

تمنى كتاب الله أول ليله ... وآخره لاقى حمام المقادِرِ

{ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ . . . } فيه قولان

: أحدهما : أن الرسول والنبي واحد ، ولا فرق بين الرسول والنبي ، وإنما جمع بينهما لأن الأنبياء تخص البشر ، والرسل تعم الملائكة والبشر .

والقول الثاني : أنهما مختلفان ، وأن الرسول أعلى منزلة من النبي .

واختلف قائل هذا في الفرق بين الرسول والنبي على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن الرسول هو الذي تتنزل عليه الملائكة بالوحي ، والنبي يوحى إليه في نومه .

والثاني : أن الرسول هو المبعوث إلى أُمَّةٍ ، والنبي هو المحدث الذي لا يبعث إلى أمة ، قاله قطرب

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

.

والثالث : أن الرسول هو المبتدىء بوضع الشرائع والأحكام ، والنبي هو الذي يحفظ شريعة الله ، قاله الجاحظ .

{ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ } أي يرفعه

. { ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَآيَاتِهِ } أي يثبتها ، واختلف أهل التأويل فيما قرأه النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك على أربعة أقاويل :

أحدها : أنه ألقاه الشيطان على لسانه فقرأه ساهياً .

الثاني : أنه كان ناعساً فألقاه الشيطان على لسانه فقرأه في نعاسه قاله قتادة .

الثالث : أن بعض المنافقين تلاه عن إغواء الشيطان فخيل للناس أنه من تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حكاه ابن عيسى .

الرابع : إنما قال : هي كالغرانيق العلا – يعني الملائكة – وأن شفاعتهم لترتجى ، أي في قولكم ، قاله الحسن .

سبب نزول هذه الآية ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه سورة النجم . قرأها في المسجد الحرام حتى بلغ { أَفَرَأَيْتُمْ اللاَّتَ وَالْعُزَّى ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى } [النجم : 19–20] ألقى الشيطان على لسانه « أولئك الغرانيق العلا . وأن شفاعتهن لترتجى » ثم ختم السورة وسجد . وسجد معه المسلمون والمشركون ورفع الوليد بن المغيرة تراباً إلى جبهته فسجد عليه ، وكان شيخاً كبيراً لا يقدر على السجود ، ورضي بذلك كفار قريش ، وسمع بذلك من هاجر لأرض الحبشة . فأنكر جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم ما قرأه ، وشق ذلك عليه فأنزل الله تعالى :

{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ } .

قوله تعالى : { لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً } فيه وجهان :

أولهما : محنة .

الثاني : اختباراً . { لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ } أي نفاق

. { وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ } يعني المشركين

. { وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ } فيه وجهان

: أحدهما : لفي ضلال طويل ، قاله السدي .

الثاني : لفي فراق للحق بعيد إلى يوم القيامة ، قاله يحيى بن سلام .

(123/3)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ (55) الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (56) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (57)

{ وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ } يعني في شك { مِّنْهُ } من القرآن { حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً } فيه وجهان

: أحدهما : ساعة القيامة على من يقوم عليه من المشركين ، قاله الحسن .

الثاني : ساعة موتهم .

{ أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ } فيه قولان

: أحدهما : يوم القيامة ، قاله عكرمة ، والضحاك .

الثاني : يوم بدر ، قاله مجاهد ، وقتادة .

وفي العقيم وجهان :

أحدهما : أنه الشديد ، قاله الحسن .

الثاني : أنه الذي ليس له مثيل ولا عديل ، قال يحيى بن سلام : لقتال الملائكة فيه .

ويحتمل ثالثاً : أن يكون العقيم هو الذي يجدب الأرض ويقطع النسل .

(124/3)

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (58) لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (59) ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (60)

قوله تعالى : { ذلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ } الآية ، فيها قولان

: أحدهما : أنها نزلت في قوم من مشركي قريش لقوا قوماً من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فحملوا عليهم فناشدهم المسلمون ألا يقاتلوهم في الشهر الحرام فأبوا فأظفر الله المسلمين فنزل ذلك فيهم ، حكاه النقاش .

الثاني : أنها في قوم من المشركين مثلوا بقوم من المسلمين قتلوهم يوم أحد فعاقبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثله فنزل ذلك فيهم ، حكاه ابن عيسى . ونصر الله في الدنيا بالغلبة والقهر ، وفي الآخرة بالحجة والبرهان .

(125/3)

This file was downloaded from QuranicThought.com

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (61) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ
هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (62) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (63) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (64) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي
الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (65) وَهُوَ
الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ (66)

قوله تعالى : { ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ } فيه ثلاثة أوجه

: أحدها : أن الحق اسم من أسمائه تعالى ، قاله يحيى ابن سلام .

الثاني : أنه ذو الحق ، قاله ابن عيسى .

الثالث : معناه أن عبادته حق وهو معنى قول السدي .

{ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ } فيه قولان

: أحدهما : الأوثان ، قاله الحسن .

الثاني : إبليس ، قاله قتادة .

(126/3)

This file was downloaded from QuranicThought.com